المجلد الأول ◊ العدد الأول

رجب ١٤٠٨ هـ ◊ مارس ١٩٨٨ م

مجلة شهرية إسلامية أدبية

◎ دعوتنا : عودة بالأمة إلى الكتاب والسنة

دار التأليف والترجمة بنارس الهند

محتويات العدد

الصفحة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول — رجب ١٤٠٨ هـ

العدد الأول — مارس ١٩٨٨ م

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بى ١/١٨ جى ، ريورى تالاب فارانسى ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريورى تالاب ، فارانسى ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية. فى الخارج ١٨ دولارا (بالبريد الجوى)
٨ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

من صوت الجامعة إلى صوت الأمة

* *

(د : مقتدى حسن الأزهرى)

كان من بين الأهداف البارزة للجامعة السلفية نشر الدعوة الاسلامية والعقيدة الصحيحة ، وتوجيه كافة النـــاس إلى القيم الدينية والمثل العليا. والجامعة قد دأبت منذ إنشائها إلى تحقيق هذه الأهداف ، واستنفدت فى سبيل ذلك جميع الوسائل والطاقات .

وكخطوة أولى أصدرت الجامعة عام ١٣٨٩هـ مجلة باسم «صوت الجامعة» كانت تصدر كل ثلاثة أشهر. استمرت المجلة على هذا الوضع والاسم إلى شعبان عام ١٣٩٦ هـ ، وقد جاء فى افتتاحية أول عدد من المجلة فى هذه المرحلة :

من افتتاحية العدد الأول من المرحلة الأولى

• إن العصر الذى نعيش فيه يسمى عصر التقدم والرقى ، عصر الاختراعات والاكتشافات ، ونرى أنه يمتاز بتقدم كبير فى مجال النشر والإعلام ، والناس فى هذا العصر يؤمنون تماما بالدعاية ، وقلما يحاولون الوصول إلى الحقـائق الأصلية والأغراض الكامنة وراء هذه الدعاية .

• والمؤسف أن هذا الداء ــ داء الايمان بالدعاية الفارغة ــ قـــد سرى إلى كثير من الناس الذين يدعون نشر الحق وحماية العدل مع أنهم لا يسيرون إلا مع الباطل ، ويحاولون تغيير المفاهيم الثـــابتة وطمس الحقائق التى لا تزال

تلمع أمام الناس وتنطق بالحق .

• والقبول الذى لاقته اليوم الأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية الحديثة سببه الأكبر هو هذه الدعاية المتواصلة التى لا تقف عند حد ولا تنتهى إلى نهاية إن أصحاب هذه المذاهب يعرفون جيدا أن سلاح الدعاية هو أقوى ما يمكن به الوصول إلى أهدافهم وكسب رأى أهل بلادهم ، ولذلك نراهم يرصدون لهذا الغرض ميزانية ضخمة وأشخاصا غير قليلين ، يسخرونهم لنشر دعوتهم وترويج باطلهم ، وهذا الموقف الجدى والاستماتة فى سبيل نشر المبادىء المقررة عندهم يحمل على ضرب من التفكير . إنهم يبذلون كل الجهود مع علمهم بأن المذاهب التى يعملون لها ليست إلا وليدة الفكر الانسانى الذى قد يخطىء ويصيب .

• أما نحن — المسلمين — فنؤمن بمبادىء الاسلام وبكونها منزلة من عند الله وناجحة فى سبيل حل مشاكل الانسانية محققة للسعادة البشرية . نؤمن بأن هذه التعاليم قد أحدثت تحولا عظيما فى التاريخ الانسانى ، حينما كانت منفذة ومطبقة على حياة الانسان . فكانت الانسانية فى ذاك الوقت أسعد حالا منها فى أى وقت آخر ، وكان الناس الذين اعتنقوا هذه المبادىء مهتمين بمصالح غيرهم قبل مصالحهم الخاصة ، وكان السلام الحقيق والطمأنينة تسود العالم كله .. نؤمن بهذا كله ولكن مع ذلك لا نبذل الجهود الكافية لتكوين مجتمع يسوده الايمان والتوحيد ، والحق والخير ، والعدل والرحمة ، ولا نتحرك لإنقاذ العالم عما يسوده من اضطراب واختلال ، وظلم وجور ، وهوى وضلال ، وجهل وتقليد ، وأثرة وشح . فهل نسينا الدور الذى أخرجنا الله تعالى لأدائه ؟ وأفردنا بمكان خاص لا تبلغ اليه جماعة أخرى ؟ ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ والآية الكريمة يعرف بها الله تعالى المسلمين حقيقة مكانهم فى هذه الأرض ودورهم فى حياة البشر .

• ولإحباط هذه المؤامرات يجب علينا أن نهب ونسعى من جديد للجهاد المقدس — جهاد القلم والفكر — ونشرح للانسانية التعسية تعاليم دين الرحمة والسلام ، دين الهداية والصلاح ، ونبرز مزاياه التى يحاول أعداؤنا دائمـا إلقاء الستور عليها . . . نشرح لها أن هذا الدين هو الوحيد الذى يملك الحلول الحاسمة للشاكل التى طالما أرهقت الإنسانية وتركتهـا تتخبط وراء الشعارات الزائفـة والتيارات الفاسدة ثم لا تجد سبيلها ولا تعرف مصيرها .

• ومن المعروف أن القوى المعادية للإسلام تعمل فى ميدان السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع . فعلينـا أن نعمل أيضا فى جميع هذه الميادين بأحدث الوسائل وأكبر النشاط وبالقوة والصمود ، والإخلاص فى العمل والتفـانى فى الحق ، فنحن ننتسب إلى دين الإسلام ، دين العدالة والرخاء ، دين العقل والقلب ، دين الهداية والرشد .

• وإننا بهذه المجلة نريد أن نبدأ السير ونفتح آفاقا جديدة للناس ، وندلهم على الخطر المحدق بهم ونسهم بهذا العمل فى تزويد الناس بما يحتاجون اليه من الثقافة الدينيـة والبحوث الإسلامية ، فإنهم فى حاجة ماسة إلى ذلك لكثرة الدعايات المغرضة ضد دينهم من ناحية ، ولقلة الجرائد والمجلات التى تتناول هذه الأمور من ناحية أخرى ، وكذلك نهدف إلى شرح مناهجنا و وجهة نظرنا نحو القضايا المعاصرة ، فإننا أقدر على ذلك من غيرنا ، خاصة فى الظروف الحاضرة .

• وبعد ذلك كله نريـد تصحيح بعض الأخطاء والمزاعم التى نسبت إلينا — بالتعمد أو الجهل — وحاول المغرضون النيل من عقيدتنا وإلقاء الستور على

الجهود التي بذلها أسلافنا في سبيل نشر الثقافة والعلوم الإسلامية في الهند وغيرها من البلاد التي كانت مسرحا لنشاطهم وأعمالهم مدة من الزمن.

• ونحن مؤمنون بأن هذه الخطوة ستكون ناجحة ومثمرة، وتسد فراغا في الصحافة الحاضرة - إن شاء الله عز وجل - ويقوى ايماننا هذا ما نرى في الشباب الإسلامي من الرغبة في الرجوع إلى الإسلام من جديد والتمسك بتعاليمه بعد المقارنة بينها وبين توجيهات المذاهب والحركات الأخرى التي ولدت حديثا.

• وهذه المجلة بداية لتصحيح هذه الأوضاع الفاسدة. وتعريف المسلمين بالمنهج الواضح الحق وبالمصادر الأصيلة للشريعة الحقة من الكتاب والسنة

• إنها بداية لإنقاذ البشرية من الدمار الشامل الذي نجم من ابتعاد الناس عن الدين الإسلامي وهداية الله المقدسة.

• بداية لتطهير التعاليم الإسلامية عن المزاعم والأوهام التي نسبها اليها أعداء الإسلام وأعداء البشرية.

• إنها محاولة للرد على الافتراء الذي شاع بين الناس بالنسبة لمنهجنا وعقيدتنا ويردده بعض الناس إلى الآن لكسب عواطف المسلمين الذين يعتمدون على غيرهم في معرفة الحق والباطل والخير والشر.

• محاولة لتعريف الناس بما قدمه أسلافنا إلى الانسانية من أياد بيضاء وبذلوا جهودا جبارة في توطيد دعائم النهضة العلمية الحديثة في الهند التي لا تزال تؤدي ثمارها للناس وتنور لهم السبيل في مجال العلمي والديني.

• ونتضرع في هذه البداية إلى المولى سبحانه وتعالى لأن يجعلها بداية طيبة تسد الفراغ القائم في الصحافة الإسلامية في الهند وتوجه الجيل الإسلامي إلى الشريعة الإسلامية والمنهج السليم ◎ ◎

ثم رأى المجلس الإدارى للجامعة تغيير اسم المجلة إلى (مجلة الجامعة السلفية) وتقليل فترتها من ثلاثة شهور إلى شهر واحد .

كان المجلس الادارى موفقا فى جزء من قراره ، فالجميع كانوا يتمنون أن تكون المجلة شهرية ، وحقق الله تعالى أمنيتهم هذه فصارت شهرية ، ولكن المجلس لم يوفق فى الجزء الآخر من قراره ، فانه لم يكن معنى لتغيير اسم المجلة من (صوت الجامعة) إلى (مجلة الجامعة السلفية) ولكن الذوق السليم هو الذى يدرك مثل هذه الأمور ، ويتخذ فيها القرار الصائب .

ومما جاء فى افتتاحية أول عدد من المجلة فى هذه المرحلة

افتتاحية العدد الأول من المرحلة الثانية

المجلة فى عامها الثامن وباسم جديد : دخلت المجلة بهذا العدد فى السنة الثامنة من عمرها ، وليس هذا شيئا يذكر ، وخاصة إذا نظرنا إلى الجرائد والمجلات التى ما زالت تصدر منذ عشرات السنين ، وتخدم العلم والثقافة ، وتغذى الأفكار والعقول . سبع سنوات ليست شيئا يذكر فى عمر الجرائد والمجلات فى عصر النهضة العلمية والثقافية التى تغمر العالم ، وفى عصر الاعتماد على الدعايات والمظاهر بدلا من الحقائق . ونحن مع هذا الاعتراف نذكر أن المجلة أتمت من عمرها سبع سنوات ، وننوه بما قامت به من الخدمات فى هذه المدة القصيرة ، وبما حققته من الأهداف ... فلماذا هذا الذكر ، ولماذا هذا التنويه ؟

إن الإجابة الحقيقية على السؤال المذكور قد توهم بعض الناس أنى أريد الثناء على مجلتى وعلى القائمين عليها ، أريد أن أحمد بما لم يفعل ، أريد تكبير الآثار التى ترتبت على جهود المجلة ، أريد تمجيد المواقف التى وقفتها مجلتنا نحو

مختلف المشاكل والقضايا . فتفاديا من هذا وذاك أتجنب الإجابة الحقيقية ، فلعل الحقائق قد تنكشف وتتجلى للجميع بحيث لا تبقى حاجة للقول المزيد . ولكن مع ذلك أرى من الواجب الإشارة إلى بعض النقاط ، و الإشادة ببعض المواقف ، ثم فوق الجميع التحديث بنعمة الله الذى بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

فأولا أعيد ما قلته فى بعض الافتتاحيات السابقة من أن مجلة عربية فى بلد غير عربى خطوة جريئة بدون شك ، فإن الإمكانيات غير متوفرة فيه والمقالات الهادفة عسيرة المنال ، والإقبال من القراء كأنه عنقاء مغرب ، ولكن المجلة مع ذلك صدرت واستمرت ، وتقدمت خطوة أخرى أكثر جرأة من الأولى ، وهى أنها تصدر من الآن — بعون الله وتوفيقه — شهريا ، أو عشرة أجزاء فى كل سنة على الأقل ، وباسم مجلة الجامعة السلفية ، بدلا من صوت الجامعة . أما التكفير فى عواقب الخطوة الصالحة فلا نرى له داعيا ، ولو نواجه قلة الوسائل المادية ، فالذى وفقنا لإصدار المجلة كل ثلاثة أشهر هو الذى يوفقنا لإصدارها كل شهر ، وما ذلك على الله بعزيز .

وثانيا أشيد بموقف الكتاب المحترمين ، وأنوه بالجهود التى بذلوها فى سبيل رفع المستوى لمجلة دينيـة ، فلو لا مساعداتهم الأدبية القيمة لم نستطع الاستمرار فى إصدار المجلة على الصورة التى تمت . ولا شك أن هذه الجهود لها أهميتها وتأثيرها فى نشر الدعوة الإسلامية بالهند ، وفى رفع راية الاسلام والذود عن حياضه فى العصر الذى تتابعت فيه الهجمات على الدين الحنيف ، وكثرت المحاولات للقضاء على المسلمين ، فالكتاب الذين ساعدونا ببحوثهم ومقالاتهم فى هذه الظروف الصعبة ، لهم منا الشكر الجزيل والتقدير الجميل ، ومن المولى عز وجل الأجر المضاعف ، وهو لا يضيع أجر المحسنين .

وثالثا أحمد الله تعالى على أنه وفقنا للعمل، وذلل لنا الصعاب، وهيأ لنا وسائل إصدار المجلة شهريا، وإياه أسأل أن يوفقنا للاستمرار فى إصدار المجلة ولخدمة الإسلام والمسلمين، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم.

والأهداف التى كانت المجلة تسعى لتحقيقها فى جميع مراحلها تتلخص فيما يلى :

• إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبى، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحه، ودحض الشبهات عنها ورفع مستوى الدرسات الإسلامية، والثقافة الدينية

• مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والإلحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور، وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

• مؤازرة الكتاب، والأدباء الإسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الإسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الإسلام، وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

• إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الإسلامى، فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة، وإعدادهم للإسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

• نشر العلوم الإسلامية والعربية بين المسلمين فى الهنـــد ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

• التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد .

● ● ●

وكنا ندرك جيدا أن إصدار مجلة شهرية باللغة العربية ليس أمرا سهلا ، فإن الكتاب الذين يساهمون فى مثل هذه المجلة يعدون على الأصابع ، وأصعب من هذا أمر الطباعة والإخراج الفنى ، ثم توفر الوسائل المادية التى تحتاج اليها مجلة عربية شهرية .

إن الصعوبة أمر واقع لا شك فيه ، ولكن حاجة الناس إلى صحافة هادفة نزيهة أشد ، فإن العباد نلهوا عن الأعمال الصالحة ، وأقبلوا على الدنيا وزخارفها وتخلوا عن المسئوليات التى وقعت عليهم نحو الآخرين .

ثم إنهم صاروا مرتعا خصبا للبدع والخرافات ، وتسربت اليهم اتجاهات الزيغ والضلال ونظريات الإلحاد والانحلال . ضعفت ثقافتهم الدينية ، ووهنت صلتهم بتاريخهم ، فحاولت الفرق الباطلة أن تنشر بينهم سمومها ، وتصدهم عن سبيل الحق ، وتقطعهم عن الماضى ، وتؤدى بهم إلى مهاوى الشرك والإلحاد .

هذه هى حالة المجتمع ، انصراف عن الفضائل والمثل ، وانغماس فى الملذات والشهوات ، أما الإعلام المرئى والمسموع فانه صمم على التـــدمير والتخريب ، وشغل الناس بالتوافه حتى يخلو له الجو فيدرك مآربه ويحقق أهدافه ، والإعلام المقروء كذلك فى حالة يرثى لها . أقلام مأجورة تفسد الأخلاق ، وتنشر المجون باسم الأدب والثقافة ، والصحافة لا ترى إلا إلى المال أو الشهرة ، شغلها الشاغل

موضوعات الجنس والبطن ، وليس فيهامكان للقيم والمثل ، وهذا هو سبب كثرة الجرائم وانتشار القلق والرعب بين النفوس .

وفى مثل هذا الوضع لا تستطيع مجلة أو مجلتـان أن تعيـد الأمور إلى مجراها الطبيعى، وتقضى على الانحراف والفساد ، ولكنها محاولة متواضعة لأداء أمانة الكلمة وإتمـام الحجة على الناس لعل الله يفتح لها القلوب ويوفق للرشد والصواب ، فإن الانسان مكلف بتصحيح النية وبذل الجهد ، وليس عليه أن ينظر إلى رد الفعل أو يربط الجهود بالنتائج فى الأعمال التى أمره الله بأدائهـا . إن حياة الأنبياء عليهم السلام ترشدنا إلى ذلك ، فإنهم قد بلغوا الدعوة ، ثم فوضوا الأمر إلى الله العلى القدير .

● ● ●

إن جهودنا فى الصحـافة متجهة من الأخص إلى الأعم فالمجلة فى المرحلتين كانت حسب اسمهـا فى حدود الخاصة ، وإن كانت تعمل حساب الأمة فى جميع الأمور، وتحاول أن تشاركها فى آمالها وآلامها ، والآن إنها تصدر باسم الأمة ، ولذا يجب عليها أن تركز حول شئون الأمة ، وتوسع نطاق عملهـا ، وتنطلق حيث مصلحة الأمة ، وتتجه دائما إلى تسديد مسارها حسب الوسائل المتوفرة .

إن كلمة « الأمة » يرددها اليوم كثير من الخطباء والكتاب ، بل يستخدمها الأعداء الذين يحاولون القضاء على كيانهـا ، حتى يسهل لهم النفوذ إلى صفوف المسلمين والتلعب بمصيرهم . إنهم يتظاهرون بالإخلاص للأمة ، فينادون بالوحدة الإسلامية وبالحفاظ على حريتهـا واستقلالها ، ولكن الحقيقة أنهم يهدفون إلى تمزيق كيانهـا وإضعاف معنويتهـا بقطع صلتها عن ماضيها وتشكيك أفرادها فى مبادىء دينها ومسلمات عقائدها وتنفيرهم من الشخصيات التى لها دورها البناء فى تاريخ هذه الأمة .

إن كلمة الأمة لها احترامها ومعنويتها، إنها لا تصدق إلا على الجماعة التى تلتزم بدقة أصول الاسلام وأحكامه فى العقيدة والعمل، وتحافظ على وحدة الأمة وتحترم تاريخها ورجالها ولا تحرج على الأصول التى اتفق المسلمون على اعتبارها من أساسيات الإسلام ولا تلتجئ إلى النصوص التى لا تتفق ومعتقداتها فتأولها وتحرفها.

وإنها لا تصدق — مهما وسعنا معناها — على الطائفة التى تشك فى القرآن الكريم الذى تعتبره الأمة دستورها الغالى، وتسيئ إلى رعيل الإسلام الأول الذى حمل إلينا أمانة الدين وتراثنا العلمى، وترفض التراث الدينى للمسلمين، وتتنكر لتاريخهم المجيد، وتنتهك حرمة المقدسات الإسلامية، وتتطاول على الشخصية التى أخلصت فى إسلامها، وساهمت فى إرساء قواعد الحضارة الإسلامية، ووقفت مع الأمة ضد الهجمات التى توالت عليها فى دينها وتراثها.

وإنها لا تصدق على المعتزين الذين يصرون على أعمال الشرك والبدع، ويبيحون شد الرحال إلى القبور، والاستعانة بالموتى، وتقديم الهدايا والنذور إلى الضرائح، ويخصعون نصوص القرآن والسنة لمزاعمهم الباطلة، ويكفرون جميع الجماعات الإسلامية التى لا توافقهم على أعمالهم الشركية ومعتقداتهم الخرافية.

● ● ●

هذا، وتسع الكلمة أمة الدعوة أيضا، والمجلة تحاول أداء واجبها نحو هذه الطائفة، وذلك بشرح تعاليم الإسلام وتوجيهاته السامية نحو البشرية كلها، وبإبراز ميزات هذه التعاليم على غيرها من المبادئ والنظم، ومع أن هذه الناحية تعتبر الآن مفروغا منها، فإن الناس أيقنوا بذلك بعد أن أفلست النظم والمبادئ الوضعية فى حل مشكلات الإنسانية، ولكن ترتفع الأصوات أحيانا

من هنا وهناك وتنادى بأن الشريعة الاسلامية لا تصلح لهـذا العصر المتقدم وأن أحكامها فى حاجة إلى المراجعـة والتغيير. إن مثل هذا الكلام يأتى من الأغرار أو الحاقدين، ولذا لا يعطى له وزن ولا يستجيب له أحد. إن أحكام الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وقد جرب ذلك الناس فى جميع العصور، ولكن الذين يشكون فى صلاحية الشريعة الإسلامية هم أصحاب الجهل أو العناد والعصبية.

وأهل الهند من غير المسلمين أعمتهم العصبية الدينية الآن، فهبوا يوجهون الطعن إلى الإسلام وأحكامه، وخاصة فى ظل هذا الحكم العلمانى الذى يعتبر حكما هندوسيا بالتعبير الدقيق. وفى هذا الوضع تحاول المجلة عرض تعاليم الإسلام ودفع المطاعن عنها بأسلوب ملائم، لعل الله يفتح لها القلوب، ويهدى إليها النفوس.

وهناك مجالات للعمل سوى ما ذكرنا، نعود إليهـا فى أعداد المجلة إن شاء الله تعالى، والله هو المسئول لأن يرزقنا الإخلاص، ويكتب للمجلة القبول والنجاح. إنه ولى التوفيق، ونعم المولى ونعم النصير ؟

ذم الحسد

قال الجاحظ:

الحسد عقيد الكفر وحليف الباطل وضد الحق، منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الحلماء.

ولذلك قال النبى ﷺ: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء»

(مجموعة من النظم والنثر)

منهج الدعوة إلى الله

++++++++++++++++++++

للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية
بالرياض ورئيس رابطة الجامعات الاسلامية

◇✻◇✻◇✻◇✻◇✻◇✻◇✻◇

بحث مقدم الى مؤتمر دور الجامعات الاسلامية في تكوين الدعاة
والتنسيق بين كليات الشريعة ، جامعة الأزهر بالقاهرة
٢ - ٢٤/ رجب ١٤٠٧ هـ ١٨ - ٢٢/ ابريل ١٩٨٧م

الحمد لله الذي ابتعث للدعوة إليه أنبياء ورسلا

والصلاة والسلام على خير من دعا إلى الله على بصيرة ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان .

الله تبارك اسمه ، وتعالى جده ، وجل ثناؤه ، واحد لا شريك له ، ولا شيء يعجزه ولا إله غيره .

ومحمد - ﷺ - عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسوله المرتضى ، خاتم الأنبياء ، وإمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وكل دعوة النبوة بعده بغي وهو المبعوث إلى عامة الجن ، وكافة الورى بالحق والهدى والنور والضياء .

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم وأطوعهم له ، واتبعهم للقرآن ، والايمان هو : الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر

خيره وشره .

ونحن مؤمنون بذلك لا نفرق بين أحد من رسله ، و نصدقهم على ما جاءوا به .

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم .

ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ، ولا نشهد عليهم بكفر ، ولا شرك ، ولا نفاق ، ما لم يظهر منهم شيء من ذالك ، وسرائرهم الى الله ، ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد — ﷺ — إلا من وجب عليه السيف .

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا وظلموا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننزع يدنا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ، ونتبع السنة والجماعة ، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة ، ونحب أهل العدل والأمانة ، ونبغض أهل الجور والخيانة .

والحج والجهاد فريضتان ماضيتان مع أولى الأمر من المسلمين : برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما .

ونثبت الخلافة بعد رسول الله — ﷺ — أولا لأبي بكر الصديق تفضيلا وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم لعثمان رضى الله عنه ، ثم لعلى رضى الله عنه ، وهم الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

وعلماء السلف من السابقين والتابعين ، ومن بعدهم من أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل . ولا نفضل احدا من الاولياء على الأنبياء ، و نقول : نبي واحد افضل من جميع الأولياء ، ونؤمن بما جاء فى كراماتهم . ولا نصدق كاهنا و لا عرافا ،

ولا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة ، ونرى الجماعـة حقا وصوابا ، والفرقة ذما ، وزيما وعذابا .

ودين الله تعالى فى السماء والأرض واحد وهو : الاسلام ، قال الله تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ .

وهو بين الغلو والتقصير ، والتشبيه والتعطيل ، وبين الجبر والقـدر ، وبين الأمن واليأس .

فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ، ونحن براء الى الله من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه .

★ ★ ★

هذه نفائس من كلام امام علم — من طحا بمصر — هو : الامام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله .

وقد آثرنا أن ندخل الى موضوعنا — من هذا المدخل — لأسباب :

● أولا لنعلم كيف يفكر الدعاة الكبار ؟

فالامام الطحاوى داعية . بل من أئمة الدعوة . يبين ذلك ويؤكده · الامام أبو العز الاذرعى — فى شرح الطحاوية — فيقول :

ان علم أصول الدين من أشرف العلوم ، وحاجة العباد اليه فوق كل حاجة، لأنه لا حياة للقلوب إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ، فأعرف الناس بالله عز وجل اتبعهم للطريق الموصل اليه ، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه .

وقد مضى على ما كان عليه الرسول — ﷺ — خير القرون ، وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان ، يوصى به الآخر الأول ، ويقتدى فيه اللاحق بالسابق ، وهم فى ذلك كله بنبيهم محمد — ﷺ — مقتدون وعلى منهاجـه سالكون ، كما

قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعنى﴾.
وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين: الامام أبو جعفر الأزدى الطحاوى.

● ثانيا: لوضوح المنهج، فليس فى كلام هـذا الامام العظيم غموض ولا إبهام، ولا إيهام.

والوضوح من لوازم الدعوة.

● ثالثا: لدقـة مفهوم الدعوة، فليست الدعوة كلامـا مطلقا عائما هائما هائجا، و لا كلاما سبق بـه اللسان دون دليل من علم، و دون ضابط من عقل.

و ما ذكره الطحاوى يحدد مفهوم الدعوة من حيث، اختيـار الموضوع، وتحرير المسألة وتعيين المراد، وضبط الكلم.

● رابعا. لأن هذا الكلام النفيس يؤلف الوحدة الأصولية بين الدعاة.

● خامسا: لاطراد العلاقة بين هذه الأصول، وبين عمل الدعاة فى كل عصر ومصر. فقد انتظم فى نهج الامام الطحاوى قضايا أمات:

قضية الربوبية والالهية.

وقضية الرسول الخاتم، والرسالة الخاتمة.

وقضية الايمان بالملائكة، وبما أنزل الله من كتاب، و أرسل من رسول وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وقضية تعديل المسلمين ــ بوصفهم ــ وحسن الظن بهم، مالم يظهر أحد منهم ما ينقض اسلامه.

وقضية دخول المؤمنين فى السلم كافة، وغمد السلاح مطلقا بين المسلمين، فلا ينتضى إلا بشروطه المعتبرة شرعا.

وقضية أداء الفروض والواجبات مهما كانت درجة التزام الحاكم بالاسلام .

وقضية الكف عن منازعة الأمر أهله ، والامتناع عن الخروج عليهم .

وقضية وحدة الجماعة المسلمة ، والنأى عن الفرقة والخلاف .

وقضية مضى الجهاد خلف ولاة الأمر ، محسنهم ومسيئهم .

وقضية الشهادة للخلفاء الأربعة بالرشيد والعدالة والفضل .

وقضية أن الصحابة عدول شهد لهم رسول الله — ﷺ — بالخيرية هم ومن تلاهم من القرنين الثانى والثالث .

وقضية التآخى والتراحم بين الأجيال المسلمة فلا يذكر اللاحق السابق — ممن تقدم بالصلاح — إلا بما يثبت الفضل للسابق ، والوفاء للاحق .

وقضية التطهر النفسى والعقلى من دجل الكهان والعرافين ، والبراءة من كل مصدر وهمى للمعرفة

وقضية وحدة دين الله ، وأن الدين الواحد المقبول عند الله هو الاسلام .

وقضية أن الاسلام وسط فى الأمر كله

هذه القضايا الأمهات لا يحل لداعية عليم صدوق أن يزاور عنها وما ينبغى له ذلك . سواء حى هذا الداعية فى أيامنا هذه ، أم كان قبلنا ، أم سيأتى بعدنا ؟

فمهما اتسع نطاق الأحداث — سعة الأمة والعالم — ومهما تجددت الموضوعات بتجدد العصور ، فان كل الأحداث والموضوعات مرتبطة بهذه القضايا: ارتباط ديانة ، وارتباط ميزان .

★ ★ ★

ونتنقل من المدخل الى المنهج ، وبين الأمرين قربى علم ، وآصرة وظيفة ،

ووشيجة مقصد ، ووحدة سياق .

فما المنهج ؟

● المنهج هو : العلم بالاسلام : ﴿أفمن يعلم أنمــا أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولوا الالباب﴾ .

فاذا كان المرء لا يعلم ما يدعو اليه ، فلأى شىء يدعو إذن ؟

ان المسبغة العلمية حملت أصحابها ــ الذين يدخلون ميدان الدعوة بغير عدة علمية ــ على أن يعوضوا القحط العلمى بالتهييج . فنقص العلم فى العبارة يعوض بالنفخ فى مضمونها ، وبالحدة فى إخراجها و بالتهويل فى المعلومـــة والواقع ، وبالأحكام المتسرعة ، وبالحط من قيمة العلم والعلماء .

فى حين أن العلم بالاسلام أظهر وجوبا على الدعاة ، وأشد الزاما لهم من العلم بقوانين الحركة والطاقة بالنسبة لعلماء الفيزياء مثلا .

إن الخطأ فى تشالنجر فى الولايات المتحدة الأمريكيـــة ، وفى تشرنوبل فى الاتحاد السوفيتى ، انتهى بدمار وعيب .

وهو خطأ سببــه اختلال فى المركب التقنى ، أو الحساب الزمنى ، أى أن العقل كان حاضرا ، ولكنه حضور فيه غفلة .

والخطأ فى ميدان الدعوة أشد تدميرا ، لأنه يدمر الطاقات النفسية ، والروحية والفكرية والعقلية والعملية ، فى أمة ، من مسئولياتها : صيانة هذه الطاقات الذاتية ، وطاقات الآخرين .

ان العوج فى التفكير .

وتصريف الطاقة فى غير مصارفها الحقيقية .

والتصورات الخاطئة عن الحياة والمجتمع .

والأفكار المهزورة عن العالم، وعلاقاته .
هذه كلها معللة بالتوجيه الخاطىء .
ولا نقول: ان الجهل بالدعوة هو: السبب الوحيد لكل هذه المتاعب .

بيد أنه حين يكون الحديث عن النقائص فى ساحة التدين، فمن الدقة أن يقال . ان المتدينين يتلقون أفكارهم، وتصوراتهم، وزادهم الثقافى من الدعاة .. ومن العدل أن يقال : ان فريقا من الدعاة لا يتأكد من توافر الشروط الصحية فى الغذاء الذى يقدمه للناس .

والنعمة قسمة بين ذوى الجهالة المجترئين على مجال الدعوة، وبين العلماء المنسحبين من المجال .

فما تقدم مجترىء على الدعوه إلا فى ذات المساحة التى انسحب منها عالم .

وكلما كثرت الانسحابات، ازداد عدد المواقع التى يعسف فيها المجترئون، حتى يبدو الوضع وكأنه بداية لنهاية محيمة أنبأنا بها الرسول ـ ﷺ ـ بقوله : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

فمن عزائم الدعوة أن ينتشر العلماء فى كل ناحية ، ولا يزالون ينتشرون حتى تضيق المساحة على مدعى البلاغ عن الله بغير حق .

وهذا التقدم المقتحم ، أو الانتشار الواثق يعالج معضلة أخرى فى الوقت ذاته : معضلة العزلة بين كثير من العلماء، وبين الشباب .

فكأى من عالم آثر العزلة فطفق الشباب يأخذ العلم عن غير أولى الاحلام .وليس ذلك مما يبرىء ذمة العلماء، ولا مما يوفر الاستقامة للشباب ، فعن أيوب

قال : « ان من سعادة الحدث أن يوفقه الله لعالم من أهل السنة » .

وعن يوسف بن أسباط قال : «كان أبي قدريا ، وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان» .

وتثقل تبعة العزلة بالمضاف الطرفي والكمي .

فالوعي الاسلامي ينتشر — في هذه الفترة — انتشارا سريعا .

وكم المتدينين يعظم في كل يوم ، بل في كل ساعة .

وهذه عوامل توجب الخروج من العزلة ، والاختلاط اليومي البصير بالشباب المتدين بعامة ، وبشباب الجامعات الاسلامية بخاصة .

فالعلماء هم أساتذة شباب جامعاتهم .

ولقد علم المطلعون على تاريخ المدارس التربوية والعلمية : كيف كان تأثير العلماء في طلابهم ؟

فقد أثر الأوزاعي ، والليث بن سعيد ، وأبو حنيفة ، و مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن خزيمة . والبخاري ، ومسلم ، وابن حجر ، وابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، أثر هؤلاء — و نظائرهم — في طلابهم أعظم الأثر وأحسنه وأبقاه — بتوفيق الله — من حيث التحصيل العلمي ، ومحبة الله وتقواه والتزام نهج الاعتدال في الاعتقاد ، والفكر ، والعمل ، والسلوك .

* * *

● والمنهج هو : العلم بسنن الله تعالى في المجتمعات .

ومن هذه السنن :

أ — ان المجتمعات لا تتغير بالطفرة ، بل بالتدريج .

ب — وأنها لا تحمل على الحق جملة واحدة ، بل على مكث .

ج ـ وأنها أبدا خليط من الصلاح والفساد ، وأن المطلوب هو : تكثير فرص الصلاح بالتعليم والتزكية.

● والمنهج هو : معرفة الواقع .

فإن ينجح داعيـة مقطوع الصلـة بـالواقع ، أو يفهم الواقع على نحو غير صحيح .

ان معرفة الواقع على الوجه الصحيح تتطلب :

ا ـ إحاطة بثقافات البيئة وأعرافها وتقاليدها وقضاياها ومشكلاتها .

ب ـ وتقديرا للرحلة العصيبة التى تمر بها الأمة ، بمعنى أن الأمـة تتطلع الى من يخرجها من اكتئابها ، لا إلى من يريدها انقباضا وعبوسا

ج ـ وتقديرا لظروف التفتت والشقاق ابتغاء رتق الفتوق لا توسيعها

د ـ وتمكنا من الثقافات العصرية المختلفة

هـ ـ وعلما بالاتجاهات والتيارات المعادية الغازية ، و المنافسة للدعوة الاسلامية فى غير البلاد الاسلامية .

و ـ ونظرة ناقدة لما تتورط فيـه الشعوب نفسها من أخطاء ومعايب . فمن الفهم غير السلـيم للواقع . تفسير كل كارثة ، أو نقص تفسـيرا يدين الحكام ويبرىء الشعوب .

ولسنا فى مقام القضاء الذى يصدر أحكاما .

لكننا نقطع بأن هذه التفسيرات كانت قاعدة لصراع مهلك بين بعض الحكام، وبعض الدعاة .

ومن التقدير السديد للواقع : انهاء هذا الصراع

وانما يحسم هذا الصراع بموقفين واضحين رزينين صادقين متلازمين :

١ ـ الاستحضار الدائم لمنهج اهل السنـة فى هذه النقطـة وهى : ألا ينازع الدعاة الأمر أهله

٢ ـ التمكين للدعوة ، واعزاز الدعاة ، بتوفير المناخ الواعد والامكانات القوية : العاجلة والآجلة

وهذ التمكين يعد أقوم سياسة تنفى أسباب البلبلة ، وتحمى المجتمعات والدول من التيارات التى تهدد الجذور و الثوابت ، سواء كانت هذه التيارات ، الحادية ، أو تيارات تحمل شعار الاسلام : تخمينا بلا علم ، و رفضا لغير دليل ، وتشييعـا للفتنة إلى كل مكان

وأمامنا نموذج جد ناجح

ان الامام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ عرف حدود الداعيـة فالتزمها ، ولم ينازع الأمر أهله ، بل جرد نفسه وقصر همته على الدعوة الى الله.

وهيأ الامام محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ سلطته للتمكين للدعوة ، فحصل التعاون النبيل ، فتمكنت الدعوة ، وعزت الدولة

★ ★ ★

● والمنهج هو : أن يعرف الداعية حدود وظيفته ورسالته

فهو داعيـة ، و ليس رجلا برح به الشوق الى السلطـة ، فما يبالى أى مركب ركب .

و هو مذكر لاجبار : ﴿ومـا أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ .

وهو مقنع لا مكره : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ .

و هو مكلف بما فى طاقته ، ولم يكلف بتبديل السنن الكونية من أجل هداية الناس : ﴿وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقـا فى

الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلاتكونن من الجاهلين﴾ .

وهو منهى عن الحزن على الناس وهم يصـــدون ويشردون . ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون﴾

فاذا عرف الداعية هذه الحدود ، أدى ما عليه ببصيرة . وراحة أعصاب ، وجميل توكل

فمن ينهض بهذه المسئوليات جميعا ؟

ان الجامعات الاسلامية فى العالم هى المؤسسات التعليمية والعلمية المؤهلة للنهوض القوى والحى بهذا العمل الجميل

فهذه الجامعات تأخذ بحظها الوافر من ميراث النبوة فى العلم بالله وكتابه، وسنة رسوله ، والعلم بالدعوة الى الاسلام

وهى ـــ بصفوة العلماء الذين تزخر بهم ، و يثرونها بتدريسهم وبحوثهم ـــ قادرة ـــ بعون الله ـــ على انفاذ هذا المنهج فى خططها الدراسيـــة ، و برامجها التدريبية ، وبحوثها العلمية

و من أجل هذا نظمت رابطة الجامعات الاسلاميـة هذا المؤتمر ، بالتنسيق مع جامعة الأزهر العريقة ، ووزارة الأوقاف المصرية

جامعـــة الأزهر ــ التى ينعقد هذا المؤتمر فى رحابها ـــ التى مـــا انقطع عطاؤها للدعوة : اعـــدادا للدعـاة ، و قياما بمسئوليـــة الدعوة فى داخل مصر وخارجها

كل ذلك فى كنف جمهورية مصر العربية العزيزة البلد المسلم صاحب الدور الرائد فى خدمـــة الاسلام ولغته وثقافته وحضارته . و هـــذه كلها فرص تجعلنا نأمل أن ينتهى المؤتمر إلى نتائج ذات بال نتصور أن يكون من بينها :

١ — اجتلاء منهج قويم متكامل للدعوة مستمد من الكتاب و السنة ، ومن سير الدعاة الموثوقين الناجحين فى القديم والحديث

٢ — اعادة النظر فى الزاد الدعوى المقدم للأمة

٣ — ان تتعاهد الجامعات الاسلامية على تخطئة من يتصدى الدعوة الاسلامية دون اجازة أصلية ، أو اعتبارية منها .

على أن يستثنى من ذلك من تثبت مقدرته العلمية والمنهجية على الدعوة الى الله .

٤ — التشدد فى شروط قبول الدعاة ، وهو تشدد يستهدف انتقاء ذوى المواهب العالية والاستعدادات النفسية والعقلية والاجتماعية المناسبة .

٥ — صياغة منهج خاص بالدعوة الموجهة الى غير المسلمين

ونقترح أن يركز هذا المنهج :

١ — على الأصول ، فان من لا يقر الأصل لا يؤمن بالفرع .

٢ — والمداخل النفسية والثقافية المناسبة للشعوب المختلفة

٣ — ومراعاة المستويات الحضارية ، والفروق بين عقليات المجتمعات الصناعية ، والمجتمعات النامية

٤ — واصطفاء شباب من ذوى النباهة والاخلاص . والحيوية لتعلم اللغات الحية ليعرضوا الاسلام بتلك اللغات على الشعوب التى تنطق بها

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

والسلام عليكم ورحمة الله بركاته

تصحيح المفاهيم :

السلف الصالح أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من صفات الكمال أو ما أثبته الرسول الكريم

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡

سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز
ابن عبد الله بن باز حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد اطلعت على ما نشر فى صحيفة الشرق الأوسط فى عددها ٣٢٨٣ فى ٣ / ٤ / ١٤٠٨ هـ بقلم الدكتور محى الدين الصافى بعنوان « من أجل أن نكون أقوى أمة »

وقد لفت نظرى ما ذكره عن اختلاف السلف والخلف فى بعض صفات الله .

وهذا نص كلامه :

« إلا أنه ورد فى القرآن الكريم آيات تصف الله تعالى ببعض صفات المخلوقين من مثل قوله تعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ . ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وللعلماء فى فهم هذه الآيات طريقتان : الأولى طريقة السلف وهى أن نثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه ولكن من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل واضعين نصب أعينهم عدم تعطيل الذات الإلهية عن الصفات

مع جزمهم بأن ظاهر هذه الآيات غير مراد وأن الأصل تنزيه الله تعالى عن كل ما يماثل المخلوقين لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

أما طريقة الخلف فهى تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها إلى المعنى المجازى فتكون اليد بمعنى القدرة والوجه بمعنى الذات والاستواء بمعنى الاستيلاء والسيطرة ونفوذ الأمر لأنه قام الدليل اليقينى على أن الله ليس بجسم، ولقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وكل من الطريقتين صحيحة مذكورة فى الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام الخ » .

وقد أخطأ - عفا الله عنه - فى نسبته للسلف «جزمهم بأن ظاهر هذه الآيات غير مراد » فالسلف رحمهم الله ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال أو أثبته له رسول الله ﷺ ويعتقدون حقيقتها اللائقة بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تعويض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى رسالة الفتوى الحموية ، ما نصه : روى أبو بكر البيهقى فى الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعى قال كنا - والتابعون متوافرون - نقول إن الله - تعالى ذكره - فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات ، فقد حكى الأوزاعى وهو أحد الأئمة الأربعة فى عصر تابعى التابعين الذين هم مالك إمام أهل الحجاز والأوزاعى إمام أهل الشام والليث إمام أهل مصر والثورى إمام أهل العراق حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالايمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية ، وإنما قال الأوزاعى هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا .

روى أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن الأوزاعى قال: سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقالا أمروها كما جاءت. وروى أيضا عن الوليد ابن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثورى والليث بن سعد والأوزاعى عن الأخبار التى جاءت فى الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت، وفى رواية قالوا أمروها كما جاءت بلا تكييف وقولهم رضى الله عنهم «أمروها كما جاءت» رد على المعطله وقولهم بلا كيف رد على الممثلة

والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهما والأربعة الباقون أئمة الدنيا فى عصر تابعى التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما إلى أن قال رحمه الله .. » وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال. سئل ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى قال. الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبى عبد الرحمن من غير وجه. ومنها: ما رواه أبو الشيخ الأصبهانى وأبو بكر البيهقى عن يحيى بن يحيى قال. كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال. الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج

فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب موافق لقول الباقين امروها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه

على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل يكون مجهولا بمنزلة حروف المعجم وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفى علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفى علم الكيفية اذا اثبت الصفات.

وأيضا فإن من ينفى الصفات الخبرية أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال ان الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الأمر لما قالوا بلا كيف وأيضا فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ما هى عليه فانها جاءت ألفاظ دالة على معان فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول اﻫ».

فهذا هو مذهب السلف فى هذه المسألة وهو واضح فى أنهم يثبتون لله سبحانه ما أثبته لنفسه فى كتابه من صفات الكمال أو وصفه به رسوله ﷺ فيما صح عنه وأن ما تدل عليه الآيات والأحاديث الصحيحة مراد ومفهوم ولكنهم لا يؤولونها ولا يكيفونها بل يكلون علم الكيفية لله سبحانه ويعتقدون تنزيه الله سبحانه عن مماثلة المخلوقين. كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ وكما قال عز وجل ﴿ولم يكن له كفوا أحد، فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

أما قوله «أما طريقة الخلف فهى تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها»

إلى قوله ـ وكل من الطريقتين صحيحة مذكورة فى الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام» اهـ
أقول هذا خطأ عظيم فليست كلتا الطريقتين صحيحة بل الصواب أن طريقة السلف هى الصحيحة وهى الواجبة الاتباع لأنها عمل بالكتاب والسنة وتمسك بما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من التابعين ومن تبعهم من الأئمة والأعلام وفيها تنزيه الله سبحانه عن صفات الجمادات والناقصات والمعدومات وهذا هو الحق . أما تأويلها على ما يقول علماء الخلف من أصحاب الكلام فهو خلاف الحق . وهو تحكيم للعقل الناقص وقول على الله بلا علم، وفيه تعطيل لله جل وعلا من صفات الكمال فهم فروا من التشبيه المتوهم فى أذهانهم ووقعوا فى التعطيل الذى هو فى الحقيقة تشبيه لله سبحانه بالجمادات والمعدومات والناقصات كما تقدم ، وتجريد له سبحانه من صفات الكمال التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ونص عليها سبحانه فى كتابه الكريم وتمدح بها إلى عباده وأرسل بها أفضل رسله وخاتم أنبيائه وفطر عليها الخلق .

ولو أن هؤلاء المتكلمين المتأولين ساروا على مذهب السلف الصالح واثبتوا لله صفات الكمال على الوجه اللائق بالله سبحانه واكتفوا بنفى التكييف والتمثيل لأصابوا الحق وفازوا بالسلامة من مخالفة الرسل وتحكيم العقول التى لم تحط به علما

والخلاصة ان مذهب السلف هو الحق الذى يجب اتباعه والقول به، وأما ما ذهب اليه بعض علماء الخلف من تأويل نصوص صفات الله جل وعلا فهو باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة .

فالجواب العدول عنه والوقوف عند نصوص الكتاب والسنة ، وإثبات

ما أثبته ونفى ما نفته مع الإيمان بأن ما دلت عليه من المعانى حق ثابت لله سبحانه لا يشابهه فيه أحد من خلقه كما تقدم .

وقوله « قام الدليل اليقينى على أن الله ليس بجسم » هذا الكلام لا دليل عليه لأنه لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة وصف الله سبحانه بذلك أو نفيه عنه فالواجب السكوت عن مثل هذا . لأن مأخذ صفات الله جل وعلا توقيفى لا دخل للعقل فيه ، فيوقف عند حد ما ورد فى النصوص من الكتاب والسنة ، وبهذا يتضح خطأ قول الدكتور محى الدين الصافى ما نصه « لذا فإن علينا أن نتفق أن من ذهب من علماء المسلمين فى العالم الإسلامى الآن إلى الأخذ بإحدى الطريقتين فهو على صواب » إلى آخر ما قال لأن الحق كما ذكرنا هو ما ذهب اليه السلف رحمهم الله . وما خالفه يعتبر باطلا يجب تركه وبيان بطلانه وإظهار الحق للناس وهو من التعاون على البر والتقوى ومن إنكار المنكر ومن الدعوة إلى الحق والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه فى دينه والثبات عليه والسير على ما دل عليه كتاب الله العزيز وسنة رسوله الناصح الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم وعلى ما درج عليه سلف الأمة فى باب أسماء الله وصفاته وفى جميع أبواب الدين وأن يوفق أخانا الدكتور محى الدين الصافى للرجوع إلى الحق والتمسك به وترك ما خالفه إنه ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ؟

■❋■❋■

مسألة حياة النبى ﷺ فى ضوء الأدلة الشرعية

(الحلقة الأولى)

للعلامة محمد اسماعيل السلفى

بتعريب

الدكتور مقتدى حسن الأزهرى

الحمد لله كبيرا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسولـه ، أرسله بالحق بشيرا و نذيرا ، و ﷺ تسليما كثيرا كثيرا

أما بعد :

ألقى عالم موحد خطابا قبل مدة حول موضوع التوحيد فى مدينـة ملتان وقد أعجب به العامة والخاصة ، ولكن اعترض على هـذا الخطاب بعض من جماعته ، مع الاستقامة فى عقيدة التوحيد ، ثم بذل الجهد لإزالة تأثير الخطاب .

وقد تناول الخطيب ضمن كلامه على التوحيد موضوع وفاة الرسول ﷺ وانتقد آراء الذين يرونه حياً مثلما يحيون هم وغيرهم ، وقال : لو كانت حياة النبي ﷺ حياة دنيوية لما دفنـه الصحابة ، فانه ليس من الممكن أن يروه حيا ثم يدفنوه فى الارض . (وهذا حكاية عن معنى الخطاب ، وليست عن ألفاظه) .

وهذه المعارضة كانت من قبل الديوبنديين ، والخطيب أيضا كان ينتمي اليه، فقد ظهر صدى لهذا الخطاب فى أقطار باكستان الاخرى ، وحاول الناس مقاطعه

مثل هؤلاء الخطباء . و قد وصل تأثير الخطاب المذكور الى الهند أيضا ، فقد نشر فى مجلة دار العلوم فى ديوبند مقال للشيخ زاهد الحسينى بتعليق من السيد الشيخ محمد أنظر ولكنهما لا يتضمنان شيئا جديدا ، بل عرض الكاتبان وجهة نظر البريلويين بنوع من الشرح والتفصيل ، وأسلوب الاستدلال أيضا يشبه أسلوب البريلوية ، إلا أنهما قد اهتما بشرح المسألة و لم يتعرضا للشخصيات ، وهذا هو المطلوب والمأمول من العلماء .

ومهما كانت الأدلة من الجودة والرداءة ولكن جذور المقال تصل الى باكستان ، ثم انه نشر فى مجلة مدرسة مركزية لأهل ديوبند . و المقال ينم عن أن عقلاء باكستان استخدموا كبار مركزهم للصالح المحلية ، وهؤلاء الكبار قد نزلوا عند رغبتهم دون تحقيق وتبيين ، وهذا الاختلاف ينفع طبقة البريلوية ، ومن هنا يجب توضيح هذه المسألة .

وكاتب هذه السطور لا يعرف شخصيا الشيخ محمد انظر ولا الشيخ زاهد الحسينى ، ولذا اعتذر عن هذه المخاطبة و آمل أن المناقشة لا تتعدى حدود الموضوع . وما توفيق إلا بالله .

ولعل أكابر الهند لا يفهمون نشاط البريلوية بعد نشأة باكستان وانتشار القاديانية والرفض ، وكذلك الآثار التى ترتبت على ذلك والعراقيل التى تعترض سبيل الدعاة الموحدين فى هذه البيئة .

ان أكابر ديوبند فى باكستان يتشبثون بالمصالح والمتطلبات الراهنة يوما بعد يوم ، وتؤثر جراثيم « الطرقية » فى هذه البيئة . . و لا يفهم هذا الوضع إلا من عرف هذا الجو . ولذا يحسن أن لا يتدخل فى هذه الأوضاع من يعيش على بعد عنها ، واننا نعرف التوافق الذى يوجد عند حكومة باكستان وعند أهل

الأهواء فيها . والقضاء على ذلك لا يتم بمراعـــاة المصالح ولا بكراسي التدريس ، ان هذه الفتنة الشعبية يخشى أن تقضي على الدعاة أنفسهم .

وتثار هذه المسألة الآن بحيث تنفتح بها كثير من أبواب البدع الشركية ، و لذا يحسن أن نلق نظرة على الحركة الاصلاحيـــة التي قامت للقضاء على هذه البدع ، فان ذلك يوضح خلفية هذه المسألة ولو طال البحث قليلا .

تطور الحركات الإصلاحية

كانت قوى الطواغيت جد قوية منذ القرن الحادي عشر الهجري الى القرن الثالث عشر ، ولكن الرحمة الربانية أيضا عمت و شملت ، فمنح الله تعالى جماعـــة رزينة من المصلحين همة العمل في هـــذه الفترة ، فظهرت جماعات نشيطة من المصلحين في أطراف العالم ومع اختلاف آثار ونتائج الانتصار والانهزام نحمد الله تعالى على أنه وفق هذه الجماعات لأن تترك آثارا قوية ثابتة في العالم بصبرهم وعزيمتهم ، ذلك فضل الله تعالى ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

فقد بذل كل من شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب والأسرة السعودية في نجد ، والشيخ جمال الدين الأفغاني وتلاميذه في إيران وافغانستان ومصر وسوريا ، ومجدد الألف الثاني والشاه ولي الله وأسرته وتلاميذه في الهنـــد ، جهودهم في أوساطهم ، وكتب الله لهم النجاح حسب سعيهم . وتجلى مظهر نجاح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في المجال العلمي والسياسي ، وقد نجح الشيخ جمال الدين في اعداد جماعة من العلماء المخلصين أصحاب المواهب الذين جعلوا بجهودهم مصر والشـــام مهدا للعلم والاصلاح ، وأثروا في الأفكار والأذهان ، وجهودهم أقامت في مواجهة الخطط الأوربية المادية سدودا عجزت قوى الشيطان عبورها .

والجهود التي بدأها مجدد الوقت الشيخ جمال الـــدين الأفغاني والشيخ محمد

عبده لها تأثير قوى فى استقلال مصر وسوريا وحركاتهما الدينيــة. وقد واصل الجهد فى نفس الطريق السيد رشيد رضا والعلامة المراغى وسعد زغلول والأمير شكيب أرسلان وغيرهم من النابهين، وأحرزوا النجاح إلى حد كبير.

حركة الهند الجديدة

وحركة الاحياء والتجديد فى الهند، التى ابتدأت بيد السيد أحمد السرهندى، وأتمها الشاه اسماعيل الشهيد والسيد أحمد الشهيد وأتباعهما، كانت فى بدايتها علمية اصلاحية، ولكن تواطؤ علماء السوء مع الانجليز قد دفعها الى السياسة، واضطر حق السيح جماعة المتقين هذه لاقتحام نار الحرب و تضحية نفوسهم الغاليــة فى سبيل الحق.

ولعل مداد الفتاوى المضلة كان قد شوه وجه الملة تشويها لا تزول آثاره إلا بدماء الشهداء، وكانت تهمة الوهابيــة المستعارة قد شلت الأذهان، وتراكم عليهم غبار الالحاد تراكما لم ينفع فى ازالته إلا دماء الشهداء.

ففى صباح من شهر مايو ١٨٣١م نزلت هذه الجماعة بكل جهدها وعتادها فى ساحة بالا كوت، و قبل أن تزول الشمس أثبت آثارها الدائمــة لصدقهم و اخلاصهم فى صفحــات التــاريخ و أخلدت الى اليوم الأبدى: ﴿ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[1].

طبيعــة الحركة

قبل الخوض فى مسألة حياة النبى ﷺ يجب أن نحاول فهم اتجاه الحركة وطبيعتها.

كان المصلحون العظام من عصر المجدد السرهندى الى عصر الشاه ولى الله

(١) سورة البقرة: ١٥٤

وأبناءه يتبعون الفقه الحنفى فى الأعمال الظاهرة ، ولكنهم كانوا يهدفون من الناحية الفكرية إلى تحقيق أهداف ثلاثة :

(١) تعديل واصلاح اتجاه التصوف الغالى .

(٢) اصلاح الجمود الفقهى والعقدى ، وازالة العراقيل التى خلقها فقه العراق مع الأشعرية والماتريدية فى سبيل التحقيق و الاستنباط ، وإبعاد الحواجز التى قامت فى سبيل الفكر والنظر بسبب الجمود والاستكانة ، وتوفير الحرية الفكرية والنظرية على ميزان الكتاب والسنة وأئمة السلف رحمهم الله تعالى .

(٣) مقاومة البدع والعادات التى حلت محل السنن بسبب ابتعاد المسلمين عن العمل أو اساءتهم الى جوانب السلوك ، وحصل لها التشجيع بجوار الوثنيين وبمغالاة ملوك المغلول فى اتباع الهوى وعيشة الترف .

أى تغيير هذه الأوضاع الفاسدة رأسا على عقب ، واحلال الاسلام الصافى التى محلها : تركتكم على ملة بيضاء ليلها كنهارها[١]

وانى لا أريد هنا التفصيل ولا تضييع الوقت بذكر الشواهد من تصانيفهم بل اود ان ألفت الانظار إلى أمور عديدة فحسب:

ان المجدد السرهندى كان قد انتقد فى رسائله البدع أشد النقد ، وانه لما أحس أن تقسيم البدعة إلى الحسنة والسيئة ينفع المبتدعين فى سبيل الحفاظ على البدع عارض هذا التقسيم بقوة ، منذ أن دل عليه العز بن عبد السلام وكان فى موقفه هذا فريدا فى الهند

---

(١) جزء من حديث مرفوع صحيح ورد من حديث العرباض بن سارية ، وأبي الدرداء عند أحمد (٤ / ١٢٦) وابن ماجه (١ / ٤ ، ١٦) والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٦ ، ٢٧) والحاكم (١/ ٩٦) .

وانه قد تحمل أذى الحبس فى قلعة كواليار لمدة ثلاث سنوات ، ولكن لم يلطخ جبينه برجس بجود التعظيم . وكانت له ترجيحات فى المسائل الفقهيــة ، وأنه قد أبى أن يسلك سبيل المتقدمين والمتأخرين رجما بالغيب مع معارضة العلماء له .

والشاهد الحى لذلك تلميذه الرشيد المرزا مظهر جان جانان رحمــه الله ، الذى اختار سبيل فقهاء المحدثين فى قراءة الفاتحة خلف الامام ورفع اليــدين عند الركوع ووضع اليدين على الصدر وغير ذلك من المسائل الشهيرة ، ورفض المطابقة الكلية مع فقه العراق[1] .

وقــد استفاد الشيخ القاضى ثناء الله البانى‌بتى رحمــه الله من المرزا مظهر جان جانان ومن الشاه ولى الله ، ويشهد كتاب إرشاد الطالبين والتفسير المظهرى من مؤلفاته أن موقفه كان صارما ضد البدع وعباد القبور ، وانــه مع كونه حنفيا كره العادات البدعية أشد الكراهية .

وقد وقف الشاه ولى الله ، فى مؤلفاته حجــة الله البالغة والبلاغ المبين والمصفى والمسوى والانصاف وعقد الجيد وتحفــة الموحدين ، من الجمود الفقهى والبدع والعادات الشركية موقفا حكيما وضح الحقائق توضيحا كبيرا ، وانتقــد بعض مسلمات أصول الفقــه انتقادا رزينا قد شجع النابهين . وقد فضح فى ازالة الخفاء بدعة التشيع بطريقة سدت باب خدع العقلاء باسم حب أهل البيت .

وأظن أن هذه الاشارات الموجزة تكفى لتوضيح طبيعة هذه الحركة التى هدفت للاصلاح وإقامة الدين .

---

(١) ابجد العلوم (٣/ ٩٠٠) ومحبوب العارفين (ص ٧٦)

أهل ديوبند وأهل الحديث

هاتان المدرستان تتبعان من الناحية الفكرية و تمثلان عنها أو تدعيان انضمامها اليها . وكلام الشاه ولى الله الآتى يوضح كل التوضيح اتجاه هذ الحركة وطبيعتها .

« وصية هذا الفقير الأولى هى الاعتصام بالكتاب والسنة فى العقيدة والعمل والاشتغال الدائم بتوجيهاتهما ، وقراءة جزء منهما كل يوم ، وان لم يستطع القراءة فاستماع ترجمة ورقة منهما ، واختيار مذهب قدماء أهل السنة فى العقائد والاعراض عن التفصيل والبحث اللذين أعرض عنهما السلف ، ونبذ تشكيكات أهل المعقول الزائفة ، و اتباع العلماء المحدثين فى الفروع الذين جمعوا بين الفقه و الحديث ، وعرض التفريعات الفقهية دائما على الكتاب و السنة ، ثم قبول ما وافقهما ونبذ ما خالفهما ، فان الأمة لا تستغنى أبدا عن عرض المجتهدات على الكتاب والسنة ، وعدم الاستماع الى قول المتقشفين من الفقهاء الذين تشبثوا بتقليد عالم وتركوا تتبع السنة ، و عدم الالتفات اليهم ، وطلب قرب الله تعالى بالابتعاد عنهم[1] .

و يقول فى موضع آخر : « انتساب الصوفية غنيمة كبرى ، و رسومهم لا تليق بشىء ، وهذا القول يثقل على كثير ، ولكنى أقول ما كلفت به و ألتفت الى قول زيد وعمر » .

ويقول أيضا نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا أو ليشتروا أغراض الدنيا بتعلم علم ، اذلا تحصل الدنيا الا بالتشبه بأهل الهداية . ولا بالذين يدعون الى أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم ، هؤلاء قطاع

---

(١) التفهيمات (٢/ ٢٤٠)

الطريق ، دجالون كذابون مفتونون فتانون ، اياكم وايام ، و لا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله[١] ».

والظاهر أن الشـــاه ولى الله يكره التصوف المشوب بالريـاء ، و سلاسل البيعة لكسب الدنيا ، ويرى الذين يفعلون ذلك دجالين فتانين ، فأى قيمـــة عنده لنظام الخوانق اليوم ولمؤسسات عبادة المرشدين ، حينما يكره الـــدعوة الى عبادة المرشدين البتة .

أما نظرته إلى المذاهب الفقهية السائدة والى الجمود عليها فتتضح بما يأتى :

« رب انسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم فلا يعمل بـــه و يقول انما عملى على مذهب فلان لا على الحديث ، ثم احتال بأن فهم الحديث والقضاء به من شأن الكمل المهرة ، وان أئمته لم يكونوا ممن يخفى عليهم هـذا الحديث فما تركوا إلا لوجه ظهر لهم فى الدين من نسخ أو مرجوحية .

وليس ذلك من الدين ، والايمان بالرسول يوجب اتباعه سواء كان مخالفا للمذهب أو موافقا ، وارادة الله تعالى هى التعلق بالكتاب والسنة[٢] ».

والشاه ولى الله يكره بشدة الجمود المذهبي فى الفروع الفقهيـــة ، وكذلك يكره الظاهرية المحضة (أى مذهب الامام داود الظاهرى) ويقول :

« من الضلال البعيد ترك العمل بحديث صح بشهادة أئمة الحديث وعمل به أهل العلم ، بحجة أن الامام الفلانى لم يعمل به[٣] ».

ومثل هذه الأقوال توجد بكثرة فى مؤلفات الشاه ولى الله الأخرى أيضا ،

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢١٤)
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٩) ، (٢/ ٢١١)

وانى قد أطلت فى هذا المقام حتى يعرف اتجاه هذه الحركة ، وبالتالى آثارهـــا طوال القرنين

ولو وجد فى مؤلفات هؤلاء الصالحين شيء يعارض الأهداف المـــذكورة لوجب حمله على معنى يلائم أهداف الحركة بحجة أنهم نظروا الى المصالح الوقتية ، فانهم قد مارسوا نشاطهم فى ظروف صعبة كانت تتغير فيها المصالح والمقتضيات ونحن لا نستطيع أن نتصور تلك الصعوبات التى واجهتهم ، شكر الله مساعيهم .

موقف الشاه ولى الله الدهلوى

و يعتبر الشاه ولى الله نقطة اتصال فى هذه الحركة ، فانه قد تأثر تمامـــا بالجهود العلمية لاجدد السرهندى وتلاميذه و أتباعه ، ثم انه أتاح لابنائه وأتباعه ، فرصة الاستفادة من هذه الفوائد ، ولذلك عرضت موقفه بنوع من التفصيل .

مسألة حياة النبى ﷺ

وما قاله كاتب مجلة (دار العلوم) فى مقاله عن مسألة حياة النبى ﷺ فانه لم يرد فيه التصريح بالحياة الدنيوية إلا لدى أكابر ديوبند بعد الشيخ عبد الحق الدهلوى ، نعم قد ألف الحافظ البيهقى والسيوطى فى هذا الموضوع رسائل مستقلة قبل الشيخ عبد الحق ، ولكن الأسف أنهما لم ينقحا الموضوع ، و يبـــدو أنهم قد جمعا ذخيرة ليست متأكدة لديهما ، أنهما يثبتان الحياة و لكن لا يحددا نوعيتهـــا

و لم يرد فى رسالة السيوطى ذكر الحياة الدنيوية إلا عند السبكى ، بل يبد فى بعض المواضع أن السيوطى يميل الى الحياة البرزخية ، ولكنه لم يستطع مع جهـــده البالغ أن يوفق بين قوله تعالى ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾[1] ويو

(١) سورة الزمر : ٣٠

حديثى (فيرد الله على روحى[١]) و (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون[٢])

ثم ان السيوطى كحاطب ليل قد جمع ذخيرة غير موثوق بها قد تساعد القبوريين، وتورث الشبهة فى قلوب الموحدين السذج.

وهكذا حال كتاب الروح للحافظ ابن القيم، ونحن لا نخشى على فحول أهل الحديث والرجال المهرة من مثل هذه الأشياء، ولكنها تكون مزلة الأقدام للعامة بدون شك.

كيف يحسم النزاع

وينبغى لحسم النزاع أن يحاول المتصلون بالشاه ولى الله والمعتقدون فى أسرته فهم هذه المسألة فى ضوء اتجاه الحركة. فان كان القصد فهم هذه المسألة باتباع الأكابر وتقليدهم، وان تقرر صرف النظر عن الكتاب والسنة والبحث والاستدلال . . . فلماذا لا يستفاد بنظريات أكابر الأكابر ومؤسسى الحركة؟ وان رأينا أن رأى الشيخ حسين أحمد والشيخ محمد قاسم حاسم فلماذا لا نحكم مؤسسى الحركة ومدارجها فى هذه المسألة؟

الشاه محمد اسماعيل رحمه الله

ان عبقرية الشاه محمد اسماعيل وشهادته قد حول الحركة بتمامها من عالم النظريات والتصورات إلى ميدان العمل، وحل التصريح مكان التعريض والاشارة وقد وضع على رأس الثمام كل ما انطوت عليه أوراق الكتب والمؤلفات. وقد برهن المجاهدون أمام السيخ على أن معانى الحق والصدق والايثار والتضحية

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٥٢٧) وأبو داود (٢/ ٥٣٤) وحسنه الألبانى.

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٧٣٩) وفى اسناده ضعيفان، وانظر أيضا الميزان (١/ ٤٦٠)

لا تتجلى بالمناظرة والحوار فقط، بل من أكبر وسائل ظهورها السيف وساحة الحرب أيضا. وان مداد القلم يفصح عن كثير، ولكن قطرات الدماء تملك قوة اكبر للتعبير والتوضيح. وان اصحاب التدريس والتأليف لا يستطيعون التأثير فى القلوب والأفكار، مثلما يستطيعه أصحاب السيف والسنان، خبراء ساحة الحرب والنضال.

وقد الف الشاه محمد اسماعيل قبل استشهاده كتابه تقوية الايمان لنشر اهداف الحركة واشره بمشورة اصحابه، وكذلك جمع مسودة تذكير الاخوان ورد على المعترضين، لتأئيد الحركة وتدعيمها. فلو قال اليوم اكابر ديوبند وعلماء اهل الحديث قولا يعارض اتجاه الحركة فلا يتلفت اليه.

(يتبع)

السيادة والكمال فى الحداثة

قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر الى شاب منهم يتحوز يريد الكلام، فقال عمر: كبروا كبروا فقال الفتى: يا أمير المؤمنين! ان الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان فى المسلمين من هو أسن منك قال صدقت فتكلم

(عيون الأخبار للدينوى ١/٢٣٠)
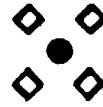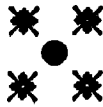
السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى
الجامعة السلفية - بنارس

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا و رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فهذه فصول فى سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ، راعيت فى تدوينها وترتيبها جمع المعلومات التى تتعلق بحياته العلمية وسميتها : « السيرة العلميــة فى سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية » وأصلها باب من كتابى : « شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحــديث و علومه » الذى قدمته إلى قسم السنة فى الجامعة الإسلامية لنيل شهادة الدكتوراه ، ونوقشت الرسالة فى ١٤٠٧/٦/٦ هـ ، وبالله التوفيق .

وترتيب الفصول كالآتى :

الفصل الأول
فى نشأته وسرد أحداث حياته

اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام الربانى ، إمام الأئمة ، و مفتى الأمــة ، و بحر العلوم ، و سيد الحفاظ ، و فارس المعانى و الألفاظ ، فريد العصر و قريع الدهر ، شيخ الإسلام ، و علامــة الزمان ، و ترجمان القرآن ، علم الزهاد ، قامع المبتدعين

تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحا
عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البر
عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر، ابن محمد بن الخ
ابن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق[١].

ولادته ونشأته:

ولد شيخ الاسلام يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى و س
وستمئة بمدينة حران

وهاجر أهل حران منها إلى دمشق، فهاجر أبوه مع أسرته إليها في س
سبع وستين وستمئة بعد استيلاء التتر على البلاد.

تبكيره في تحصيل العلم:

وكانت العادة في البلاد الاسلامية إحضار الأولاد الصغار في مجا
أهل العلم التي تعقد لسماع الحديث لتحبيب العلم إليهم ولحصول البر
ولعلو الاسناد.

وكان شيخ الاسلام قد بدأ بتحصيل العلم في سن مبكر وساعده على ذ
أنه كان أحد أفراد الأسرة العلمية و الدينية الشهيرة في حران ودمشق، ومد

(١) من كلام ابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص ٢) وهكذا ذكر نسبه البرز
في تاريخه كما أورده ابن كثير في البداية والنهاية (١١٦/١٤) وقيل في تسـ
«ابن تيمية» ان جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة
رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك.
وقال ابن النجار: ذكر لنا ان جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت وا
فنسب إليها وعرف بها (العقود الدرية ص ٢).

دمشق نفسها كانت تعتبر من أكبر المراكز الإسلامية بعد سقوط عاصمة الخلافة العباسية : بغداد عام ٦٥٦ هـ واستيلاء التتر عليها .

فكان أول سماع له بعد مجيئه من حران مع إخوانه من الشيخ المسند ابن عبد الدائم فسمع جزء ابن عرفة فى عام ٦٦٧ هـ .

ثم واصل ليله بنهاره فى الأخذ والسماع على شيوخه الذين يزيدون عن مائتى شيخ فى جميع العلوم والفنون مع عكوفه على قراءة الكتب ، وحل مشاكلها ، واستمر على ذلك ، وعنى بالحديث ، وسمع ما لا يحصى من الكتب ، والأجزاء وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه جملة من الأجزاء ، وسنن أبي داود ، وبرز على أقرانه فيها وذكاء واستيعابا للعلوم ، وتأهل للفتوى والتدريس ، وله دون العشرين ، وأفتى قبل العشرين أيضا .

وأمده الله بكثرة الكتابة ، وسرعة الحفظ ، وقوة الإدراك ، والفهم ، وبطء النسيان حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه .

فاستمر شيخ الإسلام فى التحصيل ، والسماع ، والإفادة مع التأليف والتصنيف ، وتحرير الفتاوى ، وآخر سماعه للحديث هو عام ٦٩٩ هـ .

وكان يحفظ الشيء الكثير من دواوين السنة كما سيأتى ذكر شهادة أهل الخبرة من أئمة هذا الشأن ، ومن جملة محفوظاته : الجمع بين الصحيحين للحميدى وهو أول كتاب حفظه فى الحديث[1] .

توفى والده فى ٣٠ / ذى الحجة عام ٦٨٢ هـ ، وعمره إحدى وعشرون سنة ، فتولى مشيخة دار الحديث السكرية بعده ، وتصدر للتدريس فى أول المحرم عام ٦٨٣ هـ ، وكان درسه حافلا ، حضره كبار أئمة عصره الذين بالغوا

---

(١) الأعلام العلية (٢٢)

فى الثناء عليه ، و كان ألقى درسه فى البسملة ، و قد قيد بخطه الشيخ تاج الدين الفزارى .

و قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : و كان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ فى تعظيم الشيخ تقى الدين بحيث إنه علق بخطه درسه بالسكرية . و قال ابن ناصر الدين الدمشقى : و هذا الدرس كان بعد موت والد الشيخ تقى الدين ، فى يوم الاثنين ثانى المحرم من سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة ، بدار الحديث السكرية ، التى بالقصاعين ، داخل دمشق . و بها كان سكن الشيخ تقى الدين، و والده من قبل .

و حضر هذا الدرس قاضى القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضى محى الدين أبي الفضل يحى بن الزكى .

وشيخ الاسلام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى المذكور .

والشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مكى عبد الصمد ابن المرحل ، وكيل بيت المال ، والد صدر الدين ابن الوكيل الشافعيون .

و شيخ الحنابلة العلامة زين الدين أبو البركات ابن المنجا التنوخى و آخرون .

و كان درسا حافلا ، كتبه الشيخ تاج الدين الفزارى بخطه ، كما ذكره الذهبي و غيره لكثرة فوائده ، و أطنب الحاضرون فى شكره ، و كان إذ ذاك عمر الشيخ تقى الدين ابن تيمية نحو إحدى و عشرين سنة[1] .

---

(١) الرد الوافر (١٤٦) و ذكره أيضا ابن كثير فى البداية و النهاية (١٣ / ٣٠٣) .

ثم جلس على مكان والده بالجامع الأموى على منبر أيام الجمع، واستمر فى تفسير القرآن الكريم من حفظه إلى سنين طويلة.

و فى سنة ٦٩٠ ﻫ ذكر على الكرسى يوم الجمعة شيئا من الصفات، فقام بعض المخالفين، و سعوا فى منعه من الجلوس، فلم يمكنهم ذلك،

و حج عام ٦٩٢ ﻫ، و فى عام ٦٩٤ ﻫ أذن له فى الإفتاء العلامة الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن احمد بن نعمة، و كان يفتخر بذلك و يفرح به و يقول: أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء.

وفى هذه السنة حدث أن عساف النصرانى سب النبى ﷺ، فألف شيخ الإسلام إثر هذه الحادثة كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، الذى لم يؤلف مثله فى الإسلام فى بابه

و فى شعبان سنة ٦٩٥ ﻫ درس شيخ الإسلام بالمدرسة الحنبلية عوضا عن الشيخ زين الدين ابن المنجا (ت ٦٩٥ ﻫ) و نزل عن حلقة العماد بن المنجا لشمس الدين ابن الفخر البعلبكى.

و ألف فى هذه السنة العقيدة الواسطية.

و فى سنة ٦٩٧ ﻫ سابع عشر شوال عمل شيخ الإسلام درساً فى الجهاد، و بالغ فى بيان أجور المجاهدين، و كان درساً حافلا.

و فى سنة ٦٩٨ ﻫ ألف كتابه القيم «الفتوى الحموية» سأله عنها أهل حماة، فوقع فى أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة لشيخ الإسلام بسبب هذه الفتيا، قام عليه جماعة من الفقهاء، و أرادوا إحضاره إلى مجلس القاضى جلال الدين الحنفى، فلم يحضر، و انتصر له الأمير سيف الدين جاغان، فسكت المشاغبون، و اختفوا، ثم ناقشوه يوم الجمعة فى الحموية

وأمكنتهم، وكانت هذه المحنة بداية المحن والابتلاءات التي لم تنته إلا بانتهاء عمره.

ونشط شيخ الإسلام نشاطا عجيبا لشرح مذهب السلف في الأصول والفروع، والرد على الفلاسفة، و الجهمية، و سائر أهل البدع، و الأهواء ما لا يوصف، ولا يعبر عنه، وأجرى له من المناظرات العجيبة، والمباحثات الدقيقة مع أقرانه و غيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه.

و في ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هـ ذهب شيخ الإسلام مع أعيان البلد إلى قازان سلطان التتار الذي قصد دمشق بعد وقعة وادي الخزندار قرب سلمية، و كلمه كلاما قويا شديدا فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين،

ثم خرج شيخ الإسلام في جماعة من أصحابه يوم الخميس، العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر، ولم يتفق اجتماعه به.

و في رجب خرج إلى مخيم بولاي فاجتمع بقبجق في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيرا منهم من أيديهم، و في يوم سابع عشر رجب يوم الجمعة أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر، و كان يخطب لقازان بدمشق وغيرها في بلاد الشام مئة يوم سواء.

ثم توجه شيخ الإسلام و أصحابه على الخمارات، و الحانات فكسروا آنية الخمور، وشقوا الظروف وأرقوا الخمور وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس.

و في عشرين من شوال هذه السنة ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأقرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد، و كسروان، و خرج شيخ الإسلام ومعه خلق كثير لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم، و عقائدهم، و كفرهم، و ضلالهم، و ما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتر، و هربوا

حين اجتازوا بلادهم ، فقد وثبوا عليهم ، و نهبوهم ، و أخذوا أسلحتهم ، وخيولهم ، وقتلوا كثيرا منهم .

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساءهم إلى شيخ الإسلام فاستتابهم ، وبين للكثير منهم الصواب ، و حصل بذلك خير كثير ، و انتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ماكانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال .

و فى سنة ٧٠٠ ھ وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام فدخل الرعب فى قلوب أهلها فبدأوا يهربون ، وجلس شيخ الإسلام فى ثانى صفر بمجلسه فى الجامع ، و حرض الناس على القتال ، وأوجب جهاد التتر حتما فى هذه الكرة ، و تابع المجالس فى ذلك ، و نودى فى البلاد أن لا يسافر أحد إلا بمرسوم و ورقة ، فتوقف الناس عن السير ، و سكن جأشهم .

و فى مستهل جمادى الأولى خرج شيخ الإسلام إلى نائب الشام فى المرج ، فثبتهم ، و قوى جأشهم ، و وعدهم بالنصر ، و الظفر على الأعداء ، ثم ذهب إلى مصر ، و استحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة و قال لهم فيما قال :

إن كنتم أعرضتم عن الشام و حمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ، و يحميه و يستغله فى زمن الأمن .

و كان وصول العساكر إلى الشام سبب فرح الناس فرحا شديدا .

ورجع شيخ الإسلام إلى دمشق بعد اجتماعه بالسلطان ، والوزير ، وأعيان الدولة ، و أجابوه إلى الخروج .

و فى سنة ٧٠١ ھ فى شهر شوال عقد مجلسا لليهود الخيابرة ، و ألزموا

بأداء الجزية أسوة بأمثالهم من اليهود، فأحضروا كتابا معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل، وحاققهم عليه شيخ الاسلام، وبين لهم خطأهم، وكذبهم، وأنه مزور مكذوب، فأنابوا إلى أداء الجزية.

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على شيخ الاسلام وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر، ويحلق رؤس الصبيان، وتكلم هو أيضا فيمن يشكون منه ذلك، وبين خطأهم ثم سكنت الأمور.

ثم دبروا له مكيدة أخرى في جمادى الأولى سنة ٧٠٢ هـ أن وقع بيد نائب السلطان كتاب مزور فيه أن ابن تيمية، والقاضي شمس الدين الحريري، وجماعة من الأمراء والخواص يناصحون التتر، ويكاتبونهم، ويريدون تولية قبجق على الشام، وبعد أن أجرى التحقيق على هذا الكتاب المزور ظهر أن واضعه فقير يقال له اليعفوري، وآخر معه يقال له أحمد الغناري. فعزرا تعزيرا عنيفا وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب وهو التاج المناديلي.

ثم جاء شعبان، واجتمعت العساكر المصرية، والشامية، ووقع القتال بين العساكر الاسلامية والتتر، وشارك فيه شيخ الاسلام وأصحابه، وكان النصر حليف المسلمين.

وفي سنة ٧٠٤ هـ استتاب شيخ الاسلام عددا من الدجالين.

كما ذهب إلى المسجد التارنج، وأمر أصحابه، ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار، وينذر لها قطعها، وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها.

وفي سنة ٧٠٥ هـ في المحرم خرج نائب السلطنة بجيشه مع ابن تيمية إلى بلاد

الجود، والرفض، والتيامنة، وأباد حلقا كثيرة منهم، ومن فرقتهم الضالة، وحصل بسبب شهود شيخ الإسلام هذه الغزوة خير كثير.

وفى شهر جمادى الأولى جرت بينه وبين الفرقة الأحمدية الرفاعية مناظرة، ونقاش، وانتهت على أنهم يخلعون الأطواق الحديدية من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه. وصنف شيخ الإسلام جزءا فى الطريقة الأحمدية وبيان أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم.

ثم امتحن فى هذه السنة فى رجب فعقدت له ثلاثة مجالس، وبحثوا معه فى العقيدة الواسطية، وأسفرت هذه المجالس عن اتفاقهم على أن هذه عقيدة سنية سلفية منهم من قال ذلك طوعا، ومنهم من قاله كرها، وعاد شيخ الإسلام إلى منزله معظما مكرما.

ثم دبر له المصريون حيلة فطلب من دمشق إلى القاهرة، وكان وراء هذه الفتنة نصر المنبجى الصوفى الاتحادى، وبيبرس بن شنكير، والقاضى المالكى ابن مخلوف، فعقدوا له مجلسا، وادعوا عليه عند القاضى ابن مخلوف بأمور فى العقائد:

فألجمه شيخ الإسلام بأنك كيف تحكم وأنت فىّ خصمى!

وأخيرا حبس شيخ الإسلام، وحصل أذى للحنابلة بالقاهرة وبالشام، وبقى فى سجون مصر إلى ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ حتى دخل مهنا بن عيسى أمير العرب فأخرجه من السجن، وعقد له مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وأقام شيخ الإسلام بالقاهرة مشغولا بالدعوة إلى الله، وقراءة العلم. فكان يتكلم فى الجوامع والمجالس العامة، وقد حصل بوجوده فى مصر نفع عظيم.

ثم فى شوال من هذه السنة شكى جماعة كثيرة من الصوفية إلى الحاكم الشافعى، وعقد له مجلس لكلامه فى ابن عربى وغيره، وادعى عليه ابن عطاء الله

الاسكندرانى بأشياء، ولم يثبت منها شيئا .

ثم خير بين الاقامة بدمشق ، أو بالاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه . وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجى .

واستمر شيخ الاسلام فى الوعظ والارشاد ، والدرس ، والإفادة ، ويقصده الناس ويزورونــه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأفراد والأعيان .

ثم انتقل إلى الاسكندرية ، وحبس فيهـــا فى برج حسن مضىء متسع ، وبقى بها مدة سلطنة المظفر ، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة ، وتمكن ، وأهلك المظفر عام ٧٠٩ هـ فى شوال . أعيـــد شيخ الاسلام إلى القاهرة مكرما معززا ، وأكرمه السلطان إكراما ، وقام اليه ، وتلقاه فى مجلس حفل فيه قضاة المصريين، والشاميين ، والفقهاء ، وأعيان الدولة ، وزاد فى إكرامه عليهم .

وبقى شيخ الاسلام فى القـــاهرة مشغولا بنشر دعوته ، وتأليف المؤلفات القيمة النـافعة حتى جـاء شهر شعبان سنة ٧١١ هـ وحاول الفقيه البكرى المشاغبة عليه فوثب ونتش أطواقه ، فثار بسبب ذلك فتنة وأراد جماعة الانتصار من البكرى فلم يمكنهم شيخ الاسلام من ذلك

وكانت مدة إقـامته بمصر سبع سنين من عام ٧٠٥ — إلى ٧١٢ هـ وألف وهو فى السجن الكتب التالية

كتاب الاستقامة ، وجواب الاعتراضات المصريـــة على الفتاوى الحموية ، وتلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية ، والمحنة المصرية (مجلدان) ، والمسائل الاسكندرانية ، والفتاوى المصرية. وكتب معها أكثر من مائة لفة ورق أيضا[١].

قلت : وفى هذه المدة ألف كتبا مثل كتابه المشهور «منهاج السنة » فألفه عام ٧١٠ هـ ، قال فى المنهاج إن الامـام المفقود للرافضى ، دخل السرداب سنة

---

(١) انظر العقود الدرية (٣٦١) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٠٣) .

٢٦ هـ، أو قريبـــا من ذلك وهو الآن غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنة ٣٦/١ من المنهاج).

كما ألف قبل هذه السنة كتابه فى الكلام المحصل للرازى (منهـــاج السنة /٥٢).

وكتاب مسألة التعليل (١ / ١٦٦—٢٦٠ من المنهاج).
ورسالة فى تفسير سورة الإخلاص (١/ ٢٦٠ المنهاج)
ورسالة فى تفسير ﴿ليس كمثله شىء﴾ (١ /) ٢٦ المنهاج)
ودرء تعارض العقل والنقل (٣/٧٠ و ١٠٦ و ١٠٩ المنهاج)
وجواب المسائل التى سئل عنها فى استدارة الأفلاك (٣ / ١١١ المنهاج)
والرد على المنطقيين، وألفه قبل درء التعارض. (انظر: المنهاج ٢ / ٢٨٢)
والرد على المنطقيين (٢٥٣ و ٣٧٣ و ٣٢٤)

ثم رجع شيخ الإسلام سنة ٧١٢ هـ بعـــد غيبته فوق سبع سنوات مع حوانه وجماعة من أصحابه إلى دمشق بنية الجهاد لما قدم السلطان لكشف التتر ب الشام، مرورا ببيت المقدس، فلما وصل إلى دمشق خرج خلق كثير لتلقيه الترحيب به، وسر الناس بمجيئه

واستمر على ما كان عليه من إقراء العلم وتدريسه بدار الحديث السكرية. والمدرسة لحنبلية، و إفتـاء الناس ونفعهم، وتوجه فى هذا العهد إلى تجلية البحوث الفقهية.

وتوفيت والدته الكريمة عام ٧١٦ هـ، والتى كان شيخ الإسلام بارا بهـــا غاية، وكان يعظمها ويعتنى بشئونها وقد كتب إليها رسالة رقيقة للغاية من مصر كر فيها أسباب تأخره فى مصر قائلا: وتعلمون أن مقامنا الساعة فى البلاد إنما ـ لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينـــا أمر الدين والدنيــــا، ولسنا والله تارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا اليكم، ولكن الغائب عذره معه، نتم لو اطلعتم على باطن الأمور فإنكم — ولله الحمد — ما تختـــارون الساعة

إلا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم وادعوا لنا بالخيرة . فنسأل الله العظيم أن يخير لنا وللمسلمين ما فيه خيرة وعافية[1].

وكان شيخ الإسلام ينشر دعوته بكل جد ونشاط حتى جاء عام ٧١٨ هـ ومنعه السلطان من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، ثم عقد لهذا الغرض مجالس في سنة ٧١٩ هـ حتى حبس بالقلعة ثم منع بسببه من الفتيا مطلقا.

وفي آخر الأمر دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء ، والصالحين . وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء ، وذلك كفر .

وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء ، وهم ثمانية عشر نفسا رأسهم القاضي الأخنائي المالكي ، وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه ، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرا . وبقي مدة في القلعة يكتب العلم ويصنفه ، ويرسل إلى أصحابه الرسائل ، إلى أن منع من الكتابة ، ولم يترك عنه دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة ، والتهجد ، والمناجاة ، والذكر ، حتى وافته المنية في العشرين من شوال سنة ٧٢٨ هـ

وحضر جنازته جميع أهل دمشق إلا ثلاثة أنفس خوفا على أنفسهم ، واعتبرت جنازته أكبر جنازة في الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد رحمة الله عليه رحمة واسعة ، وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين عما قام بخدمات جليلة لخدمة الدين الإسلامي الحنيف[2] ◎ ◎

(للبحث صلة)

---

(١) العقود الدرية (٢٥٧)

(٢) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على الكتب التالية: العقود الدرية لابن عبد الهادي والبداية والنهاية ، والاعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذيل طبقات الحنابلة ، والوافي بالوفيات للصفدي .

الدين الإسلامى يأمر بالطاعة و اتحاد الكلمة

●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●

الدكتور صالح بن غانم السدلان
عضو هيئة التدريس بكلية الشرعية بالرياض
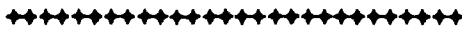
الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

فإن الدين الاسلامى يأمر بالاجتماع والطاعة ، اتحاد الكلمة والرأى و الالتمات حول القائد و الائتمار بأمره والانتهاء عند نهيه ما دام ذلك فى حدود ما أمر الله به ونهى عنه ، وبذلك تستقيم مصالح الأمة تنتظم حياتهم فيقبلون على ما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم ، ويستطيعون بناء وطنهم بأفكار وسواعد متلاحمة منتظمة تحت ريادة القائد وسيادته المهيمنة على القطاع الخاص والعام والإسلام إذ يقرر هذا ويأمر به ويحض عليه يضع ضوابط والأطر التى تكفل ما يرسى قواعد الأمن والنظام : ويجعل ذلك مستتبا بين الخاص والعام فأهم تلك الضوابط والأطر

١ — أن يكون هم الفرد قبل كل شىء تقديم المصلحة العامة على الخاصة فلا يذهب يشيع الفوضى ويخل بالأمن عند ما يفقد مصلحة خاصة به ولكن لايمنع أن يطلب حقه بأسلوب نظامى فإنه إذا فعل ذلك حصل على ما يريد طال الزمان أم قصر :

٢ — أن يتصور الفرد عظم المسؤلية واختلاف وجوهات النظر والمقاصد فلا يذهب ينتقد شيئا ما حتى يحيط بالموضوع من كل جوانبه من حيث تعدد الرغبات

واختلاف وجهات النظر وصعوبة العقبات التى تعترض تحقيق كل المتطلبات

٣ ــ على الفرد من الأمة أن يكون فى بعض الأمور التى يصعب تحقيقها والأخطاء التى ترتكب نتيجة سهو أو نسيان أو اجتهاد يراد من ورائه تحقيق مصلحة أو دفع لأكبر المفسدتين أو أعظمهما ضررا.

٤ ــ أن يتحمل الفرد ما يحصل من أخطاء فى نظره فقد يكون لذلك وجه وهو لا يعلمه أو لم يكن محيطا بالأمر من جميع جوانبه يدل لهذا كله قوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ولا يتحقق تعاون إلا بالصبر والتحمل والتأنى. قال النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية قال. وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة» فمن لم يعمل بالآية والحديث وما ورد فى معناهما وذهب إلى تفريق كلمة المسلمين وخلع طاعة ولى أمرهم فى مخالفة النظام وإيجاد البلبلة والتشويش فإنه بذلك آثم مستحق للعقوبة مهما تصور من تأويل ومبرر لعمله حيث أنه يخالف بذلك هدى رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه والخلفاء الراشدين وما قرره علماء الإسلام. قال عليه الصلاة والسلام: الفتنة نائمة لعن الله من أثارها وقال عليه الصلاة والسلام: من فرق بين أمتى وهم جمع فاضربوا رأسه كائنا من كان. فأسأل الله بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والدين وأن يوفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتاب الله وهدى رسول الله ﷺ، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ◇●

فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والدعوة والإفتاء بالرياض

السؤال: أثناء الدوام الرسمي يؤذن للصلاة، وتكون لدينا رغبة شديدة في الذهاب إلى المسجد للصلاة مع الجماعة ولكن لا نذهب المسجد بالرغم من قربه خشية مرور مراجعين علينا، وخوفا من المسئولين.

فهل الصلاة داخل المصالح الرسمية بالرغم من قلة عددنا ثوابها ثواب الصلاة داخل المسجد؟

الجواب: الواجب الصلاة مع المسلمين في المسجد لقول النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر» خرجه ابن ماجه والدارقطني بسند صحيح، ولما سأله رجل أعمى فقال: يا رسول الله! ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فأجابه النبي ﷺ: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب» رواه مسلم في صحيحه.

ويكون الخروج إلى المسجد بعد الأذان، وبعد الفراغ ترجعون إلى عملكم، وعلى المسئولين أن يساعدوكم في ذلك لقول الله سبحانه ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وبالله التوفيق.

(مع الشكر لمجلة الدعوة، الرياض غرة شعبان ١٤٠٧ هـ)

اختيار/ أحمد مجتبى السلفي

من تراثنا

طبعة جديدة لكتاب فتح المغيث السخاوى(١)

(د . مقتدى حسن الأزهرى)

إن السنة النبوية الشريفة لكونها مصدرا من مصادر التشريع الإسلامى قد حظيت بعناية علماء المسلمين فى كل زمان ومكان، فهم بذلوا أقصى جهدهم فى نشرها وتعميمها بين الناس بالرواية والكتابة، وأفنوا أعمارهم فى الحفاظ عليها، وضحوا بأغلى ما يملكون فى سبيل الدفاع عنها. وقد دفعهم حرصهم على تدعيم أركان هذا العلم الشريف وتثبيت قواعدها إلى تأسيس بعض العلوم التى تساعد فى معرفة درجة الأحاديث فى الصحة والضعف، والاطلاع على أحوال رواتها وما اتصفوا به من الأوصاف والأحكام. وفى هذه العلوم ما تميزت به الأمة الإسلامية بين أمم العالم، فلم تعرف هذه الأمم مثل أصول الحديث وعلم الرجال ولم تهتد إلى المنهاج العلمى الدقيق الذى طبقه المحدثون فى تناولهم علم السنة والحكم عليها والاستنباط منها والدفاع عنها.

ومن متأخرى العلماء الأعلام الذين برزوا فى أصول الحديث ولقيت مؤلفاتهم قبولا عاما لدى العلماء والباحثين: العلامة أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد السخاوى (٨٣١-٩٠٢ هـ) فقد شرح منظومة الزين العراقى (ت ٨٠٦ هـ)، وسمى شرحه «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» وقد حظى هذا الشرح بعناية العلماء وثنائهم، وصار متداولا لدى المشتغلين بالسنة.

الشريفة تدريسا وتأليفـــا ، حتى قال عنه صاحب كشف الظنون : لعله أحسن الشروح و وصف السخاوى نفسه كتـــابه هذا فقال : هو مع اختصار فى مجلد ضخم وسبك المتن فيه على وجه بديع، فلا يعلم فى هذا الفن أجمع منه ولا أكثر تحقيقا لمن تدبره .

وسبب هذا الشمول والجمع أن السخاوى قـــد عاش فى دور اكتمال التصنيف فى علوم الحديث ، وتمكن من الاطلاع على مؤلفات هذا الفن ، وتلق من الشيوخ الذين عرفوا بالكمال فيـــه ، ولازم شيخه ابن حجر العسقلانى حتى حمل عنه علما جما ، ومن هنا جاء شرحه جامعا لكثير من الفوائد والأصول التى لم تجتمع فى غيره من الشروح .

وطبعة حجرية قديمة كانت ظهرت لهذا الكتـــاب فى الهند قبل أكثر من قرن ، ثم أعيد طبعه فى مصر وفى الهند . وكلها كانت غير محققة بل غير مصححة ولما اجتمعت بخريجى الجامعة السلفيـــة الذين يواصلون دراستهم فى الجامعات السعودية أبدوا شعورهم نحو تحقيق هذا الكتاب ، واستحسنوا أن يتم هذا العمل تحت إشراف إدارة البحوث بالجامعة السلفيـــة . وتنفيذا لهذا الاقتراح وإسهاما منهم فى هذا المشروع العلمى النافع حصلوا على صور المخطوطتين للكتـــاب من المكتبة العامة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وأرسلوها إلى الجامعة السلفية جزاهم الله تعالى خيرا .

وبعد موافقة فضيلة أمين عام الجامعة والمجلس الإستشارى لإدارة البحوث بدأ عمل التحقيق والتصحيح توكلا على الله تعالى الذى بنعمته تتم الصالحات .

وكمرحلة أولية للتحقيق بدأت المقابلة بين النسخ المخطوطة والنسخ المطبوعة، وساهم فيها بعض مدرسى الجامعة وخريجيهـــا . وبعد انتهاء المقابلة تولى الشيخ على حسين على المدرس بالجامعة عمل التحقيق والتخريج والتعليق ، وقـــد أبدى

بهذا الصدد همة عالية وعناية بالغة، ولما انتهى من تحقيق جزءين بلغنا أن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض قد وزعت هذا الكتاب على بعض طلابها فى الدراسات العليا للتحقيق والتعليق. ولكن لم تستحسن ادارة البحوث إيقاف العمل فى هذه المرحلة النهائية، وعقدت أملها بأن تعدد العمل العلمى وتنوعه سوف ينفعان المشتغلين بالعلم باذن الله وتوفيقه.

● ● ●

ومحقق هذا الطبعة قد اعتمد فى تصحيح متن الألفية على النسخ المطبوعة الآتية:

١ — نسخة المطبع الفاروقى بدهلى المطبوعة فى سنة (١٣٠٠ هـ) بعناية الشيخ أبى سعيد محمد حسين الهزاروى تلميذ مسند الهند السيد نذير حسين الدهلوى ورمز اليها بـ «م».

٢ — نسخة جمعية النشر والتأليف الأزهرية بمصر، المطبوعة سنة ١٣٥٥هـ، مع شرحها فتح المغيث، كلاهما للزين العراقى، ورمز اليها بـ «ع».

٣ — نسخة (پاک اليكٹرک پريس) بملتان فى باكستان، بعناية جمعية النشر والتأليف الاثرية، مع تعليقات الشيخ أبى الشفيق محمد رفيق. ورمز اليها بـ «ف».

٤ — نسخة دار الكتب العلمية فى بيروت، مع شرحيها التبصرة والتذكرة، وفتح الباقى. ولم يجعل لها رمزا بل ذكرها باسمها فى مواضع الاحالة.

٥ — نسخة طبعة الأعظمى مع شرحها فتح المغيث، وهى ناقصة، وقد رمز اليها بـ «ح».

● ● ●

أما الشرح «فتح المغيث» فقد اعتمد فى تصحيحه وتحقيقه على المخطوطات والمطبوعات الآتية:

١ — نسخة المكتبة السليمانية فى تركيا، وهى قديمة جيدة مصححة بقلم

المؤلف ، وعليها إجازة منه بخطه ، وكذلك تعليقات من الناسخ ، وخطها جلي جميل، وناسخها هو الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبـــد الملك القسطلاني صاحب إرشاد الساري (٨٥١—٩٢٣هـ) ونظرا إلى صحة هذه النسخة وقراءتها على المؤلف وتصحيحها منه قد جعلها المحقق أصلا ورمز إليها بـ «ت».

٢ — نسخة المكتبة الأزهرية ، لم يعرف ناسخها. ولعلها نسخت من السابقة. خطها جيد ، وهي مثل النسخة التركية في الصحة . وموقوفة على طلبة الأزهر كما تدل عليه العبارة الموضوعة على أعلى الورقة الأولى ، وقد رمز إليها بـ «ر».

٣ — مطبوعة مطبع (أنوار محمدي بالهند) ، طبعت سنة ١٣٠٣هـ بعد المقابلة على نسخة مكتوبة في عصر المؤلف ومقروءة عليه ، إلا أنها لم تخل من الأخطاء المطبعية . ويعلم بتاريخ النسخ أنها سابقة على النسخة التركية .

٤ — مطبوعة مطبعـــة الأعظمي بالهنـــد ، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ولكنه طبع جزءا واحدا فقط ، ولم يحسن التحقيق والتصحيح، بل اعتمد على طبعة أنوار محمـــدي ، ولم يعتن بتصحيح الأخطاء المطبعية أيضا ، وجاء الرمز إليها بـ «ح».

وبمراجعة هذه المخطوطات والمطبوعات حاول المحقق تصحيح العبارة وإثبات النصوص على صورة تكون أقرب إلى ما أثبته المؤلف . ولا ينبغي أن ندعي الكمال، فانه لله وحده ، ولكن الذي يتأكد بعد قراءة النصوص المحققة هو أن هذه الطبعة هي أحسن الطبعات التي ظهرت إلى الآن لكتاب «فتح المغيث» فالحمد لله على ذلك .

● ● ●

أما عمل المحقق بعد المقابلة وتصحيح النصوص فانه يتلخص فيما يأتي :

١ — بيان أرقام الآيات القرآنية وأسماء سورها .

٢ ـ تخريج الأحاديث والآثار التى وردت فى الكتاب مع الاشارة إلى درجتها فى الصحة والضعف وتعليل بعض أحكام المؤلف بهذا الصدد.

٣ ـ عزو الأقوال إلى أصحابها وذكر المصادر التى وردت فيها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة فى الكتاب سوى الأشهر منها، وقد راعى الايجاز فى الترجمة دون التطويل.

٥ ـ وضع العناوين الفرعية لما ورد ضمن المباحث الرئيسية.

٦ ـ وضع الفهارس التفصيلية المتنوعة لما ورد فى الكتاب.

وتحديثا بنعمة الرب عز وجل أصرح بأن الجامعة السلفية بنشرها هذا الكتاب تقدم إلى الناس نموذجا لجهود أحد خريجيها وثمرة من ثمراتها العلمية. فالمحقق الشيخ على حسين على قد تخرج فى هذه الجامعة ثم تعين مدرسا وباحثا فيها، وقد مارس نشاطه العلمى بجد وإخلاص، واستمر فى طريق البحث والتحقيق دون سآمة وملل، وتحمل مشاق التحقيق بصدر رحب، وضرب مثالا رائعا لمن يتخرجون فى المؤسسات التعليمية ويرغبون فى التقدم فى سبيل العلم والبحث. نسأل الله تعالى أن يتقبل عمله هذا ويكتب له النجاح فى مشاريعه العلمية القادمة ويحسن له الجزاء فى الدنيا والآخرة.

●✱●✱●

عن الجهاد فى افغانستان

للشيخ ولى الله غلام

+++++++++++++

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ .

وبعد : فان الله عز وجل يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وكل ما من شأنه أن يخل بنسق هذا البنيان يجب على المسلمين اجتنابه محافظة على الوحدة والوقوف أمام الأعداء .

هذه المقدمة اليسيرة أريد أن أشير بعدها الى ما نشرته « مجلة الغرباء » التى تصدر فى لندن فى عددها الرابع فى شهر شعبان سنة ١٤٠٧ هـ فى لقاء لها مع المهندس أحمد شاه الذى يشغل حاليا مهمة نيابة الاتحاد الاسلامى لأفغانستان فى سؤال لها حول جماعة أهل الحديث « الجماعة السلفية » فى أفغانستان ومن المعروف أن المجاهدين لهم عدة منظمات ، ومن بينها هذه الجماعة (جماعة أهل الحديث) وكان نص السؤال كالآتى :

وصلتنا منشورات صادرة عن جهات أفغانية بعيـدة عن أرض المعركة ، منهـا جهة تسمى نفسها بـ « أهل الحديث » فما موقف الجهاد من مثل هـذه النشاطات ؟

ولا يخفى أن وصف المحلة لهذه الجماعة بأنها بعيدة عن أرض المعركة[١].

وكذلك ما جاء فى جواب الأخ أحمد شاه من قوله: (وعددهم لا يزيد عن ألف نفر فى كل أفغانستان) ـ فيه مجانبة للصواب وإخفاء للحقائق وهضم لدور هذه الجماعة وجهودها فى نشر دعوة الحق ومقاتلة أعداء الله. كما أنه ينبغى أن يعلم أن هذه الجماعة لها خمسون ألف مقاتل يعملون فى ٤٦ جبهة فى مختلف المحافظات داخل أفغانستان.

أما قوله: (ما موقف الجهاد من هذه النشاطات) فلا أدرى ما مقصوده منه، فإن كان قصده أن تعمل المنظمات الأخرى على محاولة إيقاف جماعة أهل الحديث عن مواصلة نشاطها ودورها فى الجهاد، فهذا مما لا يملكه أحد، ولا يتصور صدوره من مجاهدين يقاتلون أعداء الله لتكون كلمته هى العليا.

والأخ أحمد شاه يعرف هذه الجماعة ودورها فى الجهاد، ويعرف أن الشيخ جميل الرحمن ـ قائد هذه الجماعة ـ هو الذى بدأ الجهاد المسلح العمومى فى بلادنا وحقق بعون الله وتأييده انتصارات عديدة.

وجاء جواب الأخ أحمد شاه للأسف فيه من التحامل وإخفاء الحقائق ما هو بين وواضح، حيث قال: (ان هذه الجماعة موجودة ولا يتجاوز عددها

---

(١) مثل هذا الاتهام ليس بغريب من معاندى دعوة العمل بالكتاب والسنة، فهناك عديد من التهم التى توجه الى أهل الحق فى أفغانستان وغيرها من أقطار الدنيا، وبعضها طريفة جدا من حيث أنها تكشف عن مدى نفسية هؤلاء المعاندين وتقطع قلوبهم على وضوح الحق وتمكن الناس من الاطلاع على خبايا الجماعات التى تدعى الاسلام والجهاد وما إلى ذلك. وقد كشف عن حقيقة هذه التهم ومدى خبث أصحابها علامة الهند الشيخ ثناء الله الأمرتسرى فى كتابه بالأردية «أهل حديث كامذهب» أى مذهب أهل الحديث فليراجعه من أراد الاطلاع (م. ح)

ألف شخص) فنقول للأخ أحمد : وهل القلة عيب حتى تصفنا بها ؟ ألم تسمع قول الحق جل و علا ﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ الآية ؟ وهل الكثرة هى ميزان النصر ؟ إن الميزان الحقيق هو الصدق مع الله وإخلاص العبادة له وابتغاء وجهه فى ذلك كله[1].

ومما يحزن له القلب قول الأخ احمد : (ومثل هذه المنشورات والنشاطات لا تخدم الجهاد بأى حال من الأحوال ، ودورها فى تعريف المسلمين وهذا لا ينبغى) وهل هذا الذى وصفه بأنه يفرق إلا هو بعينه الذى لاتكون الوحـــدة إلا به ؟ ! فاذا كانت الدعوة الى توحيد الله واتباع هـــدى خير المرسلين يفرق المسلمين فلا أدرى أى مسلمين هؤلاء[2] وكيف وبم يتحدون ؟

أما قوله : إن عقيدتنا هى (اذا لم يوجد هناك خلاف عقدى فلا بد من اتحاد المجاهدين) . فنقول : وهذه هى نفسها عقيدتنا كذلك ، ولكن الواقع أن التباين العقدى موجود لا ينكره أحد فى أفغانستان أو غـــيرها من البلاد الاسلامية . و هذا الخلاف العقدى هو الذى ندعو الناس لنبذه إذ لا يمكن الاتحاد بين قوم ما لم تتحد قلوبهم على عقيدة واحدة هى عقيدة السلف الصالح التى ندعو الناس جميعا إليها ، من عاش عليها أفلح ومن مات عليها فاز باذن الله تعالى .

ودفعا لما يفهم من قول الأخ أحمد : (وعددهم لا يزيد عن ألف نفر فى كل أفغانستان) وقوله : (والحقيقة أنهم يفتقدون أى دور ممتاز فى الجهاد) نورد

---

(١) وهذه هى الحقيقة التى يغفل عنها كل من يتهم أهل الحديث فى منهجهم ونشاطاتهم ، ويزعم أنه يقوم بالعمل الاسلامى المطلوب (م . ح .)

(٢) تذكرت بذلك قول داعية معروف مخلص و تساؤله بأن قال : أيها الاخوان ! لو أخلصتم فى التمسك بالتوحيد لم تجد الشيوعية سبيلها إلى بلادكم . (م . ح .

بعض الحقائق عن هذه الجماعة لا افتخاراً ولا رياء، إنما على سبيل العلم بها وكفى بالله شهيدا فنقول :

ـ للجماعة ٥٠/٠٠٠ «خمسون ألف» مقاتل مقسمون الى ٤٦ «ست واربعين» جبهة قتال

ـ ١٥/٠٠٠ من الطلاب بنين وبنات موزعون فى ١٣٥ مدرسة فى داخل المخيمات والمناطق المحررة فى داخل أفغانستان

ـ جامعة الدعوة الى القرآن و السنة فى مدينة بشاور، و عدد طلابها ٤٠٠ طالب.

ـ معهد شرعى لتأهيل الدعاة يتخرج منه سنويا ١٠٠ طالب.

ـ دور للأيتام فى بشاور ومناطق الحدود تقوم بدورها فى التربية وتدريبهم على مختلف الحرف والأعمال اليدوية.

ـ مراكز للدعوة فى مناطق متفرقة

فهل بعد هذا كله يقال بأن هذه الجماعة ليس لها دور ممتاز فى الجهاد؟ الله المستعان.

من أخبار الجامعة السلفية

حرصت الجامعة منذ أول يومها على توثيق صلتها مع المؤسسات التعليمية الكبيرة ومع الشخصيات العلمية البارزة، وقد تحقق لها نجاح ملموس فى هذا المجال بعون الله وتوفيقه، فقد تشرفت الجامعة فى أوقات مختلفة بترحيب عدد من العلماء والمشايخ والاكاديميين من داخل الهند وخارجها. وكذلك تكونت منها عدة وفود لزيارة الدول الاسلامية العربية فى مناسبات مختلفة. وقد ترتبت على هذه الزيارات فوائد عديدة فى مجال التعليم والتربية وفى ادارة الأقسام المختلفة للجامعة.

ومواصلة لهذا النوع من الجهود غادر وفد من الجامعة الى المملكة العربية السعودية فى أول أسبوع من شهر رجب ١٤٠٨ هـ. وهذا الوفد مكون من فضيلة الشيخ عبد الوحيد عبد الحق أمين عام الجامعة، والدكتور مقتدى حسن ياسين وكيل الجامعة، والدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى الاستاذ بالجامعة السلفية.

ويجرى الوفد أثناء زيارته لمدن المملكة المحروسة اتصالات مع العلماء والمشايخ ومع المسئولين عن الجامعات ومعاهد التعليم ورؤساء التحرير لمجلات وجرائد المملكة وللمكتبات ودور العلم، ويحاول الاطلاع على النهضة العلمية فى المملكة عن كثب، والالمام بطريق التعليم ووسائل البحث والتحقيق التى عرفت حديثا وهى صالحة للتطبيق فى معاهد الهند وجامعاتها التى تعنى بتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية.

وتأتى أهمية هذه الزيارة من انها جاءت بعد الندوة العالمية التى عقدتها الجامعة السلفية عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله و أعماله العلمية الخالدة ، وقد حظيت هذه الندوة بتشجيع من العلماء و الباحثين فى العالم الاسلامى ، وكان للتوصيات التى اتفق عليها المشاركون فى الندوة تأثير طيب فى الأوساط العلمية ، و خاصة التوصيات التى تناولت ضرورة احياء ذكرى شيخ الاسلام فى هذا العصر والتعريف بمؤلفاته القيمة ونشرها فى هذا العصر . وحيث أن الندوة انعقدت بعد فتنة العملاء الايرانيين فى الحرم المكى الشريف فان عديدا من الباحثين قد أشادوا بجهود شيخ الاسلام و أبدوا اعجابهم ببصيرته الثاقبة حيث عرف نفسية القوم قبل قرون وحذر المسلمين من مكائدهم ومؤامراتهم .

ان فضيلة أمين عام الجامعة يبحث فى هذه الزيارة مع المسئولين امكانية انشاء قسم خاص بدراسات ابن تيمية فى الجامعة حتى يتيسر للناس الاطلاع على معارف ابن تيمية و نظرياته السديدة و خاصة نحو الفرق الضالة التى تهدد كيان الأمة وتبذل أقصى الجهد للقضاء عليها .

وكذلك يشرح فضيلته للعلماء و أهل الخير مشاريع الجامعة العلمية والبنائية التى تريد انجازها فى المرحلة القادمة القريبة . كتب الله تعالى النجاح والسلامة للوفد ، و وفق القائمين على الجامعة لكل خير ، و صلى الله على نبينا و آله وسلم .
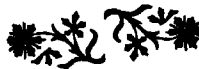
مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول — شوال ١٤٠٨ هـ

العدد الرابع — يونيو ١٩٨٨ م

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

1 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية. فى الخارج ١٨ دولارا (بالبريد الجوى)
٨ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات }

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحيـــة :

وأذن في الناس بالحج !

د . مفتدى ياسين الأزهرى

يمتاز الإسلام بين الأديان بأنه حدد الغاية والهدف من كل عبادة وعمل ، وقد صرح بذلك حتى يكون المسلم على وعى وبصيرة إذا أتى بعمل ، ولا يغيب عن باله الهدف المنشود من العمل المشروع . فالصلاة مثلا لها أهميتها وآثارها فى حياة العبد وسلوكه وفى صلته مع خالقه ، إنها تمكن العبـــد من الابتعاد عن المعاصى والتخلى عن الرذائل ، يوضح القرآن الكريم ذلك فيقول : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾

وكذا ورد التصريح فى الصوم بأنـه يورث فى حيـاة المسلم التقوى ويحمله على خشية الله تعـــالى و الاستشعار بعظمته وجلاله ، يقول جل شأنه . ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ .

وبين غاية الزكاة فقال · ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكيهم﴾ .

وأرشد عبـــاده المسلمين إلى فوائد الحج : بقوله ﴿ ليشهـــدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ .

ومن هنـا يجب على كل مسلم يوفق لأداء فريضة الحج أن يجعل هـــذه الغاية نصب عينيه ، ولا يغفل عنها وهو يؤدى مناسك الحج ، ولا يتهاونــ فى

السعى للوصول إليها، كى تقبل عبادته وتترتب عليها آثارها المنشودة .

وبما أن فريضة الحج تتضمن مناسك وأعمالا يجب أن يعتنى العبد بكل ناحية من نواحيها ويحسن أداء كل عمل من أعمالها، فان العبادة لا تحظى بالقبول عند الله تعالى إلا إذا أتى بها العبد حسب أوامر الشريعة وتوجيهاتها، ولا تكون طريقة أدائها مخالفة لروح الاسلام ولا معارضة لأهدافه من أية ناحية . والعبادة اذا جاءت على هذه الصفة وروعى فى أدائها هذه المراعاة فسوف تؤثر فى حياة العبد وتقوى صلته بربه وتمهد له سبيل الفوز والسعادة .

وفى الحج تتمثل مراحل التقدم الانسانى كلها، فيه يتمكن الانسان من التجارة ومن ممارسة البحث العلمى والنشاط السياحى، ومن الاطلاع على وجوه الحياة و صنوف الحضارة و امكانيات التبادل بين المجتمعات الانسانية فى الشئون المختلفة .

وهو فرصة عظيمة لنشر الدعوة الاسلامية بين شعوب العالم، ولارشاد الناس وتوجيهم إلى تعاليم الاسلام الحقة، ولتطهير العقائد والأعمال من الأخطاء التى وقع الناس فيها نتيجة غيبوبة الوعى الدينى وانتشار الجهل بالأحكام الشرعية السامية .

انه مؤتمر عالمى يحضره المسلمون من كل قطر وبلد، وهم يجدون فى نفوسهم رغبة قوية صادقة لنشر الاسلام و مقاومة الفساد والانحلال الذى يهدد المجتمع ويزعزع كيانه . فلو انتهز الدعاة إلى الاسلام هذه الفرصة، واستخدموا الوسائل المتوفرة، وواصلوا جهودهم فى هذا المؤتمر العظيم لأفادوا كثيرا، وحققوا نجاحا باهرا فى سبيل نشر الدعوة و تصحيح عقائد المسلمين وأعمالهم وتحذيرهم من تيارات الالحاد والاباحية .

وفى الحج درس للمساواة بين المسلمين ، فهم جميعا يؤدون مناسك الحج على طريقة واحدة ، وفى مكان واحد و وقت واحد و لباس واحد . انه مظهر رائع للمساواة الاسلامية والأخوة الدينية ، و الانسان حينما يصل الى هذه البلدة الطيبة فى موسم الحج يشعر بطمأنينة كبيرة ، و يعتبر هذه الجموع الحاشدة أسرة واحدة ينتمى اليها ويعتز بها . و تتجسد هذه المساواة بكل معانيها حينما يتوجه الحجاج إلى منى وعرفات ملبين متضرعين

وفى الحج درس للاتحاد والتعاون ، وإرشاد إلى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من التعاضد والتكاتف لنصرة دينهم وتدعيم مكانتهم وتعزيز موقفهم و حل مشاكلهم ، فان الحج يتيح للمسلم فرصة يرى فيها اخوانه المسلمين من كل مكان يجتمعون فى مكة المكرمة وحول بيت الله الحرام امتثالا لأمره وابتغاء لمرضاته وتصديقا بقول الله عز وجل . ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ .

ثم انهم جميعا يخضعون وينقادون لربهم مقرين بتوحيده ، شاكرين على نعمه ، كلمة واحدة تجرى على ألسنتهم وتطاوعها قلوبهم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وانهم جميعا يتوجهون فى صلواتهم الى الكعبة المشرفة ، وهى : ﴿أول بيت وضع للناس﴾ .

و يطوفون حوله مسبحين حامدين شاكرين ، تحتك الأكتاف بالأكتاف وتهفو القلوب إلى خالق الأرض والسماوات .

وهكذا تتحقق الوحدة والانسجام بين المسلمين فى السعى بين الصفا والمروة وفى التوجه الى منى و عرفات ، و فى رمى الجمرات وغيره من مناسك الحج .

وتتجلى هـذه الوحدة بكل معانيها حينما تقف جموع الحجاج فى عرفات يصلون ويلبون ويسبحون ويدعون، انهم حيما يتجهون الى الله تعالى وحده بالاجلال والاكرام، ويقرون لأنفسهم بالعبودية والذل والطاعة والانقياد: ﴿اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعـز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، انك على كل شيء قدير﴾.

ولا شك أن هـذه الوحدة كانت حاجة المسلمين فى كل عصر، ولكنهم أحوج إليها الآن بالنسبة لأى وقت آخر، فاننا نرى الجهود تنسق والمؤامرات تحاك ضد الإسلام، ويقف أهل الديانات المختلفة صفا واحـدا للقضاء على دين الله الخالد ولحرمان الناس من الهـداية الربانية: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

وفى الحج تذكير للمسلم بأسوة ابراهيم الخليل عليـه الصلاة والسـلام. وبمواقفـه الجريئة ضد قوى الشر والطغيان، وتحريض على أن يتحلى كل مسلم بالصفات الحميـدة والفضائل العظيمة التى تجلت فى حياته عليـه السلام، وتخليـد لذكراه الجليلة، وتنويه بالتضحيات الكبيرة التى قدمها فى سبيل القضاء على الشرك وإرساء أسس التوحيد.

انه — عليه السلام — دعا أباه وقومـه إلى توحيد الله وعبادته ونبذ الأصنام التى يعكفون عليها وقال بصراحة ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾.

وسألهم فى تنديد وتوبيخ فقـال: ﴿أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون﴾.

وهـذه الدعوة الحكيمة لم تجـد سبيلها إلى قلوبهم فأصروا على ضلالهم

وازداد عنادهم وعداتهم للحق فلجأوا إلى منطق القوة ، شأن المعاندين المكابرين فى كل زمان ، وحاولوا أن يقضوا على حياة الخليل منتصرين لآلهتهم : ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ﴾ .

وفعلا نفذوا خطتهم و استنفدوا طاقتهم لانهاء هذه الحياة الطاهرة فألقوا الخليل عليه السلام فى النار ، ولكن الله تعالى أحبط مؤامرتهم ودفع كيدهم وكتب السلامة و النجاة لعبده ابراهيم : ﴿ قلنا يا ناركونى بردا و سلاما على ابراهيم ﴾ .

وهذا الحادث وحده يحمل فى طيه موعظة عظيمة ويعطينا درسا بليغا ، و نحن الآن فى حاجة إلى أن نستنير بهذا الموقف الرائع فى سبيل نشر الدعوة ومواجهة التيارات المعادية ومواصلة العمل فى ظروف غير ملائمة .

انه يرشدنا كيف نؤمن بالله ونتكل عليه ، وكيف نخلص فى أداء المسئولية التى ألقيت علينا ، وكيف نصبر على ما يلحقنا من الأذى فى أداء هذه المسئولية ، وكيف نستقيم فى سبيل ديننا ، وكيف نثق بنصر الله المؤزر ، وكيف نرضى بقضاء الله وقدره فينا بعد بذل الجهود والقيام بالواجب .

ان حالة المسلمين اليوم تتطلب منا أن نعى هذه الدروس والعصر يتطلب منا أن نقدم نفس التضحيات التى قدمها ابراهيم عليه السلام ، حتى نعزز دعوة التوحيد ونقضى على مظاهر الشرك والالحاد : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين ﴾ .

وبصدد الكلام عن الحج وفضائله وأحكامه ودروسه لا بد من التنبيه على شناعة الأعمال التى ارتكبها حجاج من ايران فى حج عام ١٤٠٧ هـ .

انهم توجيه من آيات ايران ، الذين فشلوا فى سياسة بلادهم سياسة عادلة نزيهـــة ، قاموا بتنظيم مظاهرة صاخبة قرب المسجد الحرام ، وروعوا حجاج بيت الله الآمنين ، وأشعلوا النيران فى المحـــلات التجارية وأحرقوا السيارات الواقفة هناك ، وسدوا الطريق على المصلين وعامـــة المشاة ، وجرحوا الشيوخ والنساء ، وأحدثوا المشاغبة والغوغاء .

كان موقفهم فى احداث هـــذه الأعمال المشينة غريبا ، انهم بهذه الأعمال الهمجية خرجوا على أحكام الشريعة الاسلاميـــة ، ودنسوا أرض الحرم المكى الطاهـــرة ، ونبذوا كتاب الله وسنـــة رسوله ﷺ وراء ظهورهم ، وذلك أن الاسلام حينما شرع الحج بين له أحكاما وآدابا ، وقـــد قام رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم بتطبيق هـــذه الأحكام أحسن تطبيق ، وراعوا هـــذه الآداب أحسن مراعاة . كانت حياتهم تجسيدا دقيقا مخلصا لأحكام الشريعـــة ، فكانوا يأتون الاوامر و يجتنبون النواهى بكل اخلاص و أمانة ، ولكن الأسف أن أهل الهوى والزيغ فى هذا العصر بدؤا يتلعبون بمبادات الاسلام ، ويحاولون تحقيق الأطماع السياسيـــة بأسلوب خبيث وتمويه مزور . انهم يدعون الاسلام ولكن الاسلام منهم برئ ، وذلك أنهم يحرفون معانى الكتاب والسنة ، ويلجأون الى الكذب والافتراء للحصول على الأغراض التافهـــة ، و يتنكرون للخدمات الجليلة التى قام بها سلف الأمة فى نشر الدين والدفاع عن مبادئه وأهدافه .

ان الفتنـة المعاصرة التى يتزعمهـا الخمينى ويطبل لها أذنابه من أخطر الفتن و أخبثها فى تاريخ الاسلام ، فهؤلاء المنحرفون يهدفون الى القضاء على الاسلام والمسلمين بالتآمر مع أعداء الاسلام ، وهكذا يريدون اعادة دورهم القديم فى تقويض دعائم الدين مع التظاهر بأنهم مخلصون للاسلام ويتمنون له ولأهله مجدا مؤثلا وكرامة ثابتة .

ومما يبعث على الطمأنينة أن وجوه المتآمرين على الاسلام تكشفت الآن لدى الناس ، وتبين للجميع أن القوم ليسوا مخلصين فى ادعائهم الاسلام ، وأنهم يريدون تحقيق الأهداف السياسية وفرض سيطرتهم على الآخرين باثارة النزعات الطائفية وإحياء الاتجاهات العنصرية .

وكذلك تصدى علماء الأمة للفتنة فدرسوها بخلفياتها وملابساتها ، وأبرزوا للناس أهدافها وغاياتها ، ثم بينوا حكم الشريعة الاسلامية فى الذين أشعلوا نيرانها وحاولوا تمزيق صفوف المسلمين وتعكير جو الأمن والسلام فى البلد الأمين ، كان موقف هؤلاء العلماء صريحا فى القضية ، وكان بيانهم مدعما بنصوص من الكتاب والسنة وبشواهد من التاريخ الاسلامى . ولذا استجاب له أصحاب العقول السليمة و الاتجاهات المعتدلة ، ونددوا بموقف الخمينى وأذنابه الذين يريدون تمزيق صفوف الأمة ويهدفون الى الحيلولة بينها وبين ماضيها المجيد ، ويتسترون بالدين لنيل مآربهم الخبيثة .

وحيث أن الشىء يرجع الى أصله ، وأن الاناء يترشح بما فيه ، فان الرافضه لا يرجى منهم خير للاسلام والمسلمين ، وذلك أن بدايتهم قامت على الكيد والدس والكذب والخداع ، انهم تآمروا مع أعداء الدين من اليهود والنصارى والتتار ضد المسلمين فى الزمن القديم ، و وقفوا مع الصهيونية والصليبية و الشيوعية ضد الدول والمقدسات الاسلامية فى الزمن الراهن . ان تاريخهم المشبوه وموقفهم العدائى للاسلام و المسلمين واضح لدى كل من له إلمام بتاريخ الاسلام ، وقامت أدلة وشواهد على سوء نياتهم وخبث طواياهم لكل ذى عينين ، ولكن الشيطان زين لبعض الجماعات الاسلامية أمر الخمينية فزعموا أن الثورة الايرانية ثورة اسلامية ، وأن الخمينى يريد للاسلام والمسلمين عزة وكرامة ، وأن

الحكومـــة الالهيـــة قدر لها أن تقوم على أيدى هؤلاء الرافضة ، وأن الدول الكبرى المحاربة للاسلام سرا وعلنا سوف تندحر أمام نظام الآيات فى ايران ، وأن معانى الديمقراطيـة والحرية و المساواة والعدالة والرخاء تتجسد أمام الناس فى ظل دولة الروافض التى تأسست على دماء الأبرياء وأشلاء الضعفاء.

هذا الزعم من بعض المسلمين يصدق عليه قوله تعالى:

﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا. ﴾

ان احسان الظن بالغير قد يكون فضيلة ، ولكن الظن بأن النـار لا تحرق والسم لا يقتل والسيف لا يبتر سفه وحمق.

إن إقامة الحكومة الالهية مطلب عزيز دون شك ، ولكنه لم يبلغ منزلة يضحى لها بالمبادئ والقيم التى نوهت بهـا نصوص الكتاب والسنة . ثم إن الحكومة الالهية لن تقوم بالاعلان والتمنى ، بل لا بد أن تسبقها مرحلة اعداد الرجال المخلصين الذين يميزون بين الحق والباطل ، ويعرفون التوحيد من الشرك والسنة من البدعة ، و يتمعطون بتاريخ الاسلام و دوله ، و يدركون مغزى التربية الدينيـة السليمة ، ويجعلون عصر الرسول ﷺ وصحابة الكرام قدوة يحتذون بها وغاية يسعون لها.

ان الروافض — ومن يحـاربهم — يرددون اليوم أن الاسلام لم يفرق بين الدين والسياسة ، ويحاولون بذلك الوصول الى أغراض خبيثة كلمـة حق أريد بها الباطل . حقـــا لا فرق فى الاسلام بين الدين والسياسة ، ولكن هل يعنى ذلك أن يهمل المسلمون أمر العبادات التى فرضها الله تعالى لتزكية النفوس وأن يسعوا وراء إقامة الحكومة دون العناية بالتربية ، وأن يتحالفوا لأجل هذه الحكومة مع أصحاب الهوى والضلال الذين ذمهم القرآن والسنة بنصوص صريحة ،

وأن يصرفوا النظر عن أمور العقيدة الأساسية على زعم أن التركيز عليها قـد يحدث جفوة ويبعد المنضمين الى الجماعة من أهل العقائد الباطلة ؟؟

كلا ثم كلا ، ان الاسلام قام على العقيـــدة ، والرسول ﷺ ركز عناية حول تربية الصحابة على العقيـــدة ، وانه عليه الصلاة والسلام قد وضح أهمية جميع الشئون التعبدية والسياسية وغيرها ، والسلف الصالح ، رضى الله عنهم ، قد وقفوا مواقف واضحة فى ضوء توجيهات الرسول الكريم ﷺ ، و المسلمون قد أمروا بالاتباع لا بالابتداع ، والشريعة الاسلامية لم يبق فيها شئ يخفى على من يريد مرضاة الله تعالى . ومن هنا يجب علينا فى هذه المرحلة العصيبة من تاريخ الأمة أن نحتكم الى الكتاب والسنة ، ونستنير بمنهج السلف الصالح ، ونفرق بين المهتدين والضالين ، ونخضع عقولنا واهوائنا لنصوص الكتاب و السنـــة ، ونحكم على القضايا بفراسة المؤمن الذى لا يلدغ من جحر مرتين ، والله هو الهادى الى سواء السبيل ● ● ●

فضل العقيدة الإسلامية على العقائد الأخرى

(من غرائب المعتقـــدات)

‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡ ‡

د. محمد بن سعد الشويعر

++++++++++++++++

الانسان بطبيعتـــه فيه غريزة الولاء والانتماء، والاسلام يركز على هذه الناحية وينميها ويؤصلها فى قلب المرء.

ومصدر التشريع فى الاسلام كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ تؤكد على هذه الناحية وتركيها. ومن هنا يلمس الانسان اهتمام الاسلام بمخاطبة العقل، والدعوة للتبصر والسؤال عما يجهله الانسان.

وإذا غاب هذا الوازع، وانمحى المرشد للمرء من تيه الضلالة ــ وكتاب الله هو المصدر التشريعى السماوى ــ تاه الانسان أو ضاع معتقده فأصبح كالغريق الذى تتقاذفه الأمواج يبحث عن قشة يتعلق بها وقشرة صغيرة يراها فيحسبها جسما، وعندما تمسك بها يداه تهوى به فى القعر فتسبب له الغرق ومن ثم الهلاك.

وهذا ما يحصل بالنسبة لمعتقـــدات كثير من شعوب الأرض، ففى افريقيا نسمع العجائب فى عبـــادات الوثنيين، وفى روسيا نلمس أن الشيوعيين بعـــد ما فرضوا مذهبهم، واعتبروا الدين أفيونا للشعوب، واعتبروا المادة هى كل شىء رجعوا رغما عنهم إلى المعتقدات التى تاهوا فيهـا، واحتارت عقولهم فيما ينتمون

اليه، وأثناء زيارتى لنيبال لفت نظرى فى الطرق الصحراويـة وفى القرى كثرة الغربان، والابقار، والكلاب.

وبحب الفضول طلبت من المترجم وهو مسلم من تلك الديار تفسيرا لذلك فقال: لا أعلم لذلك شيئا إلا لبعض المعتقـدات حول البقرة، ذلك أننا معاشر المسلمين ننعزل فى بعض القرى عن الاختلاط بالهندوس ولا نعرف عن عاداتهم ومعتقداتهم إلا الشىء اليسير.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الجهل المتفشى عند كثير من الهندوس يجعلهم لا يعرفون هم أنفسهم كثيرا من أسرار المعتقدات التى وقعوا فيهـا، أو سار فيها بعضهم، لأن من كثرة المعتقدات عندهم أصبح بعضهم لا يعرف عن معتقد البعض الآخر، ولذا وصفت الهند بأنها ذات الـ ٤٠٠ ديانة.

وكانت فرصة الرحلة الطويلة التى صاحبنا فيهـا سائق هندوسى متعلم وهو يصاحب السواح دائما ويعرف بلاده كلها شبرا شبرا، ويجيد اللغـة الانجليزية فرصة للدخول معه فى الحديث بعد أن زادت صحبة السفر عن عشرة أيام، نتجول خلالها فى أطراف البلاد سياحة واستطلاعا.

وقد بدأنا بسؤاله عن البقرة وقانون الجزاء لمن يقتلها أو يأكل لحمها فقال: إن قانون الدولة يحرم ذلك والجزاء هو السجن مدى الحيـاة لمن يعمل ذلك والبقرة تترك حتى تموت ولا يؤكل لحمها.

أما السائق لو دهسهـا فى الطريق العام فإن السجن لـه لمدة عام وغرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية نيبالية لصاحبها وللدولة، هذا فى أول مرة ثم يضاعف إذا تكرر العمل.

فسألنـاه عن سر عبادتهم للبقرة فقال أولا: إن المرأة الوديعة الهـادئة

الخارقة عندنا تسمى بقرة لأنها اتصفت بصفاتها لأن البقرة طبيعتها الهدوء بعكس الثور والجاموسة، فالبقرة لا تؤذى وكثيرة الخير، وتدر اللبن، وتنتج بالتوالد.

ولذا تحرص النساء على الاتصاف بالوداعة وخدمة الأزواج لتتصف بهذه الصفة المحببة.

والناس لا يمنعون البقرة من أكل حوائجهم وبضائعهم، بل يفرحون بذلك ويتركونها تعمل ما تشاء تيمنا وتبركا حتى ولو هلكوا جوعا.

وعن سر عبـــادة البقرة وتعلقهم بها قال: إننا نعتقـــد بوجود مشكلات كثيرة تأتى الانسان بعد الموت، وإن أمامنا أنهـــارا لا نستطيع عبورها فإذا وقفنا لنتجاوز للجهة الثانية جاءت البقرة فتعلقنا بذنبها فتخرجنا من هذه المشكلات المعترضة ونتجاوز معها بأمان، ولذا نسجد لهـا ونحبها، لأنها تسبح بنـــا إلى عالم آخر.

وحكى لنا السائق شيئا أغرب عن معتقـــداتهم، وأعرب من عبادة البقرة فقال: نحن نسجد مرة فى السنة للكلاب وخاصة كلاب الحراسة، ونعمل لهـــا أطواقا من الزهور ونعلقها فى أعناقها، ولا نتعرض للكلاب بأذى.

وسر هذا الاعتقـــاد أن هذا الكلب هو الذى يدخلهم الجنة بعد الموت، كما يقول السائق، لأنه يحرسهم فيعرفهم بما عملوا له فى الدنيا فيجازيهم بهـــذا العمل بعد الموت.

لأن الجنة كما يزعمون فيها أشجار ومأكولات وعلى أبوابها كلاب تحرسها فهى لا شك ستعرفهم بعد الموت لأنهم قدموا لها هذه العبادة، فلا تنبح عليهم عند الدخول ولا تمنع الدخول إلا من لم يعبدها.

وهذا سر عبادتها سنويا، ولذا فإنهم يحترمون الكلب ويقدمون له المأكولات وهذا من أسباب تناسلها وكثرتها فى كل مكان حتى فى العاصمة «كاتمندو»

وهذا أيضا دفعنا للسؤال عن كثرة الغربان وهل أسباب ذلك كثرة الجيف أم هناك سر آخر.

فقــال : إن الغراب له مكانة فى نفوسنا ونحترمه ، ونعبده فهو الذى يأتى لنا بالخبر الطيب ، ونقــدم له القرابين ، ولعل تعلقهم بالغربان له علاقة بتعلق الجــاهليين العرب به ، قبل ظهور الإسلام بل وتعلقهم بكل شىء حتى الشجر والحجر .

دفعنــا هذا الكلام للاستزادة خاصة وأن الطــريق الطويل فى حاجة إلى تزجية وتخفيف بعده بما تتشوق اليه النفوس ، ذلك أن كل أمر مستغرب تتطلع اليه النفوس ، وتريد المعرفة لجوانبه الفائدة من جانب ولحمد الله والشكر له على نعمة الاسلام التى لا تعدلها نعمة .

فلولا هداية الله لنا معشر المسلمين لتهنا فى الدنيا ، كما تاهوا . قال تعالى: ﴿لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ ومن نعمته سبحانه التى لايعدلها نعمة هدايتنا لمعرفة حقيقة الاسلام والايمان على العمل وفق شرعه الذى شرعه سبحانه و وفق سنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام .

لقــد عرفنــا قيمة النعمة التى هدينا اليها عند ما سمعنا — ورأينا — هذه المعتقدات التى هى أقرب للخيال منها للواقع ، وللهزل منها للجد ، وللخيال أكثر مما هى للحقيقة التى يقبلها العقل . . أو يمكن أن يقبلها فالحمد لله ؟

مسألة حياة النبى ﷺ فى ضوء الأدلة الشرعية

(الحلقة الرابعة)

للعلامة محمد اسماعيل السلفى
ترجمة -
الدكتور مقتدى حسن الازهرى

عقيدة الحياة ونتائجها

ولكن المشكلة القائمة الآن أن البريلوية وبعض أكابر ديوبند يحاولون إثبات عقيدة الحياة الدنيوية بهذه الضعاف والمقطوعات، وبدأوا يسمون هذا التصور المدعى بالعقيدة المتواترة، ولذا ينبغى أن يعلم جيدا أن هذه الأسانيد مع تعدد الطرق والشواهد لا ترتفع إلى أن تكون أساسا لعقيدة.

ثم ان هذه الطرق والشواهد لا تذكر الحياة الدنيوية، بل تكرر قوله ﷺ: «أكثروا علىّ الصلاة يوم الجمعة».

والطرق والشواهد التى ورد فيها ذكر الحياة بصراحة لم يصح منها واحد، ولا يستحسن أحد محاولة إثبات العقائد بالأحاديث الصحيحة لغيرها. أما العلماء الذين ينقل عنهم تصحيح وتوثيق هذه الأحاديث فلم يقل أحد منهم بالحياة الدنيوية، ولم يحاول إثبات هذه العقيدة البدعية وأكثر من تكلم فى هذا المقام هو الحافظ ابن القيم، وهو ايضا لا يقول بالحياة الدنيوية. وكذلك لم يرض

يثبت بهذه الأحاديث الحياة المطلقة ، ولذلك يكون الاستدلال بهذه المباحث
هذه العقيدة المخترعة مثل تأويل القول بما لا يرضى به القائل ، وهذا
يرضاه أهل العلم والفكر .

والحديث السادس صحيح ، وقد ورد فيه ذكر رد الروح عند السلام .
ـذا خلاف الحياة الدنيوية ، والأجوبة التي ساقها الحافظ السيوطي يبدو
ن قلبه أيضا غير مقتنع بهذا الحديث ، وان الخبط والتذبذب بارزان
جواب .

أما قول الشيخ حسين أحمد فانه معارض لنص الحديث ، والحديث يدل
أن روح النبي ﷺ ترد للرد على السلام ، وعلى قول الشيخ حسين أحمد
ـاجة لرد الروح ، ولذا ينبغي إعادة النظر الى معنى الحديث ، فانه لا يتصح
يه الشيخ حسين أحمد .

أما الحديث السابع فانه يذكر لقاء الأنبياء عليهم السلام ليلة الاسراء ، ولا
ـ كيف يستخرج منه الحياة الدنيوية !

وقد ذهب أئمة السنة في هذا اللقاء مذهبين معروفين . فالبعض يرى أنه
روحي ، فقد ورد في فتح الباري حديث عن البزار والحاكم أنه صلى
المقدس مع الملائكة وأنه أتى هناك بأرواح الأنبياء فأثنوا على الله[1] .
ـعاء الخاطىء للحياة الدنيوية صار مشكلة وتعسر به الجمع بين الأحاديث .

والمذهب الثاني أن هذه الأرواح أعطيت أجساما مماثلة ، وبهذه الأجسام

---

(1) ج ١٠ ص ٤٥٢

تم اللقاء فى بيت المقدس أو ليلة الاسراء، وقد ذكر ذلك فى فتح البارى[١] فقال :

«إن أرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم، كما جزم به ابو الوفاء بن عقيل. والصورتان يمكن وقوعهما فى البرزخ، وإطلاق الحياة الدنيوية عليهما ليس بمعقول.

ويصرح بعد ذلك ابن حجر فيقول : لأنه بعد موته وان كان حيا فهى حياة أخروية لا تشبه الحياة الدنيا[٢]

ويقول فى ج ٤ ص ٢٨٢ : و هذه الحياة ليست دنيوية، انما هى أخروية.

وقد قال فى التلخيص الحبير ص ١٦٢ نقلا عن البيهقى : الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء

وهذه الحياة حياة برزخية أخروية، ولا يعقل أن يصفها عاقل بأنها حياة دنيوية.

وجميع الحقائق مثل صلاة موسى، وحج هارون ويونس، وإحرام المسيح والدجال تكون مثالية برزخية لا دنيوية. وقد قال النبى ﷺ حينما توفى ابنه ابراهيم : له ظئران تكملان رضاعه فى الجنة[٣].

فهل ترون أن ابراهيم أعطى حياة دنيوية مع أنه ليس نبيا ولا شهيدا؟ وتوجد فى كتب السنة عشرات من الأحاديث فى هذا المعنى، فلو أثبتنا بها الحياة

---

(١) ج ١٥ ص ٤٠٩

(٢) جز ١٦ ص ٣٦.

(٣) المشكاة ص ٥٢٠

الدنيوية فكأننا قلنا انه لا يموت أحد فى الدنيا .

والأحاديث السابقة (٨ ، ٩ ، ١٠) لا تدل قطعا على الحياة الدنيوية ، ولا نعرف لماذا نقلها الشيخ راهد ؟ و بعد السطور السابقة لا تبق حاجة للكلام على هذه الأحاديث .

قصص وحكايات

شهادة بجعفر وإخبار بعض الأرواح عن دينها وما يشبه ذلك من القصص قد ورد ذكرها فى كتاب الروح ، وشرح الصدور، والخصائص الكبرى ، ولكن :

أولا ليست هذه القصص حجة شرعا .

وثانيا ليست هذه الأدلة جديرة بالوثوق فى باب العقائد .

وثالثا يمكن الاستدلال بها على حياة الروح ونقلها وتحركها ، ولكن لاتثبت بها الحياة الجسمية أو الدنيوية قطعا .

ورابعا اذا ظهر المنام والكشف من غير نبي فيمكن أن يتيقن فيه صاحبه ، ولكنه لا يلزم عامة المسلمين .

وسماع سعيد بن المسيب الأذان فى المسجد النبوى عند رقعة الحرة ليس له معنى ودلالة على ما نحن فيه ، فان سعيدا لم يكن يعرف صوت النبي ﷺ ، ويمكن أن يكون هذا الصوت لجنى صالح أو ملك ، فكيف تثبت بذلك الحياة الدنيوية للنبي ﷺ ؟

وقد نقل الشيخ عن ابن القاسم أربعة أدوار للانسان :

الأول دور الرحم . والثانى دور الدنيا . والثالث دور البرزخ . والرابع دور الآخرة .

وكل دور لاحق خير من سابقه . وعليكم أن تفكروا فى هذه السعة ، وأن هذا

الدليل لكم أو عليكم ؟ فان كان فى دور البرزخ سعة وهو خير من دور الدنيا فلماذا تحاولون إخراج النبى ﷺ من البرزخ الى الحياة الدنيويـــة ؟ ان الحيـاة البرزخية أعلى وأرفع بكثير من الحياة الدنيوية

إن أحمد رضا خان وأتباعه فى غى عن العقل والعلم ، ولـكن عليكم أن تفكروا ، ان أهل التوحيد لا يتجردون من العلم والعقل . ﴿ان فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾

ويمكن التوسع فى الكتابة حول بعض أجزاء المقـال ، ولـكن لا أقصـــد البحث والمناظرة . وأحوالنا الحاليـــه تقتضى ان لا يحاول العيـــدون عنا إبداء آرائهم فيها ، فان هذه الهيئه يحسن فهمها علماؤها ان الجهود التى تبذل لفرض اللادينيـــة لعلكم لا تعرفونهـا ، ولذا لا ينبغى أن تلقى مسئوليـــة المستقبل عليكم ، وتستغل رسائلكم ، خطبكم لأغراض سيئـه خبيثة ، نسأل الله تعـــالى التوفيق لأن نعمل شيئا لاعلاء كلمـــة الاسلام ، ولا نكون سببا لفتح الأبواب الخفيـــة التى تدخل منها إلينا المادياتية ، والرفض ، والبدعة والابتداع .

نظرة الى محتويات رسالة حياة النبي ﷺ

بعد أن أرسلت للنشر فى مجلة رحيق بلاهور ملاحظاتى الانتقادية للمقـــال المنشور فى مجله دار العلوم بديوبند اذ جاءت إلى رساله حياة النبي لمؤلفه الشيخ اخلاق حسين ، التى قدم لها الشيخ سيد أبو ذر البخارى .

ولـكن الأسف أنها لا تحتوى إلا على اندفاع الشباب ، ولا غرابة فى ذلك حيث لم تتوفر الأدلـة وكانت النصوص معارضة بصراحـــة يضطر الانسان الى الهتاف باسم المدرسة التى ينتمى اليها والى التعسف والتكلف ، ويبـــدى الشباب حماسهم وقوتهم ويستخدمون لسانهم وعقلهم فى صرف النصوص عن أصلهـــا ،

وهكذا يجحون في تحويل اتجاه الأذهان الى وقت ولو قصير . ويسندون الجدار الذي يريد أن ينقض بالتوسل الى عظم مكانة الصلحاء و الحفاظ على منزلتهم . وهذا ما فعله اخلاق حسين وابوذر ، ولذا لا أرى حاجة للكلام على الجزء البدائي لهذه الرسالة .

وكنت قد سمعت من بعض أصدقائي أن الشيخ محمد قاسم النانوتوى رحمه الله قد كتب رسالة في هذا الموضوع ، ومع بذل الجهد لم أظفر بنسخة منها ولكن وجدت في رسالة الشيخ اخلاق حسين اقتباسا من رسالة الشيخ النانوتوى ، و اسمها « آب حياة » يقول في (ص ٢٣٢) محاولا تعليل حديث « يرد الله على روحي » لانه يعارض موقف الديوبندية ، فأراد بتأويله تنحيته من الطريق :

« لما صارت روح النبي المفتوح عليها منبعا وأصلا لسائر الأرواح وخاصة أرواح المؤمنين ، فأي فرد من الأمة يسلم عليه ﷺ ترد الشعبة التي في جانبه ، ولا يلزم ارتداد الشعب كلها ، ومن الظاهر أن ارتداد تلك الشعبة يكون سببا للاطلاع على السلام ، ولكن لا يكون موجبا لزوال الاستغراق المطلق ، لأن الشعب غير متناهية » .

ان علو مكانة الشيخ النانوتوى وسعة نظره وغزارة علمه وإخلاصه وتقواه معلوم ومعروف ، و ان قلبي يرتجف من أن يقف متواضع مثلي موقف الانتقاد من الشيخ الذي يعد بحر العلم والمعرفة ، ولكن فكرى لم يصب ، ولله الحمد ، بالتقليد والجمود ، و ليس أحد بعد النبي ﷺ معصوما ، ولذلك أفكر فيما يحتوى عليه هذا الكلام الموجز . والأسف أن عالما متبحرا مثل الشيخ النانوتوى لم يذكر دليلا ولا كتب شيئا يؤثر في الفكر . وقد جاءت هذه البلية بسبب أنهم

قد اختاروا نظرية خاطئة بأن حياة الأنبياء ليست برزخية بل جسمية دنيوية .
وحاصل كلام الشيخ النانوتوى أنه تصور الروح التى وصفها القرآن بالامر مركبة فى لغة المجازات ، ثم تصور الشعب غير المتناهية ، ثم ان عنايــة كل جزء من أجزاء هــذا المركب يمكن أن تنصرف الى الجهات المختلفــة ، ثم ان هذا الانقسام لا يورث خللا فى الاستغراق مع العناية المذكورة ثم ان هــذه الروح منبع لعام الأرواح ولأرواح المؤمنين ، أى أرواح المسلمين وغيرهم تنشعب من هــذه الروح . ولأرواح المؤمنين نسبة خاصــة وصلة مع روح النبى ﷺ المفتوح عليها .
ولا يوجد فى الظاهر تعقيد فى كلام الشيخ النانوتوى ، رحمــه الله ، الذى سبق أن ذكرنا ، وكل ما قاله بأسلوب المجاز و الاستعــارة لا يتجاوز تصريف الألفاظ وتكرارها ، ولم يذكر نصا من الكتاب والسنة يؤيد رأيه .
والقرآن الكريم اذ ذكر الروح أرشد إرشادا بليغا جامعا : ﴿قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ .
كان ينبغى ان يتفكر ان تفصيل الأمر لو كان ذكر شعبه غير المتناهيــة لبينها القرآن .
وقد ذكر الشيخ اخلاق حسين فى صفحة ١٧ كلاما من زاد المعاد ، لوقارنا بينــه و بين كلام الشيخ النانوتوى لعرفنا ان كلام ابن القيم أقرب الى السنــة وأنسب وأبلغ فى الجمع بين الأحاديث ، وكلام الشيخ النــانوتوى غير مؤثر على أنــه تلعب بالألفاظ . ولو نظرنا الى حــديث « يرد الله على روحى » لذهب استدلاله كله سدى ، مع معارضته لألفاظ الحديث .

علم كلام البريلوية

تبين لنا أن لعلم البريلوية ثلاثة أصول . الأول الإكثار من شتم الخصم

والثانى توجيه المطاعن والتهم اليه بقدر الامكان حتى يحتار فى الرد عليها والتبرؤ منها ، والثالث إلحاق كلمة « الشريف » مع البدعة التى يراد نشرها ، مثل الحادى عشر الشريف ، المولد الشريف ، الأربعين الشريف ، وكل مسكونة تكون مركزا للشرك والبدع تضاف اليها كلمة الشريف ، وتضاف الألقاب الرائقة إلى اسم المذنب المشرك ، وذلك كى تكره العامة الحق ، ويودوا البدع وأهلها .

اخوان ديوبند

وأصحاب ديوبند قد سلموا من المرضين الأولين ، فانهم لا يشتمون ولا يكذبون ، ولكنهم يغلون فى احترام الأساتذة ويبالغون فى محاسن الأكابر بطريقة خاطئة ، وقد سبق أن اطلعتم على قطعة من كلام الشيخ محمد قاسم رحمه الله ، واليكم الآن مثالا للمبالغة فى نفس الكتاب :

كتاب « آب حياة » كتاب قال فيه شيخ الهند رحمه الله : إنى قرأته على شيخى رحمه الله درسا درسا حتى اطلعت على مدارك المؤلف . وإنى قد رجوت من الشيخ حبيب الرحمن رحمه الله بعد ذكر هذا الواقع أن يدرسنى هذا الكتاب ، فقال مع ذكائه وتوقد فهمه : إنى لا أستطيع ذلك ، فمثل هذا الكتاب كيف يستطيع تدريسه أمثالنا غير الأكفاء ! »

أرأيتم هذا الكلام ؟ انه بالأردية وليس فيه إغلاق ولا عمق ، ولو اطلعت على غلو الشيخ محمد طيب هذا لنفضت الغبار عن عينى خيفة أن يكون هناك أسد نائم ، ونحن لا نشك فى مكانة الرواة وثقتهم ، ولكن عرضه على الواقع يؤدى إلى صراع ذهنى بأن هؤلاء الأكابر ماذا يقولون ! ويمكن أن يكون موضع من الكتاب دقيقا رجع له شيخ الهند إلى أستاذه ، ولكن قراءة الكتاب كله درسا درسا أمر عجيب .

ونحن نرى أن ثلث علم كلام البريلوية ورثه أهل ديو بند من البريلويين ،

وبذلك انتشرت النظرية الخاطئة التي تقول : ان حياة الأنبياء دنيوية بين مدرسة ديوبند، وشبابنا الديوبنديون يرون أقوال الأساتذة لاتتحمل المس ولذا لايجترؤن على تحليل حسنها وقبحها ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله . وأولئك هم أولو الألباب﴾ .

إخواني الكرام ! ان طريق العلم والعقل يختلف عن ذلك تماما ان احترام الأساتذة أمر ، وصرف النظر عن العلم والعقل أمر آخر، وأمامكم أسوة الامام أبي حنيفـــة وتلامذته ، فاننا نجد عندهم الاحترام والاختلاف جنبا إلى جنب ، والاختلاف لم يمنعهم من إظهار الحق ، ولم يحل إظهار الحق في طريق الاحترام والأدب ، وعاطفة إظهـــار الحق قـــد اندمجت مع الأدب و الاحترام بحيث أن الأستاذ لا يتمعر وجهه مع اختلاف تلاميذه معه في مئات من المسائل ولا تتكدر طبائع التلاميذ ، ولا يصل الأمر إلى التمادح المعالي فيه بين الطرفين ، رحمهم الله ورضي عنهم :

أولئك آبائي فجئني بمثـــلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وبعد ذلك وجدنا رسالة طويلة للشيخ محمد طيب نقلها الشيخ اخلاق حسين ولو فصلت الكلام على هذه الرسالـة فان وقت القراء يضيع في بحث غير نافع ، والحقيقة أن كتـابة الشيخ النـانوتوي رحمه الله مبحث أو نظرية تشبه كتـــاب فصوص الحكم أو الفتوحات المكية ، ولـكن لا ينحل بهـا الحـــديث في ضوء ألفـاظه ، ثم ان شرح الشيخ طيب ليست له علاقة مع كلام الشيخ النانوتوي ، بل انه آراء وأخيلـــة ولدها ذهن الشيخ طيب ، وانه يستحسن إذا ألقي أمام الطلبة والمعتقدين . ولـكن يصعب أن يثبت على ميزان الأدلة والبراهين . انه بحث مستقل لايلقي ضوءا على كلام الشيخ النانوتوي ، ولا يساعد في حل معنى الحديث ، نعم يبدو أنه محاولة فاشلة لضم كلام النانوتوي إلى كلام ابن القيم وبعض كشوف الشاه ولي الله .

وإنى قد وصفت هذه المحاولة بالفشل لأن الشيخ النانوتوى يرى روح النبي ﷺ أصلا لسائر الأرواح وخاصة أرواح المؤمنين ، ولكن الشيخ طيب يقضى على هذا العموم لوصف النبي ﷺ بالمؤمن الحقيق، ويعبر عن تخصيص أهل الايمان بأسلوب يوهم أن الروح والايمان مترادفان ، والاصطلاح حق للجميع ، ونحن لا نستطيع منعه ، ولكن لينظر أهل العلم أى خبط ينشأ بذلك؟ وكم يصعب منع برويز وخليله عبد الحكيم من الاصطلاح! ولذا يحسن أن تتكلم مع النـاس بلغتهم ، كما فعل ابن القيم .

ثم أطال الشيخ فى ذكر الشمس وأثرها فى أسلوب التمثيـل ، ولكن هذه المحاولة أيضا ناقصة بسبب أن كلمة « رد » فى قوله ﷺ : « رد الله على روحى» يقتضى غير ذلك ، نعم ، هذا الطول يؤدى إلى التخبط دون شك .

ولو ألق هذا الكلام حول وجوب طاعة النبي ﷺ ، وفرض به القيد على الجمود الفقهى والصوفى لكان أنسب ، أما فهم الحـديث المذكور فان كلام الشيخ طيب يقتضى إخراج كلمة الرد من موضعه فى الحديث .

وكان هناك طريق آخر للتخلص من هذا الحـديث ، وذلك أن فى رواته أبا صخر حميد بن زياد ، وقـد رواه مسلم على طريق المتابعة ، وقال يحيى بن معين أحيانا: انه ضعيف ، وروى عنه بعض المنكرات ، فالجرح على الحديث كان طريقا للتخلص منه ، أما الاعتراف بصحة الحديث ، ثم تقليب المصطلحات والتلعب بالألفاظ، فان ذلك يمهد الطريق لأهل الالحاد والبدع ، والعلماء هم يكونون مسئولين عن ذلك .

أم اختيار طريق أهل السنة بأن الحيـاة برزخية ، وهى تجتمع مع الموت الدنيوى ، فلا تضاد بينهما ، وهذا هو رأى أهل التحقيق وأكابرنا .

وقـد قسم الشيخ طيب للاستغراق أيضا إلى أقسام ، فهناك استغراق فى

ذاته ﷺ ، واستغراق فى أرواح الأمة ، واستغراق فى ذات الله تعالى .

وحيث أن أمر الروح فوق فهمنا وإدراكنا فلا فائدة من هذا التكلف ، والفرار من ظاهر الألفاظ لا يحسن بأمثالكم من متبعى الحديث ، هذا تصوف كشفى يشبه ما عند ابن عربي وابن سعيد ، ولا علاقة له مع زهد أبي حنيفة وأحمد و ورعهما .

و رسالة الشيخ طيب كلها بالأسلوب الخطابى ، ومثلها كلام الشيخ محمد قاسم رحمه الله .

ولم تكن حاجة لهذا التصريح المار إن لم تكن مضايقة أهل التوحيد من قبل أهل الابتداع فى باكستان بالاستفادة من هذا التمويه والألفاظ المحتملة .

ونحن — المساكين البعداء — نشكركم أن إحسنتم إلينا بطريق آخر، أما الأسلوب الذى اخترتموه إلى الآن فانه يدعنا إلى الشكوى :

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن يفيض الكأس عند امتلائها

إننا نود أن نسمع منكم كلام التوحيد والسنة ، وقصص السلف واعتصامهم بالسنة ، أما المتاع الذى تصدره دار العلوم بديوبند فانه يوجد بكثرة فى باكستان ، فلماذا تتحشمون المشقة ، اختاروا طريقا آخر لارضاء الشيخ خير محمد .

وانى قد صرفت النظر عن كثير من رسالة الشيخ طيب ، مع توفر مجال القول والمناقشة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ؟

(يتبع)

السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي
الجامعة السلفية - بنارس

(٤)

٢٠ — و والده : الإمام العلامة شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٦٢٨هـ — ٦٨٢هـ) شيخ حران ، وحاكمها ، وخطيبها ، كان له فضيلة حسنة ، و لديه فضائل كثيرة ، وكان له كرسي بجامع دمشق ، يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه[1].

وقرأ عليه شيخ الإسلام الفقه والأصول ،كما روى عنه بعض كتب الحديث ، فقد صرح بتحديثه عنه غير مرة[2].

٢١ — والشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن عباس الفاقوسي، توفي في شعبان سنة ٦٨٢هـ وله خمس وسبعون سنة ، روى عنه حديثا في الأربعين وهو الحديث الثالث والثلاثون[3].

---

(١) انظر لترجمته : البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٣) والعبر (٣/ ٢٤٩) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٠) وشذرات الذهب (٥/ ٣٧٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٤ — ٥٥ و ١٨/ ٩٢) ، والرد الوافر (٩٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ١١٢) .

٢٢ ــ و الإمام المسند الزاهد شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الزين أحمد ابن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد المقدسي، ولد سنة ٦٠٦هـ وتوفى فى ذى القعدة سنة ٦٨٩هـ، كان ثقة من أولى العلم والفضل، قال الذهبي: كان واسع الرواية عالى الإسناد، وأجاز لنا مروياته[١].

روى عنه شيخ الإسلام عام ٦٨١هـ، وعنه عدة أحاديث فى الأربعين[٢].

٢٣ ــ والإمام الفقيه العالم البارع جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان ابن سعيد بن سليمان البغدادى نزيل دمشق، ولد سنة ٥٨٥هـ بحران، وتوفى فى شعبان سنة ٦٧٠هـ بدمشق[٣] سمع منه شيخ الاسلام عدة أحاديث فى الأربعين، وقد سمع منه عام ٦٦٨هـ[٤].

٢٤ ــ و الرئيس عماد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبى الصقر بن السيد بن الصائغ الأنصارى، توفى فى رمضان سنة ٦٧٩هـ.

وسمع منه شيخ الاسلام سنة ٦٧٦هـ[٥].

---

(١) معجم الشيوخ للذهبي (ق/ ٧٥/ أ) و انظر لترجمته أيضا: العبر (٣/ ٣٦٩ طبعة البسيونى) والمعين (٢٢٠) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٦) وشذرات الذهب (٥/ ٤٠٨)

(٢) أرقام الأحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ٢٩ - ٣٦ من الأربعين فى الجزء الثامن عشر من الفتاوى له.

(٣) انظر لترجمته. العبر (٣/ ٣٢١ طبعة البسيونى) والنجوم الظاهرة (٧/ ٢٣٧) وشذرات الذهب (٥/ ٣٣٢).

(٤) انظر الأرقام: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ من أحاديث الأربعين فى الفتاوى الجزء الثامن عشر.

(٥) الحديث رقم (٢٠) من الأربعين فى الجزء الثامن عشر من الفتاوى.

٢٥ – والشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد شيخ الاسلام قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (٥٩٧هـ – ٦٨٢هـ).

قال الذهبي: وهو ممن اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه بالعلم والعمل والأخلاق الشريفة[١].

وترجم له ابن الخباز في مئة وخمسين جزءا، ومن مؤلفاته شرح المقنع لعمر الموفق[٢].

سمع منه شيخ الاسلام في شعبان سنة ٦٦٧هـ بقاسيون، وروى عنه في الاربعين عدة أحاديث[٣] وذكره في الفتاوى في إسناده للسند[٤].

٢٦ – والشيخ الجليل المسند الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك ابن يوسف بن قدامة المقدسي، ولد في حدود سنة ٥٩٨هـ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠هـ عن بضع وثمانين سنة[٥].

---

(١) معجم شيوخه (ق ٧٩/ أ – ب).

(٢) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) ومعجم الشيوخ (ق ٧٩/أ) والعبر (٥/ ٣٣٨، وطبعة البسيوني ٣/ ٣٥٠) والبداية والنهاية (١٣/ ٣٠٢) والمعين في طبقات المحدثين (٢١٨) ومرآة الجنان (٤/ ١٩٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠٤) والدرر الكامنة (١/ ١٤٤) والنجوم الظاهرة (٧/ ٣٥٨) وشذرات الذهب (٥/ ٣٧٦).

٣) انظر الأحاديث: ٥ - ١٧ - ٢٤ - ٢٨ - ٣٥

٤) الفتاوى (٢٥/ ١٤٦).

٥) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٦٥) والعبر (٥/ ٣٢٨) وطبعة البسيوني (٣/ ٣٤٣) وشذرات الذهب (٥/ ٣٦٦).

روى عنه شيخ الاسلام عدة أحاديث فى الأربعين[١].

٢٧ - والشيخ المحدث الفقيه الزاهد الأثرى عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن محمد بن أحمد بن فارس بن راضى بن الزجاج العلثى ثم البغدادى (٦١٢هـ - ٦٨٥هـ) .

قال البرزالى : محدث بغداد فى وقته موصوف باتباع السنة و نصرها والذب عنها .

وقال الذهبي : وله أتباع وأصحاب يقومون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حدث بالكثير ببغداد وبدمشق .

سمع منه بدمشق الكبار كالشيخ على بن النفيس الموصلى ، والمزى والبرزالى وابن تيمية وغيرهم[٢].

٢٨ - والشيخ المسند كمال الدين أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر ابن شبل بن عبد الحارثى (٥٨٩هـ - ٦٧٢هـ)[٣]

سمع منه شيخ الاسلام كثيرا[٤] ، ومن جملة مسموعاته عنه فى يوم الجمعة سادس شعبان سنة ٦٦٩هـ بجامع دمشق الحديث الثانى من أحاديث

---

(١) أرقام الحديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٢٧

(٢) انظر لترجمته فى : العبر (٣/ ٣٥٩) طبعة البسيونى ، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٥-٣١٦) والنجوم الزاهرة (٧/ ٣٧٠) و شذرات الذهب (٥/ ٣٩١- ٣٩٢) .

(٣) انظر لترجمته : العبر (٣/ ٣٢٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٤٤) و شذرات الذهب (٥/ ٣٣٨).

(٤) العقود الدرية ص ٣

الأربعين[١]

٢٩ — والقاضي شمس الدين أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري الشافعي نزيل دمشق (٥٩٩هـ — ٦٩٠هـ[٢]).

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة محمد بن حمد بن عبد المنعم بن حمد بن منيع ابن أبي الفتح الحراني التاجر المعروف بابن البيع (ت ٧٧٢هـ)

سمع جزء البانياسي بقراءة الشيخ تقي الدين ابن تيمية على عمته ست الدار بنت مجد الدين ابن تيمية حاضرا في سنة ٦٨٣هـ.

وسمع بقراءته أيضا على عبد الواسع الأبهري شيئا من المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير[٣].

٣٠ — و الفخر ابن البخاري : مسند الدنيا فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور بن البخاري السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي (٥٩٥هـ — ٦٩٠هـ)[٤].

سمع من حنبل، وابن طبرزد، والكندي، وخلق، وأجاز له أبو المكارم

---

(١) الفتاوى (١٨/ ٧٨).

(٢) انظر لترجمته معجم الشيوخ للذهبي (٩٠/ ب) و العبر (٣/ ٣٧٣) وشذرات الذهب (٥/ ٤١٤).

(٣) الدرر الكامنة (٣/ ٤٣١).

(٤) انظر لترجمته : غاية النهاية (١/ ٥٢٠) و معجم شيوخ الذهبي (ق ٩٧/ أ) والعبر (٥/ ٣٦٨) وطبعة البسيوني (٣/ ٣٧٣) ودول الاسلام (٢/ ١٩٢) والبداية والنهاية (١٣/ ٣٢٤) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٦) والدرر الكامنة (١/ ١٤٤) والنجوم الزاهرة (٨/ ٣٢) وشذرات الذهب (٥/ ٤١٤).

اللبان ، وابن الجوزى ، وخلق كثير ، وطال عمره ، ورحل الطلبة إليه من البلاد والحق الاسباط بالاجداد فى علو الإسناد[١].

وقال الذهبي: هو آخر من كان فى الدنيا بينه وبين النبي ﷺ ثمانية رجال ثقات خرج له ابن الظاهرى مشيخة بمصر[٢].

وقال : قال ابن تيميـــة : ينشرح صدرى إذا أدخلت ابن البخـــارى فى حديث[٣].

وسمع منه شيخ الاسلام عام ٦٨٠هـ وعام ٦٨١هـ ومن مسموعاته عنه عدة أحاديث فى الأربعين[٤]، ومنها كتاب العرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة .

٣١ — والشيخ الفقيه أبو الحسن على بن قرباص[٥].

٣٢ - و الشيخ الأديب على بن محمود بن حسن بن نبهان أبو الحسن الربعى المنجم (٥٩٥هـ — ٦٨٠هـ) عاش خمسا وثمانين سنة و روى عن طبرزد الكندى ، وتركه بعض العلماء لأجل التنجيم[٦].

سمع منه شيخ الاسلام عام ٦٨١هـ ، ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[٧].

---

(١) العبر (٣/ ٣٧٣) .

(٢) معجم الشيوخ (ق ٩٧/ أ) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٦) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٦) وذكر فيه أيضا تتلمذه على الفخر ابن البخارى

(٤) أرقام الأحاديث : ١٠- ١٩ - ٢٤ - ٢٦- ٣٤ - ٣٧ فى جزء الأربعين (الفتاوى ١٨/ ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧) .

(٥) قال فى مجموعة الرسائل والمسائل : حدثنى صاحبنا الفقيه . . .(٤/ ٧٥)

(٦) انظر لترجمته : العبر (٤/ ٣٤٤) طبعـــة البسيونى ، والنجوم الزاهرة (٧ ٣٥٠) والشذرات (٥/ ٣٦٧) .

(٧) وهو الحديث السادس والعشرون . وتحرف فيه « نبهان » إلى « شهاب » .

٣٣ — والرئيس العام الأوحد علاء الدين أبو الحسن على بن الإمام أبي عبد الله محمد بن سلمان بن غانم المقدسى، ثم الأديب الدمشق المنشىء البليغ (٦٥١—٧٣٧هـ)[1].

قال شيخ الإسلام: حدثنى الشيخ أبو الحسن بن غانم خال الشيخ ابراهيم ابن عبد الله الأرموى[2].

وله قصيدة رثى بها شيخ الإسلام، وهى أول ما قيل بديها على الضريح أولها:

أى حبر مضى، وأى إمام — لجمت فيه ملة الإسلام

ابن تيمية التقى، وحيد الدهـ — ـر من كان شامة فى الشام[3]

٣٤ — وابن أبي عصرون: الإمام الشيخ المسند محى الدين أبو الخطاب عمر بن محمد بن القاضى أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التيمى الدمشق الشافعى (٥٩٩—٦٨٢هـ) درس بمدرسة جدة بدمشق[4].

وسمع منه شيخ الإسلام سنة ٦٨٢هـ ومن مسموعاته عنه الحديث الرابع والثلاثون من الأربعين[5].

---

(١) انظر لترجمته: معجم شيوخ الذهبي (ق ١٠١ / أ)

(٢) كتاب الاستقامة (٨٧/١)

(٣) الرد الوافر (٢٢٣ - ٢٢٤)

(٤) انظر لترجمته: معجم الشيوخ للذهبى (ق ١١١/ أ)، والعبر (٣٣٩/٥ - ٣٤٠)، وطبقة السبكى (٣ / ٢٥٠)، وتذكرة الحفاظ (١٤٩٢)، والنجوم الزاهرة (٣٦٠/٧)، وشذرات الذهب (٣٧٩/٥)

(٥) الفتاوى (١١٣/١٨)، وتحرف فيه «أبو الخطاب» إلى «أبي حفص».

٣٥ - الأمين القاسم الاربلي: المسند العدل أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر ابن قاسم بن غنيمة المقرىء الاربلي، ولد سنة ٥٩٥هـ أو قبلها باربل، وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٦٨٠هـ، وله خمس وثمانون سنة، رحل مع أبيه وله بضع عشرة سنة، فذكر وهو صدوق أنه سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسى، رواه بدمشق، وسمعه منه الكبار[١].

وسمع منه شيخ الإسلام عام ٦٧٧هـ صحيح مسلم، ومن مسموعاته الحديث الخامس عشر من الأربعين[٢].

وذكر الذهبي فى معجم شيوخه روايته صحيح مسلم عنه، وذكر تلمذ شيخ الإسلام عليه.

٣٦ - وابن الأنماطى: الشيخ الإمام زين الدين أبو بكر محمد بن أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنماطى (٦٠٩-٦٨٤هـ) بالقاهرة[٣].

سمع منه شيخ الإسلام فى رجب سنة ٦٦٨ هـ ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[٤].

٣٧ - والأمير الكبير الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن

---

(١) معجم شيوخ الذهبي (ق ١١٨/ب) وفيه تحرف « غنيمة » إلى « عمر »، والتذكرة (١٤٦٥)، والعبر (٥ / ٣٣٠ و ٣/٣٤٤)، طمعة البسيونى و دول الإسلام (١٨٣/٢ - ١٨٤)، والدرر الكامنة (١٤٤/١)، والنجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) وشذرات الذهب (٣٦٧/٥)

(٢) الفتاوى (٩٢/١٨)

(٣) انظر لترجمته: العبر (٣ / ٣٥٧)، والوافى بالوفيات (٢١٩/٢)، وشذرات الذهب (٣٨٨/٥)

(٤) الفتاوى (١٠٧/١٨)

أبي سعد بن على المنصور بن محمد بن الحسين الشيباني الآمدى ثم المصرى الحنبلى (٦٣٣–٧٠٤هـ)

سمع منه جماعة منهم ابن تيمية ، والمزى ، والبرزالى ، والذهبي[1].

٣٨ — والمسند الأصيل العدل مجد الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عثمان ابن المظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، مولده عام (٥٧٨هـ ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ٦٩٩هـ)[2].

ومن مسموعات شيخ الإسلام عنه حديث فى الأربعين[3].

٣٩ — والشيخ الصالح المسند أبو عبد الله محمد بن بدر بن محمد بن يعيش الجزرى توفى فى شعبان سنة ٦٧٥ هـ

سمع منه شيخ الإسلام ، ومن مسموعاته عنه الحديث الحادى عشر ، والحديث الأربعون من أحاديث الأربعين[4].

٤٠ — والشيخ محمد بن أبي بكر بن قوام[5].

٤١ — والرشيد العامرى . الشيخ العدل رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن محمد بن سليمان العامرى الدمشقي البزار (ت ٦٨٢هـ)

---

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١٣١ / ب) ، وذيل طبقات الحنابلة (٣٥٣/٢) ، والوافى بالوفيات (٢٢٧/٢) ، وشذرات الذهب (١١/٦)

(٢) انظر لترجمته : الوافى بالوفيات (٢١٩/٢)

(٣) الحديث الثامن عشر من الأربعين فى الفتاوى (٩٦/١٨)

(٤) الفتاوى (٨٨/١٨ و١٢٠)

(٥) قال شيخ الإسلام : وحدثنى أيضا الشيخ محمد بن أبي بكر بن قوام أنه سمع جده الشيخ أبا بكر بن قوام (الاستقامة ٨٨/١)

سمع دلائل النبوة ، وصحيح مسلم من ابن الحرستانى ، وجزء الأنصارى من الكندى[١] .

سمع منه شيخ الاسلام عام ٦٦٧ هـ وعام ٢٦٩هـ ومن مسموعاته عنه فى الاربعين عدة أحاديث[٢].

٤٢ — وابن عامر : الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن عامر بن ابى بكر الصالحى المقرىء الغسولى، توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ هـ وقد قارب الثمانين ، روى عن ابن ملاعب وجماعـة ، وكان صالحا متواضعا خيّراً حسن الوعظ ، حلو العبارة فى الدعاء[٣].

قرأ عليه شيخ الإسلام سنة ٦٨٢ هـ ومن مسموعاته حديث فى الأربعين بسنده عن الدارقطنى فى فضائل الصحابة[٤] .

٤٣ — وابن الكمال : الشيخ الامام المحدث الزاهد شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن الكمال عبد الرحيم بن عبدالواحد بن احمد بن عبد الرحمن المقدسى الحنبلى (٦٠٧ — ٦٨٨) ، عنى بالحديث ، وجمع وخرج مع الدين المتين ،

---

(١) انظر لترجمتـه : تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) والعبر (٣٤١/٥) وطبعة البسيونى (٣٥١/٣-٣٥٢) والمعين فى طبقات المحدثين (٢١٨) ومرآة الجنان (١٧٨/٤) والنجوم الزاهرة (٣٦١/٧) وشذرات الذهب (٣٨١/٥) .

(٢) أرقام الأحاديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٥ - ٢٨ - ٣٣ الفتاوى (٨٠/١٨ ، ٨٢ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١١٢)

(٣) العبر (٣٥٠/٥) وطبعة البسيونى (٣٥٧/٣) والبداية (٣٠٦/١٣) وشذرات الذهب (٣٨٥/٥) .

(٤) الحديث الثالث والعشرون من الأربعين (الفتاوى ١٠٢/١٨) .

والورع ، والعبادة[١]. سمع منه شيخ الإسلام سنة ٦٨١ هـ[٢].

٤٤ - وقاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي (ت ٧٣٩ هـ) أخو إمام الدين القاضي.

حضر شيخ الإسلام درسه في اليوم الثاني والعشرين من شعبان بالسرورية[٣].

٤٥ - والعلامة الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبد الله المرداوي المقدسي الصالحي الحنبلي المحدث النحوي (٦٠٣ - ٦٩٩هـ) ، درس ، وأفتى وصنف وبرع في العربية واللغة ، واشتغل مدة ، وكان من محاسن الشيوخ[٤].

وقرأ عليه شيخ الاسلام العربية[٥].

---

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١٤١/ب) والعبر (٣٥٩/٥) وطبعة البسيوني (٣٦٧/٣) والمعين في طبقات المحدثين (٢٢٠) والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (١٣٥/١) وذيل طبقات الحنابلة (٣٢٠/٢) والوافي بالوفيات (٢٤٧/٣) والنجوم الزاهرة (٣٨٢/٧) والشذرات (٤٠٥/٥) .
و تصحف في المعين « الكمال » إلى « الجمال » كما ورد في العبر « عبد الرحمن » بدل « عبد الرحيم ».

(٢) الحديث السادس والثلاثون من الأربعين (الفتاوى ١١٦/١٨).

(٣) البداية (٣٣٦/١٣) ، وراجع لترجمته : البداية (١٨٥/١٤) . وذيل العبر للذهبي (١١٣/٤) والنجوم الزاهرة (٣١٨/٩) .

(٤) انظر لترجمته : العبر (٤٠٣/٢ ، وطبعة البسيوني ٤٠٢/٣) ، وتذكرة الحفاظ (١٤٨٦) والوافي بالوفيات (٢٧٨/٣ وذيل طبقات الحنابلة (٣٤٣/٢) والنجوم الزاهرة (١٩٢/٨) وشذرات الذهب (٤٥٢/٥)

(٥) ذيل طبقات الحنابلة (٣٤٣/٢)

٤٦ – وابن القواس: المسند شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائى الدمشقى (٦٠٢ هـ - ٦٨٢ هـ) كان شيخا متميزا حسن الديانة، وله مشيخة خرجها الذهبي[١].
وسمع منه شيخ الاسلام عام ٦٧٥ هـ، ومن مسموعاته عدة أحاديث فى الأربعين[٢].

٤٧ – والشيخ الشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الحرانى الحنبلى (ت ٦٧٥ هـ) كان بارعا فى المذهب والأصول والخلاف، وله حلقة اشتغال بدمشق، وكان موصوفا بجودة المناظرة والتحقيق والذكاء[٣] وصرح شيخ الاسلام بسماعه منه فى الفتاوى[٤].

٤٨ – والجمال ابن الصابونى: الشيخ الإمام المحدث الحافظ المفيد جمال الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن احمد بن على بن الصابونى المحمودى، شيخ دار الحديث النورية (٦٠٤ هـ - ٦٨٠ هـ) سمع من

(١) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) والعبر (٣٤١/٥، وطبعة البسيونى ٣٥١/٣) والنجوم الزاهرة (٣٦١/٧) وشذرات الذهب (٣٨٠/٥).
(٢) انظر: أرقام الأحاديث فى الأربعين (٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٠) فى الفتاوى(١٨/ ٨٠، ٨٢ - ٨٣ - ٨٤، ٨٧)
(٣) انظر لترجمته. العبر (٣٠٦/٥ وطبعة البسيونى ٣٣٠/٣)، والبداية والنهاية (٢٧٢/١٣) والوافى بالوفيات (٧٥/٤) وفوات الوفيات (٤٢٨/٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢٨٧/٢) والنجوم الزاهرة (٢٥٨/٧) وشذرات الذهب (٣٤٨/٥).
(٤) الفتاوى (٣٨٢/٨)

أبي القاسم الحرستاني ، وخلق كثير ، وكتب العالي والنازل ، وبالغ ، وحصل الأصول ، وجمع ، وصنف ، ومن تصانيفه : تكملة إكمال الكمال[١].
وروى عنه شيخ الاسلام ، ومن مروياته عنه في الأربعين عدة أحاديث[٢]

للبحث الصلة

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١٤٩/أ) وتذكرة الحفاظ (١٤٦٤) والعبر (٣٣٢/٥) وطبعة البسيوني (٣٤٦/٣) ودول الاسلام (١٨٤/٢) والمعين في طبقات المحدثين (٢١٧) والوافي بالوفيات (١٨٨/٤ - ١٨٩) ومرآة الجنان (١٩٣/٤) والنجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) ومعجم المؤلفين (٦٢/١١) .

(٢) أرقام الأحاديث : (٢٨ - ٣١ - ٣٤) من الأربعين في الفتاوى (١٠٧/١٨ ، ١١٠ ، ١١٣) .

كنتم خير امة اخرجت للناس

ليس الاسلام دينا ينتقل بالوراثة أو اسما أو قومية بها تكون مسلما وبدونها لا تكون. إنما الاسلام مجموعة من العقائد والعبادات والمعاملات على قدر التزامك بها يكون حظك من الاسلام، سواء تعلق الأمر بفرد أو أمة على السواء. ومن المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وإذا كان الايمان بالله لايزال موجودا بفضله تعالى ولو في حدود، فان واجبي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد انتفيا كليا تقريبا.

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دليل حياة هذه الأمة وسريان الدم في عروقها فاذا توقفا فقد بدأ الموت يتطرق إليها وبدأ الخطر يحدق بها من كل جانب حتى تتناقص أطرافها، وكم من أطراف هذه الأمة انتقصت أو تكاد وإن لم نرجع إلى الصواب فالبقية لاقدر الله تأتي وما مأساة الأندلس منا ببعيد.

نحن أمة كان علينا منذ أول يوم شعرنا فيه بأن الإلحاد بدأ يجد طريقه إلى صفوف شبابنا أن نقيم الدنيا ولا نقعدها ونقيم الحد على من أعلن بذلك وندمغ بالحجة والبرهان من استخفى به وأذاعه سرا ولكننا لم نفعل فشاع فينا الإلحاد.

نحن أمة كان علينا منذ بدأت ظاهرة ترك الصلاة أن نتنبه فنكثف الدروس

فى مساجدنا ومدارسنا ووسائل أعلامنا على أن ترك الصلاة هدم للدين ونعاقب من جحد القيام بها ونقاطع فى الطعام والمعاشرة من تهاون عنها ونرفض تزويج تارك الصلاة ونأبى التزوج بتاركها ولكننا لم نفعل فشاع فينا ترك الصلاة.

نحن أمة كان علينا منذ كشفت فتياتنا زينتهن وخرجن عن حدود الشرع فى لباس المرأة ان تهتز منابرنا بانكار هذا المنكر وتلهج ألسنة علمائنا وأولى الرأى والمشورة فينا بوجوب الالتزام بشرع الله فى اللباس ولكننا لم نفعل وتساهلنا فساءت الأحوال من ترك الحجاب إلى التعرى فى الشواطىء إلى شيوع الفساد إلى شيوع أبناء الزنا مع أن الرسول ﷺ يقول: لاتزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا.

حسب مفهوم الآية الكريمة فنحن أساتذة العلم الذين أمرنا بأمر الناس بالمعروف والنهى عن المنكر. فلما تركنا أستاذيتنا وجرينا وراء الناس نتعلم منهم ما أمرنا بنهيهم عنه بقيت البشرية من دون استاذ يأمرها وينهاها ويبين لها الحق ويكشف لها الباطل ففسدت وشقيت، واحسب أن الله يسألنا ليس عن أنفسنا فقط ولكن كذلك عن هذه البشرية التى ضلت السبيل فإن كان عندنا حرص على آخرتنا فلابد من معاودة الكرة من جديد والتنبيه على هذا الدور الذى كلفنا به من السماء وإلا فقد قال ﷺ «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وإلا ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم وهذا ما نراه فى أكثر ديار المسلمين ان لم نقل كلها.

مع الشكر لمجلة الاصلاح المغربية (عدد رقم ١١/١٤٠٨)

تسهيل المنهج إلى منسك الحج

(ملخص من رسالة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى فى المناسك)

للشيخ محمد عبد الغفور بن حسين الرمضانفورى البهارى

« هذه رسالة قيمة فى سرد هدى النبي ﷺ فى حجه و عمره للشيخ محمد عبد الغفور ابن حسين الرمضانفورى البهارى ، أحد علماء الهند الذى حج عام ١٣٢٣ هـ ، فوجد هناك كتابا للأمير الصنعانى (ت ١١٨٢ هـ) فى مناسك الحج والعمرة ، فلخصه لنفسه ، ثم نشرت هذه الرسالة فى الهند فى عمدة المطابع بلكنهاو باسم : تسهيل المنهج إلى منسك الحج ، ولقبها : بإشاعة السنن المشهورة فى المناسك المأثورة .

وإنى لم أطلع على رسالة الأمير الصنعانى إلا أنى حينما عرضت هذا التلخيص على زاد المعاد لابن قيم الجوزية رحمه الله ، ظهر لى أن أصل كتاب الصنعانى هو ما كتبه ابن القيم فى هدى النبي ﷺ فى الحج والعمرة .

ونظراً إلى أهمية هذا التلخيص الموجز لمناسك الحج والعمرة راجعت نصوصه من المراجع ، وخاصة من « زاد المعاد » وعلقت عليه بقدر الحاجة لنشره فى المجلة تعميما للفائدة ، والله ولى التوفيق » . (الفريوائى)

الحمد لله الذى قال فى كتابه : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا[1]﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد الذى اصطفاه الله للخلق هاديا ودليلا ، وعلى آله وأصحابه الكرام بكرة وأصيلا ، وبعد : فيقول العبد الكثيب

(١) سورة آل عمران : ٩٧

المسكين محمد عبد الغفور بن حسين الرمصانفورى البهارى غفر الله له ، ولوالديه ولإخوانه المسلمين ، وتجاوز عن سيئاتهم أجمعين : قد وفقنى الله رب العالمين لأداء فريضة الحج ، وسنن سيد المرسلين فى السنة الثالثة و العشرين بعد الألف وثلاثمئة من هجرة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين ، حتى وصلت إلى البلد الأمين فى الثالث عشر من شهر رمضان ، وأقمت به بضعا وثلاثة أشهر ، وحينما كنت فى مكة المكرمة دخل عشرة ذى الحجة تذكرت بأنى لم أصطحب معى رسالة فى المناسك المأثورة ، كى أستعين بها على أداء مناسك الحج على طريق السنة السنية المشهورة ، ففحصت رسالة فى هذا الباب عند جميع رفقتى أولى الألباب ، فلم أجد عند أحد منهم سوى أنى وجدت رسالة عند أحدهم لمؤلفها النبيل محى السنة محمد بن إسماعيل الأمير الكحلانى الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢هـ لكن كان فيها شىء من التطويل، فاستعنت بالله الجليل لتلخيصها ، فوفقنى ربى لما أردت ، وما فى سريرى طويت ، ففى ساعة خفيفة لخصتها بحذف الزوائد، وضممت عليها بعض الفوائد حتى صارت من أعظم الخرائد[1] ، وقدكانت لى هادية إلى نمرة ، وعرفات ، وإلى مزدلفة ، ومنى ، ورمى الجمرات أحسن قائد ، فسميتها بتسهيل المنهج الى مسك الحج ، و لقبتها بإشاعة السنن المشهورة فى المناسك المأثورة ، اللهم اجعلها مفيدة مشهورة ، وفى أيدى الناس متداولة منشورة ، وانفع بها الخاص والعام ، واكتب لنا العود إلى بيتك الحرام ، ومدينة نبيك المصطفى خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، والمسئول من الله تعالى حسن الخاتمة والنجاة من الدار الحاطمة .

١ — فصل

كان من هديه ﷺ فى أسفاره قصر الصلاة الرباعية ، و الاقتصار على

(١) جمع الخريدة : أى اللؤلؤة .

الفرائض دون نوافلها إلا سنـــة الفجر ، والوتر ، فإنه كان لا يدعهما ، و صلاة النافلة المطلقة على راحلته .

وكان من هديه ﷺ إذا ارتحل بعد زوال الشمس جمع العصر إلى الظهر، وإذا ارتحل قبله أخر الظهر إلى العصر ، وكذلك المغرب والعشاء ، ولم يثبت عنه أنه صلى الصلاة لأول وقتها مفردة عن الأخرى .

النسك الأول : الإحرام

خرج ﷺ يوم السبت لست بقين من ذى القعدة بعد صلاة الظهر بالمدينة ، فنزل بذى الحليفة ، فصلى بها العصر ركعتين ، ثم صلى المغرب ، والعشـــاء ، وبات بها[1] ، ثم صلى الفجر ، ولما أراد الإحرام اغتسل لإحرامـــه ، ثم طيبته عائشة بيدها بزريرة[2] وطيب فيه مسك فى بدنه ورأسه حتى كأن وبيص المسك يرى فى مفارقـــه ولحيته ، ثم استدامـــه ولم يغسلـه ، ثم لبس إزاره ورداءه ، وصلى الظهر ركعتين . ثم أهل بالحج و العمرة فى مصلاه قائلا فى إهلاله : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك ، لبيك[3] .

وكان ﷺ يقول : لبيك عمرة وحجا ، ويرفع صوته بالتلبية ويأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بها[4] .

ويلبى إذا لقى ركبانا ، أو علا أكمـــة ، أو هبط واديا ، و فى أدبار

(١) أخرجه البخارى من حديث أنس (٣/ ٣٢٤) .
(٢) الزرير : نبات له نور أصفر يصبغ به (اللسان ٤/ ٣٢٣)
(٣) أخرجه الدارقطنى (٢/ ٣٢٦) وعنه نقله ابن القيم فى زاد المعاد (٢/ ١٠٧) .
(٤) انظر : زاد المعاد (٢/ ١٥٩) .

المكتوبات ، و أواخر الليل ، و لم يزل يلبي حتى رمى الجمرة العقبة ، وقلد ﷺ قبل الإحرام بدنته بنعلين ، و أشعرها فى جانبها الأيمن ، فشق سنامها ، وسلت الدم عنها .

فلما نزل بسرف ، قال ﷺ : من كان معه هدى ، فليهل بالحج و العمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا إذا بلغ الهدى محله يوم النحر .

٢ — فصل

وحرم الله تعالى على المحرم الرفث ، والفسوق ، والجدال .

أما الرفث فيطلق ، ويراد به الجماع ، ويطلق و يراد به الفحش ، و يطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع ، وبالجملة فيحرم الجميع .

ثم حرم الله تعالى على المحرم صيد البر ما دام محرما .

ويحرم عليه النكاح بأن يعقد لنفسه أو لوليته لغيره ، ويحرم عليه خطبة .

و المحرم عليه من الطيب هو ما تطيب به بعد إحرامه ، لا ما فعله ابتداء عند إرادة الإحرام ، وبقى أثره لوناً وريحاً ، وقد نهى ﷺ عن تطييب من مات محرما ، و قال : لايلبس المحرم القميص ، ولا العمامة ، ولا البرنس، ولا السراويل ، ولا ثوبا مسه ورس ، أو زعفران ، ولا الخفين ، إلا أن لا يجد نعلين فليقطعهما ، حتى يكونا أسفل من الكعبين[1] ، ولا تلبس المحرمة القفازين ، والنقاب ، وما مسه الورس والزعفران من الثياب ، وما عدا ذلك مباح لها .

٣ — فصل

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذاطوى ، بات ليلته ، و صلى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه . فنهض إلى مكة ، ودخلها نهارا من وجه الكعبة من الناحية

---

(١) أخرجه البخارى (٣/ ٤٠١) ومسلم كلاهما فى الحج (٢/ ٨٣٥) .

العليا التى فيهـا اليوم باب المعلاة ، ثم دخل المسجد وقت الضحى من باب بنى شيبة وهو اليوم يعرف بباب السلام[١] .

٤ — فصل

وأنه ﷺ لمـا رأى البيت رفع يديه ، وكبر ، وقال : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، حينـا ربنا بـالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من حجه ، واعتمره تكريما ، وتشريفا ، وتعظيما ، وبرا[٢] .

النسك الثانى . الإحرام

فلما دخل ﷺ المسجد الحرام بدأ بطواف العمرة ، ولم يصل تحية المسجد ، فلمـا حاذى الحجر الأسود استلمـه ، ولم يقل : نويت طوافى لك ، ولا افتتح بالتكبير[٣] ، ثم جعل البيت عن يساره يرمل فى الثلاثة الأول من الأشواط السبعة ، ويستلم الركن اليمـانى ، و الحجر الأسود لا غيرهما قـائلا : بسم الله ، الله أكبر ، ولم يحفظ عنه دعاء معين فى الطواف إلا أنـه قال بين الركنين : ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار[٤]﴾ ، [٥]وفى الطواف : اللهم قنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبـة لى بخير ، وهذا الموضع موضع دعاء ، فيتخير العبد فيه ما شاء .

---

(١) انظر زاد المعاد (٢/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٢) أخرجـه الطبرانى و قال : ابن القيم : وهو مرسل ، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنـه قوله . (زاد المعـاد ٢/ ٢٢٤) وأثر عمر أخرجه البيهقى (٥/ ٧٣) بسند حسن .

(٣) قال ابن القيم : بل هو من البدع المنكرات (زاد المعاد ٢/٢٢٥) .

(٤) سورة البقرة : ٢٠١

(٥) انظر : زاد المعاد (٢/ ٢٢٥) .

وثبت عنه فى استلام الحجر الأسود ثلاث صفات : أحدها : تقبيله ، وثانيها : أنه وضع اليد عليه ، ثم قبلها ، وثالثها : أنه أشار إليه بالمحجن[١]، وقبل المحجن .

فلما فرغ ﷺ من طوافه ، أتى مقام إبراهيم عليه السلام ، والمقام بينه وبين البيت ، فقرأ ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى[٢]﴾ وصلى فيه ركعتين جهرا ، فقرأ فيهما بعد الفاتحة فى الأولى الكافرون ، وفى الثانية الإخلاص ، فلما فرغ منهما أتى إلى الحجر الأسود ، فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا .

النسك الثالث : السعى

فلما دنى ﷺ من الصفا قرأ : ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله[٣]﴾ ثم قال : ابدأ بما بدأ الله به ، وفى رواية : ابدؤا ، ثم رقى عليه ، فاستقبل البيت ، فوحد الله وكبره ، وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا ، وقال هذا ثلاث مرات ، يدعو بين ذلك .

ثم نزل إلى المروة يمشى ، وكلما وصل إلى المروة رقى عليها ، واستقبل البيت ، وكبر الله ووحده ، وفعل كما فعل على الصفا ، حتى ختم السابع على المروة ، ولم يحلق الرأس ، بل بقى على إحرامه لأنه كان قارنا ، وأمر ﷺ من لم يكن ساق الهدى أن يحل ، فحل من لم يكن ساق الهدى ، وجعله عمرة . وقال للمتمرين : أن يهلوا بالحج يوم التروية ، وليهدوا يوم النحر ، فمن لم يجد منكم هديا فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

(١) كل معوج الرأس كالصولجان (المعجم الوسيط)
(٢) سورة البقرة : ١٢٥
(٣) سورة البقرة : ١٥٨

٥ ـ فصل

ثم أقام ﷺ محرما بمكة فى الموضع الذى نزل فيه ، يصلى بالناس قصرا فى مكانه ، ولم يأت المسجد الحرام للصلوات .

٦ ـ فصل

فلما كان يوم التروية نهض بمن معه إلى منى بلا طواف ، ولا سعى ، ونزل بها ، وصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وبات بها ، فلما صلى الفجر ، وطلعت الشمس يوم عرفة نهض ﷺ سائرا إلى عرفات ، آخذا على طريق ضب ، وكان أصحابه (رضى الله عنهم) معه ، منهم الملبى ، ومنهم المكبر ، وهو يسمع ، لا ينكر ، حتى نزل بنمرة حيث ضربت قبته ، وهى قرية شرق عرفة ، وهى اليوم خراب فلاة .

٧ ـ فصل

ثم إنه ﷺ بقى فى نمرة حتى زالت الشمس ، ثم أمر بناقته القصواء فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى ، فخطب الناس وهو على راحلته خطبة واحدة بليغة ، فلما أتمها أمر بلالا ، فأذن ، ثم أقام ، فصلى الظهر ركعتين ، أسر فيهما بالقراءة ، وكان يوم الجمعة ، ثم أقام ، فصلى العصر ركعتين ، ولم يصل قبل صلاة الظهر ، ولا بينهما شيئا ، وصلى بصلاته أهل مكة قصراً وجمعا .

٨ ـ فصل

ولم ينقل عنه ﷺ فى الحج إلا ثلاثة أغسال : غسل الإحرام ، والغسل عند دخول مكة ، والغسل يوم عرفة ، وما سوى ذلك فليس له أصل .

النسك الرابع : وهو الوقوف

فلما فرغ من صلاته ، أتى الموقف ، فوقف فى ذيل الجبل عند الصخرات ،

وقال : « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف[١] ».

ثم استقبل القبلة ، وكان على بعيره ، فرفع يديه إلى صدره ، وأخذ فى الدعاء والابتهـــال والتضرع إلى غروب الشمس .

وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة[٢] .

وذكر من دعائه فى الموقف : اللهم لك الحمد كالذى نقول ، وخيرا مما نقول ، اللهم لك صلاتى ، و نسكى ، و محياى ، ومماتى ، وإليك مـآبى ، ولـك ربى تراثى ، اللهم إنى أعوذ بك من عـذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، و شتات الأمر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما تجىء به الرياح[٣].

اللهم إنك تسمع كلامى ، وتـرى مكانى ، وتعلم سرى ، وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء مـن أمرى ، وأنـا البـــائس الفقير ، الخـــائف ، المستجير ، الوجل ، المشفق ، المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الحج (رقم ١٢١٨) .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١/ ٤٢٢) مرسلا ، وله شاهد عند الترمذى (٣٥٧٩) من حـديث عمرو بن شعيب عن أبيـه عن جده ، وفى سنده محمد بن أبى حميد ليس بالقوى لـكنه حسن فى الشواهد .

(٣) أخرجه الترمذى فى الدعوات (رقم ٣٥٢٠) وقال : غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوى .

(٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير والـكبير وفيه يحيى بن صالح الأيلى قال العقيلى : روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح قالـــه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٢) .

وقال ﷺ : أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبلى يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى صدرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأعوذبك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار، ومن شر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر[١].

٩ ــ فصل: فى الإفاضة من عرفة

فلما غربت الشمس ، واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة ، أفاض ﷺ من عرفات بالسكينة على طريق المأزمين[٢] وهو طريق الناس اليوم ، وقال : « أيها الناس ! عليكم بالسكينة ، فان البر ليس فى الايضاع ».

ثم جعل يسير العنق ليس فى البطىء ولا المسرع ، فاذا وجد فجوة نص[٤] فيها .

السك الخامس . المبيت بمزدلفة

ثم سار ﷺ حتى أتى بمزدلفة ، فتوضأ ، ثم أمر بالأذان ، فأذن المؤذن، ثم

(١) أخرجه البيهقى (٥/ ١١٧) من حديث على ، وفيه انقطاع ، وفى سنده أيضا موسى ابن عبيدة الربذى وهو ضعيف وقال ابن القيم بعد أن أورد هــذه الأدعيــة : وأسانيد هذه الأدعية فيها لين (زاد المعاد ٢/٢٣٨) .

(٢) بفتح الميم ، وإسكان الهمزة وكسر الزاى ، تثنيــة مأزم ، موضع معروف بين عرفة والمشعر .

(٣) أخرجه البخارى فى الحج (٣/ ٤١٧) ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر، والايضاع بمعنى الإسراع

(٤) أي رفعه فوق ذلك .

أقام ، فصلى المغرب قبل حط الرحال ، فلما حطوا رحالهم ، أمر، فأقيمت الصلاة ، ثم عشى الآخرة بإقامة بلا أذان ، ولم يسبح بينهما ، ولا على اثر كل واحدة منهما ، وقال : « وقفت ههنا ، وجمع كلها موقف » .

ثم أقام بها ليلته إلى أن طلع الفجر، فصلى الفجر فى أول الوقت بأذان وإقامة .

النسك السادس : المرور بالمشعر الحرام

فلما فرغ ﷺ من صلاة الفجر ركب راحلته حتى أتى مشعر الحرام ، فاستقبله ، وأخذ فى الدعاء ، والتضرع ، والتكبير ، والتهليل، والذكر حتى أسفر جداً ، وذلك قبل طلوع الشمس، وهو نص القرآن ، وسنة رسول الله ﷺ ، ولكنه صار اليوم شرعاً مسوخا فلا يقف أحد عنده ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

١٠ — فصل

ثم سار ﷺ مردفا للفضل بن عباس ، وعند ذلك أمره أن يلتقط حصى الجمار سبع حصيات مثل حصى الخذف ، وقال للناس : « بأمثال هؤلاء فارموا[1] » ، ولم يلتقطها من الليل ، ولا كسرها من الجبل[2] . فلما أتى بطن محسر، حرك راحلته ، وأسرع السير ، وسلك الطريق الوسطى بين الطريقين ، وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى .

---

(١) وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين . وهو حديث صحيح ، أخرجه أحمد (١/٢١٥و٣٤٧) والنسائى (٢٦٨٥) وابن ماجه (٣٠٢٩)

(٢) قال ابن القيم : ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ، ولا التقط بالليل (زاد المعاد ٢/ ٢٥٤) .

السك السابع : رمى جمرة العقبة

إنه ﷺ أتى جمرة العقبة ، فوقف فى أسفل الوادى ، جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، ثم استقبل الجمرة وهو على راحلته، فرماها راكبا بعد طلوع الشمس سبع حصيات ، واحدة بعد واحـــدة ، يكبر مع كل حصاة ، وعند ذلك قطع التلبية .

١١ ـــ فصل

ثم رجع ﷺ إلى منى ، فخطب الناس خطبـــة بليغة ، وهنالك قيل له ﷺ فى الرمى ، والذبح ، والحلق فى التقديم والتأخير ؟ فقال : لا حرج[١].

١٢ ـــ فصل

ثم انصرف ﷺ إلى المنحر ، فذبح فى المنحر بمنى ثلاثا و ستين بدنة بيده ، وأعلمهم أن منى كلها منحر ، و أن فجاج مكة طريق و منحر ، وقـال : « فانحروا فى رحالكم[٢]»

السك الثامن : وهو الحلق والتقصير

ولما فرغ ﷺ من نحر بدنه ، دعا بالحلاق فأشار إليـــه ، فحلق رأسه من جانبه الأيمن ، ثم من جانبه الأيسر ، ودعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثا ، وللمقصرين مرة .

النسك التاسع : طواف الزيارة ويسمى الإفاضة

(١) أخرجه البخارى (٣/ ٤٥٤ و٤٥٦) ومسلم (١٣٠٦) كلاهما فى الحج من حديث عبد الله بن عمرو .
وأخرجه البخارى (٣/ ٤٥٣) من حديث ابن عباس .
وأخرجه أبو داود فى المناسك (٢٠١٥) من حديث أسامة بن شريك .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر (٢/ ٨٩٣) .

ثم إنه ﷺ أفاض إلى مكة قبل الظهر ، أي، وطاف طواف الإفاضة ، ولم يطف غيره ، ولم يسع ، وكذلك الذين جمعوا الحج والعمرة ، فإنهم طافوا طوافاً واحداً ، ثم صلى ركعتين على الصفة التي ذكرت في النسك الثاني .

ثم أتى زمزم ، وهم يسقون ، ثم ناولوه الدلو فشرب قائماً[١] .

١٣ — فصل

وأنه ﷺ لم يدخل البيت في حجته ، ولا في شيء من عمره الثلاث ، بل لم يثبت بدخوله إلا في عام الفتح[٢] .

السك العاشر : المبيت بمنى

ثم إنه ﷺ رجع إلى منى ، فصلى الظهر بمنى في القول الراجح ، فبات بها .

السك الحادى عشر

فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت ، مشى من رحله إلى الجمار ، ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الأولى ، فرماها بسبع حصيات ، واحدة بعد واحدة يقول مع كل واحدة : الله أكبر ، ثم تقدم على الجمرة أمامها ، فقام مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو طويلا بقدر سورة البقرة ، ثم أتى الجمرة الوسطى، فرماها كذلك ، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادى ، فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول ، ثم أتى جمرة العقبة فاستبطن الوادى ، واستعرض الجمرة ، فجعل البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات

(١) أخرجه البخارى (٣/٣٩٤ و١٠/ ٧٤ و٧٥ ، من حديث ابن عباس وأخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر دون قوله « وهو قائم » .
(٢) انظر زاد المعاد (٢/ ٢٩٧) .

كذلك[١].

ولم يرمها من أعلاها[٢]، ولا جعلها عن يمينه.

ورجع من فوره، ولم يقف عندها.

ثم رمى فى اليوم الثانى من منى مثل ما رمى فى الأول.

١٤ — فصل

خطب ﷺ فى أوسط أيام التشريق خطبته نحو خطبته يوم النحر، وكان يصلى بالناس قصراً بلا جمع بمنى.

١٥ — فصل

رفع ﷺ يديه للدعاء ست مواضع: الأول الصفا، الثانى: على المروة، الثالث: بعرفة، الرابع: بمزدلفة، الخامس: عند الجمرة الاولى، السادس: عند الجمرة الثانية[٣].

١٦ — فصل

ولم يتعجل ﷺ فى يومين، بل أكمل الأيام الثلاثة، ففى اليوم الثالث بعد زوال الشمس رمى الجمار الثلاث، ثم أفاض إلى المحصب، وهوا لأبطح، فوجد قبة قد ضربت هناك، فصلى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

النسك الثانى عشر: طواف الوداع

ثم إنه ﷺ قد رقد رقدة خفيفة فى المحصب، ثم نهض إلى مكة، فطاف

(١) أخرجه البخارى فى الحج (٣/ ٤٦٤ و٤٦٥) من حديث ابن عمر، وأخرجه هو (٣/ ٣٦٣ و ٣٦٤) ومسلم فى الحج (١٢٩٦) من حديث ابن مسعود.

(٢) وفى زاد المعاد بعده: كما يفعل الجهال (٢/ ٢٨٦).

(٣) انظر زاد المعاد (٢/٢٨٧ و ٢٨٨).

للوداع ليلا سحرا، ولم يرمل، وصلى الفجر فى المسجد[١]، وقرأ بالطور وكتاب مسطور.

ثم نادى بالرحيل، فارتحل راجعاً إلى المدينة، فلما أتى ذا الحليفة، بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، آئبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دخلها نهارا،

١٧ — فصل

وكان من هديه ﷺ إذا رجع من سفره بدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين، وكان يأمر أصحابه رضى الله عنهم بذلك.

نسأل الله الاهتداء بهدى رسول الله ﷺ، والاتباع لسنته، وأفضل السنن سنته، وخير الهدى هديه.

خاتمة فى شد الرحال إلى مسجد المدينة المنورة

ويدخل فيه الزيارة، قال النبي ﷺ: لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا[٢].

فإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده - وهذا أولى منه - فانه يأتى مسجد النبي ﷺ، فإن كان وقت الصلاة يصلى فيه، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام[٣]، ثم يسلم على النبي ﷺ وضجيعيه مستقبل

(١) انظر صحيح البخارى (٣٨٩/٣) و٣٩٠ وزاد المعاد (٢/ ٢٩٩).

(٢) حديث متواتر، وقد توسعت فى تخريجه فى كتابى «تحفة الراكع والساجد فى شرح حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(٣) كما ورد فى حديث أبي هريرة عند البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة =

الحجرة ، فإنــه قد قال : « ما من رجل يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام[١]» .

وكان عبــد الله بن عمر إذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا ابتى ، ثم ينصرف[٢] .

وهكذا كان الصحابة يسلمون عليــه ، وكذلك إذا صلى مع السلام عليه ، فهذا كله ما أمر الله به ورسوله حيث قال الله تعالى : ﴿صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

وقال النبي ﷺ : صلوا عليّ فان صلاتكم تبلغنى[٣] .

والباقى فى الرسالة الأخرى التى فيهــا توضيح ما أجملتــه فى رسالتى هذه وهــذا آخر ما أردت إيراده ، وصلى الله تعالى على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين . (آمين) ●●

= والمدينة (٣/ ٦٣) ومسلم فى الحج (٢/ ١٠١٢ - ١٠١٣) وغيرهما ، وعــده الكتانى من الأحاديث المتواترة (رقم ٥٨) ، وقد توسعت فى تخريجه فى كتابى : شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٥٥٦) .

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧) وأبو داود (٢/ ٥٣٤) من حديث أبى هريرة ، وقــد حسنه غير واحد من أهل العلم مثل شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، والألبانى وقد توسعت فى تخريجــه و ذكر كلام أهل العلم حول الحديث فى كتابى : شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٦٩٢)

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١/ ١٦٦) واسماعيل القــاضى فى فضل الصلاة على النبى ﷺ (رقم ٩٨) والبيهقى (٥/ ٢٤٥) وإسنــاده صحيح . وراجع : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٧٠٣) .

(٣) ورد فى هذا الباب عدة أحاديث قال شيخ الاسلام : هذه الأحاديث المعروفــة عند أهل العلم التى جاءت من وجوه حسان يصدق بعضهــا بعضا (الصارم المنكى ٢٦٢) . راجع شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٦٩٣)

من تراثنا:

تعريف بكتاب
« اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا »

الدكتور محمد لقمان السلفى
++++++++++++++++

إن السنة النبوية الشريفة مصدر ثان من مصادر التشريع ، وبها نعلم كثيرا من الأحكام ، ونطلع على تفاصيل العبادات التى فرضها الله تعالى على العباد ، بين النبي ﷺ بالسنة ما نزل اليه ، ونطق القرآن الكريم بوجوب اتباع هذه السنة وبأهميتها فى باب التشريع والتربية . ومن هنا تركز اهتمام المسلمين فى كل عصر حول السنـــة ، فحفظوها وعضوا عليها بالنواجذ ونشروها بين الناس ووضعوا القواعد والفنون للحفاظ على هذا التراث الغالى المهم .

ونظرا الى أهمية السنة هذه وضرورة نشرها والدفاع عنها تفرغ لها علماء المسلمين ، فألفوا الكتب ، ونظموا حلقات الدرس ، حتى تتجلى أهميـة السنـــة وتتبين حجيتها فى الأحكام ، ويتم تفنيد المزاعم والشبهات التى تثار حول هـذا المصدر التشريعى المهم .

والسنـــة عبر التاريخ تعرضت لمطاعن أهل الأهواء والضلالات ، وأجاد علماء الاسلام فى الرد على هذه المطاعن ، وفى نفس الوقت بذلوا جهوداً طيبـــة فى خدمة السنة ، وقدموا دراسات موضوعية تكفلت ببيان مكانة السنة وضرورة

العودة إليها فى التشريع . وفى العصر الحديث ، حيث قامت نهضة علمية فى البلدان الاسلامية ، اهتم العلماء بدراسة السنة أيضا ، وجامعات العالم الاسلامى ساهمت فى هذا المجال مساهمة فعالة ، وخاصة جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الأزهر . فقد انكب طلبة العلم على تراث السنة الشريفة ، وأخرجوا الى النور كثيرا من مخطوطات الحديث بعد التصحيح والتعليق وقدموا لمؤلفيها وعرفوا بمكانتها وأهميتها .

وكذلك تم التأليف حول كثير من الموضوعات التى تعلقت بالسنة ، مثل أهمية السنة وحجيتها ، وحفظها وتدوينها ، وتاريخها وتطور المؤلفات والمجاميع فيها ، وشروط الأئمة المؤلفين فيها ، ومراتب الكتب التى ألفت فيها ، وأصول الرواية والدراية ومدى أهميتها ، وأهمية منهج المحدثين فى نقد الروايات والحكم على الرواة ، وما إلى ذلك . وهناك كثير من الموضوعات التى أجريت حولها الدراسات وتمت مناقشتها فى المؤتمرات والندوات التى انعقدت على الصعيد العالمى أو على مستوى العالم الاسلامى .

وقريبا ظهر كتاب قيم يتناول جهود المحدثين فى نقد الحديث باسم « اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم » من تأليف الدكتور محمد لقمان السلفى .

يقع هذا الكتاب فى ٥٨٤ صفحة ويستحق أن نعرف به تعريفا وافيا ، ولكن أكتفى الآن بالسطور التالية :

إن أهمية الدراسة التى قام بها الدكتور محمد لقمان تأتى من النواحى العديدة :

١ — ان الباحث ينتمى الى جماعة أهل الحديث بالهند ، وإن هذه الجماعة قد دخلت معارك حامية ضد منكرى حجية السنة فى شبه القارة ، وتتبعت خطواتهم ، وفندت مزاعمهم ، حتى أثبتت بالأدلة والبراهين أن السنة الشريفة مصدر من

مصادر التشريع ، ودون الاهتداء بها لا يمكنها العمل بالشريعة الاسلامية

٢ — وأنه بصفة انتمائه الى الهند قد اطلع على معظم ما كتب باللغة الأردية حول حجية السنة وشبهات أهل الأهواء بهذا الصدد ، كما أنه تعمق فى المصـادر المتوفرة باللغة العربية وكذلك باللغة الانجليزية .

٣ — وأنه أحاط بكثير من الملابسات التاريخيـــة التى مرت بها حركة انكار السنة فى شبه القارة الهندية ، وتتبع المراحل والتطورات التى طرأت على هذه الحركة ، و كيف ان النقاش طال و تعقد بين علماء أهل السنة و بين الفرق الضالة والشخصيات المنحرفة التى خرجت على السنة وحاولت بذلك تشويه معالم الشريعة الاسلامية والنيل من سموها وكمالها ، وكيف ان أهل الأهواء والأغراض انسحبوا من الساحة صاغرين خاسئين .

٤ — وأنه أسس دراسته على أسس ثابتة ، فقد تناول بدقة وعمق المراحل التى مر بها علم نقد الحديث الى أن وصل إلى مرحلة التدوين ، وتكلم على المؤلفات الشهيرة فى هذا الباب وعلى الشخصيات التى ساهمت فيه ، وســاق النصوص من المصادر ليبرهن على حرص المحدثين على نقـد الحديث و شدة عنايتهم بالتمحيص والانتقاء حتى يبقى تراث السنة خالصا من الشوائب يهتدى به المسلمون فى كل عصر .

٥ — وأنـه خصص بابا مستقلا لعرض مزاعم المستشرقين ومن تبعهم ، ثم تولى الرد عليهم بالأدلة العلمية ، وكشف حقيقـة ادعائهم بأنهم لا يتبعون إلا المنهج العلمى ولا يهدفون إلا الى الوصول الى النتائج السليمة التى يقرها المنطق والعقل !

ولا شك أن هذا الباب يعد أنفع وأهم لكل من يريد الاطلاع على المطاعن الموجهة الى السنة ، وعلى الكتابات التى فندت هذه المطاعن .

٦ — ولابراز الرواسب التاريخية لحركة الاساءة إلى مكانة الصحابة وإلى

السنة النبوية أشار المؤلف الى دور ابن سبأ ومن تبعه من الروافض عن تعمد الكذب على النبي ﷺ وإثارة الفتن بين جماعة المسلمين.

٧ — ان الطاعنين فى السنة النبوية يدعون أنهم اذ يتكلمون حول السنة لا ينتهجون إلا المنهج العلمى ولا يريدون إلا الموضوعية و الحياد!

ولكشف هذا التضليل وخبث نوايا أعداء السنة يقول المؤلف:

«لقد تأكد عند المستشرقين والمبشرين — وهم من أكبر أعداء السنة — أن السنة هى المصدر الثانى للشريعة الاسلامية، وأنه لا يمكن الوصول الى الأهداف الذميمة التى قصدوها إلا اذا هدم هذا المصدر... ولذلك حاولوا قبل كل شىء أن يلقوا فى الأذهان أن أعمال الرسول ﷺ وتوجيهاته وقيادته انما كانت صالحه لفترة الجاهلية، وتلك المرحلة قد انتهت وليس من الاصلاح أن تصحب توجيهات الرسول الى العصر الحاضر، فشتان بين العصرين. ثم تدرجوا الى الأمام وأرادوا أن يبحثوا عن مطاعن فى الحديث النبوى، وحاولوا إقناع قرائهم أن الأحاديث متناقضة الخ».

٨ — عناية المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا كانت مضرب المثل، ومنهجم فى الجرح والتعديل كان منهجا فريدا، ولذا اضطر بعض المنصفين للاعتراف بذلك، ولكن هناك ناس يزعمون أن المحدثين اعتنوا بناحية السند فقط وأهملوا ناحية المتن!

يرد الدكتور محمد لقمان على هذا الزعم فيقول:

«أثبت بالدلائل العلمية أن المتن هو الذى كان محور نقد المحدثين، وأن السند والمتن جزءان لا يتجزءان من علوم الحديث و نقده، وأن جميع العلوم الخاصة بنقد الحديث روعى فيها نقد المتن تماما، كما روعى فيها نقد السند».

٩ — ولإعطاء الخلفية التاريخية لفتنة إنكار السنة قال المؤلف ·

« ماتت الفتنة بنهاية القرن الثالث الهجرى ، و ظلت مقبورة حتى أحياهـا من جديد أناس فى البلدان العربية وأشخاص فى شبه القارة الهندية » .

أثارها فى البلاد العربية توفيق صدقى وأحمد أمين واسماعيل أدهم وأبورية وأصبحت مؤامرة محبوكة فى شبه القارة الهندية و اتخذت طابع جماعة منظمة منذ أوائل هذا القرن .

وعن علاقة الاستعمار الانجليزى بالقضية يقول الدكتور محمد لقمان :

« ولا يخفى على من لديه إلمام بمؤامرات الاستعمـار الانجليزى فى البلدان الاسلاميـــة أنه كلما دخل بلدا اسلاميا سعى للتفريق بين المسلمين و اتخذ جميع السبل الممكنة لهذا الغرض . ومن سوء طالع المسلمين فى القارة الهنديـــة أنهم ابتلوا بهذا النوع من المؤامرات أشد مما وجدت فى البلدان الاسلامية الأخرى . ففيها وجدت القاديانية التى طهر للعالم كله سوء طويتها وهدفها الخفى وهو التفريق بين المسلمين . والبريلوية التى لم تكن إلا غرسا للاستعمار ، ولم تختلف أهـــدافها من الفئة التى سبق ذكرها . ثم أوجد الاستعمار فرقة أهل القرآن ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغريبة عن الاسلام . وقد اختار الاستعمار منهم أفرادا وجد فيهم الانحراف عن الدين و التحلل عن المثل العليـا ، ليكونوا عملاء يشرون هذه الأفكار بين المسلمين ويخدمون الأهـداف المشبوهـــة للاستعمار .

ويمكن أن نمثل لهذا بالسير سيد أحمد خان الذى لقبه الانجليز بنجم الهند، ولقبوا نذير أحمد أحد أعضاء حركة أهل القرآن بشمس العلماء . وكذلك عبدالله الجكرالوى و أمثاله الذين رباهم الانجليز لخدمة أهدافهم فحظوا بحظوظ وافرة دنيوية من الانجليز » .

١٠ — وفى خاتمة الكتاب أشار المؤلف الى خلاصة دراسته فقال :

« وبهذا عرفنا أن السنة النبوية حفظت بحفظ الله لها ، ووصلت الينا صافية نقية من كل الشوائب والشكوك ، اذ قيض الله لها الأئمـــة العظام الذين سلكوا المنهج القويم المتضمن نقد السند والمتن بكل ما تعنى الكلمة من المعانى والمفاهيم ، فميزوا صحيحها من سقيمها . وجمعوا الأحاديث الثابتة الصحيحة فى مجموعات حديثية قبلتها الأمة بالاجماع مصدرا لتشريعها ومأخذا لجميع الخيرات الدنيوية الأخروية.

وأن الشبهات التى تثار ضدها من قبل أعـــداء الإسلام أو أبنائه المغترين لا تقوم فى وجه الدليل والاحتجاج العلمى أدنى قيام ، وأنها أغاليط وتمويهات تنكشف وتزول عند ما تواجـــه المنهج العلمى الأصيل الـــذى هو منهج النقد عند المحدثين » .

وحتى تحصل للقراء الكرام فكرة إجمالية عن محتوى هذه الدراسة القيمـــة أسرد موجزا عن الكتاب فى السطور التالية .

يحتوى هذا الكتاب على مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المدخل فقد تضمن سبعة مقاصد ، وفى الباب الأول أربعـــة فصول ، وكذلك فى الباب الثانى ، أما الباب الثالث ففيه ثلاثة فصول .

وفى المقصد الأول من المدخل أورد المؤلف توجيهات من القرآن الكريم والسنة النبوية للدلالة على أن رواية الحديث وتلقيه عن الآخرين يحتاج الى كثير من التحرى والتثبت والدقة .

ثم ساق أسماء بعض الصحابة مرتبة حسب السنين ، وبين ايثـــارهم مسلك التثبت من صحة النقل والتحرز من الوهم واثارة الشبه حول بعض الروايات .

وفى المقصد الثانى ألقى الضوء على نشأة علم الحـــديث ، وأسباب الاهتمام بهذا النقد ، وكيف كان هذا النقد فى دور التابعين ، وأتبـــاعهم ، وكيف ظهرت التقعيدات العامة للنقد .

والمقصد الثالث يتناول تكامل علم نقد الحديث . وفى النقطة الثانية من هذا المقصد أورد المؤلف النتائج العلمية لدراسته لحياة الأئمة النقاد من أتباع التابعين ، ولخص هذه النتائج فى أربع نقاط وصل بعدها الى أن أتباع التابعين أخذوا علم الأصحاب وعلم التابعين وزادوا عليه ما اجتمع لديهم من خبرتهم الشخصية ومعرفتهم للرجال .

وفى نهاية هذا المقصد أورد المؤلف الجدول البيانى لأئمة النقد فذكر سبعين اماما كان اهم دور عظيم فى جمع السنن من الأمصار وإطلاق الجرح على المتروكين والقدح على الضعفاء وبيان كيفية أحوال الثقات والمدلسين والأئمة والمتروكين .

وفى المقصد الرابع أجمل المؤلف الكلام عن المراحل الاربع التى مربها تدوين النقد وهى مرحلة النشأة ، ومرحلة انفصال علوم النقد عن كتب الحديث ، ومرحلة انفصال مادة العلل عن مادة نقد الرجال ، ومرحلة التدوين . وفى هذا المقصد بين سبب تأخر تدوين علوم النقد فقال :

« انه أمر طبيعى جدا أن يتأخر تدوين ما كان يتعلق بالنقد عن تدوين الاحاديث النبوية ، اذ ان وجود تلك الآراء كان تابعا للأسباب والدواعى التى تأخرت عن وجود الحديث ، الا وهى الكذب على رسول الله ﷺ والتساهل فى أخذ أحاديثه والغفلة والسهو وما تبع ذلك من الانقطاع والإرسال والتدليس وغيرها » .

والمقصد الخامس يوضح الخطوات التى سار عليها النقاد ، وقد تضمن مبحث مراعاة العقل فى قبول الحديث ورفضه ، وهذه النقطة مهمة جدا ، فان بعض الناس انخدعوا بكلمة « مراعاة العقل » وفسروها تفسيرا خاطئا جدا .

و المقصد السادس تضمن الأسس المبدئية لقواعد النقد ، والقواعد العامة للنقد ، واسباب الجرح فى الضعفاء.

وذكر فى المقصد السابع خطوات الجهود النقدية وآثار هذه الجهود.

أما أبواب الكتاب فقد بدأ المؤلف الباب الأول بتوطئة عن الاسناد وأهميته ، ثم تكلم فى الفصل الأول عن العدالة ، وفى الفصل الثانى عن الضبط ، وفى الفصل الثالث عن الاتصال والانقطاع وطرق تحمل الحديث ، وفى الفصل الرابع عن الشذوذ ،

وبدأ الباب الثانى بتوطئة عن اهتمام المحدثين بنقد المتن ، ثم تكلم فى الفصل الأول عن العلة وقواعد إدراكها ، وفى الفصل الثانى عن الشذوذ ، وفى الفصل الثالث والرابع عن الموضوع ومعرفته.

أما الباب الثالث فانه مخصص للرد على مزاعم المستشرقين وأتباعهم ، وخاصة الزعم بأن المحدثين لم يهتموا بنقد متن الحديث . وهذا الباب جديد نافع مهم .

وفى الخاتمة أورد المؤلف النتائج التى وصل اليها بعد الدراسة التى قام بها حول موضوعه .

وإذ أهنىء المؤلف الفاضل على هذه الدراسة النافعة أسأل الله تعالى أن يكتب لها الانتشار والقبول وينفع بها الاسلام والمسلمين ويوفق الباحث لمواصلة الجهود فى خدمة السنة النبوية الشريفة فان العصر بحاجة ماسة الى ذلك . صلى الله تعالى على رسوله خاتم الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين . . .

(اعداد : مقتدى ياسين الازهرى)

فى ١٠ شعبان ١٤٠٨ هـ

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول — ذوالقعدة ١٤٠٨ ﻫ

العدد الخامس — يوليو ١٩٨٨ م

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية. فى الخارج ٢٠ دولارا (بالبريد الجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات }

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

مواجهة التحديات المعاصرة لا تتيسر إلا بتربية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيحة

د . مقتدى ياسين الأزهرى

من سمو الاسلام وكماله أن ينتهج طريقة فطرية سليمة فى تربية الأفراد والجماعات على فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق وعلى العقيدة الحقة والسلوك القويم ، فيركز على العناية بأمور العقيدة والايمان ، ويطالب العبد بالاخلاص فى تحقيق توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وبالاجتناب عن الشرك والبدع والخرافات التى تحبط الأعمال وتؤدى الى الخسران ، ثم يرشد الى التحلى بفضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق .

والتوجيهات الاسلامية الخاصة بناحية العقيدة و العمل موضحة كل التوضيح فى نصوص الكتاب والسنة . ومواقف علماء الحق نحو هذه النصوص وشرحها وتطبيقها مقنعة كل الاقناع ومؤيدة بالأدلة و البراهين . ولكن الأمر قد يلتبس على بعض الأفراد والجماعات فيصرفون عنايتهم عن ناحية العقيدة و الايمان إلى جانب بعض الأعمال ظنا منهم أن العمل هو الأهم وأن ناحية العقيدة لكونها نظرية لا تستحق كل هذه العناية والاهتمام !

ومنذ أن خاضت الأمة الاسلامية الجهاد فى أفغانستان ضد الاحتلال

الروسى تبين أن افرادا من المسلمين قد أخطأوا فى وضع الأمور فى مواضعها ، وخلطوا بين تصحيح العقيدة والقيام بالجهاد . ولذا أحببنا أن نشير هنا الى بعض النقاط لعلها تنفع أهل الاخلاص .

ان أمر التربية على العقيدة والتوحيد مقدم على الجهاد فى سبيل الله الذى أمر الله به لدفع الظلم و تأمين الدعـــوة إلى الحق وقمع الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله .

وقد يختلط الأمر على البعض فيرى أن الجهاد أسبق من التربية ، وأن العناية بناحية العقيدة قد يستغنى عنها بمباشرة القتال ، وقد لمست هذا الإختلاط عنـــد الكلام على جهاد الشعب الأفغانى الباسل ضد الاحتلال الروسى الغاشم ، حيث أكد البعض على ضرورة العناية بالناحية المادية ، و أغفل الناحية التربوية من التركيز على تصحيح العقيدة و شرح معنى التوحيد وفهمه فهما سليما والتحذير من الشرك والبدع التى تحبط الأعمال الصالحة .

ولكن الحق أن الشعب الأفغانى المسلم فى حاجة إلى الدعم المادى والمعنوى معا ، بل العناية بالجانب العقدى أوكد حتى لا تجد الشيوعيـــة سبيلها إلى الجيل الجديد مرة أخرى . ومن يزعم أن العناية بالعقيدة وتعليم المسلمين التوحيد الصحيح أمر مفروغ منه الآن فإنه على خطأ وموقفه هذا ينافى الايمان ويدل على قصور النظر وفساد الذهن والانبهار بالقوة المادية والوسائل الظاهرة .

فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أهميـة الاستعداد المادى ولكن هذا لا يعنى إغفال الناحية الروحية ، فإن الاسلام يبنى جميع أمور العباد على القوة الروحية ، وفى نفس الوقت يفرض العناية بالناحية المادية ويوجب الاستعداد الكافى والتأهب التام فى جميع الشئون ، ومنها الجهـــاد فى سبيل إعلاء كلمة الدين ، فإن السبيل

الأمثل أن يتمتع الانسان بصحة العقيدة وسلامة النيـــة وإخلاص العمل وإيثار التوكل على قدرة الله وحكمتـه، ثم يلتزم بالتوجيهات الربانيـــة التي تدعو الى إعداد العدة و استكمال الناحية المادية لمواجهة مشكلات الحياة، ومنها الجهاد فى سبيل الله.

وقد أحسن رعيل الاسلام الأول فى التطبيق بين الناحية المادية والروحية فى شئون الحياة. وكان هذا هو السر فى نجاحهم وسيادتهم على غيرهم.

وانى استغربت جدا اتجاه رجل من الدعاة قابلته فى المملكة العربية السعودية فى موسم الحج، كان ينتمى الى دولة باكستـان ويعـــد نفسه من المفكرين الذين نذروا أنفسهم للتفكير فى السبل التى تحقق مصالح الأمة الاسلامية.

إن هذا الرجل سمع محاضرة ضمن المحاضرات التى تلقى أيام اقامـة الحجاج بمنى فى موسم الحج. ألقى هذه المحاضرة أستاذ جامعى سعودى عرف بسعة النظر وعمق التفكير وغزارة العلم و حسن التصرف فى ضروب التعبير و إجادة أسلوب التوجيه والارشاد وسعة الاطلاع على مصادر الشريعة وأهدافها. هذا العالم الكبير قـــد نبه الدعاة فى محاضرته على العنـاية بتصحيح عقائد المدعوين و شرح معنى التوحيد وبيان أقسامه وآثاره، واستند المحاضر فى ذلك إلى اسوة الرسول الكريم ﷺ فى العصر المكى، فانه ﷺ بقى طيلة حياته بمكة المـكرمة يدعو الناس الى توحيد الله تعالى ويشرح أقسامه من توحيد الربوبية وتوحيـــد الألوهية ويذكر الأدلة على ذلك ويقص أحوال الرسل عليهم السلام وكيف أنهم اهتموا بالـدعوة الى التوحيد وذموا الشرك وحذروا من عواقبه.

ان المحاضر كان قد رأى مشاهد مؤلمة فى مدن الهند وباكستان، واطلع عن كثب على أعمال الشرك والبدع التى يمارسها المسلمون فى شبه القارة الهندية

وغيرها من مدن إفريقيا، وآسيا، وأدرك فى ضوء إحاطته بنصوص الكتاب والسنة ودراسة لأحوال الأمم والشعوب أن عدداً كبيراً من المسلمين فى هذه البلاد قد ابتلى بالانحراف فى العقيدة والعمل ووقع فريسة لأعمال الشرك والخرافات.

أنهم يجهلون أساسيات الاسلام، و ينشغلون بعادات و تقاليد لاتمت إلى الاسلام بصلة، فيشدون الرحال الى قبور الأولياء والصالحين ويسجدون لها ويستغيثون بالأموات ويأتون بالمنكرات ثم يزعمون أنهم يحسنون صنعا

انهم يعرضون عن السنن النبوية الكريمة التى حث الشرع على عض النواجذ بها و يستبدلون بها البدع والعادات التى تنافى روح الاسلام وتشوه معالم الدين.

ان القوة التى يستمدها المسلم من العقيدة الاسلامية الصحيحة ومن الايمان بالله و التوكل عليه ويخوض بها معارك الحياة ويتغلب على مشكلاتها، هذه القوة تتلاشى أمام التيار الجارف للبدع والمنكرات فيبقى الانسان المبتدع قلق البال مشوش الفكر خائفا مترددا مجردا من المعنوية التى تدفع المؤمن الى سبيل الخير وتحمله على الصبر والمواجهة فى الحياة.

ومن هنا نرى أن المسلمين يضعفون مع ازدياد عددهم و يستهين بهم أعداؤهم ويتعدى عليهم خصومهم، أراضيهم مغتصبة، و أموالهم منهوبة، وحقوقهم مسلوبة. ان المحافل الدولية تنادى بحماية الحقوق الانسانية، وتقرر المبادىء والأصول فى تحقيق التعايش السلمى بين الدول والشعوب، ولكنها تلتزم الصمت حينما تنتهك حقوق المسلمين فى فلسطين وافغانستان واريتريا ويوغوسلافيا وغيرها من الدول. ان المجرمين فى هذه البلاد ينتهكون حرمات المسلمين تعصبا

منهم ضد الاسلام وأهله ، ولكن المحافل الدولية حينما تتكلم فى مثل هذه القضايا تعرضها مجردة عن هذه الملابسات و توهم بأن الدين ليس عنصرا أساسيا فى المواقف المعادية للمسلمين !

و الرجل حينما سمع من المحاضر هذا الكلام القيم عجز عن إدراك مغزاه واستغرب من التركيز على التوحيد وتصحيح عقيدة المسلمين فقال :

المسلمون الأفغان يقاتلون الآن الجيش الشيوعى ، فماذا يستفيدون من عقيدة التوحيد وماذا ينفعهم التركيز على العقيدة والتحذير من الشرك والبدع ؟

هذا الرجل وأمثاله يجهلون فى الحقيقة قوة العقيدة السليمة والايمان بالله فى حل مشكلات الحياة ، ولا يتعظون بالوقائع والأحداث التى وقعت فى عصر النبوة وبعده ، ويتجهون اتجاها ماديا بحتا فى شئون الحياة كلها . يغيب عن بالهم أن الرسول الكريم ﷺ ركز على العقيدة فى العصر المكى كله ، وربى جيل الصحابة رضى الله عنهم تربية مثالية ثم خاض معهم فى معترك الحياة و أسس الدولة الاسلامية الأولى التى بلغت ذروة المجد و العزة وضربت أروع مثال لتحقيق السعادة و الرخاء للبشرية كلها .

وللمسلمين فى العصر الراهن أسوة حسنة فى حياة الرسول ﷺ وقدوة فى الصحابة رضى الله عنهم ، انهم لم يهملوا قط ناحية العقيدة ، بل نجحوا فى التوفيق بين الأمور المادية والمعنوية ، ولم يلتفتوا الى المظاهر والقشور بل تعمقوا فى الأمور ، و وضعوا كل شىء فى موضعه ، وحققوا مقاصد الشريعة السمحة ، فنصرهم الله تعالى على أعدائهم ، وكتب لهم العزة والسعادة فى الدنيا والآخرة .

فالجهاد فى أفغانستان أو فى غيرها من البلدان لابد أن تسبقه مرحلة التربية الدينية السليمة ، فان الفساد فى العقيدة يؤدى دائما الى الفشل ، والانسان

المبتلى بالبدع و الخرافات لا يتمكن من تحقيق مقاصد الاسلام، و لا تترتب على جهوده الآثار الطيبة التى تنتظرها الأمة .

صار الجهـــاد الآن أمرا محتما على المسلمين اليوم، فان قوى الشر تكالبت عليهم من كل صوب، ولـكن نصر الله لا ينزل إلا على المجـــاهـدين الموحـدين الذين يخلصون النية و يحسنون التمسك بالتوحيـد و يتفانون فى العمل على المنهج الذى أيدته نصوص الـكتاب والسنة وَ أقره السلف الصالح رضى الله عنهم .

و بعد كـتابة السطور المتقدمة وصلتنى رسالة اصدرتها جماعة الدعوة الى القرآن و السنة (احدى منظمات المجاهدين الأفغان) و قد تضمنت هذه الرسالة توضيحا لطيفا لبعض النقاط التى يسىء فهمها بعض الناس، وكـذلك ترد على المطاعن التى توجه حينا بعد آخر الى أهل الحديث والسلفيين الذين يقدمون أمر العقيـــدة والتوحيد على الامور الأخرى ويرون ضرورة انقاذ الأمة من الشرك والبدع التى تسربت الى صفوفها بعد شيوع الجهل بالدين و ظهور أهل الهوى والضلال فى الساحة .

ونحـــن نرى إثبات مقتطفات من الرسالة فى هذا الموضع لما لها مـــن المناسبة مع الموضوع .

(١)

السؤال : هل الدعوة لتصحيح العقيدة تحتاج أن يتوقف الجهاد الآن حتى يتم ذلك ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

الجهاد فى أفغانستان فرض عين على كل أفغانى مسلم قادر على حمل السلاح صغير أو كبير، رجل أو امرأة من غير أصحـــاب الأعذار، لأن العدو الكافر حل بأرضنا .

فلا تحتاج الدعوة إلى أن يتوقف الجهـــاد ، وأن جماعتنا التى أسسها على

مبدأ عقيدة التوحيد واتباع الكتاب والسنة يتبعها ألوف من المجاهدين وهم يحملون السلاح ويقاتلون فى جبهات كثيرة فى محافظات متعددة، وهم معتصمون بالكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة.

قال الله تعالى: ﴿ يايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (الأنفال ٤٥، ٤٦). فأمر سبحانه وتعالى فى هذه الآيات بالجهاد والثبات والإكثار من ذكره سبحانه، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ونهى سبحانه عن التفرق والتنازع. وهذا هو سبيلنا الجهاد والثبات والذكر والطاعة، والعبادة والدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الأهواء والبدع، فهذا وحده هو سبيل الاتحاد والائتلاف. ومع هذا كله صبر جميل على أذى عدونا وصبر جميل على مخالفة من خالفنا من الناس وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال تعالى: ﴿ والعصر إن الانسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾.

(٢)

السؤال: ألا ترون أن من الأفضل ترك الدعوة لتصحيح العقيدة أو تأجيلها تجنبا عن مزيد من التمزق وإثارة العداوة بين صفوف الأفغان حتى يتفرغ الجميع لجهاد العدو الروسى الملحد؟

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

نحن نقدر للسائل غيرته وحبه للجهاد ورغبته فى استمراره، ولكن هناك حقيقة شرعية ينبغى ألا تغيب عن أذهاننا فى غمرة حماستنا للجهاد.

١ - ذلك أن الجهاد بمعنى الحرب ليس مطلوبا لذاته إذ فيه ضرر يؤدى إلى هلاك الحرث والنسل وإراقة الدماء ومع ذلك شرعه الله ورغب فيه بالثواب العظيم لدفع ضرر أعظم منه هو الشرك بالله والفتنة فى الدين.

فالجهاد ليس هدفا بل وسيلة إلى هدف أعظم هو إخلاص التوحيد وإزالة الفتنة ولأن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس فى الضرورات الخمس كما تقرر فى أصول الفقه.

قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (الأنفال) الفتنة فى هذه الآية الشريفة هى الشرك وهو قول جمهور المفسرين، (حتى لا تكون فتنة) يعنى لا يكون شرك، وهو قول ابن عباس وابن عمر وعروة بن الزبير وأبى العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن انس والسدى ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم ومحمد بن اسحاق رضى الله عنهم أجمعين.

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» (الحديث، متفق عليه) فجعل المقصد هو التوحيد وجعل القتال سبيلا إلى ذلك لا مقصودا لذاته إذ قيده بغاية دلت عليها كلمة (حتى).

فالجهاد وسيلة أى مطلوب لغيره، أما الهدف أى المطلوب لذاته فهو التوحيد وإبطال الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، هذه هى الغاية التى خلق الله الخلق لأجلها قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات ٥٦) وكذلك دعوة التوحيد مقدمة على مشروعية الجهاد، فقد بعث الله الأنبياء جميعا من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام بالتوحيد ودفع الشرك لكنه سبحانه لم يشرع القتال قبل شريعة موسى عليه السلام. كل رسول يأتى قومه بدعوة التوحيد قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله

واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل ٣٦) وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء ٢٥) فكان الناس بين مؤمن وكافر بدعوة التوحيد . ولم يشرع الله قتال الكافرين إلا فى شريعة موسى عليه السلام أما قبله فكان ينجى الفئة المؤمنة و يهلك الفئة الكافرة بعذاب من عنده ، فقد أهلك قوم نوح بالطوفان ، وعاد قوم هود بالريح العقيم ، وثمود قوم صالح بالصيحة ، و قوم لوط بحجارة من سجيل ، و مدين قوم شعيب بعذاب يوم الظلة ، وفرعون وقومه بالغرق ، وقارون بالخسف . ثم بعد نجاة بنى إسرائيل من فرعون شرع الله قتال الكافرين فكان هذا بدء شرع القتال فى سبيل الله فى بنى آدم فالقتال كما قلنا من قبل وسيلة لحماية التوحيد .

فاعلم أيها السائل الكريم أن إخلاص التوحيد وتصحيح العقيدة الذى ندعو إليه هو أصل الدين لا يسكت عنه ولا يؤجل وهو دعوة الرسل جميعا عليهم الصلاة و السلام . و إنما شرع الجهاد لحماية هذه الدعوة ونصرتها فكيف نؤجلها وإذا كنا نقاتل الروس لحماية دين الاسلام فكيف نسكت عن بيانه والدعوة إليه وإذا كان الناس لا يستجيبون لدعوتنا الآن وهم فى المحنة و البأساء و الضراء فمتى يستجيبون ؟ إن الله ابتلانا لنعود إلى الحق والاخلاص كما قال سبحانه : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ (الأنعام) وقال سبحانه ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (الروم ٤١) فإذا لم نتضرع إلى الله فى المحنة ، ولم نرجع فمتى يكون ذلك ؟

٢ — إن الجهاد دون تصحيح الدين لن يأتى بثمرة بل هو استنزاف دائم لدماء المسلمين وأموالهم نحن أصبنا بشهادة ما يزيد على مليون نفس من الأفغان وترك خمسة ملايين بلادهم وهلكت الزروع و الحيوانات و أطفالنا يختطفون

بالآلاف ويرسلون إلى روسيا ليعلموهم الالحاد والشيوعية ثم يرسلونهم بعد حين ليقاتلونا فى أفغانستان فما يصيبنا ونحن على فساد فى الدين ، هو عقوبة من الله أما ما يصيبنا إذا صححنا ديننا فهو بلاء الله للصالحين نرضى بقـدره وندعوه سبحانه أن يكشفه عنا .

فى وقت من الأوقات كان عدد جيش العـدو مائة الف و عددنا ثلاثمائة الف ، أى ثلاثة رجال من الأفغان لكل رجل من العدو ، لماذا لم ننتصر عليهم وقد وردت النصوص بأن مائة من المسلمين يغلبون مائتين من الكفار فى حالة ضعف المسلمين قال سبحـانه : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفـا فإن يكن منـكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منـكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ (الأنفال ٦٦) و ذلك لأن المعـاصى فرقت القلوب ومزقت الصفوف ، فإذا قمنا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر قالوا . تمزقون الصفوف و تعوقون سير الجهـاد . ألم يأتهم قول رسـول الله ﷺ : « والذى نفسى بيـده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وقال : حديث حسن .

وروى الامام أحمد عن عدى بن عميرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه . . فلا ينكرونـه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامـة » .

و عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مثل القـائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينـة ، فصار بعضهم فى

أعلاهـا وبعضهم فى أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنـا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنـا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعـا وإن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعا » (رواه البخارى) .

القائم فى حدود الله أى من ينكر ويزجر عما نهى الله عنه .

فمن يتهمنا أن دعوتنا الآن هى خيانـة للجهاد ، نسأل الله لنا ولهم العافية ، إنما الخيانة هى ترك هذه الدعوة التى يدور عليها صلاح الدين وصلاح الجهاد ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال) . فأى أمانة أعظم من دعوة التوحيد دعوة الأنبياء جميعا ؟ ! وأى خيانة أعظم من السكوت عن هذه الدعوة ؟ !

إن الذين يطالبون منا السكوت عن دعوتنا الآن لا يفهمون مقاصد هـذا الدين الحنيف ولا يعرفون مراتب الأعمال وما هو مقصود لذاته منها كالتوحيد وما هو مقصود لغيره كالجهاد ، ويريدون منا أن نرى السفينة تغرق بأهلها ونحن فيهم ولا نسعى لاستنقاذهم مع علمنا بموضع الخلل ، فأى خيانة بعد هذا ، وأى إثم وجرم أعظم من هذا ؟ ويريدون أن نستوى نحن وهم فى السكوت فلا يظهر تقصيرهم و سوء معتقدهم و تحل علينا جميعا لعنـة الله المذكورة فى قوله تعالى : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للنـاس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا و أصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنـا التواب الرحيم﴾ (البقرة) فنعوذ بالله من السكوت وكتم الحق ونعوذ به سبحانه من أن تحل علينا لعنته .

(٣)

السؤال : ما موقف العلماء والقادة الأفغان بإزاء دعوتكم إلى التوحيد وانتهاجكم بنهج السلف الصالح ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

لا شك أن اصطلاح الكتاب والسنة فى إطلاق اسم العلم والعالم غير ما اصطلح عليه كثير من الناس فى هذه الأيام ، فان الكتاب و السنة إنما يطلق العلم على ما يورث خشية الله وتكون ثمرته التقوى والايمان وما يوجب العمل ، ولذلك وصف الله العلماء فى كل زمان بالايمان والخشوع و خصهم به ، كما قال تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ، ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (الاسراء) .

وقال عز وجل : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فهؤلاء العلماء يعلمون أن دعوتنا الى الدين الخالص وانتهاجنا منهج السلف الصالح هى مقتضيات عقيدة الايمان وأما عامة الناس فإنهم توسعوا و ترخصوا فى إطلاق اسم العالم حتى أنهم يطلقون على من يقرأ من مصنفات العلماء وعلى من يتزيا بزى العلماء وعلى من يقلد العلماء و قرأ من أقوالهم ، و هؤلاء العلماء بعيدون عن العلم كعامة الناس و موقفهم منا كموقف العامة . فنهم من يؤيدنا ومنهم من يعاندنا ويقولون للذين ينتهجون السلفية : هؤلاء أضل من الذين يلحدون وخرجوا من الملة !!

وأما القادة فلا نذكر منهم من ينتهج بنهج الصوفية لان أمرهم وشأنهم واضح و نحن فى غنى عن ذكر موقفهم إزاء الدعوة الحقة . و أما الآخرون الذين يرجى فيهم الخير ، وكانوا يدعون السلفية حينما كانوا يلاقون المسلمين من

بلاد كثيرة وكانوا يرون أن ما كان عليه السلف الصالح هو الحق وأنه ليس لآراء الرجال فى مقابلة الكتاب والسنة اعتبار، وكانوا يدعون أنهم يؤدون مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الخير بطريق الحكمة البالغة، فهؤلاء القادة ما تركوا لنا مجالا إلا قد اتخذوا فيه موقفا عدائيا، ورمونا عن قوس واحدة، وينسبوننا إلى الضلالة ويقولون عنا: هؤلاء جاءوا بالفتن والاختلاف والفرقة ويطعنوننا بالوهابية وغيرها من الألفاظ المذمومة عند عامة الناس، ويخرجوننا من الملة، وينشرون عنا فى مجلاتهم أننا أعدى أعداء الاسلام وأننا طلاب الدنيا، وما كل ذلك إلا لأجل الحرص على الرياسة والمال وقد قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف (أى الرياسة) لدين المسلم).

ان من أهم واجبات القائد فى تعاهد أتباعه أن يعلمهم أمر دينهم ويفصل لهم الحق، لا أن يداهنهم ويسكت عن معاصيهم وقد قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (متفق عليه).

ولهؤلاء وأولئك أوجه سؤالا: لماذا نشأ فى أفغانستان المسلمة حزبان شيوعيان وهما اللذان تسلط الروس بهما على بلادنا اليوم؟ وظاهر أنه ما حصل ذلك إلا بسبب سكوت العلماء على المنكرات والبدع، فنشأت طائفة من الناس لم يقنعوا بما كانوا يرون من تبرك الناس بالقبور والشجر والحجر واعتقاد النفع والضر فى تميمة أو ودعة أو خيط معقود، ووجدوا العلماء ما بين مساير للناس وبين ساكت عنهم فظنوا أن ذلك هو الاسلام الحق ولم يجدوا من يرشدهم الى العقيدة الصحيحة، فلم تقبل عقولهم هذا واستخفوا عقول قومهم ثم وقعوا فى مستنقع الالحاد والشيوعية ثم استولوا على مقاليد الأمور والحكم بالبلاد فساموا قومهم سوء العذاب دمروا البلاد وشردوا العباد. قال الله تعالى:

﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ (الأنعام ١١٥) .

ألم يحدث كل ما حدث بسبب سكوت الأجيال السابقة ومداهنتهم وأنتم تريدون أن تقضوا على البقية الباقيـــة بسكوتنا و مداهنتنا اليوم . ألا تعتبرون و تتذكرون بكل هذه النكبات و أسبابها ؟ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ .

إن ما نزل بنا من المحن هو بسبب المنكرات وعدم الاصلاح ، قال تعالى ﴿ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ (القصص) ولقـــد كان الله سبحانه لطيفا بنا فى هذه المحنة فخلصنا منها بمنحة ونعمة ألا وهى الجهاد فى سبيله ، ولا إصلاح للجهاد إلا بتصحيح العقيدة والعبادة وهو ما ندعو إليه ، إذ الأسباب التى جلبت لنا المحنة والدمار ما زالت كما هى لم تتغير وليس لنـا حق فى الطمع فى نصر الله ما لم نغيرها حسب وعـــده الصادق عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾ (الرعد)

وإن الذين يحاربون دعوتنا الاصلاحيـة ويرمونها بالألقاب المنفرة إنمـــا يريدون أن تستمر المحنة فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وليعتبروا بمن سبقهم وليحذر كل مسلم من معاونتهم بالقول أو الفعل . و الله يهدينا إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٤)

السؤال : يقـال : إن أسلوبكم فى الدعوة إلى العقيدة الصحيحـــة أسلوب فظ منفر ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نحن نعلم أن من واجبات الدعوة أن يراعى الداعى حال المخاطب وأن يختار أسلوبا لينا غير فظ ولا منفر، يقول الله تعالى: ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (طه).

ويقول الله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (آل عمران).

ويقول الله سبحانه: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (النحل).

ونحن لا نخرج عن تلك الحدود تعظيما لأمر الله عز وجل واقتداء بأنبيائه عليهم الصلوات من الله والسلام، فالذين يطعنوننا بالفظاظة والشدة — إن كانوا من أصحاب العقيدة الصحيحة ويعرفون من واجب الدعوة إليها يؤدون حقها ويقفون موقفا صريحا بحيث يعرف الناس من عقيدتهم ودعوتهم ويرون فى أسلوبنا من الفظاظة فعليهم أن يصلحوا ما رأوا ويهدوننا إلى أسلوب مناسب متلطف لأننا لسنا ندعى أن أسلوبنا أسلوب جيد راق فى الدعوة الى اقصى ما ينبغى أن يكون عليه طريق الدعوة بل يحسب هذا من شأن الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون فى التبليغ والرسالة بعصمة الله ومؤيدون بوحى الله، غاية ما ندعى ونتيقن أن عقيدتنا عقيدة صحيحة وأن الدعوة إليها واجبة ويجب علينا أن نختار من بين أساليب الدعوة التى نعرفها أسلوبا جامعا للجهات المناسبة ومحفوفا بما يتوفر فيه دواعى الاجابة والقبول. وإن كانوا ممن يخالف فى العقيدة والدعوة أو الدعوة وحدها، فهؤلاء لا يريدون من الطعن بالفظاظة إلا مخالفة أصل الدعوة ومحاربتها بأسلوب ماكر. فنقول لهؤلاء: تعالوا لنبحث أصل القضية وهى قضية العقيدة والدعوة ثم بعد القضاء والاتفاق نبحث فى كيفية أسلوب الدعوة

ونختار بالاتفاق من أساليب الـــدعوة أسلوبا رضيا عندكم ، أما إذا كنتم فى اختلاف من مبدأ الأمر أو كنتم اخترتم موقف السكوت و المداهنة فلا ينبغى أن تطعموا فى طريق الدعوة الحقة بل حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا الآخرين .

فبعد وضوح ما مر من داعية الطعن نقول : ان أصحاب البدع والأهواء دائما يقابلون أهل السنة بالفظاظة والغلظة ، ويكفرون من خالف أهواءهم ويخرجونهم من الملة ولا يصلون خلفهم بل لا يجوزون ذلك ويفتون بجواز قتلهم ويحرضون عامة المسلمين على قتلهم وإيذائهم ، وهـــذا واضح لكل من يعرف من أحوال المبتدعين من سالف الزمان فنقول لهؤلاء الذين ينسبوننا إلى الفظاظة : كيف تحاسبوننا بالقض والقضيض وتغمضون عن عدوان أهل الأهواء وفظاظتهم .

يقول الله تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة) .

تم جواب السؤال الثامن والحمد لله رب العالمين .
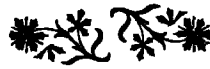
وجوب عبادة الله وحده
وبيان أسباب النصر على أعداء الله

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين :ـ

أما بعد ، فإن أهم واجب على المكلف ، وأعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه ، رب السماوات والأرض ، ورب العرش العظيم القائل فى كتابه الكريم : ﴿إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، و الشمس و القمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين﴾ .

وأخبر سبحانه فى موضع آخر من كتابه أنه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

وهذه العبادة التى خلق الله الثقلين من أجلها وهى توحيده بأنواع العبادة من الصلاة ، و الصوم ، و الزكاة ، و الحج ، و الركوع ، و السجود ، و الطواف ، والذبح ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والاستغاثة ، وسائر أنواع الدعاء .

ويدخل فى ذلك طاعته سبحانه فى جميع أوامره، وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم.

وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهـذه العبادة التى خلقوا لها، وأرسل الرسل جميعا، وأنزل الكتب لبيان هـذه العبادة، وتفصيلها، والدعوة إليها بإخلاصها لله وحده كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم، والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾

وقال عز وجل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا﴾.

ومعنى قضى فى هذه الآية أمر وأوصى.

وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

والآيات فى هذا المعنى فى كتاب الله كثيرة.

وقال عزوجل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب﴾.

وقال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.

وقال عزوجل: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾. الآية.

وقال سبحانه: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. الآية.

وقال سبحانه. ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

وقال تعالى: ﴿ الر كتـاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير ﴾.

فهذه الآيات المحكمات، وما جاء فى معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك هو أصل الدين، وأساس الملة، كما تدل على أن ذلك هو الحكمـة فى خلق الجن والإنس، وإرسـال الرسل، وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر، والتفقـه فيه، والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو فى الأنبيـاء والصالحين، والبنـاء على قبورهم، واتخاذ المساجـد والقباب عليهـا، وسؤالهم والاستغاثة بهم واللجأ إليهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكروب. وشفاء المرضى، والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر.

وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل فى الصحيحين عن معـاذ رضى الله عنـه. أن النبى ﷺ قال له: «أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله»؟ فقال معـاذ: الله ورسوله أعلم. فقال النبى ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا». الحديث.

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود — رضى الله عنـه — أن النبى ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله ندآ دخل النار».

وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر — رضى الله عنه — أن النبى ﷺ قال: «من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار». والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

وهـذه المسألة هى أهم المسائل، وأعظمها، وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ

بالدعوة إلى التوحيد ، والنهى عن الشرك ، فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام أكمل قيام ، وأوذى فى الله أشد الأذى فصبر على ذلك ، وصبر معه أصحابه – رضى الله عنهم – على تبليغ الدعوة حتى أزال الله من الجزيرة العربية جميع الأصنام ، والأوثان ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكسرت الاصنام التى حول الكعبة ، وفى داخلها ، وهدمت اللات والعزى ، ومناة ، وكسرت جميع الأصنام التى فى قبائل العرب ، وهدمت الأوثان التى لديهم وعلت كلمة الله .

وظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ، ثم توجه المسلمون بالدعوة ، والجهاد إلى خارج الجزيرة ، وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد ، ونشر الله بهم الحق والعدل فى غالب أرجاء المعمورة ، وصاروا بذلك أئمة الهدى ، وقادة الحق ، ودعاة العدل والإصلاح ، وسار على سبيلهم من التابعين ، وأتباعهم بإحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ، ويدعون الناس إلى توحيد الله ، ويجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون فى الله لومة لائم ، فأيدهم الله ، ونصرهم ، وأظهرهم على من ناوأهم ، ووفى لهم بما وعدهم به فى قوله سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

وقوله عز وجل . ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور﴾ .

ثم غير الناس بعد ذلك ، وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد ، وآثروا الراحة ، واتباع الشهوات ، وظهرت فيهم المنكرات إلا من عصم الله سبحانه

فغير الله عليهم، وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا: ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾.

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله سبحانه، وإخلاص العبادة له وحده، والتوبة إليه مما سلف من تقصيرهم، وذنوبهم والبدار بأداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد عما حرم عليهم، والتواصي فيما بينهم بذلك والتعاون عليه.

ومن أهم ذلك إقامة الحدود الشرعية، وتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء، والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله، وعدم التحاكم إليها، وإلزام جميع الشعوب بحكم الشرع، كما يجب على العلماء تفقيه الناس في دينهم، ونشر التوعية الإسلامية بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشجيع الحكام على ذلك.

كما يجب محاربة المبادىء الهدامة من شيوعية، واشتراكية، وبعثية، وتعصب للقوميات وغيرها من المبادىء والمذاهب المخالفة للشريعة، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان فاسداً، ويرد لهم ما كان شارداً، ويعيد لهم مجدهم السابق، وينصرهم على أعدائهم، ويمكن لهم في الأرض كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

وقال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

وقال سبحانه: ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.

والله المسئول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه فى الدين، ويجمع كلمتهم على التقوى، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر، والتقوى، والتواصى بالحق، والصبر عليه إنه ولى ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ◎ ◎

من هو الصديق

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك اما أن يحذيك (أى يعطيك) وإما أن تبتاع منه. وإما أن تجد فيه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة.

(الحديث)

مسألة حياة النبي ﷺ في ضوء الأدلة الشرعية

(الحلقة الخامسة والأخيرة)

للعلامة محمد اسماعيل السلفى
ترجمة
الدكتور مقتدى حسن الازهرى

حل بعض الشبهات

قبل عدة شهور كنت عرضت بعض النقاط فى مجلة « رحيق » حول موضوع حياة الأنبياء. وموقف البريلوية واضح فى هذا الموضوع، فقد كتب المولوى أحمد رضا خان فى الفتاوى الرضوية عليه وجعل حياة الأنبياء جسمية دنيوية. ولكن موقفهم يبنى على العاطفة بدل الأدلة، ولذا لا تؤثر فى الأوساط العلمية.

والمولوى أحمد رضا خان نفسه حينما يكتب فى مثل هذه المسائل فانه يختار طريق الطعن فى الخصم وشتمه واتهامه بدل الاستدلال، ولا يختار طريقا ايجابيا، ولذا لا يهتم أهل العلم والنظر بكتاباته وكتابات أتباعه ولكن منزلة أهل ديوبند تختلف عن ذلك تماما، فنهم أهل التحقيق والنظر، ينظرون إلى الدلائل، ولا يبنون تأييد مذهبهم على العاطفة. ولكنى استغربت أن الشيخ حسين أحمد

والشيخ محمد قاسم وبعض أكابر ديوبند قد اختاروا رأى الشيخ أحمد رضا خان نفسه فى هذا الموضوع.

ثم زاد الاستغراب بأن جعل بعضهم هـــذه الصورة لحياة الأنبياء مسألة اجماعية، مع أن هذا الادعاء ينافى التحقيق والعدالة معا، بل يرى كاتب هـذه السطور أن أحلة ديوبند أيضا لا يتفقون معهم فى هـذه المسألة. وقد أيد بعض المجلات الديوبندية مقالى المنشور. والذين اختلفوا معى فلم يكن أساس الخلاف هو الأدلة والتحقيق، بل اعتمدوا على عظم منزلة الأساتذة أو على الجمود.

ومراعاة لاتجاه أهل العـــلم والتحقيق سبق أن كتبت فى مجلة «رحيق» وأكتب السطور الآتية أيضا، حتى يتم التفكير فى هـــذه المسائل على منهج أهل التحقيق من الأكابر. وانى لا أظن أن أهل الحـــديث أقل حبا للشاه ولى الله وأبنائه وأحفـــاده، أو أقل حظا فى الاستفادة من تحقيقهم فى المسائل، ولكن كما قال الامام مالك رحمه الله: ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويرد عليه. فلا يستثنى أحد سوى الأنبياء من هذه الكلية، ومع ذلك تنحنى الجباه أمام تحقيق الشاه ولى الله وأبنائه، رحمهم الله وجعل الجنة مثواهم.

وبالنظر إلى منزلة ديوبند العلمية وعلو مكانة الشاه ولى الله رحمه الله تعالى لا يمكن صرف النظر عن مسألة اذا جاءت من عندهم. وقد سبق أن ذكرنا الأحاديث الواردة فى هذا الباب بمتونها وأسانيدها وآراء أئمة الحديث وأقوال المحققين وما تيسر من الأدلة فى الموضوع فى صفحات مجلة رحيق.

آب حيـــاة

وقريبا اطلعت على كتاب الشيخ النانوتوى (آب حيـــاة) بواسطة الأخ المحترم الشيخ محمـــد چراغ. وكنت من ذي قبل علي يقين بعلمه وجلالة قدره،

وهذا الكتاب قد زاد عندى منزلته واحترامه ، ومع ذلك أجدنى مضطرا للقول بأن أسلوب الكتاب يبنى على التأويل لا التحقيق .

و قد ألف الشيخ هذا الكتاب فى الرد على وجهة نظر الشيعة نحو الوراثة النبوية ، واختار طريق المناظرة هـــذا للتخلص من شبهات الشيعة ، وذلك بأن النبي ﷺ حى بجسمه وهذا الحياة دنيوية ، وعلى هذا لايأتى سؤال وراثته ومع احترامنا البالغ للشيخ فلا شك أن هذا طريق المناظرة ، ولا تنحل به النصوص التى تذكر وفاة النبي ﷺ وانتقاله من هـــذه الدنيا ودفنه ، وقد صرح القرآن الكريم فقال : ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ ووردت فى الأحاديث تفاصيل وفاته ، ثم خطبة أبى بكر وسكوت الصحابة ورجوع عمر وحزن أمهات المؤمنين كل ذلك ليس بحيث نصرف عنه النظر لمكانة الشيخ النانوتوى العلمية

ثم ان أكابر ديوبند أو أكثرهم لا يتفقون مع الشيخ فى هذه العقيدة ، وليست حقيقتها أكثر من تخيل صوفى ، و يعارضهـــا التعبير الظاهرى لنصوص الحديث ، ولا نقول شيئا فى الجمود التقليدى ، ولكن البصيرة الدينية تأبى قبول هذا التأويل ، ولذلك نقول لأبناء ديوبند مع الأدب إن أكابر ديوبند يستحقون الاحترام دون شك ، ولكن ليسوا مثل أبى حنيفة وأبى يوسف فى هـــذا العصر حتى نسلم جميع ما يقولون تقليدا لهم ، ولذا نرجو بذل الجهد حذرا من الجمود ، فان الكتاب والسنة بيننا وكذلك تصريح الأئمـــة السلف ، ولا قول لأحد مع الله ورسوله .

حياة النبي وأهل الحديث

و انى مسرور بأن مثل هـــذه الزلة لم تصدر عن أحد من أكابر أهل الحـــديث ، ولا يخفى ما للأسرة الغزنويـــة من أكابرنا من الشغف والاتصال

بالتصوف، ولكن لم يصب الشيخ عبد الله الغزنوى ولا أحد من أبنائه وتلاميذه بمثل هذا الجمود فى العقيدة، فالحمد لله على ذلك.

والذين استفادوا من علوم الشاه اسحاق بواسطة شيخ الكل السيد نذير حسين كانوا بمعزل عن مثل هــذا الاعتقاد، وكذلك سلم من هذه التأويلات الضعيفة المهملة الذين استفادوا من علماء اليمن فى علوم السنة. وهـذه السلامة قد تحققت بناء على خلو الطريقتين من الجمود التقليدى، ففيهم احترام الأساتذة ولكن ليس على سبيل الجمود و التقليد، وهذه هى سبيل المحدثين الحقيقى. ومنذ أن وصف النقد التحقيقى بسوء الأدب سدا لجمود سبل العقل و الفكر وتركت الأذهان التفكير.

موقفى فى الكتابة

كنت انتقدت كلام هؤلاء الأساطين فى كتابتى بالتزام حـــدود الأدب. ولو كانت هذه المسألة آتية من قبل بريلى لما رأيت حاجة للكتابة كلمة واحـــدة فيها، فان أهل بريلى لم يعرفوا التفكير، وليس لهم تأثير فى وسط علمى.

ولكن حملنى على هذه النقد ما لأكابر ديوبند من الاحترام العلمى وتأثيره البالغ، حتى يتعلم الطلاب النقد العلمى وعادة البحث والنظر.

وكانت لكتابتى آثار عجيبة فى أوساط مختلفة، فقد أعجب بها البعض جدا لأنها جاءت فى أوانها، و تناقلتها عدة جرائد الهـند وباكستان. وكرهها البعض الآخر أشد الكره ورآها اساءة الى أكابر ديوبند، أعاذنى الله من ذلك.

وقد انتقدها البعض فى بعض أجزائها نقدا سليما، وأشار الى أنها لا تروى الغلة مع بسطها المعتدل، فبعض النواحى مجملة لابد من توضيحها.

ورأى البعض أن المسألة بأساسها تحتاج إلى اعادة النظر الى جميع نواحيها

ى ضوء النصوص ، والرسائل التى وصلتنى بالبريد تنحو نفس المنحى .

نظرية المنشى محمد شفيع

فقد لفت صديقنا المحترم المنشى محمد شفيع اللاهورى (مشربه ديوبندى ، وهو محب للحق ومتعود على البحث والنظر والنقد والتحقيق) النظر الى أن بعض جوانب المسألة محل للنظر ، ولذا ينبغى أن نفكر فيها أ كثر .

وانى كنت قلت فى كتابى ان حياة الأنبياء عليها اجماع الأمة . ومع أن صحة الأحاديث محل للنظر ولكنها تفيد بأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام :

ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1].

ويقول المنشى : ان هـــذه الكلية ليست صحيحة بأن أجساد جميع الأنبياء حرام على الأرض ، فقد علم عن أجساد بعض الأنبياء أن الأرض غيرتها ، فقـــد نقل الحافظ نور الدين الهيثمى (٨٠٧ هـ) فى مجمع الزوائد من أبى يعلى والطبرانى حديث أبى موسى وعلى : فقال علماء بنى اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه . . . الى أن قال : فلما احتفروا أخرجوا عظام يوسف .

وترتيب الألفاظ فى حديث على هكذا : قال له انك عنـــد قبر يوسف فاحتمل عظامه وقد استوى القبر بالأرض ، الى أن قال : فاخرج العظام وجاوز البحر[2] .

ويرى المنشى أن الأحاديث التى وردت فى سلامة الجسد الأطهـــر ليست

---

(١) ابن ماجه ٧٧ ، ١١٩ ، الترغيب للمنذرى ٢/١١

(٢) مجمع الزوائد ١٧١/١٠

صحيحة ، و لكن رواية أبي صحيحة بأن عظام يوسف عليه السلام قد حملها موسى عليه السلام معه ، أى كان الجلد واللحم قد بليا وبقيت العظام . وقد قال الهيثمى فى روايـــة أبي يعلى : رجال أبي يعلى رجال الصحيح ، و هـــذا الذى حملنى على سياقها .

وقال فى رواية الطبرانى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه من لا أعرفهم .

ونقل المنشى نفس هـذا المعى من البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٧٥) : ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام .

و نجد نصا آخـــر فى ابن خلدون (١/١٣١) يؤيد المنشى : لما فتح يوشع مدينـــة أريحاء سار إلى نابلس فملكهـا ودفن هنالك شلو يوسف عليـه السلام ، وكانوا حملوه معهم عـند خروجهم من مصر ، وقد ذكرنا أنه كان أوصى بذلك عند موته .

وبهذه النصوص يبدو أن حكم عدم أكل الأرض الأجساد ليس هاما لجميع الأنبياء ، بل استثنى منه البعض .

وعلى أهل العلم أن ينظروا فى هذه النصوص ويحاولوا التوفيق أو الترجيح بين النصوص التى تبدو متعـارضة ، والمرجو من المتوسلين الى ديوبند خاصة أن يثبتوا مذهب أكابرهم فى ضوء هـــذه النصوص ، فان المسائل لا تنحل بالعصبية أو السخط ، ولا الاعتقاد المفرط يحل محل الأدلة والبراهين .

و الظاهر أن هذه الأدلة المتعارضة لا تؤثر فى الحياة البرزخية ، فانها ثابتة فى جميع الأحـوال ، ومع وجود أحاديث العـذاب والثواب فى القبر لا بد أن توجـــد صورة للحياة فى القبر ، و لكن المشكلة فى الحياة النوعيـة ، وخاصة اذا فهمناها جسمية دنيوية و وجهة نظر البريلوية تزيد المسألة اشكالا ، فانهم يرون

أن صلحاء الأمة يكلفون فى القبر ببعض التكاليف الشرعية أيضا، وكذلك عرفت عندهم قصص العلاقات الازدواجية أيضا.

وقد فصل صاحب روح المعانى تفصيلا كافيا ضمن مبحث حياة الشهداء عن أنواع هذه الحياة، ويبدو أن المنشى محمد شفيع يقول بالحياة البرزخية للأنبياء عليهم السلام، ولكنه لايرى الجسم ضروريا لهذه الحياة، ولا يشعر بضرورة لوازم الحياة الدنيوية لها.

تحليل أدلة المنشى

ولا شك أن الأدلة تسع مثل هـذا الراى، فان يقبل التصور الجسمى والدنيوى للحياة، فلا مانع من قبول تصور المنشى هذا؟ ولكنى أرى أن أدلة المنشى تبدو ضعيفة ومرجوحة من عدة وجوه:

(١) أن حديث: ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.» وان لم يصح سنـدا ولكن علوا لمنزلة الحاصل للأصول الستـة على الطبرانى وأبى يعلى لا يصرف النظر عنه، فهذه الأصول من حيث المجموع فوق الطبرانى وغيره، ولفحول أئمة الحديث يستدلون بكتب الطبقة الرابعة بعد النقد والتحقيق، أو يستدل بها أهل البدعة الذين يهدمون إلى تأييد بدعهم ولا يهتمون بقوة الدلائل. (حجة الله)

(٢) والحافظ الهيثمى قد اعتنى فى مجمع الزوائد بجمع الزوائد فقط، حتى تبرز المواد لأهل العلم، ولذا لا يتكلم على هذه الزوائد باستيعاب ولا يخوض فى تفاصيل الجرح والقدح أيضا.

(٣) وانه قال فى رواية أبى يعلى «رجاله رجال الصحيح» وهذا يدل على أن أصحاب الصحيح اعتمدوا على رجال هذا السند، ولكن ذلك لا يكفى لصحة

الحديث ، فقد روى مسلم فى الشواهد من رجال تكلم فيهم أئمة الحديث ، وانه قد ذكر ذلك فى مقدمة صحيحه.

(٤) ثم هناك شروط أخرى لتصحيح الحديث سوى ثقة الرجال ، ولا يدعى فى المراسيل والمقطوعات بصحة الحديث مع وجود الرجال الثقات ، ولذا ينبغى أن تكون شروط الراوى والرواية أمام النظر.

(٥) ويقول الهيثمى عن رواية الطبرانى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه من لم أعرفهم . فالرواية التى رويت عن رجال غير معروفين كيف يدعى بصحتها . وبإزاء هذه الروايات الضعيفة قد قبل جمهور الأمة رواية ابن ماجه مع ضعفها ، وهى : (ان الله حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء) ولذا انها تترجح على روايات أبى يعلى والطبرانى الضعيفة ، لتلقى الأمة مفهومها بالقبول ، والقرائن تقتضى أن ترجح رواية ابن ماجة وتسلم سلامة الجسم مثل تسليم الحياة البرزخية.

(٦) ثم أن تسليم رواية ابن ماجه على علاتها يرفع التعارض أيضا وذلك بأن يراد بالعظام فى رواية أبى يعلى والطبرانى نعش يوسف عليه السلام ، كما ورد فى البداية والنهاية (٢٧٥/١) بلفظ : أخرجوا معهم تابوته ، فلا يستبعد تعبير العظام بالتابوت وبالعكس ، وقد عرف ارادة الجسم بالعظام فى مثل هذه المواضع.

وقد ذكر القرآن الكريم عقيدة منكرى البعث بهذه الألفاظ : (من يحيى العظام وهى رميم) . ومن المعلوم أن الكفار كانوا ينكرون بعث الاجساد ، والعجب من احياء العظام يعبر عن هذه الحقيقة ، فالمقصود : من يحيى الاجسام البالية . وكذلك يراد بقوله فى الحديث « فاحتمل عظامه » احتمل جسمه ، وبهذا المعنى

ينتفى التعـارض بين الأحـاديث . وكما أعلم أن الصحيح هو المذهب الذى اختاره أئمة السنة والحديث .

(٧) وكلام ابن خلدون أيضا محل للنظر ، فان موسى عليه السلام جاء بنعش يوسف معه من مصر ، وأقامت بنو اسرائيل أربعين سنة فى التيه ولم يستعدوا مع الجهد والتمنى للهجوم على بلد مجاور ، ومات موسى وهارون فى هذه الفترة ، فقاد يوشع بنى اسرائيل ، وفتح مدينتى أريحاء ونابلس ، فالمظنون أن هذه الفترة طالت سنوات ، يقول ابن خلدون عند ذكر خروج بنى اسرائيل من مصر : وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام (١٢٣/١) وقد استعمل ابن خلدون كلمتى تابوت وشلو كليهما ، وقـد ذكر المسعودى فى رواية صورة التابوت أيضا : قبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة ، وجعل فى تابوت الرخام وسد بالرصاص وطلى بالأطلية الدافعة للهواء والماء[١]

ولا يعلم هل دفنت فى هـذه الفترة عظام يوسف أو تابوته فى التيه ، ثم دفنت فى نابلس بعد إخراجها ، ان التاريخ ساكت عن هذه التفاصيل ، والنصوص التى نجدها هى روايات اسرائيليـة يصعب الترجيح على أساسهـا . فالرأى الذى قبله جمهور الأمة هو الذى يترجح مع وجود الضعف فى الروايات وهذه الوقائع كلها بأسلوب اخبارى ، وهذا الأسلوب لايساوى أسلوب الحديث والمحدثين .

(٨) قد ذكر أبو القاسم السهيلى أجسام بعض شهداء أحد والصلحاء فقال : انها خرجت من قبورها بعـد عدة سنوات صحيحة سليمة ثم دفنت فى موضع آخر ، ثم يقول : والأخبار بذلك صحيحة[٢] .

---

(١) (٤٧/١)

(٢) روض الأنف ٣٢/١

ثم يقول : « قال عليه السلام : ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أخرجه سليمان بن أشعث ، و ذكر أبو جعفر الداودى فى كتاب التأسى هـذا الحديث بزيادة و ذكر الشهداء و العلماء والمؤذنين ، وهى زيادة غريبة لم تقع (لى) فى مسند غير أن الداودى من أهل الثقة والعلم . »

ومع أن السهيلى و الشوكانى ذكرا عن هـذه الأحاديث الصحة و الوثوق ، و لكن مع ذلك أعترف بأن هـذه الذخيرة لا تخلو من ضعف . و قد انتقدها البخارى والمنذرى والذهبى وغيرهم من أئمة الفن ، وهؤلاء أوثق من السهيلى فى هذا الفن . ولذا لو أصر المنشى على رأيه فله ذلك .

ومرة أخرى أبدى رجائى من أبناء ديوبند أن يكتبوا فى هـذا الموضوع بالتحقيق ، و لا يكتفوا بتقليد الأساتذة الأكابر ، وكذلك لا يحملوا ملاحظاتى على اساءة الأدب فيسخطوا ، فان العلم أمانـة ، والجهـل عن الحقائق خيانة ، و التمسك بالنصوص ديانة ، و الإعراض عن التحريف و التأويل صيانة ، و من حرم عن ذلك فقـد حرم بعض الخير ، و الله ولى التوفيق ، عليـه توكلت وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، عليه أعتمد وإليه أنيب ◎

(جريدة الاعتصام بلاهور ج ١٠ ص ٢٧ عدد ١٩٥٩/١/٣٠) .
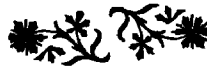
السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى
الجامعة السلفية - بنارس

(٥)

٤٩ — وابن علان . الشيخ الإمام الصدر الرئيس القاضى الجليل شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن مكى بن خلف القيسى الدمشقى الكاتب ، مسند دمشق (٥٩٤—٦٨٠ هـ)[١].

سمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٧٦هـ) وسنة (٦٨٠هـ) ومن مسموعاته عدة أحاديث فى الأربعين[٢]، كما ذكره فى الفتاوى فى إسناده إلى مسند الإمام أحمد[٣].

---

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق / ١٧٢) ، وتذكرة الحفاظ (١٤٦٦) ، وفيه تصحيف (شمس الدين) إلى (محى الدين) ، والعبر (٣٣٢/٥) ، وطبعة البسيونى (٣٤٦/٣) ، والمعين فى طبقات المحدثين (٢١٧) ، والبداية والنهاية (١٣ / ٢٩٩) ، والدرر الكامنة (١ / ١٤٤) ، والنجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) ، وشذرات الذهب (٣٦٩/٥)

(٢) أرقام الأحاديث من الأربعين (١٦—١٩—٢٠—٣٠) ، الفتاوى (٩٤/١٨ ، ٩٧—٩٨ ، ١٠٩)

(٣) الفتاوى (١٤٦/٢٥)

٥٠ — والشيخ الأمين الصدوق شمس الدين أبو غالب المظفر بن عبد الصمد بن خليل الأنصارى، توفى فى جمادى الأولى سنة (٦٨٨ هـ)، وعمره اثنتان وثمانون سنة.

وسمع منه شيخ الإسلام فى جمادى الآخرة سنة (٦٨٤ هـ) ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[1].

٥١ — والشيخ الإمام مسند دمشق نجيب الدين أبو المرهف المقداد بن أبى القاسم هبة الله بن على بن المقداد القيسى الشافعى (٦٠٠—٦٨١ هـ) سمع ببغداد ومكة، و روى الكثير، وكان عدلا خيّرا تاجرا مات بدمشق عن إحدى وثمانين سنة[2].

وسمع منه شيخ الإسلام، ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[3].

٥٢ — والشيخ المسند زين الدين أبو العباس وأبو المرجا المؤمل بن محمد بن على بن محمد بن على بن منصور بن المؤمل البالسى ثم الدمشق (٦٠٢—٦٧٧ هـ)[4].

وقال الذهبي: أجاز لى مروياته، ومن مسموعاته تأريخ بغداد للخطيب سوى ترجمة الإمام النعمان، ثم ساق حديثا من تأريخ بغداد[5].

(١) الحديث الثالث والثلاثون من الأربعين — الفتاوى (١١٢/١٨)

(٢) أنظر لترجمته معجم الشيوخ للذهبي (ق ١٧٢ / ب)، والعبر (٥ / ٣٣٦)، وطبعة البسيونى (٣ / ٣٤٩)، ودول الإسلام (١٨٤/٢)، والمعين فى طبقات المحدثين (٢١٧)، والنجوم الزاهرة (٣٥٦/٧)، والشذرات (٣٧٤/٥)

(٣) الحديث الثانى والعشرون من الأربعين (الفتاوى ١٠١/١٨)

(٤) معجم شيوخ الذهبي (ق / ١٧٤)، والعبر (٥ / ٣١٧)، وطبعة البسيونى (٣/ ٣٣٧). والنجوم الزاهرة (٢٨٥/٧)، وشذرات الذهب (٣٦٠/٥)

(٥) معجم الشيوخ (ق ١٧٤)

سمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٦٩ هـ)، ومن مسموعاته عدة أحاديث فى الأربعين[١].

٥٣ — وهبة الله الحارثى: أقضى القضاة نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن على بن جرير الحارثى الشافعى، توفى فى صفر سنة (٦٨٠هـ)، وله ثلاث وسبعون سنة، كان فيه دين وخير[٢].

وسمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٧٩ هـ)، ومن مسموعاته حديثان فى الأربعين[٣].

٥٤ — والشيخ الفقيه سيف الدين أبو زكريا بن الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلى الأنصارى (٥٩٢ - ٦٧٢ هـ) سمع حضورا من الخشوعى، وبه ختم حديثه، وسمع من حنبل وجماعة[٤] سمع منه شيخ الإسلام فى شوال سنة (٦٦٩ هـ)، ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[٥].

٥٥ — وابن الصيرفى: شيخ الحنابلة الامام العالم المفتى المسند الزاهد المعمر جمال الدين أبو زكريا يحى بن أبى منصور بن أبى الفتح بن رافع بن على الحرانى الحنبلى (٥٨٣ هـ - ٦٧٨ هـ) وكان إماما عالما متقنا صاحب عبادة

---

(١) أرقام الأحاديث فى الأربعين (٤ - ٥ - ٦ - ٧)

(٢) معجم الشيوخ للذهبي (ق ١٧٦/ب و ١٧٧/أ).

(٣) الحديث الثامن والعشرون، والحديث الخامس والثلاثون (الفتاوى ١٨/١٠٨ و ١١٥).

(٤) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩١) والعبر (٥/٣٠٠ - ٣٠١) وطبعة البسيونى (٣/٣٢٦) و المعين فى طبقات المحدثين (٢١٤) وشذرات الذهب (٥/٣٤٠).

(٥) أرقام الأحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ (الفتاوى ١٨/٨٠ - ٨٤)

وتهجد وصفات حميدة[١].

وسمع منه شيخ الإسلام فى شوال سنة (٦٦٨ هـ)، وروى بسنده من كتاب صفة النفاق وذم المنافقين للفريابى حديثا فى أحاديث الأربعين[٢].

وصرح ابن رجب بتتلمذه عليه فى ذيل طبقات الحنابلة.

٥٦ - وابن المحاور: المعمر الرئيس نجم الدين أبوالفتح يوسف بن الصاحب يعقوب بن محمد بن على الشيبانى الدمشقى الكاتب (٦٠١ هـ - ٦٩٠ هـ) تفرد برواية تاريخ بغداد عن الكندى[٣].

سمع منه شيخ الإسلام عام (٦٨٠ هـ) تاريخ بغداد، ومن مسموعاته حديثان فى الأربعين[٤].

٥٧ - وشمس الدين أبوبكر بن عمر بن يونس المزى الحنفى الفقيه (٥٩٣ - ٦٨٠ هـ) روى «البخارى» عن ابن مدويه، والعطار، و «مسلما» عن ابن الحرستانى، وعاش سبعا وثمانين سنة[٥].

---

(١) انظر لترجمته: معجم الشيوخ للذهبى (ق ١٨١/أ) والعبر (٣٢١/٥ - ٣٢٢) وطبعة البسيونى (٣٣٩/٣) ودول الإسلام (١٨٠/٢) والمعجم المختص (ق ٣٥/ب) والمعين (٢١٦) والتذكرة (١٤٩٦) وذيل طبقات الحنابلة (٢٩٧/٢) وشذرات الذهب (٣٦٢/٥)

(٢) الحديث الثامن منه (الفتاوى ٨٥/١٨).

(٣) انظر لترجمته: غاية النهاية (٤٠٥/٢) ومعجم الشيوخ للذهبى (ق ١٨٦/أ).

(٤) الأرقام: ٢٠ - ٣٠ وفى الموضعين «أبو العز» بدل «أبى الفتح» الفتاوى (٩٩/١٨ و ١٠٩).

(٥) انظر لترجمته: العبر (٣٣٣/٥) وطبعة البسيونى (٣٤٦/٣) وشذرات الذهب (٣٦٩/٥) - ٣٧٠).

سمع منه شيخ الإسلام، ومن مسموعاته حديث فى الأربعين[١].

٥٨ – والشيخ أبو بكر بن سالار[٢].

٥٩ – والحاج المسند أبو بكر وأبو محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الواسع الهروى (٥٩٤ - ٦٧٣ هـ).

سمع منه شيخ الإسلام عام (٦٦٨ هـ)، ومن مسموعاته عدة أحاديث فى الأربعين[٣].

٦٠ – والشيخ أبو زكريا ابن الصرى[٤].

٦١ – والشيخ ابن بحير[٥].

٦٢ – والشيخ العالم العارف كمال الدين المراغى شيخ زمانه. أخذ عنه عدة أقوال فى ابن عربي وجماعته[٦].

٦٣ – والشيخ تاج الدين الأنبارى الفقيه المصرى الفاضل[٧].

٦٤ – والشيخ شهاب الدين المزى[٨].

٦٥ – والشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية،

---

(١) الحديث الخامس عشر (الفتاوى ١٨/٩٢).

(٢) قال: حدثنى صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن ابن دقيق العيد، وقال أيضا: وحدثنى بذلك غير واحد من الفقهاء مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٧٥).

(٣) أرقام الحديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ (الفتاوى ١٨/٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤).

(٤) الفتاوى (٨/٣٨٢)

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٧٥) قال: حدثنى ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٧٥ - ٧٦)

(٧) ذكره فى مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٧٦ - ٧٧)

(٨) ذكره في مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٧٧)

ولدت سنة (٦٠١ هـ)، وتوفيت فى شوال سنة (٦٨٧ هـ) سمع منهـا شيخ الإسلام فى شعبان سنة (٦٧٥ هـ) بقاسيون، وفى عام ٦٨٤ هـ، ومن مسموعاته عنها حديثان فى الأربعين[١].

٦٦ — والشيخة الصالحة العابدة المجتهدة المسندة المعمرة أم أحمد زينب بنت مكى ابن على بن كامل الحرانية الصالحية، توفيت فى شوال سنة (٦٨٨ هـ)، ازدحم عليها الطلبة، وعاشت ستا وتسعين سنة[٢].

وسمع منها شيخ الإسلام فى شعبان سنة (٦٦٧ هـ) ومن مسموعاته عنها عدة أحاديث فى الأربعين[٣].

٦٧ — والشيخة الصالحة أم يحيى، وأم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الحتاجية الكندية ولدت سنة (٥٩٩ هـ). وتوفيت سنة (٦٨٤ هـ) عن خمس وثمانين سنة، سمعت الغيلانيات، وجزء المزكى، وعمر بن طبرزد، ومشيخة يعقوب، وجزء الأنصارى[٤].

(١) رقم: ١١ و ٤٠ من الأربعين (الفتاوى ١٨/٨٨، ١٢٠)

(٢) العبر (٥/٣٥٨ وطبعة البسيونى ٣/٣٦٦) والمعين فى طبقات المحدثين (٢١٩)، ومرآة الجنان (٤/٢٠٧) والنجوم الزاهرة (٧/٣٨٢) وشـذرات الـذهب (٥/٤٠٤).

(٣) أرقام الأحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٢ - ١٨ - ٣٩ (الفتاوى ١٨ / ٨٠، ٨٢ - ٨٣ - ٨٤، ٨٩، ٩٥، ١١٩)

(٤) معجم الشيوخ للذهبى (ق ٦١/أ) والعبر (٥/٣٤٧ و طبعة البسيونى ٣/٣٥٥) ومرآة الجنان (٤/٢٠١) والنجوم الزاهـرة (٧/٣٦٨) و شذرات الذهب (٥/٣٨٥)

سمع منهـا شيخ الإسلام فى رمضان سنة (٦٨١ هـ) ، و من مسموعاته عدة أحاديث فى الأربعين[١].

٦٨ — والشيخة ست الدار بنت مجد الدين ابن تيمية : عمة شيخ الإسلام ، قرأ عليها جزء البانياسى فى سنة (٦٨٣ هـ)[٢].

٦ — والشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة بنت أبى القاسم على بن أبى محمد القاسم بن أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر (٥٩٨ - ٦٨٣ هـ)[٣].

و سمع منها شيخ الإسلام فى رمضان سنة (٦٨١ هـ) ، ومن مسموعاته عنها حديثان فى الأربعين[٤]

الفصل الخامس

فى ذكر أصحابه و تلاميذه

بدأ شيخ الإسلام بالتدريس ، والإفادة ، والإفتاء ، وعمره دون العشرين إلى أن توفى إلى رحمة الله ، واستمر فى هذا المجال أكثر من نصف قرن فكثر أصحابه و تلاميذه ، كثرة يصعب عدها ، و إحصاؤها ، فله تلاميذ وأصحاب فى

---

(١) أرقام الأحاديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٣٧ - ٣٨

(٢) و سمعه محمد بن أحمد بن عبد المنعم بن حمد بن منيع بن أبى الفتح الحرانى التاجر المعروف بابن البيع (الدرر الكامنة ٤٣١/٣)

(٣) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١١٨/أ) و العبر (٣٤٤/٥) و طبعة البسيونى (٣٥٣/٣) وشذرات الذهب (٣٨٣/٥)

(٤) الأرقام : ٣٨ - ٣٩ (الفتاوى ١١٨/١٨ - ١١٩)

أثناء إقامته بدمشق فى دار الحـــديث السكرية ، والمدرسة الحنبلية ، والجــامع الأموى ، ومجالسه فى مصر ، فى مساجدها ، وصحونها ، فكان يحضر دروسه مئات طلبة العلم من أفاضل عصره ، فقد جاء فى طبقة سماع جزء أبي مسعود أحمد بن الفرات الرازى على أربعة وأربعين شيخا ومنهم شيخ الإسلام بمشهد عثمان بجامع دمشق سنة (٧١٠ هـ) فى شهر رمضان المبارك أن عـدة السامعين الذين كمل لهم سماع الجزء ثلاث مائة وخمسة عشر نفرا

وهكذا ما جاء فى طبقة سماع مشيخة ابن عبد الدائم ، ذكر عدد كبير من السامعين لهذا الجزء من شيخ الإسلام وغيره من المشايخ .

و هــذا حال المجالس العلمية التى يحضرها خواص أهل العلم ، أما مجالس الوعظ والإرشاد التى كانت تعقـــد له بدمشق ومصر فلا يمكن معرفــة عدد الحاضرين بها .

وكانت صحبة شيخ الإسلام بأقرانه و معاصريه قد أحدثت انقلابا عظيما فى حياتهم العلمية والعملية فتحرك أصحابه لخدمة العلم والعقيدة حسبما خطط لهم شيخ الإسلام ، ولا يخفى صحبـــة ابن القيم ، و البرزالى ، و المزى ، و الذهبى ، وابن كثير ، و ابن عبد الهادى وأمثالهم وآثارها البعيـدة فى خدمة الإسلام والعقيدة والعلم .

وكان كل هؤلاء أئمـة عصرهم ، وجذبتهم شخصيـة شيخ الإسلام العبقرية فأعجبوا بها الإعجاب كله ، وترافقوا معه طيلة حياته ، وقد أغاظت هــذه الصحبة المباركة التاج السبكى الذى كان يعتبر من أعداء الدعوة السلفية التى جددها شيخ الإسلام وأصحابه فقال : و اعلم أن هـــذه الصحبة أعنى المزى ، والذهبى ، والبرزالى ، وكثيراً من أتباعهم أضر بهم أبو العباس ابن تيمية إضراراً

بينا ، وحملهم من عظائم الأمور أمرا ليس هينا ، وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم ، وأوقعهم فى دكادك من نار ، المرجو من الله أن يتجاوزها لهم ولأصحابهم » .

هذه هى نظرة السبكى الذى لم يكن يتوقع منه أفضل من تلك ، أما الحقيقة الحقة ، والأهمية الكبرى لأصحاب شيخ الإسلام تتجلى فى كلام خبير من أصحابه الذى طاف البلاد ، واطلع على أحوال الأمة الإسلامية التى وقعت فريسة للشرك والكفر ، والبدع والضلال ، بما لا تقره الشريعة الإسلامية السمحاء بحال من الأحوال .

وهو العلامة الإمام الشيخ عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن الواسطى ، المعروف بابن شيخ الحزاميين (ت ٧١١ ﻫ)

فقد كتب رسالة وبعث بها إلى جماعة من أصحاب شيخ الإسلام ، وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ ، وحثهم على اتباع طريقته ، وأثنى فيها عليه ثناء عطيما فقال فيه مخاطبا لأصحاب شيخ الإسلام :

واعلموا — أيدكم الله — أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى فى هذا العصر حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء فى الحيوان الأسود ، لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لا يدرى قدر ما هو فيه من العافية ، فأنتم إن شاء الله تعالى فى حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠) وكما قال تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج ٤١) .

أصبحتم إخواني تحت سنجق[١] رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى، مع شيخكم وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المدعو بذكره رضى الله عنه، قد تميزتم من جميع أهل الأرض، فقهائها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامها: بالدين الصحيح، وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، فى الفقهاء، و الفقراء، و الصوفية، و العوام. فأنتم اليوم فى مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم الله ورسوله فى حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله

وأنتم أيضا فى مقابلة من لم ينفذ فى علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ وجمد على مجرد تقليد الأئمة، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله فى تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة، تأسياً بهم، لا تقليدا لهم.

وأنتم أيضا فى مقابله ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية[٢] والحريرية[٣] من إظهار شعار المكاء، و التصدية، ومؤاخاة النساء و الصبيان، و الإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم، وتقليدهم فى صائب حركاتهم و خطئها، وإعراضهم عن دين الله الذى أنزله من السماء، فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضا كما تجاهدون من سبق.

حفظتم من دين الله ما أضاعوه، و عرفتم ما جهلوه، تقومون من الدين ما عوجوه، وتصلحون ما أفسدوه

و أنتم أيضا فى مقابلة رسمية الصوفية، والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعيــة، من التصنع باللباس، والاطراق، و السجادة،

---

(١) أى تحت لوائه ورايته.

(٢) أتباع أحمد الرفاعى البطائحى، وسموا أيضا « البطائحية »

(٣) فرقة صوفية.

لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار[١]، والاكمام الواسعة فى حضرة الدرس ، وتنميق الكلام ، والعـــدو بين يدى المـدرس راكعين حفظا للناصب واستحلاباً للرزق والأدرار .

لحفظ هؤلاء فى عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه ، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون ، يجتمعون لغير الله بل للعلوم ، ويلبسون للملوم وكذلك فى أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم ، فضيعوا كثيراً من دين الله ، وأماتوه ، وحفظتم أنتم ما ضيعوه ، وقومتم ما عوجوه .

وكذلك أنتم فى مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء ، والصوفيـــة من قولهم بالحلول والاتحـــاد ، وتأله المخلوقات ، كاليونسية ، والعربيـــة والصدرية ، والسبعينية ، والتلمسانية ، فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه ، وأعرضوا عن شريعـة رسول الله ﷺ .

فاليونسية يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهرا للحق ، ويستهينون بالعبادات ، ويظهرون بالفرعنـــة والصولة ، والسفاهـــة والمحالات ، لما وقر فى بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس ، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون به بألسنتهم ، ويكفرون به بأفعالهم .

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهراً للحق باعتبار أن لا متحرك فى الكون سواه ، ولا ناطق فى الأشخاص غيره وفيهم من لا يفرق بين الظاهـــر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجـــة ، وبين عين البحر ، حتى أن أحدهم يتوهم أنه الله فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصى ، لأنـه يعتقـد ارتفاع الثنوية ، فمَن العابد ؟ ومَن المعبود ؟ صار الكل واحد

---

(١) البقير ، والبقيرة : برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب (لسان العرب ٧٤/٤)

اجتمعنا بهذا الصنف فى الربط، والزوايا .

فأنتم بحمد الله قائمون فى وجه هؤلاء أيضا تنصرون الله، و رسوله، و تذبون عن دينه، و تعملون على إصلاح ما أفسدوا، وعلى تقويم ما عوجوا، فإن هؤلاء محوا رسم الدين، وقلعوا أثره، فلا يقال : أفسدوا، ولا عوجوا، بل بالغوا فى هدم الدين، ومحو أثره، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام، وكذلك جهاد كل من ألحد فى دين الله، وراغ عن حدوده، وشريعته كائنا ما كان من فتنة وقول كما قيل :

إذا رضى الحبيب فلا أبالى أقام الحى أم جد الرحيل

وبالله المستعان .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم، والاجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله، بما أمكن، وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ، لأن اليوم له سبعمائة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك واندثر .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون فى وجوه العامة، بما أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقلندس، وخميس البيض، و الشعانين، و تقبيل القبور، والأحجار، و التوسل عندها، و معلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى، و الجاهلية، وإنما بعث رسول الله ﷺ ليوحد الله ويعبده وحده، ولا يأله معه شىء من مخلوقاته بعثه الله تعالى ناسخا لجميع الشرائع، والأديان، والأعياد .

فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائمون فى وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء، أهل الكيد والضرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التى هى عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم فى وجوه التتر، والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدرية وأصناف أهل البدع، والضلالات لأن الناس متفقون على ذمهم، يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم، كما تقومون، بل يعلمون، ويجبنون عن اللقاء، فلا يجاهدون، وتأخذهم فى الله اللائمة، لحفظ مناصبهم، وابقاء على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله فى وجوه مثل هؤلاء — حق القيام — سواكم، فأنتم القائمون فى وجوه هؤلاء إن شاء الله، بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا — أيده الله — حق القيام بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبراً يا إخوانى على ما أقامكم الله فيه، من نصرة دينه، وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه، واستعينوا بالله، ولا تأخذكم لومة لائم، وإنما هى أيام قلائل، والدين منصور، قد تولى الله إقامته ونصره، ونصرة من قام به من أوليائه، إن شاء الله. ظاهراً وباطنا[1].

وهؤلاء هم أصحاب شيخ الإسلام الذين قاموا بخدمة كتاب الله وسنة رسوله بشرحهما وتفسيرهما تفسيرا يوافق منهج السلف، من الصحابة والتابعين، وكان على منهجهم كل من انخرط فى سلك هذه المدرسة المباركة.

وأما ما يتعلق بخدمتهم للحديث وعلومه فهذا جانب مهم للغاية حيث كان النشاط فى بلاد الإسلام فى أواخر القرن السابع، وفى القرن الثامن بوجود شيخ الإسلام، وأصحابه.

فهذا المزى أحد أئمة عصره، وأبرز أصحاب شيخ الإسلام الذى يعتبر

(١) العقود الدرية (٣٠٠ - ٣٠٦)

كتابه « تحفة الأشراف بمعرفة أطراف كتب الستة وذيولها » « وتهذيب الكمال في رجال الكتب الستة » أجس خدمـــة لدواوين الاسلام الستة ، ورجالها ، وطرقها ، وأطرافها ، وكل من جاء بعده كان عالة على الكتابين .

وهذا الذهبي الذى ملأ المكتبة الاسلامية بمؤلفاته فى : التاريخ ، والرجال ، والسير ، التى صارت عمدة لمن جاء بعده .

وهذا ابن كثير الذي خدم كتاب الله بتفسيره القيم الذى يعتبر من أحسن التفسير بالأثر ، وكتابه « البداية والنهاية » أيضا يعتبر من أحسن الكتب المؤلفة فى التاريخ الاسلامى ، ومؤلفاته الأخري فى الحـــديث وعلومه أيضا له أهمية كبيرة كـ « جامع المسانيد » و « اختصار علوم الحديث »

وأما ابن القيم فملأ الدنيا بالفكر السلفي الذى عاش لأجله شيخ الاسلام ، وذلق لأجله ما ذاق من الأعـــداء ، و ابتلى فى سبيل ذلك فتعليقه على « مختصر سنن أبي داود للمنذرى » و « زاد المعاد فى هدى خـــير العباد » و غـــيرها مليئة بشرح سنة الرسول حسب المنهج السلفى العلمي الصحيح .

وهكذا تلاميذه الآخرون كابن عبد الهادى ، وابن مفلح و غـــيرهم لهم خدمات جليلة فى خدمـــة الحديث النبوى إلى جانب خدماتهم فى أبواب أخرى من العلم — رحمة الله عليهم رحمة واسعة — .

ومع كثرة أصحابه ، وتلاميذه ، ومحبيه ، وجليل خدماتهم لم أعلم أنه قد ألف فيهم أحـــد من المتقدمين والمتأخرين كتابا إلا الامام الذهبي الذى ألف فيهم كتابـــا ، ذكره السخاوى فى « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » وأسماه : « القبان فى أصحاب التقى ابن تيمية » (ص ٦٧٥) ، وعنه ذكره الدكتور بشار عواد فى كتابه : « الذهبي ومنهجه فى تاريخ الاسلام » (١٨١) .

(يتبع) ● ● ●

١ — من آداب الحج

بقلم د / صالح بن غانم السدلان
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة ، الرياض

الحمد لله والصلاة و السلام على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ـ أما بعد .

فإن للحج آدابا يتعين على المسلم الاهتمام بها وتعلمها وتطبيقها قولا وعملا وإليك بيان أهمها .

أولا : الإخلاص : وهو شرط لصحة العمل قال الله تعالى : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ وقال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ .

فعليك أخي أن تهتم بهذا الأمر العظيم وتحذر مما يقع فيه بعض الناس من دعوة لغير الله أو قصد عرض من أعراض الدنيا أو قصد ثناء الناس ومدحهم وغير ذلك مما يبطل الحج أو ينقص ثوابه أو يقدح في كماله .

ثانيا : اختيار النفقة الطيبة الحلال قال الله تعالى : ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ وقال النبي ﷺ : (ان الله طيب لا يقبل إلا طيبا) .

ثالثا : تعلم أهم أحكام الحج من واجبات ومسنونات لتؤدى هذه العبادة على علم وبصيرة .

رابعا : التوبة إلى الله جل وعلا والخروج من مظالم العباد قال الله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ .

خامسا : أداء حقوق العباد والتخلص منها من ودائع وأمانات وديون .

سادسا : تأمين نفقة حجك ذهابا وإيابا بحيث لا تحتاج الى أحد فإن من حج و هو فقير يحتاج الى ما فى أيدى الناس فإنه خاطىء متأكل على ازواد الناس وأمتعتهم .

سابعا : اختيار الرفقة الصالحة الذين يعينونك على الحق و يهدونك بالخير ويعلمونك إن جهلت ويذكرونك إن نسيت .

ثامنا تأمين نفقة عن تحت يدك من زوجة وأولاد ونحو ذلك تكفى لمدة غيابك

تاسعا : لزوم الأدب المطلوب للحاج من خشوع و خضوع لله وإكثار لذكره وحمده وتعظيمه سبحانه وتعالى .

عاشرا : لزوم الأمور المشروعة بعد الإحرام كالتلبية عند بدايته وعند القيام والقعود وعند النزول و الصعود والاجتماع و التفرق وإقبال الليل والنهار ونحو ذلك .

حادى عشر : اجتناب المنهيات صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها قال الله تعالى :

﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ .

ثانى عشر : التعاون بين الرفقة بحيث يشترك الحاج مع رفقائه فى أداء العمل الذى يتعلق بالنزول والركوب وتهيئة المكان ونحو ذلك .

ثالث عشر: الحذر من أن يستخدم الانسان رفقته فى إصلاح أموره، وشئونه وهو قادر على أن يقوم بنفسه بذلك.

رابع عشر: الحرص كل الحرص فى اتباع النبي ﷺ فى أداء المناسك من غير زيادة ولا نقصان قال عليه الصلاة والسلام: (خذوا عنى مناسككم) وقال الله تعالى فى حق نبينا محمد ﷺ. ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

خامس عشر: التعاون مع المسئولين فى مكة والمشاعر والمدينة المنورة وذلك بلزوم الآداب الشرعية واتباع الأنظمة المرعية كلزوم النظافة وآداب السير وآداب النزول واستخدام المياه ونحو ذلك.

فهذه من أهم الأمور التى ينبغى للحاج أن يتحلى بها ويعنى بها، والله الموفق وحده والهادى إلى سواء السبيل .

****

أفضل الأعمال

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل النبي ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله. قيل ثم ماذا: قال: حج مبرور.

(متفق عليه)

٢ — سلامة الصدر من الأحقاد

‡‡✱‡‡✱‡‡✱‡‡✱‡‡✱‡‡✱‡‡✱‡‡

الحمد لله الذى جعل المؤمنين إخوة يتعاونون بينهم على البر والتقوى ويحترم كل واحد منهم الآخر فى نفسه وماله وعرضه فكل المسلم على المسلم حرام. أحمده سبحانه أحاط بكل شىء علما. وأشكره فهو على كل شىء شهيد أحاط علمه بالظاهر والخفى والقريب والبعيد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو الولى الحميد. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والوفاء وعلى التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا أما بعد.

فيا جماعة المسلمين! اتقوا الله تعالى واحترموا حقوق إخوانكم المسلمين وذبوا عن أعراضهم كما تذبون عن دمائهم وأموالهم.

عباد الله! إن الاسلام يعتمد فى إصلاحه العام على تهذيب النفس الانسانية قبل كل شىء، فهو يكرس جهودا ضخمة للتغلغل فى أعماقها وغرس مبادئه فى جوهرها حتى تصير جزء منها.

عباد الله! إن ما يتصف به الناس من الأخلاق على وجهين: أخلاق فاضلة شريفة حث الدين عليها وأمر بها. وأخلاق رذيلة سافلة حذر عنها ونفر منها، ألا، وإن من الأخلاق الفاضلة «سلامة الصدر من الأحقاد» فليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرأ من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد. إذا رأى نعمة تساق إلى أحد رضى بها وأحس فضل الله فيها وذكر قول رسول الله ﷺ اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك

وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر . سنن أبي داود .

وإذا رأى أذى يلحق أحـــدا من خلق الله رثى له ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبـه وبذلك يحيا الفرد المسلم ناصع الصفحة راضيا عن الله ثم عن الحياة مستريح النفس من نزعات الحقـد الأعمى ، لأن فساد القلب بالضغائن داء عياء والقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها .

أما القلب المشرق فإن الله تعـالى يباركه وهو إليـه بكل خـــير أسرع . روى ابن ماجـه عن عبد الله بن عمرو قيل : يا رسول الله ! أى الناس أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان : قيل : صدوق اللسان نعرفـــه فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد »

ومن ثم كانت الجماعـــة المسلمة حقا هى التى تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع و التعاون المتبادل قال تعـالى : ﴿ و الذين جاءوا من بعدهم ﴾ الآية .

وإذا كان البشر متفاوتون فى أمزجتهم وأفهامهم فإن التفاهم فى ميـــادين الحياة قـد يتولد عنـه ضيق وانحراف ، لذلك شرع الاسلام ما يرد عن المسلمين عوادى الانقسام والفتنـة وما يؤلف قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة فنهى عن التقاطع والتدابر نعم ، قد يحدث أن تشعر بإساءة موجهة إليك فتحزن لها وتضيق بها و تعزم على قطع صاحبها و لكن النبى ﷺ يحـــذرك أن تنتهى الصلة بينك وبين أخيك إلى هذا المصير . روى البخارى فى صحيحه بسنده أن النبى ﷺ قال : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسـدوا وكونوا عبـاد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .

إن الاسلام يحارب الأحقاد و يحذر من التباعد والتباغض ويرتقى بالمجتمع

المؤمن الى مستوى رفيع من الصداقات المتبادلة أو المعاملات العادلة ولزام على المسلم أن يواصل إخوانه و أن يعود معهم سيرته الأولى ولا يكن من أولئك الذين يحتبس الغل فى أفئدتهم ولا يستريحون إلا إذا آذوا و أفسدوا.
عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« الا أنبئكم بشراركم ، قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال إن شراركم الذى ينزل وحده ويجيب عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا· بلى إن شئت يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال : الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » رواه الطبرانى .

وهناك رذائل رهب الاسلام منها وهى على اختلاف مظاهرها تعود إلى علة واحدة هى الحقد فالافتراء على الأبريا جريمة يدفع إليها الكره الشديد ولما كان أثرها شديدا فى تشويه الحقائق عدها الاسلام من أقبح الزور روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم ! قال : فان أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ رسول ﷺ ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ .

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمنين أن يتمنى الخير للناس إن عجز عن إيصاله إليهم بيده . أما الذى لا يجد بالناس شرا فينتحله لهم انتحالا ويزور عليهم تزويرا فهو معرض نفسه للعذاب فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة وا

يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ولا يليق بمسلم أن يتشفى بالتشنيع على أخيه المسلم والتشويش عليه . فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويتمنى لهم العافية أما التلهى بسرد الفضائح وكشف الستور وإبداء العورات فليس ذلك من خلق المسلم .

ومن ثم حرم الاسلام الغيبة إذ هى متنفس حقد مكظوم وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال · إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته .

قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ · لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون فى اعراضهم . فعلى المسلم أن يحفظ الحرمات و يستر العورات ويغفر الزلات قال رسول الله ﷺ : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة .

ومن سلامة الصدر أيضا أن لا يكون المؤمن ثرثارا يفصم عرى المودة بين الناس ويقطع وشائج المحبة بينهم وقد كان النبى ﷺ ينهى أن يبلغ عن أصحابه ما يسؤوه قال : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . و قال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالرياض

ترك الصلاة كفر

◇ انا متزوج منذ حوالى عشر سنوات ولكن زوجتى لا تهتم بأداء الصلاة، وأحيانا تضيعها وتتركها، وأحيانا إذا سألتها: هل صليت فرض كذا؟ تجيب بنعم وإذا تقصيت حقيقـة الأمر أجد عكس ذلك . . وكثيرا ما يحصل بينى وبينها شجـار و كلام بسبب الصلاة وخاصة صلاتى العشاء والفجر وكذلك الحال بالنسبة لصيام رمضان، و إذا بقى عليها أيام من رمضان فإنها لا تقضيها وان فعلت فبشق الأنفس وأعانى معها كثيرا من الصعاب والمشاكل بسبب الأمور التى تتعلق بأمور الدين . . وإذا دعوتها لأعلمها شيئاً من القـرآن لا تستجيب لذلك علما انها تعرف شيئا من القرآن، والسؤال هو

ما حكم البقاء و العيش معها والحالة هذه . . علما أن لدى منها ستة «٦» اطفال أرجو إفادتى عن ذلك سائلا الله لكم التوفيق، والسلام .

(ع . د . ح جيزان — مزهرة)

الجواب:

● إذا كان حال زوجتك ما ذكرت من تهاونها بالصلاة و عـدم محافظتها عليها رغم نصيحتك لها و اجتهادك فى توجيهها إلى الخير فالواجب عليك فراقها لأن من ترك الصـلاة من الرجال أو النسـاء كفر كفرا أكبر وإن لم يجحـد وجوبها فى أصح قولى العلماء لقول النبى ﷺ «العهـد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» أخرجه الامام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح ولأحاديث أخرى وردت فى ذلك .

ونسأل الله أن يهديها وأن يمن عليها بالتوبة أو يعطيك خيرا منها إنه خير مسؤول .

الجهاد هو الحل الوحيد لقضية افغانستان

الشيخ جميل الرحمن
أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة فى أفغانستان

{ ١ }

إن سبب هجرة مسلمى أفغانستان ليس من خوف القتل والتشريد فحسب ، بل هناك سبب آخر هو اختلاف الفكرتين و العقيدتين ، عقيدة الاسلام ونظرية ماركس ، بل السبب الرئيسى لهجرتهم هو عدم التحكيم بقوانين الاسلام وإجبار الناس على قبول نظرية الشيوعية فكانت الشيوعية تطبق على المسلمين قوانين الماركسية فاذا كان هجرتنا لأجل العقيدة والاسلام . .

فالحل الوحيد لقضية أفغانستان نفاذ الاسلام و ليس الحل هو السياسية كما تدعى كثير من الدول الكافرة (والكفر ملة واحدة) والدولة المشتركة للجاهدين والشيوعية الغاشمة .

لذلك نقول بقول فصل على أنه إذا أجمع جميع العالم على حل القضية من غير طريق الاسلام ، فهو حل سياسى مستهدف من أعداء الاسلام — وليس فى حق المجاهدين والاسلام الذى لأجله تركوا بلادهم ويضحون بأنفسهم .

إذا كان المسلمون فى أفغانستان لا يعيشون تحت ضغط ربيبة الروس فكيف تحت ربيبة العالم الكافر وهذا شيء لا يمكن أن يسلم المجاهدين . فمثل هذا الحل

تريده دولة باكستان ولكن ليس له أى علاقة بالعوام الأفغان . نحن ضيوف باكستان وإذا أرادت تطردنا من بلادها فسوف نخرج بدون أى تدخل .

نحن نرفض الحل السياسى لهذه القضية ، لأن الجهاد فرض دينى .

نحن لا نضع أسلحتنا حتى يكون الدين كله لله ، لا يمكن نفاذ الإسلام فى أفغانستان بالحل السياسى الذى تريده حكومة أفغانستان . بل بتنفيذ الأحكام الدينية فيها بالجهاد فان التاريخ الإسلامى وخاصة القرن الأول شاهد على أن الجهاد هو الحل الوحيـــد لنفاذ الإسلام وهو طريق نفاذ الدين إلى يوم القيامة . ونحن ما بدأنا الجهاد باشارة باكستان أو دول أخرى ، فكذلك لا نضع أسلحتنا باشارة هؤلاء . فاننا توكلنا على الله وحسبنا الله .

فالذى له أدنى إيمان فى قلبه لا يضع أسلحته عن الجهاد حتى تضع الحرب أوزارها ، فان الحلول السياسيـــة يمكن أن تؤثر على هجرتنا ولكن لاتمنعنا عن الجهاد هذا لا يمكن أبدا .

فالكلمـــة الأخيرة فى هـــذا الباب إننا لانزال نجاهد حتى تحكم البلاد بالكتاب والسنة .

﴿ ٢ ﴾

نبذة ما أفاده الشيخ جميل الرحمن « أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة أفغانستان »

مع مجلة (دعوت) الأردية حول قضية الجهاد فى أفغانستان

أفاد الشيخ جميل الرحمن إجابة عن سؤال يتعلق بأهداف الجماعة .

الهدف الوحيـــد وغرضها الأساسى هو الدعوة إلى الله فى ضوء الكتاب والسنـــة لسعادة البشرية فى الدارين ونجاتها من المشاكل والخسران الحاصل من الجهل والبعد من دين الله .

وقال فضيلة الشيخ عن تأسيس هـــذه الجماعـــة : أنها أسست قبل خمسة

شرين سنـــة فى عهـد ملك ظاهر شاه و أضاف قائلا من عدد المشتركين فى
ه المنظمة على عددها يفوق نصف مليون ، حيث بلغ عدد الطلاب فى مدارس
اعة القائمـة على الكتاب والسنة أكثر من خمسة عشر ألف طالب ، كما بلغ
د المجاهــدين فى شتى الجبهات ، الذين يواصلون الجهاد ليلا ونهارا بالتناوب
م، وعلى أنهم يجاهدون فى أغلب الولايات مع القلة الوسائل المادية: العدة والأسلحة.

وأضاف قائلا عن السوال : فى الحقيقـــة أن الفوز والنصر الذى يحصل
جاهدين الأفغان هو النصر من الله سبحانه وتعالى ، أما مساعى وجهود جميع الجماعات
شتركة فى الجهاد ، فلو ادعت أى جماعة على أنها خاصة منها وحدها دون غيرها
ـ ادعاء محض لا أصل له .

كما أشار إلى عقيدة هذه الجماعـــة وأضاف : إن الدين الصحيح هو ما
ت من الكتاب والسنة والإجماع ، وكذلك يجب الرجوع فى المسائل الخلافية
ـ الكتاب والسنة لا إلى قول أحـد ، مصـداقاً لقوله تعالى . ﴿فان تنازعتم فى
ىء فردوه إلى الله والرسول الآية﴾ .

وعقيدة هذه الجماعة عقيـــدة السلف الصالح فى الأسماء والصفات وتوحيد
لألوهية والعبادة . بعيدة عن عقيدة المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ، كما لابد من
كية النفس ، وتطهير القلوب وذلك كله بالأذكار والأوراد المأثورة من النقل
صحيح ، لا كما ابتدعت المتصوفة طرقا واذكارا لتزكية القلوب ، فان ذلك دجل
دس فى الدين الإسلامى و إن كان صاحبه يدعى المشى على الماء و الطيران فى
لهواء . هذه معتقداتنا وفهمنا للدين الصحيح فى ضوء الكتاب و السنـة و أفاد
لنسبة الحكومة المرجوة عند الجماعة : تأبى الجماعة أن تقبل إلا الحكومة الاسلامية
الصة التى تكون وسيلة لاستمرار الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
أن يكون الجهاد جاريا إلى يوم القيامة . . ومن الله التوفيق .

الخمينيون ينفذون وصية يزدجرد ويحاولون اغتيال الإسلام فى عقر داره

وزير الخارجية الايرانى وزعماء الانقلاب يهددون المسلمين والحجيج مرة ثانية
المسلمون يثقون بالسعودية ويندوون أعمال زعماء ايران الغوغائية

اعداد : أبو القاسم عبد العظيم
أستاذ العلوم العربية والدراسات الإسلامية
بالجامعة العالية العربية ، الهند

++++++++++++++++++++++

الجرائم الوحشية التى مارسها الإيرانيون فى مكة المكرمة فى حج العام المنصرم سنة ١٤٠٧ هـ ، وما أعلن به وزير الخارجية الإيرانى « على محمد البشارتى » ، وما يتفوه به زعماء انقلاب إيران من أن عدد الحجاج الإيرانيين سوف يكون أضعافا مضاعفة بالنسبة لحج العام الماضى ، وأنه لا حاجة لهم إلى تأشيرة وإذن دخول من المملكة العربية السعودية ، كلها تكشف لمن يدقق النظر فى تصرفاتهم عن نوايا وحقائق تخفى على كثير من الناس .

إن هذه الجرائم الوحشية تؤكد أن الوازع الدينى لا وجود له لدى كل من شاركوا فى الجرائم ، وفى الاعتداء على ضيوف الرحمن الآمنين المطمئنين ؛ وذلك عندما استحلوا الدم الحرام فى البلد الحرام ، وفى شهر الحرام ، ومارسوا الغدر من أجل الغدر ، وارتكبوا جرائم القتل من أجل القتل ، وقاموا بالتخريب من أجل التخريب ، وجاءوا بقلوب مليئة بالغل ، مشحونة بالحقد والكراهية

و البغضاء كما جاءوا بأدمغة مليئة بالأفكار السوداء التى و رثوها من ابن السوداء و ورثة تعاليمه من الآيات و الحجج والملالى و الدجاجلة و المشعوذين وأكلة السحت من خمس جدهم (كوهين) .

جريمة لا يستغفر بها التاريخ فى الحقيقة من أناس بنوا إسلامهم على دعامتين همـــا : (الحب) و (البغض) فـ (الحب) إلى حـــد العبـــادة لأشخاص لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ، ويسمون لهؤلاء الأشخاص : (أهل البيت) مع ما بينهم من اختلاف شديد فى تعريف هذا البيت ، ومن يشملهم عليه ، ومن ينتسبون إليه ، .

وأما (البغض) فهو ما يوصل إلى حد الكفر لأشخاص . رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ ، فأثبتوا جدارتهم بهذه الصحبـــة ، و أظهروا أهليتهم بحمل رسالة الإسلام وحفظ ما أمنهم عليه رسول الهدى من كتاب الله وسنة رسوله .

إن هؤلاء الأدعياء وأذناب القرامطة الذين جاءوا متسترين بلباس الحج ، ملبين بـ « لبيك يا خمينى » جاءوا ليمزقوا الإسلام من داخله ، ويقاتلوه فى عقر داره ، جاءوا لينفذوا وصية جدهم الأكبر (يزدجرد) اللعين ، وصية قال فيها عند ما عقد آخر مؤتمر فى « نهاوند » (أشغلوا عمر بن الخطاب فى بلاده وفى عقر داره) حيث لايزال الصراع دائرا على أشده بين عمر ويزدجرد ، وبين العرب والعجم ، وبين الإسلام والمجوسية منذ عصر الخلافة الراشدة وحتى الآن .

فهم نموذج حى لكل من ابتلى الاسلام بانتسابهم إليه ، فكانوا وبالا عليه وعلى جميع المسلمين فى جميع أدوار التاريخ . يحملون أسماء إسلاميـــة ، وتنطوى جوانحهم على قلوب يهودية ، وتخفى عمائمهم رؤسا نخرة ، وعباآتهم نفوسا قذرة .

يهدمون الاسلام باسم الاسلام .

وينتهكون الحرمات باسم الاسلام .

ويمرقون المسلمين باسم الاسلام

ويمدون أيدى الصداقة إلى أعدائهم باسم الاسلام .

ويدمرون المقدسات باسم الاسلام .

ويحاربوننا فى السر والعلانية باسم الاسلام .

ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم باسم الاسلام .

ويطعنون فى القرآن باسم الاسلام .

ويلعنون أمهات المؤمنين بالاسلام .

ويكفرون الصحابة رضوان الله عليهم باسم الاسلام .

ويطلقون على أمة محمد — رسول الهدى — صلوات الله وسلامه عليه .
اسم الأمة الملعونة باسم الإسلام .

ويصفون رب العزة بما لايليق بجلاله وعزته باسم الإسلام .

وينفذون تعاليم كهنتهم وبأبوانهم باسم الإسلام .

فلا أدرى . والله أى شىء هو الكفر إذا كانوا ما يتلبسون به من جرائم وعقائد وممارسات هو الإسلام ؟ ؟

إن هـــذه الجرائم الوحشية ليست إلا امتدادا لحركة القرامطة فى القرون الأولى ، وان هـــذه الإعلانات والدعاوى ماهى إلا تهديدا للمسلمين وتحديا لهم وتحويلا للحجيج وإرهابا وترويعا لهم ، ومنعا عن حج بيت الله الحرام .

لذا ، فمن واجب الإخلاص لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم والإسلام الذى ندين الله به يجب علينا أن ننقذ إسلامنا المظلوم من إسلامهم

المزعوم ، وأن نسلط الأضواء على الصورا المظلمة فى عقائدهم المتطفلة على الإسلام .

وأنا إذ اكتب هـذه السطور اجزم بأن مافعلته المملكة العربية السعوية ردا على ممارسات الحجاج الإيرانيين إنه لحق وصواب .

وأن المسلمين مطمئنون جد اطمئنان بهذا الرد .

وأنهم معتمدون واثقون بأن المملكة سوف تخمد . إن شاء الله ، وبتوفيق من الله . كل نار تأججت . وكل فتنة ثارت على أرضها ، وخاصة على الأراضى المقدسة .

كما أعتقد بأن الفتاوى التى صدرت فى جميع البلاد الاسلاميـة من أقصاهـا إلى أقصاها بمنع هؤلاء الأوباش من دخول الأماكن المقدسة .

وأن البرقيات والاستنكارات التى أرسلت وحملت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك (فهد بن عبد العزيز) . حفظه الله وإلى المسئولين من العلماء والوزراء والحكام ،

وأن الندوات المؤتمرات التى انعقدت فى سائر الأقطار الاسلامية .

وأن المحاضرات والخطب التى ألقيت فى الجوامع والنوادى والمحافل والمجالس ،

وأن المقالات والموضوعات التى نشرت فى المجلات والصحف والإذاعات ،

وأن الرسائل والكتب التى وزعت من قبل الأفراد والهيئات والمؤسسات ومن قبل الجماعات والجمعيات والشركات .

وأن الألسنة التى تكلمت فيها . والعيون التى انصرفت عنها ، والقلوب التى كرهتها ، ليست هـذه كلها إلا مساندة وتأييدا للمملكة العربية السعودية ، ووقوفا بجانبها ، وانطلاقا من ذلك الواجب الدينى ، واستنـادا إلى قول الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعـــد عامهم هذا﴾ . . .

وهؤلاء والله مشركون ، لا شك فى ذلك ولا ريب . انهم لا يعبدون الله وحده ، بل يشركون معه (على بن أبي طالب) رضى الله عنه . وذريته ، وما يسمونه بـ (العتبات المقدسة) فى (النجف) (وكربلا) و (قم) أكبر شاهد على ذلك .

ولذا يجب علينا — نحن المسلمين — استئصال مذهبهم الهدام بمجاهدة من يتزعمونهم من العلماء السوء وعملاء الشيطان وأكلة السحت بكل طاقاتنا وقدراتنا من سلاح القلم واللسان وغيرهما . واضعين نصب أعيننا قوله تعالى : ﴿أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ و قوله : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم ، و خافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله عليه السلام « ومن خاف أحدا غير الله سلطه الله عليه » وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(حرر فى ١٣/٤/١٤٠٨ هـ)

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول | ذو الحجة ، محرم ١٤٠٩ هـ
العدد السادس والسابع | أغسطس ، سبتمبر ١٩٨٨م

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية ، فى الخارج ٣٠ دولارا (بالبريد الجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات }

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الدود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الملحة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

عن الحركة الوهابية

* * * * * * * * * * * * * *

د . مقتدى حسن الأزهرى

دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كثرت حولها الدراسات والمناقشات ، ولا تزال البحوث تظهر حينا بعد آخر تتناول ناحية من نواحى الدعوة ، وتبين منهجها وأصولها ، وتبرز الآثار التى ترتبت عليها . وبجانب هذه الدراسات الموضوعية والبحوث الهادفة هناك كتابات سلك أصحابها مسلك الافتراء والبهت ، فرموا الدعوة وأصحابها بأقبح الصفات وأشنع الأعمال، حملهم على ذلك الحقد والعداء ، وزين لهم الشيطان التحريف والتلبيس ، وهذه المواقف المتعارضة ليست غريبة بالنسبة إلى الدعوات والحركات ، بل دائما تختلف الآراء حولها ، وخاصة إذا كانت الدعوة حقة وأصحابها مخلصين .

وبما أن النشاط الدينى للدعوة قد تزامن نشاطها السياسى فإن المعارضين كثروا ، وعنادهم اشتد ، وجهودهم تنوعت ، ولكنها فى النهاية فشلت .

وإحدى صور هذا الفشل تعرضها علينا رسالة (الوهابيون والحجاز) . من تأليف العلامة السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة « المنار » وأحد أركان النهضة العلمية الحديثة التى مهدت للسلفية فى البلاد العربية وعملت على نشرها . وهذه الرسالة عبارة عن مجموعة مقالات نشرت فى مجلة « المنار » وجريدة « الأهرام » القاهريتين .

وموضوع الرسالة هو إلقاء ضوء على بعض مآثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله ، وتصوير ما وقع بين الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود والشريف حسين من الأحـــداث حول السيطرة على الحجاز ، وتصويب من كان منهما على الصواب .

يقول عن الاصلاح الذى تحقق بدعوة شيخ الإسلام فى نجد :

« وكان الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للاسلام فى بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك والبـــدع التى فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية » .

ويصور المطاعن والتهم التى وجهت إلى الدعوة فيقول :

« ذلك بأن أمراء مكة المفسدين فى الأرض ، الملحدين فى الحرم ، قـــد تصدوا لمقاومة دعوة الاصلاح والتجديد الوهابية من بدء ظهورها ، فأذاعوا فى العالم الإسلامى كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للسلمين والاسلام » .

وأمراء مكة قاموا بتحريض الدولة العثمانية على قتال آل سعود ، فاستعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة ، يقول العلامة رشيد رضا :

« أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقـــادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من السلطان فى جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية »

وكان أمير مكة حسين بن على مسرفا فى الطعن على دين الوهابية وفى عداوة آل سعود ، وكان الانجليز يساعدونه فى هذا الموقف ، ولذا زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز وانقـــاذه من هذا الطاغوت الذى لقب نفسه بالمنقـذ ومن أولاده المفسدين . وهذا الوضع كان أحد الأسباب التى حملت على تأليف رسالة (الوهابيون والحجاز) يقول السيد رشيد رضا :

« فرأينا أن من الواجب علينـــا أن نبين لهم (للناس) ما عندنا من العلم

بذلك فأنشأنا بضع مقالات كان لها من حسن الواقع والتأثير ووقوف الجماهير على أمر الوهابية فوق ما كان ينتظر ، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوذين بلقب الوهابية سنيون متمسكون بمذهب السلف فى العقائد وبمذهب الامام أحمد بن حنبل فى الفروع ، وانهم أشـد شعوب المسلمين فى هـذا العصر اتباعا ، وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصى ، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيما » .

ومع تحقق نصر الله تعالى للدعوة والقائمين بها استمرت العداوة ضدهم ، يشير إلى ذلك رشيد مبينا سببه فيقول :

« على أنه لايزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات ، ومن المنهمكين فى المعاصى والشهوات فى مدن الحجاز ، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما » .

ومهما أرجف المرجفون وطعن الطاعنون فى الوهابيين وأعمالهم الاصلاحية ومواقفهم العادلة فان هناك نصوصا فى كتب التاريخ تشهـد بأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أحدثت آثارا طيبة فى المجتمع وأن السلطان عبد العزيز كان فى زحفه على الحجاز منصورا مؤيداً من الله . أثبت السيد رشيد رضا بهذا الصـدد شهادتين عادلتين ، أولاهما للمؤرخ الشيخ عبـد الرحمن الجبرتى يقول فى تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد على باشا الذين قاتلوا الوهابية فى الحجاز ، وهذا النص يبرز الفرق الذى كان بين القوة المصرية والقوة النجدية ، يقول :

« أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولاينتحل مذهبا ، وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولايسمع فى عرضينا أذان ، ولا تقام فيه فريضة ، ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (يعنى الوهابية) اذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفا خلف إمام واحـد بخشوع وخضوع ، واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف ، وينـادون فى معسكرهم : هلموا إلى حرب المشركين المحلقين

الذقون ، والمستبيحين الزنـــا واللواط ، الشاربين الخمور ، التـــاركين للصلاة الآكلين الربا » .

والشهادة الثانية من كتاب (الاستقصـاء لأخبـار دول المغرب الأقصى) للعلامة الشيخ أحمد النـاصرى السلاوى يحكى عن الفاسيين الـذين حجوا فى ذلك الوقت ، وذكروا انطباعهم عن الحجاز :

« أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعنى ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامـــة والقيام بشعائر الإسلام من صلاه وطهارة وصيام ، ونهى عن المنكرم الحرام وتنقيـــة الحرمين الشريفين من القـاذروات والآثام ، التى كانت تعمل بهما جهـــادا من غير نكير . وذكروا أن حاله كحال آحاد النـــاس ، لا يتميز عن غيره بزى ولا مركوب ولا لباس »

وتمهيد المقالة الثانية ذكر السيد رشيد رضا طريقته فى الكتابة ، وصرح بأنه لم يهدف إلا إلى بيان الحق وأداء النصح الواجب للأمة الاسلامية وللشعب العربى ، ثم إنه أبدى استعداده للمناقشة والرجوع عن موقفـــه إذا ثبت أنـه جانب الصواب ، وهكذا شأن العلماء والباحثين المخلصين .

ثم إنه ذكر فى هذه المقالة الأسباب العامة التى دعت الى زحف الوهابيين على الحجاز وأوصلها الى عشرة أسباب .

وفى السبب الأول بين موالاة شريف مكة حسين بن على وأولاده للدولة البريطانيـــة وحلفائها فى الحرب الأخيرة ونصرهم إياهن على الدولة العثمانية فى فتح البلاد العربيـــة ، وأنه كان يهنىء الدولة البريطانية كلما فتحت مدينـــة من أمصار الاسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف وبغداد ودمشق .

وأشـار إلى عاقبـة تولى المسلم لغير المسلمين فى القتـال وفتح بـلاد المسلمين فقال :

« وأما عاقبته فى الأمة العربيـة فهى استيلاء الأجانب على مهد حضارتها وعمرانها وأخصب أقطارها وأعظم موارد ثروتها ، وجعل ما بقى لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ومهددا بفقد استقلاله فى كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجـد الأقصى حتى لا يبقى لهما استقلال فى دين ولا دولة .

وضمن السبب الثانى أورد قولا للشريف حسين نشرته جريدة « القبلة » (عدد ١٠/ محرم عام ١٣٤٣هـ) وهو :

« وانا لا نزال ساعين لتأييد المودة و تأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام » .

والسبب السابع مختص بذكر ظلم حسين لأهل الحجاز والحجاج وإرهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد إلى البلاد من الأقوات وغيرها واحتكاره القوت الضرورى ، وهو الخبز بابطاله جميع الأفران العامـة والخاصة وإنشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذى لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد مع عدم المبالاة بقول النبى ﷺ : احتكار الطعام فى الحرم الحاد فيه .

و المقالة الثالثة تتناول الأسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجـاز . وقد أورد السيد رشيد رضا تحت السبب الرابع أن حسينا أراد أن يهيج على النجديين العالم الاسلامى كله والعالم الاوربى أيضا بما يرسله من البرقيات التى يلفقها بأسماء مجهولة لحجاج رعايا الدول ، الأوربية أو معروفة كلجنة مؤتمر الجزيرة التى ألفها بمكة للفساد والافساد فى البلاد العربية ، فهو الذى كتب تلك البرقيات،

وهو الذى أرسلها الى الجهات العديدة .

والمقالة الرابعة خصها بالوثائق الرسمية انجد على طاغوت الحجاز ، وفى الوثيقة الثالثة منها أورد خطابا للسلطان عبد العزيز جاء فيه ذكر الدسائس و المؤامرات التى دبرها حسين ضد الوهابيين وكيف أنه أساء الى الحجاج وضيق عليهم وتلعب بهم .

والمقالة الخامسة ذكر فيها ما ينبغى للسلمين علمه وعمله ، وقد أورد فيها الأحاديث التى تبين حكم جزيرة العرب وما يجب أن تكون عليه ، وكذا أشار الى وقائع التاريخ الاسلامى التى تحمل فى طياتها عبرا ومواعظ للأجيال القادمة وكشف عن سياسة الانجليز فى الشرق والاسلام ، يقول :

« ثم ان مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الأراجيف (الأراجيف ضد السلطان عبد العزيز وأهل نجد) والتضليلات تمهيد السبيل لحمل المسلمين فى مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز » .

وفى المقالتين الأخيرتين فصل الكلام فى المعاهدة النجدية الانجليزية ، وفند مزاعم المعاندين وشبهاتهم حولها ، ورد على التهم التى وجهوها الى السلطان عبد العزيز بسبب عقد هذه المعاهدة .

وفى الختام أورد موجزا عن سيرة كل من السلطان ابن سعود ومن الشريف حسين ، حتى يكون القارىء على بصيرة من أمرهما ويدرك سر الدفاع عن ابن سعود والثناء عليه ، ويطلع على المؤامرة الخبيثة التى دبرتها الدولة البريطانية بمساعدة الشريف حسين للتلعب بالحرمين الشريفين والمقدسات الاسلامية ولتشتيت شمل المسلمين فى الحجاز وخارجها .

والمقالة السادسة تحمل عنوان (ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ؟) .

والسيد رشيد رضا أراد بهذا العنوان عرض سؤال وصل إليه بعد نشر مقالاته عن الوهابيين والحجاز ، ونص السؤال كما يلي :

« أرأيتك يا أستاذ ؟ لو تم للإخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة أيهدمون قبر النبي ﷺ ، أعني يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، إذ أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها ؟ » .

و السيد رشيد علق على هذا السؤال بأنه لا يستحق الاجابة لأنه يبحث فى أمر المستقبل وما إذا كان موقف القوم من قبر النبى ﷺ و البنايات المجاورة ، والانسان لا يستطيع التنبؤ عن القوم وأفعالهم فى المستقبل . و لكنه وجد باعثا دينيا دعاه للاجابة عن هذا السؤال ، وهو أن يبين للجماهير من النـــاس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد فى هذا الباب مع فوائد أخرى .

ثم رد السيد رشيد على السؤال فى عدة نقاط وذكر وجهة نظره فى صورة هدم الحجرة وعدمه . وفى المقالة اللاحقة تكلم عن القبور ومساجدها وقبابها ، وفشو البدع و إصلاح الوهابيين ، و أحاديث فى لعن متخذى القبور مساجـــد ، وهدم الأئمة للقبور فى عهد الشافعى ، وعبادة القبور كعبادة للأصنام .

وفى ختام هذه المقالة أورد سؤالا وجوابه ، وهو جدير بأن يتدبره كل مسلم فى هذا الوقت ، يقول :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال ؟

قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ

ولا من أصحابه ولا من تابعيهم و تبع التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ، وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور فى سنة (٦٧٨ هـ) بهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول » .

وهنا تذكرت الضجة التى أثارها المبتدعون فى مدينة بومباى حينما تم إعلان مشروع خادم الحرمين الشريفين عن توسيع الحرم النبوى الشريف فانهم تخوفوا نفس التخوف الذى ورد فى السؤال أو أرادوا توجيه التهمة إلى الحكومة السعودية وإثارة مشاعر المسلمين ضدها ولكن الحمد لله على أن المسألة وضحت الآن لدى الناس وأنهم عرفوا صحة موقف الحكومة السعودية وحكم الأبنية والقباب على القبور .

والمبتدعون فى الهند لايزالون مستمرين فى توجيه الشتائم والتهم إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وإلى الحكومة السعودية التى تبذل جهدها لتطهير عقائد المسلمين والعودة بهم إلى الاسلام الصحيح ، ان نشاطهم المشبوه هذا يمكن أن نلمسه فى كل ما يصدرون من الجرائد والمجلات والرسائل والمؤلفات ومن الغرائب التى ظهرت منهم أنهم بعد تواطؤهم مع الرافضة إثر حادث الحرم المكى الشريف بدأوا يطالبون — مع المطالب العديدة — باطلاق اسم « الجمهورية الاسلامية» على « المملكة العربية السعودية » ولعل السر فى مطالبة هذا التغيير أنهم يشمون فى هذا الاسم رائحة الهزائم المتلاحقة التى نزلت بهم وبالمبتدعين فى كل مكان — ولا تزال تنزل — بتوفيق من الله تعالى ثم بسبب الجهود المخلصة التى بذلتها المملكة العربية السعودية فى سبيل نشر العقيدة الصحيحة ومقاومة الشرك والبدع والخرافات التى انتشرت فى المسلمين الجهال ، وصاروا

بهـا فريسة لعلماء السوء الذين يملأون بطونهم بالمتـاجرة باسم الدين وبصرف الناس عن الاسلام وإشغالهم بالقبائح والمنكرات.

وحيث أن الله تعالى تولى نصر المؤمنين و تكفل حمـاية أهل الحق فان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تزال فى توسع وامتداد، وأصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة يقبلون عليها فى قطر وصوب، ويكشف عن سر ذلك العلامة الشيخ محمد حامد الفقهى رحمه الله تعالى فى كتابه (أثر الدعوة الوهابية) فيقول:

«والسر فى هذا الامتداد وهذه القوة (يعنى امتداد وقوة دعوة محمد بن عبد الوهاب) يرجع إلى جمال هذه الدعوة وبساطتها، وأنهـا فى غير حاجة إلى أدلة جديدة ولا براهين مخترعة، فانها إنما تعتمد على صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الكريمة. والقرآن بين أظهر الناس — محفوظا ومكتوبا — قائم بحمد الله لم يذهب، ولكن العقول هى التى ذهبت عنه، لحين وجهت إليه توجهت، وحين كشف لها عن نوره أقبلت عليه تقتبس منه الهداية والرحمة».

وعلى هذا فليعلم من يناهض هذه الدعوة ويعـاديها أنه يعادى الكتاب والسنة مهما زين له الشيطان عمله هذا، وليعلم كذلك ان النجاح لن يكون حليفه أبدا فى هذه الخطة الخبيثة والجهد البغيض. ان معادته هذه من عمل الشيطان وصد عن سبيل الله وكفر بنعمة الهداية، وكل من هوى فيه لا ينجو إلا إذا تاب إلى الله تعالى وأناب باخلاص النية وسلامة القصد.

وبصدد الكلام عن دعوة محمد بن عبد الوهاب وحماتها وخصومها أستحسن أن أثبت للدعوة شهادة من كاتب محايد كل الحياد فى هذا الموضوع، بل المظنون أنه من مناهضى هذه الدعوات، هذا الكاتب ليس فى حاجة إلى التعريف،

بل سلم له الأدباء والكتاب والنقاد زمام الأدب والبيان واعترفوا له بكل فضل وكمال فى هذا المضمار، حتى انهم لقبوه بعميد الأدب العربى فى العصر الحديث، انه الدكتور طه حسين، الأديب المصرى المعروف، ان اتجاهاته فى موضوع الشعر الجاهلى معروفة لدى النـاس، وردود الناس عليه وعلى نظريته منتشرة، تتداولها أيدى العلماء والطلاب. هذا الأديب المتحرر يبدى رأيه فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيقول:

«ان الباحث عن الحيـاة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر، فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب، واضطرته أن يهتم بأمرها، وأحدثت فيهـا آثارا خطيرة، هان شأنها بعض الشيء، ولكنها عادت فاشتدت، فى هذه الأيام، وأخذت تؤثر لا فى الجزيرة وحدها، بل فى علاقاتها بالأمم الاوربية.

هذه الحركة هى حركة الوهابيين، التى أحدثها محمد بن عبد الوهاب، شيخ من شيوخ نجد.

«ان هذا المذهب الجديد قـديم معنى، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم فى حقيقـة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الاسلام الخالص النقى المطهر من شوائب الشرك والوثنية».

«هو الدعوة إلى الاسلام كما جاء به النبى ﷺ خالصا، ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس».

«هو إحياء للاسلام العربى وتطهير له، مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب (ولو عرف طه حسين أحوال مبتدعة الهند لقال «ومن نتائج الاختلاط بالبريلويين الذين يسمون أنفسهم «بأهل السنة والجماعة» !!).

« ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه فى داره بقوى وأسلحة لاعهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو جدا أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الأول » .

طالت هذه السطور ولا تزال كثير من النقاط فى حاجة إلى العرض والتعليق لأن الموضوع قد كثر فيه الكلام وكذلك كثر الظن والتخمين بل الافتراء والبهت . ولكنى أمسك القلم الآن راجيا أن هذه الطبعة لرسالة (الوهابيون والحجاز) التى اعتنى بتصحيحها والتعليق عليها الدكتور عبد الرحمن العريوانى بالغ العناية وأضفى عليها مسحة من خبراته الواسعة فى مجال التحقيق وحماسته البالغة فى الحفاظ على عقيدة الاسلام والدفاع عن الحق وأهله . . . أرجو أن هذه الطبعة تحظى بالقبول والتقدير لدى العلماء والطلاب ، وينفع الله تعالى بها أهل الاخلاص ، ويجزى المؤلف والمحقق والناشر أحسن الجزاء إنه ولى التوفيق ● ● ●

الوهابيون والحجاز
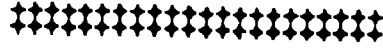
العلامة محمد رشيد رضا
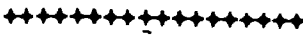
الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، الذى أكمل الله تعالى ببعثته الدين ، وما أرسله إلا رحمة للعالمين ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم فى هُدى الله وهَدْى رسوله إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد علم من سنة الله تعالى فى خلقه ، مصداقا لما بينه الله تعالى فى كتابه أن هداية الرسل الأمم تكون على أكملها فيمن اتبعهم فى عصرهم والأعصر التالية له ، وكلما تراخى الزمان ، ظهر الفسق والعصيان ، ونجمت قرون البدع وفشا التحريف والتأويل ، وكثر ما يكرهه الله سبحانه من القال والقيل .

وقد قص الله علينا فى كتابه من أخبار الأمم مع رسلهم عامة ، وأخبار أقربهم إلينا فى الزمن وهم اليهود والنصارى خاصة ما فيه العبرة والذكرى لنتقى التهوك[1] فيما تهوكوا فيه قبل أن يقع ، ولنكون على بصيرة من ديننا فيه إذا

(١) التحير والتهور والوقوع فى الشىء بغير مبالاة . اه قاموس (المؤلف)

وقع ، وقد علم سبحانه وأعلم رسوله أنه واقع لا محالة لأن سنن الله تعالى مطردة لا تبديل لها ولا تحويل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه قد أعلمنا بذلك لنكون على بصيرة من أمرنا فيه ، ولا يلتبس علينا الحق بالباطل كما التبس عليهم، فقال : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة[١].

وقع ذلك كله حتى عم البلاد الإسلامية ، والأكثرون من المسلمين يجهلون ذلك فهم لا يشعرون أنهم غيّروا وبدّلوا ، وحرّفوا وأوّلوا ، وأحدثوا وابتدعوا ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وأن ما نزل بهم من الذل ، وضياع الملك واستيلاء الأجانب على أكثر بلادهم ، عقوبة من الله تعالى على ابتداعهم وفسقهم كسنته فيمن قبلهم، قال الله تعالى فى أوائل سورة الإسراء : ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً[٢] ﴾ .

وإن كثيرا منهم ليعلمون هذا بالإجمال حتى ان خطباء مساجدهم ليقولون

---

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء (٦/٤٩٥) ، ومسلم فى العلم (٤/٢٠٥٤) ، وأحمد (٣/٨٤ ، ٨٩) ، من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٢) سورة الإسراء : ٤—٨

من أعلى منـــابرهم : لم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه وأمثال هذا القول ، ثم لا يحمل هذا العــلم ، ولا هذا التصريح به على عمل ، ولا على ترك زلل ، بل هم يعادون كل من دعا إلى السنة ، ويصرون على ما ألفوا من البدع الدينية ، لأنها دخلت عليهم من باب الدين ، وفتنوا بمن عمل بها ممن يلبسون لباس الصالحين ، حتى انهم إذا اعترفوا بأنها بدع قالوا : إنها بدع حسنة، خلافا لقول رسولهم ﷺ : « كل محدثة بدعـــة ، وكل بدعة ضلالة[1] » وخلافا لقول الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم[2]﴾ ، وجهلا بكون البدعة التى تنقسم إلى حسنة وسيئة لا تكون فى التشريع الدينى[3]، والزيادة فى العبـــادات أو التصرف فيها بجعل ما ليس شعارا شعارا ، وإنمـا تكون فيا وراء ذلك من الأمور الموكولة إلى اجتهاد النـــاس من الأعمال ، والمصالح الدينية والدنيوية كابتداع آلات للقتال تزيد فى قوة الأمة على حفظ دينها ودنياها الذى يدخل فى عموم قوله تعالى . ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة[4]﴾ وكتعبيد الطرق ، وتسهيل سبل المواصلات للمنافع الدينية والدنيوية المشروعة ولاسيما طريق الحج بإنشاء السكك الحديدية وأمثالها ، وكتـأليف الكتب المفيدة فى ضبط لغة الدين

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٧١) ، ومسلم (٢/٥٩٢–٥٩٣) ، والبيهقى (٣/٢١٤) من حديث جابر رضى الله عنه ، وقد وردت زيادة « وكل ضلالة فى النـــار » فى سنن النسائى (١/٢١٤) ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتبعه الألبانى انظر خطبة الحاجة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم الحديث ١٥٦ و١٥٧)

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) انظر لهذا المبحث : الاعتصام للشاطبي

(٤) سورة الأنفال : ٦٠

(العربية) وغيرها من العلوم الشرعية ، أو الفنون العلمية النافعة .

وبما خص الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن الكتاب المنزل لهدايتهم من عند الله تعالى قد نقل بالتواتر القطعى حفظا فى الصدور ، وكتابة فى المصاحف ، فلم يضع ولن يضيع منه كلمة ولا حرف واحد ، ولم يتغير ولن يتغير منه لفظ واحد ، وأن السنة المحمدية وسيرة سلف الأمة الصالح قد رويتا بالأسانيد ، ودُوِّنتا فى الكتب بعناية يسهل معها التمييز بين الصحيح وغيره متنا وسندا ، ولولا هذا وذاك لضاع ديننا كما ضاعت أديان من قبلنا حتى أقرب الناس منا تاريخا ، فقد طرأ على كتبهم التحريف بالزيادة والنقصان والتغيير ، وفقدت أصولها التى كتبت فى عهد من أوحيت إليهم وليس لشىء منها أسانيد متصلة بهم .

ومما خص الله به هذه الأمة أيضا أنها لا تجتمع على ضلالة[1]، وأنه

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما: إن الله لا يجمع أمتى على ضلالة ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ فى النار، وصححه الألبانى بدون قوله : ومن شذ شذ فى النار . راجع : صحيح الجامع (رقم ١٨٤٤) ، والمشكاة (١٧٣) ، وتخريج السنة لابن أبى عاصم (٨٠) ، وله شاهد أخرجه ابن ماجه فى الفتن (١٣٠٣/٢) من حديث أنس مرفوعا : إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا ، فعليكم بالسواد الأعظم ، وفى سنده أبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء ، وهو ضعيف ، وقد جاء الحديث بطرق فى كلها نظر ، قاله العراقى فى تخريج أحاديث البيضاوى كما فى مصباح الزجاجة للبوصيرى (١٦٩/٤)
قلت : وأبو خلف كذبه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث . راجع : الميزان (٥٢١/٤) ، والتهذيب (٨٧/١٢)

لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق[١]، وان الله تعالى يبعث منها مجددين لأمر الدين[٢]، كما ورد فى الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة ، ثبتت صحة معانيها بالفعل.

وقد كان انتفاع جماهير المسلمين بهؤلاء المجددين المصلحين يختلف باختلاف أحوالهم ، وأحوال أهل عصورهم فى العلم والعمل ، والقوة والضعف فى رسوخ التقاليد والبدع .

وكان من أجلهم فى القرون الوسطى قدرا ، وأنبههم ذكرا ، شيخ الاسلام أحمد تقى الدين بن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد آتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر : سرعة الحفظ ، وعدم النسيان ، وقوة الاستحضار ، وقوة الاستنباط ، وقوة الاستدلال .

حفظ القرآن وما روى من تفسيره من الأحاديث المرفوعة وأقوال الصحابة والتابعين .

---

(١) ورد الحديث عن طائفة من الصحابة وهم المغيرة بن شعبة فى الصحيحين ، وعمر بن الخطاب ، وثوبان وأبو أمامة ، ومعاوية ، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد الله ، وسلمة بن نفيل وأبو هريرة ، خرج الألبانى أحاديثهم فى الصحيحة (برقم ٢٧٠ و١٩٥٥–١٩٦٢) ، وراجع : الأباطيل والمناكير ، والصحاح والمشاهير للجورقانى (١/٢٤٠–٢٤٢)

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود فى الملاحم (٤/٨٤٠) ، والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها .

وراجع . الصحيحة للألبانى (رقم ٦٠١) وصحيح الجامع الصغير (١٨٧٠)

حفظ كتب السنة ، وأقوال رجال الجرح والتعديل فى أسانيدها .

حفظ ما يروى عن الصحابـــة ، والتابعين ، وعلماء الأمصار من الآثار فى العقائد ، والآداب الدينية ، والأحكام الشرعية .

نظر فى كتب المذاهب المدونة وأدلتها ، فكان يستحضر ذلك كلـه عنـــد التأليف أو الإفتاء .

قرأ كتب الملل والنحل ، ومقالات فرق الإسلام ، وكتب المنطق ، والفلسفة والكلام ، والتصوف .

ثم تصدى بذلك كله للرد على النصارى وأهل البدع ، وألف فى ذلك المصنفات الدالـة على سعة اطلاعه ، وقوة حجته ، ووجه جل عنايته لنصر السنة وترجيح مذهب السلف على كل ما خالفـــه من أقوال المتكلمين ، والمتصوفة حتى المنسوبين إلى السنة منهم فلم يدع بدعة ولا قولة تخـالف الكتاب والسنة ، ولا سيرة السلف الصالح إلا وبين بطلانها ، وضلال أهلها ، مميزا بين الحق والباطل ، والإيمـــان والكفر ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، ولم يقتصر فى ذلك على تصنيف الرسائل والكتب الممتعة ، والفتاوى المفصلة ، بل كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويناظر المخالفين ، ويستتيب المبتدعة والفاسقين ، لا يحابى حيـا ولا ميتا لكبير شهرته ، ولا لكثرة أتبـــاعه ، ولا لضخامة ألقابه ، وكان مع هذا كله من أعبد العبـــاد ، وأفراد الزهاد ، وقد حل من المشكلات ، وكشف من الشبهات وفند من التأويلات ما عجز عن مثله فحول العلمـاء ، وضل به كثير من المتكلمين والصوفية ، والفقهاء .

وقـد تلقى عنه وتخرج به كثير من العلمـاء المحققين فى علوم الشرع كلها ، أشهرهم وأقربهم منـــه العلامة ابن القيم صاحب التصانيف التى نالت من القبول

فوق ما ناله كتاب عند الجمهور لأسباب أهمها لين عبارته ، وخفة وطأته على المخالفين ، ولاسيما بعض أكابر المتكلمين والصوفية .

هذا ، وقد شهد لشيخ الإسلام أكابر العلماء المنصفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا به لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وإيذائه وصده عن نصر السنة ، وإحياء مذهب السلف الصالح بعض كبار العلماء الرسميين ، المقربين من الملوك والسلاطين ، المفتونين بتأويلات المتكلمين والجامدين على أقوال أمثالهم من متفقهة المقلدين ، حتى كان أقوى ما آخذوه تفسير الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في صفات الله تعالى وعلوه على خلقه بما فسرها به علماء السلف حتى أئمة المذاهب المتبعة ، وطلبوا من السلطان استتابته من قراءة هذه الآيات والأحاديث على الناس !! فأوذى وحبس في هذه السبيل بما هو معروف في كتب التأريخ(١).

وظل أخلاف أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه إلى أن

---

(١) ألفت كتب كثيرة عن حياة شيخ الإسلام وعلومه وإفاداته قديما وحديثا كما تناول أهل السير والتأريخ سيرته في مؤلفاتهم ومن أحسن الكتب المؤلفة في سيرته كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ، لتلميذه ابن عبد الهادى ، والتذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار لابن شيخ الحزاميين أحد أصحاب شيخ الإسلام المعروفين ، وللذهبي وابن القيم وابن كثير ثناء عظيم على شيخ الإسلام وقد قامت الجامعة السلفية في شهرى ربيع الأول والآخر من هذا العام ١٤٠٧هـ لعقد ندوة عالمية عن حياة شيخ الإسلام وعلومه وآثاره وخدماته ، قدمت فيها أربعون بحثا في لغات مختلفة من العلماء والمفكرين من الهند وخارجها ، وكان لها أثر طيب في تعريف شيخ الإسلام وعلومه في شبه القارة الهندية ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

أحياها الله تعالى فى بلاد نجد بظهور المجدد الداعى إلى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأولاده وأحفاده، وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد فى أواخر القرن الثانى عشر، و أوائل القرن الثالث عشر، ثم فى نهضة الإصلاح الجديدة بمصر، والهند وغيرهما من البلاد الإسلامية فى عهدنا هذا من القرن الرابع عشر، فإن كتبه صارت تطبع وتلاقى من الرواج والانتشار عند أولى الاستقلال فى الفهم، والاهتداء بالعلم ما لا يلاقى غيرها فى موضوعها إلا كتب تلميذه، ووارث هديه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام فى بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإنما كان نجاحه سريعا بتأييد آل سعود له، ومنعهم إياه ممن يريده بسوء، وما كان آل سعود أقوى شيوخ عشائر نجد وأمرائها، ولكن الله نصرهم بنصر دينه، فكان من أمرهم ما كان من فوز وفلاح، ثم من بلاء وامتحان، ثم ما كان من رد الله الكرة لهم فى هذه الأيام، ذلك بأن أمراء مكة المفسدين فى الأرض، الملحدين فى الحرم، قد تصدوا لمقاومة دعوة الإصلاح والتجديد «الوهابية» من بدء ظهورها، فأذاعوا فى العالم الإسلامى كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للسلمين والإسلام، وكان مقامهم بمكة المكرمة مسهلا لهم ذلك، وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق، وسعوا لحمل الدولة العثمانية على قتال آل السعود، وهى استعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة، ولسنا بصدد بيان الماضى هنا، وإنما نحن بصدد بيان عاقبة أمرهم، وأمر أمراء مكة المعروفين بالشرفاء.

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل

لاعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من السلطان فى جزيرة العرب ، ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ، ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضى بالاتفـــاق مع آل السعود ، والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بيد الدولة منها ففعلت ذلك ، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديهم لسبب دينى كما كان يظن الجاهلون .

وأما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فظلوا على ضلالهم فى الطعن على دين الوهابية ، واقتراء الأكاذيب عليهم ، وكان أشدهم إسرافا فى الطعن ، وفى عداوة آل سعود الأمير حسين بن على[1] ، ولما خلص أمر الحكم فى الحجاز له وحده بتقلص ظل الدولة العثمانية عنه ، واعتراف الانكليز وأحلافهم بالملك له عليــه ظن أن الفرصة قد سمحت له ، ومكنته من الاستيلاء على نجد ، وجعلهـــا تابعة لملكه الوهمى ، فما زال يكيـــد ، ويدس الدسائس لآل سعود حتى آل تحرشه بهم ، وإلحاده فى الحرم إلى زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز ، وإنقاذه من هذا الطاغوت — الذى لقب نفسه بالمنقذ — ومن أولاده المفسدين .

كان هذا الزحف مغريا لدعاة الملك حسين فى مصر بتجـــديد الطعن فى الوهابية ، ومنبها لأذهان الناس ، ومرغبـــا لها فى البحث عنهم ، ومعرفة كنه حالهم وحال حسين معهم ، فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ما عندنا من العلم بذلك فى جريدة يومية واسعة الانتشار ، فأنشأنا بضع مقالات نشرناها فى جريدة « الاهرام » اليومية ، وفى مجلة « المنار » كان لها من حسن الواقع والتأثير ،

---

(١) هو حسين بن على الحسنى الهاشمى ، وهو أول من قام الحجاز باستقلال العرب عن الترك ، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشيين (ت ١٩٣١م) (الأعلام للزركلى ٢/٢٤٩)

ووقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ما كان ينتظر، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوذين بلقب «الوهابية» سنيون، مستمسكون بمذهب السلف فى العقائد، وبمذهب الامام أحمد بن حنبل فى الفروع، وأنهم أشد شعوب المسلمين فى هذا العصر اتباعا، وأبعدهم عن الابتداع، وارتكاب المعاصى، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيما، ولولا معرفة حالهم لكان استيلاؤهم على الحرمين الشريفين خطبا أليما.

ولقد كان هذا النصر المبين مصداقا لقول الله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين[1]﴾ ولقوله: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين[2]﴾، كما كان سرور المسلمين المستنيرين به دليلا على أن الاستعداد للاصلاح الاسلامى الحق بالتوحيد الخالص، وترك البدع، والخرافات، والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى مما كان فى عهد النهضة الأولى للوهابية.

على أنه لايزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات، ومن المنهمكين فى المعاصى والشهوات فى مدن الحجاز، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما، ولم يكن لهؤلاء حجج فيما مضى إلا الافتراء عليهم، وكان كثير من الناس يصدقونهم فيهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة حالهم، لأنهم يعيشون بمعزل، وقل أن يسافر أحد إلى بلادهم، أما وقد أصبحوا فى الحجاز فسيراهم الألوف من جميع الشعوب الاسلامية فى كل عام، ويستغنون عن التعريف بهم، وعن الشهادة لهم.

وقد رأيت أن أطبع طائفة من مقالات (الوهابيون والحجاز) فى رسالة

(١) سورة الأعراف: ١٢٨
(٢) سورة الروم: ٤٨

مستقلة لأنها تعد فصلا من فصول هذا الانقلاب التأريخى فى الحجاز، بل فى الإسلام ليطلع عليها بعض من لم يقرأها فى «الاهرام» ولا فى «المنار» ففعلت، وعلى الله توكلت: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شىء قدرا[1]﴾.

محمد رشيد رضا

منشىء المنار

(١) سورة الطلاق : ٣

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز فى عهد الدولة العثمانية لقامت قيامة العالم الإسلامى ، ولرأيت الجرائد العربية فى الشرق والغرب ، والجرائد التركية ، والهندية ، والفارسية ، والتتارية ، والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير ، وتجمع الإعانات المالية لقتالهم بالقناطير ، ذلك لما كان لجماهير الشعوب الإسلامية من حسن الظن ، وقوة الرجاء بالدولة ، ومن سوء الظن بالوهابيين ، أما وقد حدثت فى هذا العهد ، فإننا نرى ضلع الرأى الإسلامى العام مع الوهابيين ، لأن ما كان خفيا من قوة دينهم ، واعتصامهم بالسنة ، ورفضهم للبدع ، وكراهتهم للسلطة والنفوذ الأجنبي قد ظهر لخواص المسلمين ، وبدأ يظهر لعوامهم ، ولأن جميع الشعوب الإسلامية تمقت هذا الرجل الذى تولى أعداء الإسلام فى الحرب والسلم ، ونصرهم على المسلمين واعتمد عليهم فى طمعه فى خلافة الإسلام ، وملك العرب تحت ظلهم وحمايتهم ، فبمساعدته ، ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العربية التى هى مهد حضارة الإسلام من حدود مصر إلى خليج فارس ، ويحاولون جعل ما بقى للعرب من عقر دارهم فى جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التى جعلته ملكا مستبدا فى الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم

مبـاشرة فى يوم من الأيام، وسمت أحد أولاده ملك العراق[١]، وآخر منهم أمير الشرق العـربي، أو أمير شرق الأردن[٢]، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين، ليخضع لها مسلميها، كما آمنها من تعدى الأعراب المجاورين لها.

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الإسلامى أن هـذا الرجل وأولاده هم شر نكبة نكب بها الإسلام فى هذا العصر، فصارت تتمنى زوال سلطته عن مهد الإسـلام. ويرى أنه لا يرجى لذلك غـير هؤلاء النجديين البواسل الـذين صارحهم هو بالعداوة والأذى بما حدد من دعاية سلفـه الطالح من الطعن فى دينهم ورميهم بالكفر، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم لسلطانه، وجعلهم تابعين لملكه، ومنعهم من أداء فريضة الحج — على ما عرف عنهم من إباء الضيم، وعـدم الصبر على انتهاك حرمات الله — إلى تحكمه ما شاء فى إقامة ركن الدين الاجتماعى العام فى بيت الله، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة، وظلم أهله فى كل شيء — فهذه أسباب الرجاء فى النجديين بالإجمال[٣]. لا حب التوسع فى السلطان، والتبسط فى الملك الذى يرميهم به الشريف حسين هو، ودعاتـه، وجرائده من باب «رمتنى بدائها وانسلت» ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قلوا، وقلت الجرائد التى تنشر لهم إفكهم وبهتانهم.

ولكن بقى من الناس من يسيئون الظن بالوهابية، ويظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع فى الإسلام. وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن فى الطعن فيهم، وبتأثير انتشار البدع واشتهارها، حتى صار بهـا المعروف منكراً، والمنكر

---

(١) وهو فيصل بن الحسين بن على الحسنى (ت ١٩٣٣م) (الأعلام ٥/١٦٥)

(٢) وهو عبد الله بن الحسين بن على الحسنى (ت ١٩٥١ م) الأعلام ٤/٨٢)

(٣) وسيأتى بيانها بالتفصيل فى المقالتين الثانية والثالثة (المؤلف)

معروفا ، فالآخذون بهذه البدع يعدون كل منكر لها وهابياً ، ويضيفون إلى ذلك ماحفظوه من البهتان الـــدى جدده الملك حسين فى جريدته « القبلة » من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين ، وإنكار شفاعة النبي ﷺ ، وتحريم الصلاة عليه ، وزيارة قبره كسائر القبور ، بل تجرأ حسين المكى وأمثاله على رميهم بالطعن فى شخصه الأكمل ، وتفضيل العصا عليه . برأه الله تعالى ، ولعن كل مجترىء على مقامه الشريف .

هده البهائت كان يبهتهم بها أمير مكة وأعوانه فى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتنفير المسلمين منهم ، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة ١٢١٨[١] هـ بقيـادة الأمير سعود جمعوا علماءها ، وفى مقدمتهم مفتى الحنفية[٢] ، ومفتى المالكيـة[٣] ، وبينوا لهم مـذهبهم وحطتهم فى تجــديد دعوة الإسلام فوافقوهم عليها ، وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الـذى أشرنا إليـــه آنفاً ، فتعجبوا ، وتبرؤا منه .

إننا لم نر أحـــداً من البهاتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم ، ونحن فى بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ، ومن كتب غيرهم ، ولا نقول شيئاً من عندنا بغير دليل .

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء فى رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة ، وصف فيهـا دخول جماعتهم مكة مع الأمير سعود سنـــة ١٢١٨ هـ ، ومناظرتهم للعلماء فيها ، وإعطاءهم رسائل والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب : أنه كان

(١) وذلك فى يوم السبت ثامن شهر المحرم الحرام
(٢) وهو الشيخ عبد الملك القليعى (راجع : التحفة السنية ص ٥٣) .
(٣) وهو الشيخ حسين المغربى (التحفة السنية ص ٤٣)

مع علماء مكة الذين حضروا بمجالسه حسين الابريق الحضرمى ثم الحيانى ، وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة ، ويجيبونه ، فذكر أهم ما قاله الشيخ عبد الله وهو ما نصه :

« فأجبناه بأن مذهبنا فى الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقـــة السلف التى هى الطريق الأسلم ، والأعلم ، والأحكم ، خلافاً لمن قال : طريقـــة الخلف أعلم ، وهى أننا نقرّ آيات الصفات ، وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، فإن مالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعـــالى : ﴿الرحمن على العرش استوى[١]﴾ قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة[٢]»

ثم قال : « ونحن أيضاً فى الفروع على مذهب الامام أحمـــد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم » إلخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية) .

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتلبيســـا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا ، من دون مراجعـــة شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا : النبى رمة فى قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وإن زيارته غير مندوبة ، وإنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى نزل عليه : ﴿ فاعلم أنه لا إله

(١) سورة طه ٥ .

(٢) انظر لقوله : الأسماء والصفـــات للبيهقى (٥١٥) وشرح السنـــة للالكائى (٣٩٨/٣) والتمهيد لابن عبد البر (١٥١/٧) وسير أعلام النبلاء(١٠٠/٨ - ١٠١) ،ومجموع الفتاوى(٤٠/٥) والسنة والشيعة لمحمد رشيد رضا (٥٩ ـ ٦٠)

إلا الله﴾[1] مع كون الآية مدنية وإنا لا نعتمد على أقوال العلماء، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب، لكون فيها الحق والباطل، وإنا نكفر الناس على الإطلاق، أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع ذلك أنا لانقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا، وان أبويه ماتا على الشرك بالله، واننا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا، وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون، وانا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم» الخ

ثم قال: «فجميع هذه الخرافات [أى التقولات] وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا، كان جوابنا فى كل مسألة من ذلك ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ فمن روى عنا شيئا من ذلك، أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا، وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأن الله لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» الخ (ص ٤٦ من الهدية).

ثم قال: «والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد، والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس. ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه

---

(١) سورة محمد: ١٩

كما جاء فى الحديث عنه[1]، ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد الممات» الخ ما فصل به ذلك الإجمال من إنكار ما بهتوا به. فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وهى توزع فى مكتبة «المنار» بغير ثمن.

وقد كنت لدى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى أوائل الشهر الماضى، فذكرت «الوهابية» وسبب الطعن فيهم، وكان من حاضرى المجلس الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان، والأستاذ الشيخ محمد شاكر، والأستاذ الشيخ أحمد هارون، والاستاذ الشيخ الظواهرى وغيرهم من كبار العلماء، فبينت لهم تاريخ المسألة، ومن كتب فيها على بينة من المؤرخين عند استيلاء الأمير سعود على الحجاز، ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الأزهر إلى مكتبة «المنار» فجاء بعشرات النسخ من «الهدية السنية»، ووزعت عليهم، و قرأ الأستاذ الأكبر ما نقلناه هنا. وما فصل فيها مما لم ننقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال: إن حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الاقصى[2]» قد أوله العلماء. قلت: وهم قد أخذوا

(١) أخرج الترمذى فى الزهد (٦٣٧/٤) عن أبى بن كعب فى حديث طويل أنه قال: أجعل لك صلاتى كلها، فقال النبى ﷺ: إذ تكفى همك ويغفر لك ذنبك. وقال الترمذى: حسن صحيح و أورده ابن القيم فى جلاء الأفهام (٤٢ - ٤٣ ط هندية)

(٢) حديث متواتر، وقد توسعت فى تخريجه فى كتاب «تحفة الراكع والساجد فى شرح حديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

بظاهره تبعا لبعض المحققين من علمائهم ـ أعنى الحنابلة ـ وأزيد أن بعض الشافعية ، والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجوينى والد إمام الحرمين ، واختاره القاضى عياض فى شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووى ، فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه ، وليسوا أول من قال به .

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفى هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز .

(الشهادة الأولى) قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الأزهرى فى أول حوادث سنة (١٢٢٧) من تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد على باشا الذين قاتلوا الوهابية فى الحجاز ما نصه

« ولقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع : أين لنا بالنصر، وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتـــدين بدين ، ولا ينتحل مذهبا ، وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضينا أذان ، ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر ذ بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (يعنى الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفا خلف إمام واحـــد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة ، والحرب قائم (؟) أذن المؤذنون ، وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم طائفة الحرب ، وتتأخر الأخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به ، فضلا عن رؤيته ، وينادون فى معسكرهم : هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون ، والمستبيحين الزنا واللواط ، الشاربين الخمور ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين الأنفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اهـ (ص ١٤٠ ج ٤ من

الطبعة الأميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة إلى ذكره .

ومن المعلوم أن جيش محمد على كان أخلاطا من شعوب وملل شتى ، ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش إسلامى يقيم شعائر الإسلام ، ويحافظ على فرائضه ويراعى أحكامه فى القتال وغيره ، بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك ، وهى التى كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتى أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر ، فسببه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر ، وليس كذلك ، فإن من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ، ونظامه ، وعدته ينتصر على من ليس كذلك .

(الشهادة الثانية) - ما جاء فى كتاب (الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى) للعلامة الشيخ أحمد الناصرى السلاوى فإنه ذكر فى الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابى الى فاس ، وخلاصة وجيزة عن أصل الوهابية لا تخلو من غلط ، ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذى سافر مع بعض العلماء إلى الحجاز ، وهذا نص خبره (ص ١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال :

حج المولى أبى إسحاق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله .

وفى هذه السنة أعنى سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوى الذى جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال ، وإبراز الأخبية لظاهر البلد ، وقرع الطبول ، وإظهار الزينة ، وكانت الملوك تعتنى بذلك ، وتختار له أصناف الناس من العلماء ، والأعيان ، والتجار ، والقاضي ، وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهى

ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور فى جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضى أبي الفضل العباس بن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الأمين ابن جعفر الحسنى الرتبي ، و الفقيه العلامة الشهير أبى عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز ، وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك ، وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين يومئذ ، ومضايقتهم لحجاج الآفاق فى أمور حجهم وزيارتهم إلا على مقتضى مذهبهم .

حكى صاحب الجيش أن المولى إبراهيم ذهب إلى الحج استصحب معه حواب السلطان ، فكان سببا لتسهيل الأمر عليهم ، وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغرباً حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان و البر والإحسان قال : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم فى تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعنى ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة ، وطهارة ، وصيام ، ونهى عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التى كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير .

وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزى ، ولا مركوب ، ولا لباس ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم . وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته .

وكان الذى تولى الكلام معه هو الفقيه القاضى أبو إسحاق ابراهيم الزداغى.

فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأى شىء رأيتمونا خالفنا من السنة ؟ وأى شىء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟

فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى . فقال لهم : معاذ الله ، إنما نقول كما قال مالك : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، و السؤال عنه بدعة » . فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا : لا ، وبمثل هذا نقول نحن أيضا .

ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ ، وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم .

فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ، ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال : معاذ الله ، إنما نقول : إنه ﷺ حي في قبره ، وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء .

ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها ؟

فقال : معاذ الله أن ننكر ما أثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ، ويطلبون من الأموات أن تقضى لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية . وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى ، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ، ويستشفع به إلى الله تعالى ، يسأل الله المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة ، فأي مخالفة في هذا القدر . ا هـ

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك ا هـ

وذكر المؤلف (صاحب الاستقصاء) بعد هذا الخبر بحثا فى زيارة القبور ، رجح فيه القول بمنع زيارة الأولياء سدا للذريعة مع بيان العلة ، وإشهارها بين الناس ، وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا ، وألف فيه رسالته المشهورة ، وأن الشيخ الفقيه الصوفى أبا العباس التيجانى كان يرى هذا، ونهى أصحابه عن زيارة الأولياء . ا هـ ملخصا

والشيخ أحمد التيجانى المذكور قد انتشرت طريقته[1] فى جميع بلاد المغرب الأقصى والأدنى وما بينهما حتى ان أتباعه يعدون بالملايين إلى هذا العهد[2].

وما نقله من كلام الأمير الوهابى فى مسألة الاستشفاع معزواً الى الامام أحمد يظهر أنه لم ينقل بحروفه ، فإن الامام أحمد رضى الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم ، والله أعلم .

وسنبين فى مقال آخر أن المتغلب على الحجاز اليوم هو الذى يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه ، فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابية ، ونبين أن ما فعله النجديون من الزحف لإنقاذ الحجاز من بغيه هو من فروض الكفاية

---

(١) من أراد التوسع فى التيجانية فليطالع كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية للعلامة الدكتور محمد تقى الدين الهلالى المراكشى رحمه الله ، والتيجانية للدكتور على دخيل الله الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

(٢) ولكن الناس لم ينكروا على هؤلاء كالوهابية لسببين : أحدهما أنه ليس له خصوم سياسيون يغرون الناس بهم كما يعمل أمراء مكة بالوهابية . والثانى أن الوهابية منعوا المنكرات بالعمل لا بمجرد القول ، و هذا ما لا يطيق احتماله أهل البدع لأنه يفضحهم (المؤلف) .

على الأمة الإسلامية ، قد قاموا به ، فإذا ظفروا ارتفع الإثم عن جميع المسلمين ، وإلا وجب ذلك على غيرهم .

المقالة الثانية(١)

فى بيان الأسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا فى الكتابة

إننا نكتب ما نكتب فى هذا الموضوع لبيان الحق ، وأداء النصح الواجب للأمة الإسلامية ، وللشعب العربى ، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئا ، وأنه إذا ظهر لنا أننا أخطأنا فى شىء فإننا نرجع عنه ، ونعلن ذلك إعلانا .

فما كان فى كلامنا من خبر فإننا مستعدون لإثباته بالنقل عن المصادر التى لا نزاع فيها ، وأكثرها رسمية حقيقة أو حكما (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شبيهـا بالرسمى) كأقوال جريدة « القبلة » التى لا تعزوها إلى الملك حسين ، ولا إلى حكومته (التى هى هو) .

وما كان من حكم شرعى فإننا نذكره بالدليل ، ونعرضه على علماء الإسلام فى العالم كله فإن كتب إلينا ، أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا فى شىء منه فإننا نرجع إلى الحق ، ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه ، وإلا بينا له خطـأه بالدليل مع التزام الأدب الذى نطالبه به ، ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور .

(١) نشرت فى عدد الاهرام الذى صدر فى ٥ ربيع الأول ٤ أكتوبر (ت ١) (المؤلف)

وما كان من رأى فإننا لا نأبى مناقشة أهل الرأى فيه على شرطنا فيما قبله، ومنها أن يرسل الرد إلينا ، أو إلى الصحيفة التى ننشر فيها كلامنا ، ولسنا نكلف أن نطالع على جميع الجرائد ، وما عساه يوجد فى بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه . ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وإنما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا ، أو صحة دليل من أدلتنا ، أو بطلان رأى من آرائنا ، لأننا نتحرى الحق والصواب فى هذه الثلاثة ، وندور معه إن شاء الله تعالى حيث دار .

إننا أفتينا ببطلان بيعة حسين بن على بالخلافة ، وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك ، ونشرت الفتوى فى مجلتنا «المنار» وفى جريدتى « الاهرام» و «المحروسة » وبينا فى هذه الفتوى ، ومقالات أخرى فى « المنار » أن هذه البيعة على بطلانها تضر الأمة العربية ، وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها ، فصدقت الحوادث رأينا، ولم يرد عليه أحد فيما نعلم. وإننا بينا حقيقة حال خصومه النجديين فى مذهبهم بالنقل من كتبهم ، ومن كتب التأريخ المشهورة ، ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة ، ولن يستطيع أحد أن ينكر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والأجزاء التى نقلنا عنها ، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرأوا مقالنا الأخير الذى نشرناه فى جريدة « الاهرام » واستزادونا من الكتابة فى هذا الموضوع ، وكثر طلاب « التحفة السنية والهدية الوهابية » من القاهرة ، ومن جميع أرجاء القطر المصرى ، ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة « المنار » منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة ، فكان هذا سببا لمعرفة الألوف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة أهل هذا القطر الإسلامى الذين هم أشد مسلمى هذا العصر حرصا على السنة السنية ، وعناية بالاعتصام

بعروتها الوثق ، وكان أمرهم مجهولا عنـــد الأكثرين ، بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن على وأعوانه من الطعن فى دينهم تبعا لمـــا أذاعه سلفه فى إمارة الحجاز ، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز للمرة الأولى ، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات فى بعض الجرائد ، كلها زور وبهتان ، هبط الافتراء ببعضهم فيهـــا إلى رميهم بأنهم يسعون لإبطال دين الإسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها .

وإننا فى هذا المقال وما بعده نبين للناس كافة ، ولأهل الغيرة الإسلامية ، والجامعة العربية خاصة ، أسباب زحف النجديين لإنقاذ الحجاز من هذا المتغلب عليه ، المستبد فيه ، الظالم لأهله ، ولمن يحجونـــه من سائر المسلمين ، وسيعلمون مما نورده من الحقـــائق الجلية ، والشواهد الرسمية ، وشبه الرسمية ، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طمعا فى توسيع ملكه ، ولا لمجرد المحافظة على حقه ، بل خدمة للملة الإسلامية والأمة العربية ، وإن كان الأمر الثانى وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا ، ونبـــدأ بذكر الأسباب العامة ، فنذكرها بالإيجاز لأنهـــا صارت مشهورة إلا أنه يقل من يحفظها كلها ويستحضر ذكرها ، ثم من يخلص فى بيان ذلك للناس ، ولهذا نرى ما يتعجب منه من الخبط ، والخلط ، والباطل فى مقالات بعض الكتاب حتى من تصدى لتمحيص أمثال هذه المسائل خاصة .

الأسباب العامة لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الأول) ما هو معلوم بالتواتر القطعى ، وبالوثائق الرسميـــة من موالاة شريف مكة حسين بن على وأولاده للدولة البريطـــانية وحلفائهـــا فى الحرب الأخيرة ، ونصرهم إياهن على الدولة العثمانية فى فتح البلاد العربية ، وأنه

كان يهيء الدولة البريطانية كلما فتحت مدينة من أمصار الإسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف ، وبغداد ، ودمشق ، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية الحجاز ، وأخذوا هم ولايات العراق ، وسورية ، والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا سكة الحديد الحجازية أيضا التى هى وقف إسلامى أنشىء لتسهيل إقامة ركن إسلامى .

فأما تولى المسلم لغير المسلمين فى القتال ، وفتح بلاد المسلمين لحكمه الدينى معلوم بنص القرآن المجيد ، وكتب الشريعة ، وحسبنا منه قوله تعالى : ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين[1]﴾ وأما عاقبته فى الأمة العربية فهى استيلاء الأجانب على مهد حضارتها ، وعمرانها ، وأخصب أقطارها ، وأعظم موارد ثروتها ، وجعل ما بقى لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ، ومهددا بفقدان استقلاله فى كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الأقصى حتى لا يبقى لهما استقلال فى دين ولا دولة .

فإن قيل : إن هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا إلا لإنقاذ البلاد العربية ، واستقلال العرب .

قلنا : إننا نحن نبين الحق الواقع، لا إفك السياسة ، ومغالطاتها، وكذبها، ومكابرتها ، وإلا فإن الإنكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول فى احتلالهم لمصر ، وفى إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر فى بلاد السودان ، وفى زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون فى أيديهم وحدهم لأن لهم مصالح فيه ولإتمام سعادة السودانيين !! .

---

(١) سورة المائدة : ٥١

فإن قيل : إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة إنمـــا بنيت على القصد الصحيح المذكور ، ثم ظهر له أن حلفـــاءه خدعوه ، وأخلفوا وعده ، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة فى العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة فى أميركا

قلنا : إن هذا باطل كالذى قبله كما يعلم من الأسباب الآتية ، وربما كان من أسباب إرجاء ابن سعود الزحف على الحجاز إلى الآن ، لأجل استعراف نتيجة هذه الأقوال .

(السبب الثـــانى) أن الشريف حسينا وأولاده لايزالون مصرين على موالاة حلفـائهم الأجانب ، ومودتهم ، ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم فى البلاد العربية مع ادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه ، وغشوه ــ لأنه أشدهم رياء ، وخداعا ، وإفكا ، ولذلك يتنـــاقض نفسه ، ويبطل بعض كلامه بعضا ، وها نحن أولاء قـــد قرأنا فى عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذى صدر فى ١٠ المحرم فاتحة هذا العام (١٣٤٣هـ) تصريحا رسميا له بالثبات على مودتهم فى منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الأولى) وما أكثر أعيـــاده بمصائب العرب والإسلام !! فقد قال فيه ما نصه : « وإننا لا نزال ساعين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام » فما هذا التأييد والتأكيد إن كان صادقا فى قوله إنه مخدوع منكوث العهد مكذوب الوعد ، ولماذا يصر على السعى لعقد المعاهدات معهم ، والنبي الذى يدعى هو وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة ، والوهابيين خاصة يقول : لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » رواه البخارى ومسلم وغيرهما[1] ــ دع

---

(١) البخارى : الأدب (١٠ / ٥٢٩) ، ومسلم الزهد (٤ / ٢٢٩٥) من حـــديث أبى هريرة .

ما ورد فى أمثال هذه الموادة والمعاهدات فى سورتى الممتحنة ، والتوبة مما ينافى الإسلام نفسه .

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بنى على أساس الحماية البريطانية للمملكة العربية التى طلب من الإنكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف فيصل فى دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمى فى جريدة « المفيد » ، ثم نقلتها الصحف الكثيرة فى الشرق والغرب ، وهذا نص المادة الثانية منها بحروفه كما كتبها حسين بن على بيده الأثيمة الخاطئه .

(٢) تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة ، وصيانتها من أى مداخلة كانت بأى صورة كانت فى داخليتها ، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أى تعد بأى شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلى من دسائس الأعداء ، أو من حسد بعض الأمراء الخ » .

ولكن الانكليز لما لم يسمحوا له بغير الحجاز من البلاد العربية التى طلب أن يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعل الحجاز تحت حمايتهم . وهو لايزال مصراً على هذه المقررات ، ويعد من أعظم النعم عليه أن يكون موظفا بريطانيا فى الحجاز كبعض النواب ، والرجوات فى بعض الولايات الهندية التى تسمى مستقلة فى بطن الحضجر الواسع[1] .

ومن الأدلة على ذلك أنه طلب مرارا من الدولة البريطانية إقالته من ملك الحجاز تنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة إلى مدير جريدة « التيمس » برقية إليه رغب إليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية

(١) الحضجر — بكسر فسكون ففتح — العظيم البطن الواسعة ، وسميت بـه الضبع (المؤلف) .

ـ منقولا عن العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة)

« المدير العمومى لصحيفة التيمس » .

« اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب ، والتزامكم أحـد آرائهم ولزيادة إقناع حكومة جلالـة الملك ، وإيضاح الحقيقـة لعموم الشعب النجيب البريطانى أكرر بهذا طلبى بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الأمير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد » الخ . والمراد بالأمير المشار إليه سلطان نجد إذ كانت جريدة « التيمس » مدحته بمقال لها .

وكان قد أرسل إلى نائب ملك الإنجليز بمصر كتابا فى ٢٠ ذى القعـدة سنة ١٣٣٦ نشره فى جريدته (القبلة) مراراً لاعتقاده أنه من معجزات السياسة أو الكياسة والبلاغة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضتها المبنية على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه ما نصـه السقيم :

« فإن كان ولابد من التعديل فلا لى سوى الاعتزال والانسحاب ولا اشتبه فى مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضى ولا لفكر غرضى ، وأنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصـدقاؤها الذين لا تغيرهم الطوارى والأيام ، ثم تعينوا البلاد التى تستحسن إقامتنا فيها بالسفر إليها فى أول فرصة .

ثم أجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر ، وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) مطرودين من رحمة البارى جل شأنه الرقيب على قولى هذا » ا هـ بحروفه من العدد ٢٩١ من جريدته (القبلة) الذى صـدر فى ٢٣ رمضان

سنة ١٣٣٨ ، ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط .

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لأولاده فى العراق، وشرق الأردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحصرها وحملهم على الرضاء بما يؤسس فيها من حظائر الطيارات الحربية ، وتعبيد الطرق فى قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ، ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيهـا ، فإن العرب إذ قاوموهـا قبل ذلك فالراجح أنهـا تضطر إلى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها لمقاومة العملية إلى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الألوف من الرجال ، وذلك ما لا يأذن لها به برلمانها ، ولا تسكت عليه أمتها فى هذا الوقت التى أرهقتها فيه الضرائب . وإذا هى تم لهـا بعود هؤلاء الحجازيين ماشرعت فيه من ذلك ، فرسخت أقدامها ، واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد ولن ترضى إلا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحهـا وطرق تجارتها ، وعلى ما تدعيه من إسعاد البلاد وأهلها كما تقول فى مسألة السودان ، وهى عبرة للمخدوعين بهؤلاء الحجازيين إن كانوا غير خائنين لأمتهم وبلادهم ، أو جاهلين لمصلحتها لكثير من البدو .

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الأمين مركز ملك حربى يحالف ملكه بعض الملوك الأجانب غير المسلمين ، ويجعل لهم حقوقا فى الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التى تقدم ذكرها ، ويعادى آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزاً حربياً أى عرضة للحرب لأن ذلك قد يؤدى إلى منع الحج الذى هو ركن الإسلام الاجتماعى العام الجامع للشعوب الإسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة ، وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطر حياد و سلام

والسعى لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكى ذلك لاستغنى به عن معاداة جيرانه من العرب و الاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو إهانة نفسه وبيته و أمته وملته وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء إلى حماية دولة غير مسلمة له ولهما .

(السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية ، وحمله غروره بنفسه على السعى لإقناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه لسوء سياسته ، وبناء ملكه على الحماية الأجنبية ، وضعفه وفساد إدارته ، واعتقاد كل منهم ، واعتقاد رعيته ، وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل اليه بقوة الأجانب الذين جعلوا أحد أولاده ملكا والآخر أميراً مرشحا للملك فى دائرة إمبراطوريتهم المرنة ، فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز أعداء له . وحسبنا شاهدين على هذا : ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذى أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى فى مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودى مع حكومة نجد ، وانما ننقل بعض كلامه فى الشاهد الاول ونرجىء الثانى إلى بيان الأسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز .

نشرت جريدة القبلة فى عدد ٧٣٧ الذى صدر بمكة فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢هـ بيانا عاما من (اللجنة التنفيذ لمؤتمر الجزيرة) بإمضاء رئيسها (محمد ابن علوى) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية الى يطلبها ، وهو أنه رسمها على الأساس الآتى :

« وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها ، وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالإمارات العربية المعروفة بجزيرة العرب

تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وأن كل أمير فى أى إمارة من هذه الامارات الموروثة لهم من آبائهم ، وأجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التى كانت عليها إمارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذى كل من خرج عنه منهم ، أو شد بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى : ﴿فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله﴾[1].

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها ، أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب ، وابن رشيد بعد الهدنة فلابد من عودتهم إلى ما كانوا عليه كعودة الامام يحيى إلى صنعاء » .

ثم قال « ولذلك فهذه هى الخطة التى عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين — لذا فلابد من إعادة آل رشيد ، وآل عايض إلى إماراتهم وحدودهم وقبائلهم التى كانوا عليها ، وإعادة كل أمير من أمراء الجزيرة إلى ما كان عليه قبل الحرب » — إلى ان قال — « هذا الذى ادين الله عليه ولو لم تبق إلا ذاتى وحياتى لأنفقتها فى هذا السبيل » .

فهذا نص صريح من الملك حسين الذى سمى نفسه (ملك العرب وجميع البلاد العربية) بمعاداة جميع أمراء جزيرة العرب ، وجعلهم معه فى حالة حرب لأنه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التى فى يده ، وبجعلهم تابعين فى السياسة الخارجية و الحربية والادارة العامة لملك العرب أى له .

أذاع عنه هذا فى جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذى يرسل البرقيات إلى العالم الآن فى الافتراء على النجديين لينفر العالم منهم .

---

(١) سورة الحجرات : ٩

(السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم . وإرهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد إلى البلاد من الأقوات وغيرها ، وباحتكاره القوت الضرورى ، وهو الخبز بإبطاله جميع الأفران العامة والخاصة ، وإنشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذى لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبى ﷺ « احتكار الطعام فى الحرم إلحاد فيه » رواه البخارى فى تاريخه ، وأبو داود فى سننه وأكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلى بن أمية رضى الله عنه وفى معناه روايات أخرى عن عمر ، وابن عمر رضى الله عنهما مرفوعة[1]. وموقوفة لغير ذلك من اغتصاب أوقاف الأشراف ، والأوقاف الأهلية فى المدينة المنورة ، وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الأطراف والقتل لغير حق يجيزه الشرع ، ولا نطيل هنا فى هذا ، وقد بيناه بالتفصيل فى مجلة « المنار » ، ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد .

(السبب الثامن) تحكمه بهواه فى أمر فريضة الحج ، فهو يمنع منها من اتخذهم أعداء له كأهل نجد . ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ، ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الآفاق فى جميع الأقطار ، وشرحناه بالتفصيل فى مجلة « المنار » .

(السبب التاسع) نشره فى جريدة القبلة أنه لا يوجد فى العالم حكومة إسلامية

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٢٥٥/٧) وعبد بن حميد ، وابو داود وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وابن مردويه عن يعلى بن امية مرفوعا (أنظر : الدرر المنثور ٢٧/٦)
وأخرجه سعيد بن منصور ، والبخارى فى تاريخه (٢٥٥/٧) وابن المنذر عن عمر مرفوعا .

تقيم الحدود ، وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك ، والمصريين والنجديين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا فى المقال التالى .

(العاشر) ادعاؤه مع كل ذلك الخلافة الإسلامية الذى يقتضى أن كل من يخالفه ، ولا يخضع حكومته من الشعوب ، والحكومات الإسلامية من الخوارج البغاة الذين يجب عليه ، وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه فى إمارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز ، وتصريحه قبل إظهار دعوى الخلافة ، والدعوة العامة إلى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بحملها تابعة الملك واحد ، وبعزمه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة . فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ، ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين ، له خاضعين لحكمه .

فهذه الأسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا الحجاز من سلطة هذا المدعى المغرور كما فصلناه من قبل فى « المنار » ، وسنجمل القول فيه فى المقال التالى الذى نبين فيه الأسباب الخاصة التى حملت أهل نجد على القيام بهذا الغرض الكمالى ، وسبب تأنيهم فى ذلك وهو الاحترام للحرم الشريف .

المقالة الثالثة

الأسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها الحجاز

بينا فى المقالة الثانية جل الأسباب العامة لإنقاذ الحجاز من السيد حسين المكى المستبد فيه التى يعدها السلطان عبد العزيز بن سعود موجبة شرعا للقيام بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، وإذا كنا نكتب أمثال هذه المقالات فى فترات قصيرة نختلسها من شواغلنا الكثيرة اختلاسا نسينا أن نذكر فى تلك الأسباب عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الأمن بين الحرمين الشريفين ، ونكثه للعهود

التى عاهد أعرابها عليها حين دعاهم إلى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن يعطيهم فى كل سنة ضعفى ما كان مرتبا لهم من الأموال التى كانت ترسلها الدولة إلى الحجاز لإعانة أهله ، فكان يعطيهم فى سنى الثورة ، ثم منعهم بعدها كما منع أكثر المستحقين للإعانات التى ترسل من مصر ، فاضطروا إلى منع الناس من زيارة حرم الرسول ﷺ إلا من يؤدى لهم ما فرضوه بدلا عما كانوا يأخذونه كما فصلناه فى « المنار » .

ونبين الآن ما نتذكره من الأسباب الخاصة بالمجددين ، وهى ترجع إلى غرض واحد ، هو إزالة استقلال سلطنة نجد . وجعلها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، وأسباب التى نذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهى :

سرد هذه الأسباب الخاصة

١ ـ إننا عقب انكسار الدولة العثمانية فى الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الغيرة العربية والإسلامية خطة لوقاية بلاد العرب من استيلاء الأجانب عليها ، ومنها جمع كلمة أمراء العرب ، ووضع اتحاد حلفى بينهم لإزالة العدوان ، والتعاون على حفظ البلاد العربية ، وصيانتها من تعدى الأجانب ، والفصل فى المنازعات الداخلية بين أولئك الأمراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ، ونجد ، وعسير ذلك ، فجاء منهم مكتوبات الاستحسان ، وطلب التفصيل ، وطرق التنفيذ ، وعهد إلى الشريف عبد الله أن يبلغ ذلك والده حسينا إذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ، ودخلت الدولة العثمانية فى حلف دول أوربا الكبرى ، وشرعت الدولة البريطانية تخادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لتستخدمهم ، وتستعين بهم على الدولة ، ثم على أنفسهم لتكافئهم على ذلك بسلب استقلالهم .

اشتدت الحاجة إلى تحالفهم ، واتفاقهم على صيانة البلاد العربيــة ، والاحتياط لحفظ استقلالها إذا قهرت الدولة العثمانية ، وانكسرت مع أحلافها . ولما انخدع أمير مكة هذا الرقية البريطانيـــة بسوء سريرته ، وجهله بشئون السياسة صارت الحاجة إلى ذلك أشد ، وقد أخبرني ولده السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحي ، ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلتهم الثورة عن إعادة القول فيه ، أخبرني بهذا في مكة المكرمة بعد إتمامنا مناسك الحج ، ورغب إلى أن أكلم والده فيه ، فكلمته ، وذكرت له شيئا من خداع السياسة ، وكون الاستفادة منها منوطـــة بالقوة . . ولما صرحت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه إذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ، ويريد مساعدتهم وأن الرأى أن يرجىء ذلك إلى أن يستولى على المدينة ، ويخرج الترك من الحجاز كله .

فقلت لـه : لا تكلفكم مخاطبة أحـــد منهم ، بل نحن نتولى ذلك ، ونرجو النجاح فيه ، وإنما نرجو أن نكون على بينة من رأيه فيه وثقـة ، من رضاه ، وقبوله للاشتراك فيه إذا أقنعنا سائر الأمراء . . فلم يقبل حتى أنني قلت له :

إننى أضمن لكم قبول صاحب نجد ، وإذا احتيج إلى ذهابي إليه بنفسى فإننى أفعل ، فلم يقبل ،

ثم قال أمام بعض بطانته أو حاشيته . من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم اليوم يوجد فى الدنيا رجل يقال له ابن سعود ، وغـــداً لا يوجـــد فى الدنيا ابن سعود . . .

٢ ـــ ان أول عمل عملـه بعد الاستيلاء على المـــدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب ـ وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة ـــ أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنـالك من الجنـد النظامى ، والبـــدوى مجهزا بأحـــدث الأسلحة ، ولا سيما المـدافع ، والرشاشات ، وقنابل اليد ، ووجههم بقيادة ولده

السيد عبد الله إلى الشرق لاسترداد الخرمة ، وتربة ، فالزحف على نجــد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم فى الحجاز يدير حركتها زهاء مائة ضابط عرفى ، جلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا إلى الخرمة باغتوا أهلها ، وهم فى صلاة الفجر ، ففتكوا بهم ، وهم يصلون شر فتكة . فاستنجد الشريف خالــد عامل الخرمــة الإخوان (الوهابيين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم ، فكانوا قضاء الله المبرم اصطلموا الجيش ، وغنموا سلاحه ، وكراعه ، وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطا هم خيار ضباطه ، وفر الشريف عبــد الله منهزما بزى الإخوان مقلداً لهم فى كلامه .

٣ — إن السيد حسينــا لم يقترح على الانكليز فى « مقررات النهضة » أن يؤسسوا المملكة العربية ، ويتولوا حمايتها وصيانتها « من الداخل والخارج » إلا لما فى قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذى يعنيه بقولـه فى مادة الحماية الذى ذكرناه فى المقالة الثانية « أو حسد بعض الأمراء » فابن سعود أولى الناس بثل هذا العرش المبنى على جعل الحرمين تحت حمــاية غير المسلمين خوفا منه ، وها نحن أولاء نقرأ فى جميع الصحف ما جاء فى البرقيات من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ، ومطالبتها بإنقاذ الحجــاز من الوهابية ، فالانكليز يتنصلون من الاعتراف أمام العالم الإسلامى بحمايتهم للحجاز لمــا يعلمون من كــراهة المسلمين لذلك ، وعده اعتداء عليهم فى دينهم ، وهو لا يستحى من الجهر بمطالبتهم بذلك ، ومكافأتهم عليه بتوقيع « المعاهدة البريطانية العربيــة » على علاتها ، وإن كره أصدقاؤه من أهل فلسطين تضمنها لاعترافه بالانتداب البريطــانى ، ووطن اليهود القومى فى بلادهم ، وكره جميع المسلمين ماجعل للانكليز فيها من الحقوق فى الحجاز ، وفى معاملة الحجاج ! ومتى كان يبالى بالمسلمين ، أو غير المسلمين إذا رضى عنه الانكليز ؟ ولكن من مصلحتهم الآن

أن لا يرضوا عنه ، ولا ينصروه وهم أعرق الناس فى بنـاء سياستهم على المصالح لا كما يصمهم بأنهم يعملون بمقتضى « الحسيات » بالمعنى الذى يفهمه هو .

٤ — إن هذا الرجل قد شرع منذ سمى (نفسه) ملك العرب ، وصاحب الممالك العربية ، وبايعه مستضعفو مكة وحدة فى الجهر بالملك ، وفى السر بالخلافة الإسلامية (كما قالوا أخيرا عند تجديد البيعة) — شرع يطعن فى دين الوهابية ، وعقـائدهم ، ويرميهم بالكفر ، وتكفير المسلمين تمهيدا لقتـالهم وأخذ بلادهم ، ولم يكتف فى ذلك بمـا نشره فى جريدته (القبلة) بلسانها ، بل صرح بذلك مراراً فى مقالاته ومنشوراته الرسمية كالمنشور الرسمى الذى نشره فى العدد ٢٠٢ المؤرخ فى ٢٤ شوال سنة (١٣٣٦) ، والمنشور الرسمى الذى أصدره فى غرة ربيع الأول سنـة (١٣٣٧) ، والمنشور الرسمى الذى نشره فى عـدد ٨ جمادى الأولى سنة (١٣٣٧)

وقد صرح فى المنشور الثـانى بعزمه على محو بدعة الوهابية « خدمة للدين وتنزيها له مما فى هذا الريع ، والضلال ، وسلامة البلاد من سيئـاته » وذكر فى الثالث أنه معهم فى موقف دفاع ثم قال « فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصى و الدانى أنه متى تحقق لدينـا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميـان إنذار بأنه يرى وجوب قتـالهم لأجل دينهم وإكراههم على ترك عقائدهم ، وما يدينون الله به ، وأنه هو سلطان المسلمين ، ويفعل هذا أصالة وبانية عنهم ، فإذا كان صرح بهذا ، والدولة العربية التى اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له وهم من الأوهـام ، والخلافـة التى رضيها له ملك الانكليز حلم من الأحلام ، فماذا عسى أن يفعل بهؤلاء النجديين إذا استقر

ملك أولاده فى العراق والشام ، ورضى الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية وقـد سبق فادعى لنفسه الخلافة الإسلامية ؟ اللهم الطف بعبـادك ، وارحمهم برحمتك ، وأنقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك ، ولا تسلطه على أحد من خلقك «كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعه ولكن تأخر نشرها[1]» .

قلنـا فى مقال سابق : إن رميه الوهابيين بالمروق من الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، قـد اتبع فيه سلفه الطـالح عند ظهور أمرهم فى فجر القرن الثالث عشر للهجرة ، ونذكر هنا ما فاتنا هنالك من شهادة التأريخ على ذلك ، لاتحاد العلم والمعلوم فى فساد الأول والآخر ، ولأنها من الشواهد على ما قيل من « أن التاريخ يعيد نفسه » :

قال المرحوم محمود فهمى باشا المهندس المصرى فى الجزء الأول من تاريخه (البحر الزاخر) فى سياق الكلام على الوهابية :

« ومن بعد مدة استمرت فى محاربات شديدة ، ووقائع عتيدة ، دخل جميع بلاد العرب فى العقـائد الوهابية ، أى العقـائد الإصلاحية للديانة الإسلامية ، وصارت نجد أيضا فى حالة سياسية مدنية جديدة ، وبدل أن كانت جهاتها منقسمة إلى عـدة عشائر ، وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها[2] . ومستمرة فى حروب وكروب بين بعضها[3] صارت مقر دولة قوية ، وسلطة سياسية ، مثـال سلطة

---

(١) المنار . نشرت هذه المقالـة فى الاهرام فى ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجاز قد حاءتنا بأنه استقال ، أو خلعه حزب تألف من كبراء أهل جـدة ومن هاجر اليها من مكة ونصب ولى عهده عليـا ملكا دستوريا للحجاز وحده ، ثم تبين أن ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد (المؤلف) .

(٢) الصواب : منفصل بعضها عن بعض .

(٣) الصواب فيما بينها .

الحلماء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة فى الأعمال الدينية والدنيوية».

«ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات فى بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم، وهما حكومة بغداد والحجاز، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأى قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا فى أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور[1] شريف مكة. وفى سنة (١٧٨١) بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه فى أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم، ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد فى قلب الشريف غالب[2]، وفى ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظفه شريف مكة[3] بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهابية وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدنات صغيرة قصيرة المدة، ولما انتظمت محابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانيـــة لم يهمل أدنى طريقة يمكنه إجراؤها فى تمكين الدولة العثمانيـــة من دخول عساكرها فى بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين[4] إلا وأجراها، وأثبت[5] أنهم من الملحدين الكافرين، وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الأعمال الفـــاسدة المضرة

---

(١) هو الشريف سرور بن مساعد بن سعيـــد بن سعد بن زيد الحسنى من أمراء مكة ت ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م (الأعلام ٨١/٣)

(٢) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسنى من أمراء مكة وليها بعد وفاة أخيه سرور، ت ١٢٣١هـ/١٨١٦م (الأعلام ١١٥/٥)

(٣) أى توليته إمارة الحجاز (المؤلف).

(٤) يقال وقع بالعدو وأوقع به أى فتك به فى القتال وواقعه قاتله.

(٥) أى أكد وجزم كاذبا.

بالدين ا هـ . المراد منه هنا بحروفه على ما فيه من غلط لغوى (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه) .

ثم قد أعقب هذا الافتراء والإفساد أن أمرت الدولة العثمانية حكومة بغداد قتال الوهابيين ففعلت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ، ودخلوا العراق زحف الشريف غالب على نجد ، واستولى على قرية فيها فكان هذا هو السبب لزحف الوهابيين على الحجاز وفتحه .

والآن يريد خلفه حسين أن يهيج عليهم العالم الإسلامى كله ، والعالم الأوربي أيضا بما يرسله من البرقيات التى يلفقها بأسماء مجهولة لحجاج رعايا الدول الأوربية ، أو معروفة كلجنة مؤتمر الجزيرة التى ألفها بمكة للفساد والإفساد فى البلاد العربية ، فهو الذى كتب تلك البرقيات وهو الذى أرسلها إلى البلاد ، والأقطار ، والصحف ، و وكلاء الدول ، وجمعية الأمم [1] من غير أن يكلف أحد منها قرشا من أجورها ، ومن غرائب غفلات البشر أن وجد منهم من يصدق ما قيل فيها من اتهام الوهابيين بارتكاب الفظائع التى لا يستبيحون شيئا منها ، وحسبهم أنها شهادة من عرف بالكذب على عدوه ، وأقرب ما اشتهر من كذبه فى جريدته (القبلة) ، ومن كذبه فى منشوراته الرسمية ادعاؤه مبايعة العالم

---

(١) لما فتح الوهابيون الطائف أرسل الملك حسين برقية طويلة من مكة باسم بعض أهلها وألوف الحجاج من رعايا الأجانب فيها إلى قناصل الدول بجدة وإلى جمعية الامم بسويسرة ، وعواصم أوربة ، وجرائدها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها يزعم فيها أن الوهابيين اقترفوا أعظم الفظائع والمنكرات . . ثم ظهر كذب البرقية من وجوه متعددة وأن الذين سبقوا إلى احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعين لنجد لا من النجديين ، وإن النجديين لما وصلوا إلى الطائف انتظمت الأمور فيها كأنها لم تصل بنار حرب (المؤلف) .

الإسلامي له بالخلافة حتى مدن مصر المشهورة .

٥ — شن الغارات عليهم، وبدؤه بقتالهم عند كل فرصة سنحت له . وأكبر هذه الغارات زحف ولده عبد الله بأكبر قوة اجتمعت له بعد إخلاء الترك للمدينة المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي التي ذكرناها في السبب الرابع آنفا وأوسطها زحفه على منطقة عسير في إثر وفاة السيد محمد على الادريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد ، وفي إثر تنكيل الوهابية بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون أنهم نجدة منه فأطلقوا عليهم الرصاص وبعد أن عرف الأمر اعتذر السلطان عبد العزيز للإمام يحيى عن هذا الخطأ ، واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، ولكن حسينا كان قد أمطر العالم كله برقيات في التشنيع على الوهابيين .

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الأمير علي على الوهابيين بالقرب من خيبر، وقد مهد لذلك بخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعلن عقب زيارته لشرق الأردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين ، وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية !! وأنه لا حرج على النجديين في التجارة في بلاد الحجاز ولما تبعه نجله وولي عهده السيد علي أمير المدينة المنورة[1] وإلى شرق الأردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود المخيمين بالقرب من خيبر اذ يكونون وادعين هنالك ، مغترين بذلك التأمين العام والعفو الشامل فألفها من ستمائة هجان وأربع مائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المتفرقين في الأطراف وسلبت اموالهم ومواشيهم وهمت بالرجوع ، ولكن نبأها كان وصل

---

(١) وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصبه ملكا على الحجاز و هو اعجز من والده عن ارادته وحفظ الآمن فيه (المؤلف) .

إلى الاخوان الذين فى جهة خيبر فأتبعوها و فتكوا بها فتكة لم يسلم منها إلا أفراد من عارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت ، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر إلى المدينة المنورة مضرجا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة أن زالت بقية الثقة بأقوال « ملك جميع البلاد العربية » على ما أضيف اليه من لقب « الخلافة الاسلامية » وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها ، وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن فى الحجاز كله . -

على ان الأمير عليا اذاع فى جرائد سورية وفلسطين وغيرهما وجريدتهم « قبلة » الكذب ان بعض الوهابيين حاولوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم الجنود الهاشمية ، او ما هذا معناه . هذا ملخص ما كتبـــه الينا بعض رجالهم مل صاطهم

٦ ـ بث حسين الدسائس و إغراؤه للعـــداوة والفتن بين نجـــد والبلاد المجاورة لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له ، و أنه سيكون فى خاتمة الحرب ملكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه إلى ابن الرشيد وآل عايض وغيرهم و هذا أمر قد أذاعتـــه حكومة نجد فى البلاغ الذى نشره الأمير فيصل نجل سلطان نجد فى جرائد مصر وغيرها المؤرخ فى ٢٠ رجب سنة (١٣٤٢) وقد جاء فيه ما نصه :

« إن تحت يدنا من الكتب والرسائل التى وجدت فى تربة ، والخرمـــة ، وعسير، ما يفيـــد أن ملك الحجـــار وولده عبد الله لا يسعون إلا لشهواتهم ومصالحهم ، ولو أدى ذلك إلى هدم بناء العرب و لكننا نمسك عن نشرهـــا الآن . فإن سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها ، وهنالك يعلم العالم الاسلامى

والعربي تلك الجنايات والدسائس » الخ

٧ — ما ذكر في هـذا البلاغ النجدى الرسمى من بث حسين الدسائس فى بريدة من بلاد نجد ، وإغرائها بالخروج على حكومتها .

٨ — إنه كان سببـا فى فشل مؤتمر الكويت إذ اشترط فى الاتفاق مع ابن سعود تركه لبعض بلاده كما هو مشهور(١).

فعلم من هذه الأسباب أنها تفصيل لخطة حسين فيما سماه الوحدة العربية التى ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها فى المقالة السابقة ، وهى واضحة فى أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطة نجد من الوجود ويجعل بلادها تابعة له . وهذا كاف فى عرف كل دولة وكل حكومة فى العالم لمقابلته بالمثل ، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل يوما ما بعداوة شريف مكة لعلمه بضعفه وعجزه ، أن ينال منه منالا وقد صرح تصريحا رسميا بأنه إنما ينقذ الحجاز من ظلمه وبغيه لأجل المصلحتين الإسلامية والعربية اللتين فصلنا أسبابهما فى المقالة السابقة و سنبين فى المقـال التالى وجه الوجوب الشرعى لهذا الإنقاذ ممن سمى نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان .

المقالة الرابعة

الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز

(١) تواطأ ملك الحجاز حسين هو وابناه فيصل ملك العراق، وعبـد الله أمير شرق الأردن على أن يشترطا فى اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه ، وصرحوا بأن منها ترك سلطان نجـد لبلاد حايل ، والجوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية والخرمة وتربـه من جهة الحجاز ولعسير — ولذلك فشل مؤتمر الصلح . (المؤلف)

بينا فى المقالة الثانية الأسباب العامة التى توجب إنقاذ الحجاز من طاغوت مكة . حسين بن على على من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفى المقالة الثالثة الأسباب الخاصة بأهل نجد أنفسهم ، و نسيما أن نعد منها منعهم من التجارة فى الحجاز بل حاء بالمرض وهو الذى كان من أسباب شـــدة غلاء السمن واللحم فى مكة كما بيناه فى « المنار » من قبل وقلنا : إن هذه الأسباب الخاصة كافية فى البعث على القتال عند كل أمة ودولة ولكن سلطان نجد لا يبالى بعداوة حسين له لبلاده ولا بمظاهرة أصحاب الألقاب الفخمة لــه من أولاده الذين لم يستح كل واحـــد منهم بإظهار الاحتقار له بمثل قولهم : ليس ابن سعود إلا شيخ عشيرة أو قبيلة — و إنما هو رجح الواجب الشرعى والمصلحة العامة الإسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أيدنا كل موضوع كما بيناه فى المقالات الثلاث

نشرنا فى « المنار » ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سبقنا إلى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرهـا من البلاد الشرقية ولا سيما العربية .

(الأولى) . بلاغ بإمضاء الأمير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه « للحقيقة والتاريخ » وجهه إلى أشهر الصحف فى العـالم الإسلامى فى ٢٠ رجب سنة (١٣٤٢) يتضمن سعى سلطان نجد فى أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لنقض بنيانها عمـــا كان يسعره من نار الفتن والدسائس » الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه الى ملك الحجاز أن يكون هو (أى الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . فهزئ به و لم يرد عليـه ، وفى هذا البلاغ إنذار

للملك حسين بنشر المكتوبات التى وجدت بإمضائه فى تربه، وعسير، والقصيم فى الحث على الإفساد والفتن إذا هو مارى فيه.

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منـــه « العالم الاسلامى والشعب العربى » صدر من الرياض فى ٢٨ شوال سنة (١٣٤٢) افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبهم واتحاد أمرائه فحمدت حكومـــة نجد سعيهم .

قال : « وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الأجانب، ومقدار مـــداخلتهم فى بلاد العرب فأبوا إلا أن ينفردوا بهـــذا العمل الخطير، ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته . ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب

فقلنا : أنجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع فى غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون إلى السجون ويجلون عن بلادهم، ويمنعون من الإقامة فى ديارهم، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء فى بلادهم، ومرافق الحياة فى يد غيرهم؟ ولو لا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه » .

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لأنها « قوية مستقلة لم تنفذ إليها مطامع المستعمرين » ثم قال :

« ان نجدا تمد يدها لكل من يريد خير العرب و يسعى لاستقلال العرب، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب .

« ان نجدا ترحب بكل عربى أبى، وتعد أرضهـــا وطنا لكل عربى سورى أو عراقى أو حجازى أو مصرى، إن نجـداً لا تطمع فى امتلاك أرض خارجة

عن حدودها الطبيعية . ولكنها لا تقبل إلا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها » .

ثم ذكر مسألة الخلافة فنفى أن تكون وظيفته روحية للتبرك ، وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة ، أو شعب حق البت فيها ، وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن على « عجلته والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذى لايليق له . وقال : إن أهل نجد يوافقون إخوانهم أهل مصر والهند فى وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلا صحيحا » .

فهـذه تصريحات قطعية فى رأى حكومة نجد فى استقلال البلاد العربيـة استقلالا صحيحا مطلقا من قيود الوصاية والانتداب التى جناها عليها بيت حسين الحجازى ، ولايزالون يخدمون حلفاءهم فى تمكينها جهـارا ، ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعـدون جميع الشعوب الإسلامية إخوانا لهم خلافا لما يفتريه عليهم حسين بن على وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لأحد بالإسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه فى مؤتمر الشورى الذى عقـد فى الرياض عاصمـة نجد فى أول شهر ذى القعدة الماضى سنة (١٣٤٢) فقد اجتمع هنالك كبار علماء البلاد و زعماؤها و رؤساء الأجناد وقوادها فى قصر الإمام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذى حضر مجلسهم وكانوا قـد كتبوا إلى والده الجليل برغبتهم فى أداء ركن الإسلام : الحـج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه ، فأخبرهم أنه أرسل مكتوباتهم إلى ولده (السلطان) فى أوقاتها وقال لهم : اسألوه عنها .

فتكلم عنهم سلطان بن بجاد بن حميـد زعيم برقا من عتيبة وأمير هجرة غطغط قال :

« أيها الإمام ! إننا نريد الحج لامحالة ، ولا نستطيع أن نصبر على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه ، إن مكة ليست ملكا لأحد ، ولا يحق لأحد أن يمنع مسلما ، أو يصد مؤمنا عن أداء فريضة الحج . إننا نريد أن نحج فإن منعنا شريف مكة ، دخلنا مكة بالقوة ، وإن لم يصدنا عن سبيل الله ، أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . وإذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلابد من غزو الحجاز ، وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذى أرهق العباد ، وضرب من المكوس والرسوم على قاصدى بيت الله الحرام ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة »

فأجاب السلطان بإحالة الحكم فى مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا ، أو القوة إلا أن يكون فى ذلك مفسدة راجحة ، وسألوه عن ذلك ، فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والأمان فى الجزيرة ، والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة ، وما كان من سعى الشريف حسين لإلقاء الفتن بين النجديين إلى أن قال ما نصه :

« السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والاخوان لقد سعيت من مدة طويلة فى بسط السلام والأمان داخل الجزيرة فنحن لا نود أن نحارب من يسالمنا ، ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ، ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرنا ، ولكنه كان دائما يبوء بالخسران ، والله لايترك الحق يصرعه الباطل . إن شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لايفتأ يطعن فى طريقكم السوى وسيرتكم المحمدية ، ولا يألو جهداً فى الافتراء علينا والطعن على علمائنا ، ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم ، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه ، وظاهروا شريعته .

« إن شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم، بل قام يلقب نفسه بإمارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الأقطار الإسلامية كلها تبغضه، وأن علماءكم قد أرسلوا التلغرافات إلى مصر، والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التى لا نراه كفؤا لها، ولابد لنا من وضع حد لأكاذيبه وإفساداته.

« وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم. أنا لا أقبـــل أن تحجوا وبكم شيء من الضعف، أو يلحق بكم نوع من الأذى والضرر، وإنى على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج إلى أكبر مجهود، ولكن مكة ليست لنا وحدنا، بل هى للمسلمين كافة، ومادمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجيز لكم الاستيلاء على إحدى المدن المقدسة.

« إن شريف مكة قد لايمنعكم من الدخول إلى مكة ولكن الرجل لايعدم وسائل الشر، فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة فى مكة فى موسم الحج، وفيه المسلمون من كل جنس، وإنى أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الاسلامى الذى أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه، واعلموا أن الأمر لا يطول، فاصبروا إن الله مع الصابرين »

عندئذ قال العلماء بصوت واحد: إنه لاحرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام. مادام أن أداءها قد يؤدى إلى فتنة فى بلد الله الحرام. ا. هـ.

فهــذا نص قطعى رسمى من سلطان نجد فى مجلس الشورى العام لبلاده فى الحامل له على إنقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية، المسماة بالعربية الهــاشمية، لا تحتمل التأويل، ولا الدعاية السياسية التى لا تعرف فى تلك البلاد ولو فى غير ذلك المجلس الرسمى، ولقـد صبر سلطان نجد صبرا لم يعهد له نظير من قوى يعتدى عليه جميع أنواع الاعتــداء الدينية والدنيوية من ضعف عاجز.

يصول و يبغى سرا وجهرا حتى يتجرأ على مطالبة هذا القوى فى مؤتمر الكويت بأن يترك لأمره جل مملكته — أعنى إقليم الاحساء الذى استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية — و إمارة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ، ثم أدال الله له منه — وإمارة عسير التى استولى عليها بالاتفاق الذى عقد بينه وبين المرحوم السيد الادريسى — وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد ، ورضى ابن سعود باستفتاء أهلهما .

ملخص ما تقدم : أن سلطان نجد قد علم هو وأمته بعد التروى واستفتاء العلماء أن إنقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن على واجب شرعا ، ولو لم يكن لذلك من موجب إلا منع أهل نجد من الحج لكفى فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا اليه فيما أجملناه فى « الاهرام » وفصلناه فى « المنار » من إلحاده بالظلم لأهل الحرمين ، والحجاج ، وإدخاله للنفوذ الأجنبى فى البلاد ، وخطره على الأمة العربية وما بقى لها من البقعة الصغيرة المستقلة فى جزيرتها ، وتكفيره للترك وللمصريين كالنجديين ثم تنحله منصب الخلافة .

وفى تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعى باعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع الشعوب الاسلامية ، والرغبة فى التعارف ، والتواد معها ، وبأن هؤلاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين ، والطعن فيهم ، والتنفير منهم .

وقد استفتينا . واستفتى غيرنا فى شأن هذا الباغى (الملك حسين) فى سنة (١٣٤١هـ) فأفتى بعض علماء الأزهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على إمام المسلمين ، وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها فى « المنار » الذى صدر فى ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣—٦١٦) ونشرناها فى جريدة

«الاهرام» أيضا أجملنا فيها صفاته وجناياته التى يقتضى بعضها الردة إلا أن يوجد ما يدفعها من شبهة ، وأقلها البغى والالحاد بالظلم فى الحرم — إلى آخر ما لخصناه فى هذه المقالات ، ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين إمام المسلمين الأعظم الذى يجب عليه قتاله ؟ ؟

ثم بينا أن إنقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد ، وإمام اليمن وذكرنا ما يقال فى المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضى إلى تدخل الانكليز فى الحجاز لأنه حمله تحت حمايتهم — وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المخذول لهم ، واستنجادهما إياهم لإرسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد ، وإرجاعه عن الحجاز — وذكرنا أنه لا يرجى من إمام اليمن أن يقصد الحجاز ـ وما كان يقول أكثر الناس فى مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطناع الانكليز له بالمال ، وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز ، والعراق ، وعرب فلسطين عليه إذا هو خالف رأيهم فى ذلك ، وقولهم انهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لأعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الأمير عبد الله فى تربة ـ ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائدهم المأجورة .

ثم ذكرنا أقوال النجديين فى سبب ذلك وهى ترجع إلى سببين : (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء ، وحبه للسلم ، وأنه لذلك أخضع آل الرشيد بالحصار الطويل فى أشد أيام العسرة والغلاء ، (وثانيهما) : تحرجه وتأثمه من دخول مكة فاتحا ، وقد صح فى الحديث أن القتال فيها لا يحل لأحد[1] حتى قال بعض

(١) كما فى حديث أبى شريح العدوى ، وابن عباس (أنظر صحيح البخارى ٤/٤٠ و ٤٦ - ٤٧)

العلماء: إن أفراد الجناة الذين يثبت شرعا وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم[١].

ثم ذكرنا أقوال الأئمة، وكبار العلماء فى مسألة القتل والقتال فى الحرم، وأن الشريف حسينا لم يبال بحرمة الحرم فقاتل الترك فيه، ولايزال يقتل كل من يزين له هواه قتاله، ويسمى فعله حداً شرعياً، وأن المخرج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء أن تحصر شقة الحرم وهى محدودة حتى يضطر المعتصم فيه إلى التسليم - وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز فى فجر القرن الثالث عشر للهجرة حصروا الشريف غالبا وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا إلى التسليم، ودخل الوهابيون مكة محرمين.

وبذلك عللنا تأخرهم عن فتح مكة فى هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم فى تعليله، وإرحاف أجراء الوكالة العربيـــة الهاشمية الملكية الإمامية الخلفية[٢] بمصر فى هذه الفرصة تارة بأنهم عادوا أدراجهم مخـــذولين، وتارة بانتظارهم للإشارات المطاعة أن ترد عليهم من لندن كانتظار الملك الخليفـــة حسين أولا، وانتظار الملك على اليابانى الدستورى المدنى ثانياً !!!

وإنا لنعجب أن صدق هذه الفرية بعض المصريين العارفين بالشئون العامة، ويعلمون أن الانكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الأخطار على مطامعهم فى العرب والإسلام.

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بإيهام الناس أنه من أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً فى المعارك التى تشيب لهولها الولدان،

---

(١) انظر فتح البارى (٤/٤٧)

(٢) الخلفية بالتحريك نسبة إلى كلمة خليفة (المؤلف).

وتمثيل الوهابية للناس فى صور السباع الضارية، والوحوش المفترسة : تبقر البطون، وتدق الصدور، وتمزق الأشلاء، وتلغ فى الدماء، وما حجتهم على ذلك إلا البرقية التى طيرها مسيلمة الزمان حسين إلى جميع بقاع الأرض بإمضاء بل أسماء مجهولة من سكان مكة وحجاجها، وأنفق الألوف عليها، والحق الواقع أنه لم يكن ثم إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثا، ولولا بعض اليمانيين وغيرهم فى جيش الحجاز لما وقع شىء من ذلك يذكر لأن أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق، الذى سمى نفسه المنقذ، ومازالوا يدعون الله بإنقاذهم منه حتى استجاب لهم.

وقد بنى على هذه الأراجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة إلى استصراخ أمم الشرق والغرب من جميع الملل والنحل إلى التعاون، والسعى لإنقاذ البشر من هذه الكارثة التى تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب المدينة العظمى، وإنما الغرض من ذلك إبقاء حكم الطاغوت الأكبر فى حرم الله تعالى يرهق أهله، ومن يرد إليه من الحجاج ظلماً، ويميت الألوف منهم ظمأ الخ

وقد انخدع بهذه الأراجيف مجلس الأمور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى بالمجلس الإسلامى الأعلى، فطير البرقيات إلى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية وغيرها يستصرخهم للتعاون على إيقاف هذه الحرب حقنا للدماء... وكذلك جمعية الرابطة الشرقية التى رددت صدى هذا المجلس فى جلسة لم تبلغنى دعوتها إلا بعد اجتماعها. ولا شك فى حسن نية المجلس والجمعية، ولو صدقت أراجيف الحجاز لكنت على رأى إخوانى فيهما، فأنا وكيل هذه الجمعية، وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندى، ورئيسهم من خواص أصدقائى ومن أقرب الناس إلى رأيى.

قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها، ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الأكبر مثار الشقاق والنفاق

حسين بن على ، وأنقذ الحجاز منه ، فخرج من جدة مذؤما مدحورا ، و لوبقى فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسينقذه قريبا من ولده ، وولى عهده وخليفته الملك على المهزوم المدحور ، الذى لم يكد يسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ، ومن الهدى ثانيا ، ومن كرى ثالثا ، حتى أبرق إلى وكيل والده ناجى الأصيل بأن يمضى المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لإقرار الانكليز على السيادة على البلاد المقدسة وتمليك رقبتها لليهود الصهيونيين وإعطاء البريطانيين من الحقوق فى الحجاز ما قامت قيامة العالم الإسلامى على والده من أجله .

وإن لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى فى السياسة البريطانية مع العرب فى هذا الطور الجديد

المقالة الخامسة[1]

(ما ينبغى للمسلمين عليه وعمله)

أيها المسلمون !

إن الحجاز مهبط دينكم ، وفيه بيت ربكم ، وهو قبلة صلاتكم ، ومشاعر نسككم ، وشعائر الله لكم ، فيه يقام الحج الأكبر ، الذى هو ركن الإسلام الاجتماعى الأوحد ، وفيه مقام إبراهيم ، وقبر نبيكم الكريم ، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم . وقد جاء الاسلام بحرية الأديان إلا فى حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب ، فهما خاصان بدين الاسلام ، وقد امتدت إليهما أيدى غير المسلمين فى هذه الأيام .

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : آخر

(١) نشرت فى الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٨ اكتوبر (المؤلف) .

ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان[١] ».

وروى أحمد ، ومسدد ، والحميدى فى مسانيدهم ، والبيهقى فى سننه من حديث أبى عبيـدة رضى الله عنه قال : آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : «أخرجوا يهود أهل الحجاز و أهل نجران من جزيرة العرب » ، وفى رواية . « نصارى نجران[٢] »

وروى أحمد ، والبخارى ، ومسلم من حديث ابن عباس قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس ، وأوصى عند موته بثلاث « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » .

قال سليمان الأحول راوى الحديث عن سعيد بن جبير الذى سمعه من ابن عباس : ونسيت الثالثة[٣].

وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياه الأخرى فى مرض موته ﷺ كقوله : « لا تتخذوا قبرى وثنا » . وفى موطأ الإمام مالك ما يشير إلى ذلك — أو وفد أسامة — أو الوصية بالنساء والرقيق .

وقد أجلى النبى ﷺ بنى قينقاع ، وقريظه ، والنضير المحاربين له من يهود المدينة ، وأنذر من بقى من اليهود الجلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام ،

---

(١) أخرجـه ابن اسحاق فى سيرته كما فى نصب الراية (٣/٤٥٤) ومن طريقه أحمد (٦/٢٧٥) وقال الدارقطنى هذا حديث صحيح (وراجع : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه رقم ٨١٧)

(٢) صحيح أخرجه الطيالسى (رقم ٢٢٩) والحميدى (١/٤٦) وأحمد (١/١٩٥ - ١٩٦ و ٢٢٢) والدارمى (٢٥٠١) والبيهقى (٩/٢٠٧ - ٢٠٨) من حديث أبى عبيدة الجراح (وراجع : الصحيحة رقم ١١٣٢ وصحيح الجامع الصغير رقم ٢٣١) .

(٣) أحمد (٤/٢٧١) والبخارى فى الجهاد (٦/١٧٠) ومسلم فى الوصية (٣/١٢٥٧)

ويحفظوا أموالهم ، فقد روى البخارى فى مواضع من صحيحه ، وأبوداود ، والنسائى عن أبى هريرة قال : بينما نحن فى المسجد خرج النبى ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بورن المفتاح العالم الذى يدرس كتابهم) فقال : « أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإننى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله (أى بدل ماله) شيئا فليبعه — فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز[١].

وروى أحمد ، ومسلم ، والترمذى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما[٢] » .

ولما كان أبو بكر رضى الله عنه لم يتسع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر رضى الله عنه فقد روى البخارى عن عبد الله أن عمر والده رضى الله عنهما أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وذكر يهود خيبر إلى أن قال . أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء[٣] .

سبب هذه الوصية النبوية معروف ، دلت الأحاديث الصحيحة وهو أن الله تعالى اطلع رسوله ﷺ على ما سيكون من مطاردة الأمم لأمته ، وسلبهم إياها

(١) البخارى فى الجزية (٦/ ٢٧) و الاعتصام (٣١٤/١٣) والإكراه ٣١٧/١٢) و مسلم فى الجهاد (١٣٨٧/٣) و أبو داود فى الخراج و الامارة (٤٠٣/٣) والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٣٠٤/١٠)

(٢) أحمد (٢٩/١) ومسلم (١٣٨٨/٣) وأبو داود (٤٢٤/٣) والترمذى فى السير (رقم ١٦٠٦) والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (١٦/٨) .

(٣) البخارى فى فرض الخمس (٢٥٢/٦)

مايخولها الله تعالى من الملك ، ومحاولتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها فأراد أن يكون مهد الإسلام معقلا لها تعتصم فيه ، ولا تجعل للأمم التى ستبغى عليها سبيلا للتدخل فى شؤونه ، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى ، وفى مقدمتها حليفة البيت الحسينى فى الحجاز بريطانية العظمى : هذه الدولة التى أرادت أن تجعل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيبوا أملها خلقت مسألة الاقليات بدون قيد ، وكلفت نفسها بدون إذنهم ، أن تبقى محتلة لمصر لأجل حمايتهم — هذه الدولة التى خلقت للعراق العربى شعبا أشوريا قضى عليه التاريخ منذ ألوف السنين ، فقلدته السلاح ، وحملته على مطالبة جمعية الأمم بتأسيس دولة جديدة له فى العراق ، لأجل العداء والشقاق ، والتذرع به لإبقاء العراق تحت سلطانها إلى يوم التلاق — هذه الدولة التى ما زالت تكيد للدولة العثمانية ، وتتوسل إلى إسقاطها بالأرمن و الروم وغيرهم إلى أن سقطت ، وزالت من الأرض ، فحاولت القضاء على شعبيها الإسلاميين الكبيرين ـ العرب والترك ـ فحالت أحداث الزمان دون الإجهاز على الشعب التركى ، ووجدت من حسين المكى وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربى ، فلما سلط الله تعالى عليه شعبا شديد الاعتصام بالإسلام ، طرده من الحجاز فى هذه الأيام ، قامت جرائدهم تدعو بالويل والثبور ، وتنذر قومها الخطر الاسلامى العربى على ما سلبوا من بلاد العرب أن ينفلت من أيديهم .

أيها المسلمون ! تأملوا الشواهد على صحة قولى هذا لعلكم تتفكرون . روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا إلى النبى ﷺ قال : « إن الإسلام بدأ غريبا ، و سيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية فى جحرها[1] » .

---

(١) صحيح مسلم فى الإيمان (١/ ١٣١)

وروى الترمذى من حديث عمرو بن عوف [عن أبيه عن جده] مرفوعا إليه ﷺ قال : إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل[١] إن الدين بدأ غريبا ، ويرجع غريباً ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى[٢] » .

وملخص معنى هذه الأحاديث أن المسلمين سيطرأ عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الإسلام نفسه غريبا فيهم ، ومحتاجا إلى الإصلاح ، وأنهم سيضطهدون بدينهم ولأجل دينهم ، حتى لا يجدون ملجأ يعتصمون فيه لإقامتــه إلا معقله الذى ظهر فيه غريبا وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزا قويا كعصم الوعول فى شناخيب الجبال . ومن تمام التشبيه أن يستتبع ذلك ما استتبعــه أولا من الملك والعمران (إن شاء الله) .

أيها المسلمون ! إلى متى أنتم غافلون ، إن الدولــة البريطانية ولية حسين ابن على المكى وأولاده من دون الله والمسلمين هى التى أخذت على نفسها القضاء على دين الإسلام فى الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق إلى ذلك وأقلها خسارة ونفقة ، وهو جعل الشعوب الاسلامية أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، إلى أن يهلك الجميع ، وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم .

وهى هى التى قاتلت المصريين باذن ولاة الأمر من السلطان والخديو .

وهى هى التى قاتلت السودانيين بالمصريين .

---

(١) أرز : كعلم وضرب ونصر : تجمع وانكمش وعاد وثبت . والأروية بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء أنثى الوعول وهى تعتصم فى أعلى الجبال .

(٢) الترمذى فى الإيمان وقال : حسن صحيح (٥/ ١٨)

وهى هى التى قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمرائه ببعض ، ولا سيما فى الهند ، كما سترون فى «المنار» من مقال للسيد جمال الدين الأفغانى[١] الذى كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها .

وهى هى التى قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده حتى سلبت منهم أخصب بلادهم ، وقررت إعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ، وجعلهم شعبا جديدا قويا بين مصر وسورية والحجاز ، يستعينون به على أهلها من العرب فى حرماتهم من رقبة بلادهم وخيراتها .

وهى هى التى ألقت العداوة والبغضاء بين إمام اليمن والسيد الادريسى .

وهى هى التى أغرقت العداوة والبغضاء الموروثتين بين النجديين وأمراء الحجاز .

وهى هى التى أطمعت الطاغوت حسين بن على بالخلافة الاسلامية ، وملك العرب كلهم تحت حمايتها ، وقد بينا بعض الوثائق الرسمية فى ذلك كله .

أيها المسلمون ! إن العقل ، وحالة الاجتماع العامة ، وتقاليد السياسة الانكليزية الخارقة كلها تؤيد معنى ما ورد فى الحديث الذى صدقته وقائع التاريخ التى أشرنا إليها آنفا من أن الله لا يهلك المسلمين إلا بقتال بعضهم لبعض .

روى مسلم من حديث ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها[٢] وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم ، يستبيح

(١) نشر هذا المقال فى ج ٧ و ٨ وكان الوعد فى الاهرام قبل صدورهما (المؤلف) .

(٢) زوى الشيء يزويه جمعه وقبضه والمراد أنه تعالى أطلعه عليها (المؤلف) .

بيضتهم[١] وإن ربي قال لي : يا محمد ؟ إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد . وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارهـا ــ أو قال : من بين أقطارها ــ حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا[٢] »

وقد ظهر صدق هـذا الحديث في الفتح الإسلامي للشرق والغرب ، ثم في ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا اليه آنفا في شأن بعض دول الشرق الاسلامي ، ومثله دول الغرب القديمة والحديثة فلولا تفرق أهل الأندلس وتعاديهم وتقاتلهم لما زالت دولتهم ، و ورثها الأسبانيون ، ولو لا مسلمو مراكش لما فتحت فرنسة الجزائر، ثم لو لا مسلمو الجزائر لما استولت فرنسة على مملكة مراكش .

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لإنقاذ الحجاز من صنيعة الأجانب حسين المكي وأولاده . قد بينا لكم بالوثائق الرسمية حقيقـة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك ، وأنه إسلامي محض لتأمين فريضة الحج ، ومنع الالحـاد و الظلم في الحرم ، وقطع عروق النفوذ الأجنبي في مهد الإسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام .

و كذا منع حسين وأولاده مـا صرح به رسميا من عزمه على إخضاع جميع حكومات جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافـة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد إكراه حسين بضغطه على توقيع المعاهدة العربية البريطانية ،

---

(١) يكنى بالبيضة عن موضع سلطـة القوم وملكهم و مستقر قوتهم وما يحمون من حقيقتهم . (المؤلف)

(٢) مسلم في الفتن (٤/ ٢٢١٥) وراجع الصحيحة للألباني (رقم ٢)

فتى خضع عاد جيش نجد أدراجه ، ووردت جرائد أخرى هذا الإرجاف فظهر كذبهم .

وأرجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز فى الحجاز ما لم ينفذه حسين، وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز ، فظهر كذبهم أتم الظهور بما نشرته صحيفة إرجافهم بمصر من برقيات لندن — أولا — من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونورى باشا الشعلان رئيس قبائل الرولة على سماح الأول للثانى ببقعة الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق — وثانيا — ببرقية التيمس التى أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الناطقة بأن احتلال ابن السعود للحجاز ومواتئه الواقعة على البحر الأحمر مفعم بأخطار شديدة !! وأنه يحمل معظم القبائل على الانضواء إلى كنفه والسير تحت لوائه — وأنه يرجح أن ينتقل من إنقاذ الحجاز الى إنقاذ شرق الأردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال .

ثم إن هذا الانكليزى الغيور على الإسلام والعرب طعن فى دين الوهابيين ومذهبهم، و وصفهم بالتوحش وكراهة المدنية، وأظهر خوفه وحذره من إكراههم لغيرهم على اتباع مذهبهم وغيرته على المعاهد المقدسة !! واستدل بهذا كله على أنه يجب على الدولة البريطانية وهى أكبر دولة إسلامية (!!!) أن تبادر إلى رد الوهابيين عن الحجاز قال : « فتنقذ بذلك المعاهد المقدسة فى الحجاز من أن تمسها يد الوهابيين بالتدمير والتخريب — وليس ذلك فقط — بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد البلاد العربية ، وتقضى على عامل يقلق السلم فى جزيرة العرب ، فاذا لم تزله زوالا تاما فانها تخفف من حدته كثيرا »

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترة ترى من أعظم الخطر على سياستها فى البلاد العربية أو الإسلامية أن يوجد فى المسلمين أمير مسلم قوى

ولا سيما إذا كان مسلما مؤمنا معتصما بدينه ، مؤيدا بشعب صادق الإيمان كابن سعود وقومه ، لايباع ولايشترى بالذهب الانكليزى ولا بالألقاب الفخمة الضخمة كحسين وأولاده ، لأن قوة مثل هذه تحول دون نجاح السياسة البريطانية فى إزالة الإسلام من الأرض من حيث هو دين سيادة وسلطان، ثم فى إزالته من الأرض من حيث هو دين عقيدة وإيمان ، ويستتبع ذلك احتمال إنقاذ ما استعبدته من الشعوب الاسلامية والعربية .

ثم إن مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الأراجيف والتفصيلات تمهيد السبيل لحمل المسلمين فى مثل الهند ، ومصر، وفلسطين، وسورية على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز ، وتمنى إخراجهم منه لتتوسل الدولة البريطانية بذلك إلى بذل قوتها لإجلائهم عنه خدمة للإسلام والمسلمين (!!) لأنها شديدة الحب لهذا الدين والإيمان به، ومغرمة القلب بحب المسلمين كافة، كما فعلت من قبل فى احتلال أوطانهم حبا فيهم، وتكريما لدينهم (!!) وهل كان فتحها الصليبى للقدس الشريف ، واحتفالهم بذلك فى جميع كنائسهم إلا من آثار هذا العشق والغرام؟ وهل تمليكها رقبة فلسطين لليهود الصهيونيين ، وتجديد ملك لهم فى قلب بلاد العرب إلا من عشق الإسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (!!)

يظهر أن مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالهما لايزالون يظنون كما يظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية أن المسلمين لايزالون كالبله يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل أن بعض أهل فلسطين ، وسورية ، والعراق لايزالون يعظمون حسينا ، وفيصلا ، وعبد الله مع ظهور خيانتهم للأمة العربية ، وجنايتهم على الدين الإسلامى .

والصواب الذى يجب أن يعرفه الانكليز هو أن السواد الأعظم من المسلمين

صاروا على الرأى الذى سمعته من حسنى آفندى أحد مشايخ الإسلام المتأخرين فى الآستانة وهو: أن كل ما تقول دول أوربة لنا: إنه مفيد لكم فهو ضار بنا، وكل ما تقول لنا: إنه ضار بكم فهو نافع لنا، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة، للتنكيل بالأمم الضعيفة، مع ادعاء المقاصد الشريفة، وليرجعوا عن مطامعهم التى لا حد لها، فإن ذلك خير لهم.

أيها المسلمون! حسبكم ما بينا لكم من الدلائل فى هذه المقالات وغيرها على مصاب الإسلام والعرب بهذا البيت الحجازى ووجوب تطهير الحجاز من جناياته على العرب والإسلام، وقد سخر الله لحرمه من أنقذه بأهون الوسائل فماذا يجب عليكم الآن؟ خذوا رأى أخيكم كاتب هذه المقالات الذى درس مسألة جزيرة العرب وأمرائها وسياسة الأجانب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عريضا عميقا فى أكثر من ربع قرن، وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا فى القضايا الآتية:

١ ـ إن أعظم جناية يجنيها مسلم على الإسلام والمسلمين والعرب السعى لإقرار سلطة على بن حسين وإبقائه ملكا على الحجاز، فقد سنحت الآن الفرصة لأعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون فى مهد دينهم، فإذا أضاعوها يخشى أن لا تعود.

قد تولى إمارة الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرفاء مكة فى بضعة قرون، فلم يخرج منهم مصلح فى علم، ولا عمل، ولا ديانة، ولا سياسة، ولا إدارة، بل كان أكثرهم مفسدين ظالمين، وأقلهم غير نافعين ولا ضارين، والدليل على ذلك سوء حالة الحجاز فى جميع هذه القرون، ورجوع بدوه إلى شر مما كانوا عليه فى الجاهلية، وكون حضره أسوأ حالا من جميع سكان المدن فى البلاد الشرقية.

وقد كان شرهم وأطمعهم وأشدهم إلحاداً وإفساداً للدين والدنيا حسين بن على الذى لم يبلغنا أن أحدا من الأمراء أبغضه أهل ملتـه وذموه مثله ، وهذا ولده قد سمى ملكا فى أسوأ حال نصب فيها حاكم فى أمة ، أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكان إلى مكان ، ويستغيث بجميع أهل الملل والنحل من جميع الأمم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين ، ثم هو يقر حكومة والده الممقوتة برجالها كلهم ، ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده فى لندن بعقـد تلك المعاهدة التى بين مسادها كتاب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

٢ — إنه لم يكن يوجد فى الدنيا شعب إسلامى غير النجديين يمكنه إنقاذ الحجاز من الخطر الذى كان محيطا به بعد احتلال الأجانب لفلسطين ، وسورية ، والعراق ، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران ، وقـد كان هذا البلاء المبين بمساعـدة هذا البيت الحجازى ، وها نحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكليز به الحجاز من عدم السماح لقوة إسلامية تؤسس فيه لئلا تكون خطرا على ما صاروا يعدونه ملكا لهم من بلاد العرب التى يزعم حسين وأولاده أنهم أنقذوها (فلسطين ، وشرق الأردن ، والعراق) .

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القـاعدة السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية إن لم تكن تحت الإشراف البريطانى لأجل الأمن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق .

٣ — اعلموا أنه لا توجد حكومة إسلامية غير حكومة نجد تقدر الآن على حفظ الأمن فى الحجاز ، ومنع التعدى على الحجاز ، ثم على إصلاح حال قبائل الأعراب فيه ، ومنعهم من الغزو لمجرد التعدى ، أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعضدها جميع العالم الإسلامى ، وسيرون صحة قولى فى هذا كما رأوه فى غيره ،

ولاسيما الإرجاف الأخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون ، أو يحرقوا أستارها ، وأمثال هذه الأكاذيب التى كان يذيعها الانكليز ، ومروجو سياستهم الحجازية فى مصر، وسورية ، فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم فى فجر القرن العشرين معتمرين ، فطافوا بالكعبة المعظمة ، وقبلوا الحجر ، وصلوا سنة الطواف، ثم الفريضة ، وآمنوا جميع الأهالى من كل اعتداء ، فلم يعتدوا على أحد ، وسيلغون جميع الضرائب ، والمغارم التى أرهق حسين بها الناس ولما علم ذلك عاد الذين كانوا فارين من مكة إلى جدة من الطريق ، ولابد أن يكون جميع الدين فروا إلى جدة قبل ذلك قد ندموا لتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن الوهابية سيمزقون أشلاءهم ، ويبقرون بطون نسائهم ، ويقطعون أعضاء أطفالهم على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون . . .

٤ — إنه لايليق بالإسلام ، ولابيت الله الحرام ، أن يكون فى مكة وهى البلد الأمين ، والمعبد الأعظم للسلمين ، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن ويعذب ويفرض الغرامات ويعادى جيرانه ويقاتلهم ، بل يجب أن يكون فيها حكومة يديرها مجلس شرعى منتخب من خيار علمائها ، وعلماء الشعوب الإسلامية الأخرى ، ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم فى كل سنة ، ولا يكون لأى فرد من الأفراد أن يستبد بأى أمر فى حرم الله برأيه .

٥ — يجب أن يكون الحجاز قطرا على الحياد لا يقاتل ولا يقاتل ، ولا يكون لأحد من الأجانب غير المسلمين نفوذ فيه ، ولا حق سكنى ، ولا ملك ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه يرضى أن يكون بلد الله الأمين تحت حماية حاكم غير مسلم ، أو يجعل نفسه ذريعة لتدخله فى شئونه ، وإهانة لحكومته الإسلامية . وإذا كان قد عهد من أجهل المسلمين

التابعين لدول غير إسلامية الصبر الجميل على ظلم أمراء مكة القبيح . ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم ، فكيف يكون شأنهم إذا صارت حكومة الحجاز شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال للاستبداد.

٦ - يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصلاح والإصلاح . وقد ألفت في القاهرة جمعية إسلامية عامة للسعي لما يجب من تأمينه وحياده السلمى باعتراف جميع الدول ، ومن الاصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام فى بلد الله الحرام) ، وستعلن الدعوة إليها.

٧ - إن ما أشرنا إليه ، ونقلنا بعضه فى المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد بإبلاغى نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص يعطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح ، أو يدعو إلى عقد مؤتمر إسلامى فى مكة المكرمة يؤاف من خواص مسلمى الشعوب الإسلامية البحث وتقرير النظام الذى أشرنا إليه . كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد لحضور مؤتمر الخلافة الذى سيعقد فى مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع فى شيء من هذا قبل إنقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة[1]

ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية ، وقبة الحرم الشريف ؟

كثر المثنون علينا من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولا وكتابة على ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثر طلاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) حتى صارت تطلب من الأقطار البعيدة ،

(١) نشرت فى الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الاول ٢٥ اكتوبر (المؤلف)

ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثر السائلون لنا عما يشتبه عليهم من هذه الرسالة من أقوال الجرائد ، فأما من يلقوننا منهم فاننا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون إلينا منهم فنعتذر لهم ، بأننا لا نجد وقت فراغ من أعمالنا الضرورية نصرفه فى الكتابة لهم ، وإن كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد .

ومن الأسئلة الكتابية سؤال أرسل الينا من طريق جريدة « الاهرام » هو أجدرها بأن لا يجاب عنه وإن كان مرسله مستعجلا لا صبر له ، إذ هو يسأل عما يعمل الوهابيون بالحجرة النبوية إذا هم فتحوا مكة والمدينة ، ويقيم عليهم الحجة إذا هم فعلوا ما زعم أنهم يدينون الله تعالى به ، وإذا هم لم يفعلوا على سواء . فأنا لا يعنينى أن أبحث فى أمر المستقبل ، وما عسى أن يفعل الوهابية فيه ، ولا يعنينى أن يخطىء القوم فى أمر ، فنقوم به عليهم الحجة ! ومتى فعلوا شيئا يعلم السائل وغيره ذلك ، وهم على تشددهم فى الدين غير معصومين ، فإن وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد رضى الله عنه لأنه لم يثق بإسلامهم ، فلما أخبر النبى ﷺ بأمرهم قال : « اللهم أبرأ إليك مما فعل خالد ، اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد » رواه البخارى وغيره(١).

ولكننى وجدت باعثا دينيا دعانى للإجابة عن هذا السؤال الذى هو غير جدير بالإجابة عنه لذاته ، وهو أن أبين للجماهير من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد فى هذا الباب ، مع فوائد أخرى تتعلق بما فى السؤال

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) والبخارى فى المغازى (٨/ ٥٦ ـ ٥٧) والنسائى (٢/٢٠٥) من حديث ابن عمر .

من الاحتجاج ، اقتداء بما ورد فى آخر كتاب العلم من صحيح البخارى فى باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله(١) .

وهذا نص السؤال :

السلام عليكم ، وبعد : أرأيتك يا أستاذ ، لوتم للإخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة ، أيهدمون قبر النبي ﷺ . أعى يقطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، إذ أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها . . . . ؟

وهل لا يغضب العالم الاسلامى لمثل ما يأتون إذا حصل . . . ؟ وإذا راعى الإخوان فى ذلك شعور العالم الاسلامى ، وتحاشوا تلك الأعمال عند هذا المقام ، فما معنى تلك الأسطر الكثيرة التى خطوها فى هذا الباب ؟ أو هل كان النص تنقطع سلسلة أتباعه هنا ، فهو مقصور على قبر غير النبي ﷺ . . . ؟

عجل يا سيدى بإجابتى ، وتقبل جميل احتراماتى المخلص

محمد ابراهيم خليل ببولاق

جواب السؤال :

١ — الذى نظنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التى فيها القبر الشريف ، ما قاله السائل من أنهم يدينون الله تعالى بتحريم ذلك البناء ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها — فيه نظر ، فإن البدع المخالفة لصريح السنة هى اتخاذ القبور مساجد بأن يدفن الميت فى المسجد ، أو يبنى المسجد على القبر . كما يعلم مما يأتى . وقبر النبي ﷺ منفصل من المسجد فى بناء وحده كان بيت زوجه عائشة رضى الله عنها وعن أبيها ، فالذى يصلى فى المسجد لا يعد مصليا إلى القبر ، وإذا

(١) ١/ ٢٣١

كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلى إلى القبر يسهل منعه .

وقد استولى القوم على الحرمين الشريفين فى آخر القرن الثالث عشر الهجرى (الموافق لأول القرن التاسع عشر الميلادى) ، ولم يهدموا الحجرة الشريفة ، ولكن روى بعض المؤرخين أنهم أزالوا من فوق قبة الحرم النبوى الشريف ما كان من شكل الهلال والكرة المذهبين ، وأنه كان من مرادهم هدم القبة ، ولكن سقط اثنان من الفعلة الذين صعدوها لإزالة الكرة والهلال الذهبيين ، فماتا ، فامتنعوا من هدم القبة لذلك ، والمعلوم قطعاً أنهم لم يهدموا قبة الحرم ، ولم يحدثوا اعتداء ، ولا تغييراً فى القبر الشريف ، وربما كان نزع الكرة والهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فرأوا أن الانتفاع بهما فى خدمة الدين التى يعتقدون القيام بها أولى من وضعها فوق القبة ، على أن هذا الزخرف فى بناء المساجد ليس من الدين فى شئ ، بل هو من البدع التى تفاخر بها الملوك ، وأنكرها عليهم بعض العلماء ، وسكت عنها بعضهم خوفا منهم ، أو لأنهم عدوا الكثير منها من البدع الدنيوية التى لا تمس العقائد ، ولا العبادات .

ثم ابتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك فينفذه أخلافهم ، وهو محرم بالنصوص الصحيحة الصريحة فأنكره قليل من العلماء الربانيين ، وسكت عنه الآخرون خوفا من شرهم ، أو طمعاً فى برهم ، كما يعلم من الشواهد التى نزيدها على جواب السائل الفاضل .

٢ — إن العالم الإسلامى يغضب أشد الغضب أن هدموا القبة الخضراء ، أو شيئا من جدران الحجرة الشريفة لأن هذه المظاهر الفخمة ، والزخارف الجميلة تعد فى عرف جميع العوام وكثير ممن يسمون الخواص من قبيل شعائر الإسلام ، والمشعر الحرام ، بل هي عندهم أفضل من الركن والمقام ،

وأهم من الصلاة والصيام ، ومنهم من يذهب إلى الحجاز لأجل الزيارة ، ولا يخشع لا لرؤية هذه المبانى الفخمة ، فاذا كان فى إزالة شىء منها مصلحة من بعض الوجوه كالرجوع فى الأمور الدينية وما يتعلق بها إلى مثل ما كانت عليه فى عصر السلف ، والتمييز بين ما هو مطلوب شرعاً ، وما هو محذور أو غير مطلوب ، فان فيه مفسدة أكبر ، والحال فى أكثر البلاد الإسلامية على ما ذكرنا حتى صح فيها ما تنوه به خطباء المنابر من تحول المعروف منكراً . والمنكر معروفا . ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء .

٣ — إذا راعى الإخوان شعور العالم الإسلامى فى ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها درءاً للفسدة ، واتقاء لتنفير الكثيرين عن الإصلاح المقصود من إنقاذ البلاد المقدسة ، يكون عملهم هذا موافقاً للشرع ، وقد علمنا مما دار فى مؤتمر الشورى فى عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج فى الموسم الأخير إذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجحة ووجود الحجرة النبوية نفسها ليس من المنكرات ، بل من المعروف المتواتر خبره فى كتب السنة كالمسجد النبوى ، وإنما تغير شكل البناء ، وأمره هين لا يذكر مع تركهم للحج خوفاً من المفسدة

ومن دلائل السنة على هذه المراعاة بهذا القصد ما ثبت فى الصحيحين[1] وغيرهما من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان كارها لما عليه بناء

---

(١) أخرجه أحمد (٦/١١٣ و ١٧٧ و ٢٤٧) ، والبخارى فى الحج (٣ / ٤٣٩) ، والأنبياء (٦ / ٤٠٧) ، والتفسير سورة البقرة (٨ / ١٧٠) ، ومسلم فى الحج (٢ / ٩٦٩)

قريش للكعبة مقتصرة من جهة الشمال عن قواعد جده ابراهيم (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) من جعل بابها مرتفعا ليدخلوا من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا، وأنه كان ﷺ يود لو نقضها فأعاد بناءها على أساس ابراهيم، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض ليدخل كل من أراد من باب، ويخرج من الآخر، وما منعه من ذلك إلا حداثة عهدهم بالكفر والجاهلية كما صرح به لعائشة، والحديث فى ذلك مكرر فى الصحيحين وغيرهما، فإذا كان المعصوم ﷺ خاف أن تنكر قلوب حديثى العهد بالشرك من المؤمنين هدمه للكعبة، وبناءها على أتم وأفضل مما بناها عليه المشركون، فمراعاة الاخوان مثل ذلك يعد عملا شرعيا.

الزيادة على الجواب

إذا أراد السائل وأمثاله نصا عن الأئمة المجتهدين فى هذه المبانى الفخمة، والزينة فى الحرم النبوى الشريف، فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي فى كتابه الاعتصام فى بحث الشروط التى تشترط لعد البدع من المعاصى الصغائر كبائر، حتى إذا ما بلغ الشرط الثالث وهو «أن لا تفعل البدعة فى المواضع التى هى مجتمعات الناس، والمواضع التى تقام فيها السنن، وتظهر فيها أعلام الشريعة» يجد من الدلائل على هذا الشرط ما نصه:

«قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدى، فصلى، ووضع رداءه بين يدى الصف، فلما سلم الامام رمقه الناس بأبصارهم، ورمقوا مالكا (هو الإمام مالك ابن أنس) وكان قد صلى خلف الإمام، فلما سلم. قال: من هاهنا من الحرس؟ فجاءه نفسان، فقال: خذا صاحب هذا الثوب، فاحبساه، فحبس، فقيل له: إنه ابن مهدى (أى قيل لمالك: إن هذا الذى حبس هو عبد الرحمن بن مهدى الإمام المشهور، وهو من أقران مالك فى الحديث) فوجه اليه، وقال له: أما

خفت الله ، واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك فى الصف ، وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت فى مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي ﷺ . « من أحدث فى مسجدنا حدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1] » فبكى ابن مهدى ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك فى مسجد النبي ﷺ ولا فى غيره

وفى رواية. أن عبد الرحمن بن مهدى اعتذر بأنه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر ، فوضعه ، ولم يقصد مخالفة من مضى[2]. أى فى عدم إحداث شيء جديد فى مسجده ﷺ .

فإذا كان إمام دار الهجرة يرى أن من مخالفة الحديث الشريف الذى رواه هو ، ومن بعده من أصحاب الصحاح والسنن أن يضع المصلى رداءه أمامه لأن

(١) أخرجه أحمد (١/ ٨١ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٥١ و ١٥٢) ، والبخارى فى الاعتصام (٢٨١/١٣) ، والجزية (٢٧٣/٦) ، والفرائض (١٢/ ٤٢) ، ومسلم فى الحج (٩٩٤/٢—٩٩٥) ، والعتق (١١٤٧/٢) من حديث على وأخرجه أحمد (٢٣٨/٣ و ٢٤٢) ، ومسلم من حديث أنس .
وأخرجه أحمد (٢ / ٣٩٨ و ٤٥٠ و ٥٢٢) ، ومسلم (٢ / ٩٩٥) من حديث أبى هريرة .

(٢) أورده القاضى عياض فى ترتيب المدارك (١٧١/١) ولفظ الرواية الأخرى عنده : وفى رواية عن ابن مهدى، قال : فقلت للحرسين: تذهبا بى إلى أبى عبد الله قالا: إن شئت ، فذهبا بى اليه ، فقال : يا عبد الرحمن ! تصلى متسليا ؟ فقلت : يا أبا عبد الله ! إنه كان يوما حارا كما رأيت ، فثقل ردائى علىّ ، فقال : الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى ، والخلاف عليهم ، قلت : الله . فقال : خلياه .

هذا لم يكن فى عهده ﷺ ، وكل ما لم يكن فى عهده يصدق عليه أنه إحداث، وابتداع فيه، يستحق صاحبه تلك اللعنة الشاملة المحيطة، فما القول عنده فى سائر الأحداث؟

والإمام مالك متفق على جلالته واجتهاده، ويلقبه بعض المحدثين حتى من غير المالكية بالإمام الأعظم، ولكنه لو خرج اليوم من قبره، وأراد أن يحمل المسجد النبوى كما كان فى عصره، لرجمه جماهير المسلمين بالحجارة، وفى مقدمتهم أتباع مذهبه من المغاربة، والسودانيين، والمصريين!!

نكتفى بهذا القدر من الزيادة الآن، وسنذكر فى المقال المتمم لهذه الفتوى بعض الأحاديث المحتج بها فى أحكام القبور والمساجد، وأقوال بعض كبار الفقهاء من غير الحنابلة لأن هذه فرصة تنبهت فيها الأذهان للتمييز بين السنن والبدع.

المقالة السابعة[1]

القبور ومساجدها وقبابها

قد عم الجهل بالإسلام حتى صار ألوف الألوف من المسلمين — جنسية لا هداية — يعدون بعض الحق من عقائده، وآدابه، وأحكامه باطلا، والباطل من البدع المحدثة فيه حقا وسبب هذا إهمال التعليم الدينى، والإرشاد الإسلامى وترك فريضة الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فانقلب الأمر، وانعكس الوضع، وصار الكثيرون يعدون كثيرا من المعروف منكرا، ومن المنكر معروفا حتى فى الأمور المتعلقة بصحة الإيمان.

(١) نشرت جريدة «الاهرام» بتاريخ ٢٩ فى ربيع الأول و ٢٨ اكتوبر (المؤلف).

ولما فشت البدع ، و رسخت، صارت مألوفة ، وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابهــا أحكام الشرع فى أحكام الردة ، والخروج من الإسلام ، وأحكام رد الشهادة ، ثم صار بعضهم يتأول لهم ، ولو بالتمحل البعيــد عن النقل والعقل .

لهذا اضطرب النـاس فى الإصلاح والتجديد الدينى الذى قام به الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الحنبلى السانى فى نجد وأولاده ، وأحفاده ، وتلاميذهم بتــأييد أمراء نجد ابن سعود وآل سعود لأنهم أقاموا أحكام الإسلام بالعلم ، والعمل ، والتأييد بالحكم النــافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعا لاتهامهم بتكفير المسلمين ، واستباحة دمائهم — ووافقتهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لإماتة ذلك الإصلاح لئلا يفضى إلى تأسيس دولة عربية قوية فى بلاد العرب ، مع أن الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والدروز مسلمين إذ كانت أبعد الحكومات الإسلامية عن التكفير ، وعن مقاومة البدع ، إلا أن يكون لأجل السياسة كقتالها للإيرانيين ، وكل من هذا ، وذاك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركى يثنى على الوهابيين اليوم ، وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاستيلاء على الحجاز لأن الحجاز قــد خرج من دائرة دولتهم ، وكان المتغلب عليه عدوا لهم .

أشهر ما اشتهر من إصلاح الوهابيين الذى سماه الجاهلون بدعة ، أو مذهبا جديدا ، أو دينا محدثا منع البدع ، والمعاصى المتعلقة بقبور الأنبياء ، والأولياء ، وأهل البيت ، و إننــا ننشر للجمهور الآن بعض ما ورد فى ذلك من الأحاديث النبوية ، وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين ، والمنتمين إلى المذاهب

المشهورة ليميزوا به الحق من الباطل والهدى من الضلال .

جاء في « كتاب الزواجر » للفقيه الشهير أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المولود بمصر سنة ٩٠٩هـ والمتوفى بمكة سنة ٩٧٣هـ — ما نصه :

الكبيرة ٩٣—٩٨

اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانا ، والطواف بها واستسلامها ، والصلاة إليها

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول : « إنه لم يكن نبي إلا وله خليل من أمته ، وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا وإن الأمم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، وإني أنهاكم عن ذلك ، اللهم إني بلغت » ثلاث مرات ، ثم قال : « اللهم أشهد » ثلاث مرات - الحديث[1].

والطبراني : « لا تصلوا إلى قبر ، ولا تصلوا على قبر[2] » .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤١/١٩) بسنده عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الألهاني — وهما ضعيفان — عن القاسم عن أبي أمامة عن كعب بن مالك الأنصاري . وقال الهيثمي : فيه عبيدالله بن زحر وعلي بن يزيد وهما ضعيفان وقد وثقا (٢٣٧/٤)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٠٥١ و ١٢١٦٨) ، وصححه الألباني لطريق آخر عن ابن عباس (انظر: صحيح الجامع الصغير ١٥٩/٦ والصحيحة ١٠١٦ ، وتحذير الساجد ص ٣١)

وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[١]».

ومسلم «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك[٢]».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/٣٤٤)، وأحمد (١/٢٢٩) و ٢٨٧ و ٣٢٤ و ٣٣٧)، والطيالسى (منحة المعبود ١/١٧١)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذى (٢/١٣٦ رقم ٣٢٠)، والنسائى (١ / ٢٨٧)، والطبرانى (١٢ / ١٤٨)، وابن حبان (٧٨٨)، والحاكم (١/٣٧٤)، والبيهقى ٤/٧٨)، وهو حديث حسن لشواهده غير (لعن المتخذين عليها السرج)، كما فصلته فى كتابى «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٧٠٥)، وقوله: «لعن المتخذين عليها السرج» ضعيف لعدم وجود شاهده كما ذكره شيخنا الألبانى حفظه الله فى الضعيفة (٢٢٥) والإرواء (٧٦١)، وأحكام الجنائز (١٨٥)

(٢) أخرجه ابن سعد (٢/٢٤١)، وابن أبى شيبة (٢ /٣٧٦)، ومسلم فى المساجد (٢/٣٧٧ - ٣٧٨)، وأبو عوانة (١/٤٠١)، والطبرانى فى الكبير (٢/١٦٨ رقم ١٦٨٦) من حديث عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث النجرانى قال حدثنى: جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله قد اتخذنى خليلا، كما اتخذ ابراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك.
هذا لفظ مسلم ونحوه فى مسند أبى عوانة والطبرانى واكتفى ابن سعد وابن =

وأحمد « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون قبور مساجد[1] » .

وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم « الأرض كلها مسجد لا المقبرة والحمام[2] »

= أبى شيبة بذكر ما يتعلق باتخاذ القبور مساجد من قوله . ألا وإن من كان قبلكم . هذا ، وقد ورد فى طبعة ابن أبى شيبة : (حدثنى جدى) بدل (حدثنى جندب) وهذا الذى حمل شيخنا الألبانى على إيراد هذا الحديث فى تحذير الساجد (عن الحارث النجرانى بعد ذكر حديث جندب ، فاقتضى التنبيه .

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/١ و ٤٣٥) وابن أبى شيبة (١٤٠/٤) وابن خزيمة فى صحيحه (٢ / ٧ رقم ٧٨٩) ، وابن حبان (الموارد ٣٤٠ ـ ٣٤١) ، والطبرانى (٢٣٢/١٠) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢٥٧/ أ) ، وأبو نعيم فى اخبار أصفهان (١ / ١٤٢) من حديث ابن مسعود .
وحسن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إسناده ، وصححه الألبانى بمجموع طرقه .
راجع : تحذير الساجد (٢٧) وشيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٥٥٩)

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/٣) ، وأبو داود فى الصلاة (٤٩٢) ، والترمذى (٣١٧) وابن ماجه (٧٤٥) ، والبيهقى (٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥) ، وابن خزيمة (٧٩١) ، وابن حبان (الموارد ٢٣٨ ـ ٢٣٩) ، والحاكم (٢٥١/١)
وصححه ابن حزم ، وابن حبان ، وابن خزيمة والحاكم والدارقطنى وابن تيمية وأحمد شاكر ، والألبانى ، وهو مخرج عندى فى كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه (رقم ٥٥٤)

والشيخان وأبو داود «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[١]».

وأحمد عن أسامة[٢]. وأحمد والشيخان والنسائى عن عائشة وابن عباس[٣] ومسلم عن أبي هريرة[٤] بمعناه[٥].

وأحمد والشيخان، والنسائى «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[٦]».

وابن حبان عن أنس. «نهى ﷺ عن الصلاة إلى القبور[٧]».

وأحمد والطبرانى: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٨٤ و ٣٦٦ و ٣٩٦ و ٤٥٢ و ٥١٨)، والبخارى فى الصلاة (١/٥٣٢)، ومسلم فى المساجد (١/٣٧٧)

(٢) أخرجه الطيالسى (منحة المعبود ٢/١١٣)، وأحمد (٥ / ٢٠٤) من حديث أسامة، وقال الهيثمى: رجاله موثقون (مجمع الزوائد ٢/٢٧)
وأورده الألبانى فى تحذير الساجد وقال: وسنده حسن فى الشواهد (٢٠)

(٣) أحمد (١/٢١٨ و ٦/٣٤ و ٢٢٩ و ٢٧٥)، والدارمى (١/٣٢٦)، والبخارى فى الصلاة (١/٥٣٢)، ومسلم (١/٣٧٧) من حديث عائشة وابن عباس.

(٤) مسلم فى المساجد (١/٣٧٦ - ٣٧٧)

(٥) وفيه زيادة «والنصارى» وما فى الحديث بعده وكان ذكر له ﷺ كنيسة فى الحبشة فيها صور الخ (المؤلف).

(٦) أخرجه أحمد (٦ / ٥١) والبخارى فى الصلاة (١ / ٥٢٣ - ٥٢٤)، ومسلم فى المساجد (١/٣٧٥ - ٣٧٦)، والنسائى فى الصلاة (١/٨٢ رقم ٧٠٥)

(٧) صحيح ابن حبان (٣/٣٢)

ومن يتخذ القبور مساجد[١]»

وابن سعد: «ألا. إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنى أنهاكم عن ذلك[٢]».

وعبد الرزاق: «إن من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد[٣]»

وأيضا: «كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلعنهم الله تعالى[٤]».

ثم قال المصنف بعد سرد هذه الأحاديث:

(تنبيه) عد هذه الستة من الكبائر وقع فى كلام بعض الشافعية، وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث، ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح، لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما فى رواية: «يحذر ما صنعوا[٥]» أى يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا.

---

(١) تقدم قريبا.

(٢) وهو حديث جندب الذى تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١ / ٤٠٥ رقم ١٥٨٦) عن معمر والثورى عن أبى اسحاق والحارث عن على — وأحسب أن معمرا رفعه — قال فذكره.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١ / ٤٠٦ رقم ١٥٩١) عن ابن جريج عن عمرو بن دينار — وسئل عن الصلاة وسط القبور —. قال: ذكر لى أن النبى ﷺ قال فذكره.

(٥) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه ﷺ لمن اتخذوا القبور مساجد تعليلا للعن (المؤلف).

واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه ، وحينئذ فقوله « والصلاة إليها » مكرر ، إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط[١]

« نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر معظم من نبي ، أو ولى كما أشارت اليه الرواية: « إذا كان فيهم الرجل الصالح» ومن ثم قال أصحابنا· تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء ، والأولياء تبركا ، وإعظاما ، فاشترطوا شيئين . أن يكون قبر معظم ، وأن يقصد الصلاة اليه ، ومثلها الصلاة عليه التبرك والإعظام .

وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له ، وتبركا به — والطواف به كذلك — وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح فى الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا ، فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذى القبر

« وأما اتخاذها أوثانا ، فجاء النهى عنه بقوله ﷺ : « لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد بعـــدى[٢]» أى لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود لـه أو نحوه[٣]

(١) المتبادر بقرينة ما فعل أهل الكتاب أن منه بنـــاء المساجد عليها وجعلها منسوبة اليها كما وضحه ﷺ بقوله. « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح» الخ (المؤلف)

(٢) أخرجه أحمد (٧٣٥٢) ، وابن سعد (٢ / ٢٤١ - ٢٤٢) والجندى فى فضائل المدينة (١/٦٦) ، وأبو يعلى فى مسنده، والحميدى (١٠٢٥) ، وأبو نعيم فى الحلية (٢٨٣/٦ و٣١٧/٧)من حديث أبي هريرة مرفوعا وتمامه: لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

صحح الألبانى إسناده وذكر له شواهد (انظر : تحذير الساجد ٢٤ - ٢٦)

(٣) أى كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفا ومثله التمسح به أو بقفصه للتبرك أو الاستشفاء (المؤلف) .

فإن أراد ذلك الإمام بقوله . واتخاذها أوثانا ـ هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة ، بل كفر بشرطه . وإن أراد أن مطلق التعظيم الذى لم يؤذن فيه كبيرة ، ففيه بعد ، نعم ، قال بعض الحنابلة .

قصد الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادة لله ورسولـــه ، وإبداع دين لم يأذن به الله للنهى عنها ثم إجماعا ، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد أو بناؤها عليها . والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي[1] ﷺ لعن فاعله

• وتجب المبادرة لهدمها ، وهدم القبـــاب التى على القبور إذ هى أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ، لأنه نهى عن ذلك ، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل ، أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١ــ١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعـــة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣هـ)[2].

وقد أشار بقوله : إن النبى ﷺ أمر بهدم القبور المشرفة إلى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثـــالا إلا طمسته ،

(١) نص على تواتره أئمة الحديث منهم ابن حزم وابن تيمية ، وابن عبد الهـــادى ، والسخاوى ، والكتـــانى فى نظم المتناثر (راجع : شيخ الإسلام ابن تيميـــة وجهوده فى الحديث وعلومه رقم ٥٥٨)

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١٢٠/١) المطبعة الأزهرية ١٢٣٥ هـ

ولا قبرا مشرفا إلا سويته[١].

قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث : قال الشافعى فى الأم : ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله : « ولا قبرا مشرفا إلا سويته » ا . هـ[٢].

فهل كان ابن حجر ، والنووى قبله ، والإمام الشافعى قبلهما من الوهابية ؟ و هل كان أئمة المسلمين بمكة فى عصر الشافعى أعلم وأهدى ، أم حسين طاغوت الحجاز فى عصرنا الذى أمطر الخافقين برقيات فى الطعن على الوهابية بهدم قبر ابن عباس رضى الله عنهما ؟ ؟

إن أمر النبى ﷺ لعلى كرم الله وجهه حين أرسله إلى اليمن بطمس التماثيل ، وهدم القبور المشرفة ، وتسويتها بالأرض ، ثم أمر على عامله أبا الهياج الأسدى بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك فى خير القرون كان لسد ذريعة تعظيم القبور تعظيما دينياً ، إذ هو من أعمال الشرك ، فهل ننكر هدمها ، وهدم القباب ، والمساجد التى عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحظور ؟

حدثنى الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذى كان أعقل رجل فى شرفاء مكة أنه رأى رجلا فى مسجد ابن عباس بالطائف يصلى مستقبلا القبر ، مستدبراً القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك ، وجاء ليحوله إلى القبلة ، فرآه بصير العينين ، وأبى أن يتحول معه فعلم أنه متعمد ، فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد .

---

(١) صحيح مسلم : الجنائز (٦٦٦/٢) ، وأخرجه أحمد (٩٦/١ و ١٢٩ و ١٤٥) وأبوداود (٥٤٨/٣) والترمذى (١٠٤٩) ، والنسائى (٢٠٣٣) كلهم فى الجنائز

(٢) شرح صحيح مسلم (٣٧/٧ - ٣٨)

فالأمر المشاهد الذى لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيما دينيا لم يأذن به الله قد كانت سببا لمنكرات كثيرة أخرى ، منها ما هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ، ومنها ما يحتمله احتمالا قريبا أو بعيدا ، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال مسوغا للسكوت عنه ، وإقرار أهله عليه ، وإنما قد يجوز ذلك فى درء الكفر عن شخص معين ، ومنها ما هو معصية كبيرة ، ومنها ما هو صغيرة ، وكلاهما كثير جدا لا خلاف بين المسلمين فيه ولا فى أن استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الناصحون ذلك فى كتب كثيرة أشهر المطبوع منها كتاب المدخل العلامة ابن الحاج المالكى الفاسى المتوفى فى مصر سنة (٧٢٧هـ) ومما ذكره أن العلماء أفتوا بهدم بنيان البيوت التى على القبور (الأحواش) كما فى الصفحة ٢٧٤ من الجزء الأول ، وفصل المفاسد الموجبة لذلك .

وقال الامام الشوكانى المجتهد فى شرح حديث أبى الهياج الأسدى من كتابه (نيل الأوطار) ما نصه : « من رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبى ﷺ فاعل ذلك كما سيأتى . وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكى لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ورفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

« ومع هـذا المنكر الشنيع والكفر القطيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف ، لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ، ولا وزيرا ، ولا ملكا . وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجراً ، فاذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى تلعثم ، وتلكأ ، وأبى ، واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثانى اثنين وثالث ثلاثة .

« فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أى رزء للاسلام أشد من الكفر؟ وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ؟ ا هـ . المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الأوطار المطبوع بالمطبعة الأميرية بمصر) .

وللإمام الشوكانى هذا رسالة خاصة فى هذا الموضوع نشرت فى المجلد الثانى والعشرين من « المنار » ، وللعلامة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة فى معناها اسمها « تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد » ، نشرت فى المجلد الثانى والعشرين منه — وقد طبعتا على حدة — وقد ذكر الأخير شبهة بعض الناس فى قبة المسجد النبوى الشريف بعد أن بين أن مبتدعى بناء القباب والمساجد على القبور هم ملوك الأعاجم الجاهلون فقال :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال ، قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ، ولا من أصحابه ، ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا

من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القمة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور فى سنة (٦٧٨هـ) ذكره فى (تحقيق النصرة، بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول) اهـ.

فقد علم القراء بهذه النقول أن الوهابية لم يبتدعوا فى هذا الأمر، بل اتبعوا الأدلة، وأقوال الأئمة من المحدثين، والفقهاء المنتمين إلى المذاهب المشهورة، الحنبلى فقط بعد ترك الجماهير لها، لا مذهبهم ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾.

وإننا ندعو بالخير لمن سأل فكان سبب هذا البيان وقد بلغنا ما علمنا به أننا أخطأنا فى فهمنا أنه أراد به الاحتجاج والنية حسنة، ولله الحمد فى كل حال.

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

المقالة الأولى(١)

مقدمة:

كنا كتبنا بضع مقالات فى هذه المسألة فى أول العهد بزحف الإخوان لإنقاذ الحجاز من إرهاق الطاغوت حسين بن على، ومـا يرجى أن يتبع ذلك من إنقاذ جزيرة العرب كلها من الاستعباد الأجنبي ــ فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة فى الطعن

(١) نشرت فى عدد الاهرام الذى صدر فى ١٩ رجب، ١٣ فبراير.

بدين أهل نجد منذ قرن وثلث قرن باختلاق الشريف غالب أمير مكة فى عهد ظهور الإصلاح الذى قام بـه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخرس ألسنة الدعاية الحديدة التى اختلقها الشريف حسين الذى ادعى أنه ملك العرب وخليفة المسلمين .

ثم عرضت لنا شواغل كثيرة عاقتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح أمامنا من أبواب المسائل الكثيرة فى هذا الموضوع، فنشطت فى هذه الفترة الدعاية، وبذل فى سبيلها المال بسخاء فوق المعتاد، وتحرأت حكومة الشريف على بن حسين المحصورة فى ميناء جدة، ودعاتها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن على ودعاته، حتى انهم افتروا على كاتب هذا المقال، وهو أول من هتك أستارهم، وتتبع عوارهم، وقلم أظفارهم، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب مما أرسلناه إلى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه، وتصويب سهام الإنكار إليه، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم نجد فرصة، نكذبها فيها، ونفضحهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطنا، وكثر إلحاح المطالبين لنا بالعودة إلى الكتابة لرد أمثال هذه المفتريات، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات، لأن بعض المخاصين اغتروا بها، وصدقوا أن على بن حسين ألف ملكا جديدا فى الحجاز، مخالفا لوالده فى سياسته، وأن فى جدة حزبا وطنيا مؤلفا من زعماء الحجاز، وأهل الرأى فيه، وأنه هو الذى خلع حسينا، ونصب عليا، وأنه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره، وأن سلطان نجد ضعيف لاجند عنده ولا سلاح، وأن ما أعده ملك جدة من آلات القتال والجنسية المصرية كاف لتدويخه، وسحق جيشه الضعيف، وطرده من الحجاز، والاستيلاء على نجد كلها، وأن إنقاذ الحجاز من

هذه الأسرة الطاغية الباغية صار متعذرا ، فأهون الشرين إذا إصلاح ذات البين يبقى علي بن حسين ملكا للحجاز بشروط ، منها أن لا يعود والده حسين بن علي إلى الحجاز . إلى هذا الحـــد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سنبين الحق فيها .

كنـــا نقرأ تلك المفتريات في جريدة « المقطم » ، وبعض جرائد سورية ، فنضحك منها ضحك السخرية ، متربصين بها تكذيب السيف لها ، وهو أصدق من اللسان والقلم ، ولا يتمارى في قوله ، ولا في حكمه أحد ، على أننا جمعنا بعض الدلائل للرد عليها ، ولكن قضى الله تعالى أن نضطر إلى استئناف الكتابة في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما جمعنا ، وهو وقت نقل كتبنا ، وأوراقنـــا ، ومطبعتنا ، ومطبوعاتها الكثيرة ، وأثاثنا من دار إلى دار . وقد بدأنا في الاستعداد لهـــذا في الشهر الماضي ، وسيشغلنا شهرا ، أو شهرين آخرين ، لأننا لا نجد من يقوم مقامنا في الإشراف على ذلك ، ولكننا سنجد ما نحتاج إليه من الأوراق المحفوظة في أقرب وقت .

بعد هذا التمهيـــد أقول : إن حسين بن علي وأولاده كانوا قـــد خدعوا السواد الأعظم من عرب سورية ، والعراق ، وكثيرا من غيرهم بما بثوه من دعاية المملكة العربية ، والوحدة العربية ، والخلافة العربية حتى خيلوا إليهم أنهم سيعيدون إلى هذه الأمة عصر هارون الرشيد ، ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنيـــة الإنكليز القديمة ، وهي إدخال جزيرة العرب ، وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الإمبراطورية البريطانية المرنة على أن تسودهم فيها على قومهم ، وتسميهم ملوكا ، وخلفاء ، ومع هذا الخزي يرون كثيرا من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقول بزعامتهم ، إما لغباوتهم وجهلهم ، وإما لأنهم يرضون مثلهم : « أن تكون الأمة

العربية كالقاصر فى حجر الدولة البريطانية ، كما صرح به حسين بن على رسميا فى (مقررات نهضته) التى هى أصول سياسته ، وسياسة أولاده . دع الذين يوالونهم للانتفاع منهم .

لهذا أصبح أهل هذا البيت الحجازى يعتقدون أن الدعاية تؤسس الممالك ، وتوطد دعائم الملك ، وتهزم الجيوش ، وتفعل كل شىء . فكان اعتمادهم عليها ، وعلى الدولة البريطانية فى حماية الحجاز ، وعرش ملك العرب ، وخلافة الإسلام ، فعادوا جميع أمراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين ، ولا سيما جارهم بالجنب سلطان نجد ، وهو أقواهم ، وأشدهم بأسا ، ولم يستعدوا لحماية عرشهم منه ، ولا من غيره بالسلاح ، فأهملوا ما تركه الترك ، أو العثمانيون من الأسلحة الكثيرة الجيدة من كل نوع ، واكتفى حسين بتأليف جند صغير يقصد به إظهار عظمة الملك فى الاحتفالات ، والمواسم ، واتكل على الدولة البريطانية ، والدعاية السياسية فلما ضاق العالم الإسلامى عامة ، وعرب نجد خاصة بفساده فى الحجاز ، وزحف جند الإخوان الوهابيين لطرده ، وطرد أولاده منه ، استغاث الدولة البريطانية فلم تر من مصلحتها إغضاب العالم الإسلامى الساخط عليه ، والاصطلاء بنار حرب جديدة فى جزيرة العرب لأجله فأعلنت الحياد ، فلم يبق له إلا قوة الدعاية الخاطئة الكاذبة ، فشرع فيها فلم تغن عنه شيئا . واضطر إلى الخروج من الحجاز مذؤما مدحورا ، وخلف فيها ولى عهده الذى يفخر به ، ويقول : « لا فتى إلا على[1] » ، فكان أبرع منه فى هذه الدعاية ، على أن والده هو الذى ربى له رجالها ، واصطنع صحفها ، وهو الذى يفيض عليه المال للإنفاق فى سبيلها ، وسنذكر

---

(١) أصله حديث موضوع من مفتريات الروافض : « لا سيف إلا ذوالفقار ، ولا فتى إلا على »

أنواع هذه الدعاية الجديدة مع بيان بطلانها فى مقال آخر ، ونعجل بالنوع الوحيد الذى فيه بقية من الحق ، وشبهة من الصدق ، ولكنه حق أريد به باطل ، وصدق اتخذ ذريعة إلى الكذب والتضليل ، وهو .

الاتفاق النجدى البريطانى

سمعت خبر هذا الاتفاق ، أو المعاهدة من الملك فيصل فى الشام أول مرة ، وهو الذى نشرها فى بغداد فى هذه المرة ، وأرسلت إلينا ، وإلى الجرائد الشهيرة ، وقد صدقها الناس لأن سلطان نجد لم يكذبها ، والغرض من نشرها إيهام العالم الإسلامى — الذى يؤيد ابن سعود فى طرد حسين وأهل بيته من الحجاز — أن مملكة نجد نفسها غير مستقلة استقلالا مطلقاً ، بل قيدت الحكومة البريطانيـــة سلطانها بما هو حماية ، وأن الحجاز هو المستقل ، وأنه إذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كنجد ، وقد أطالت الدعاية الحجازية فى المســألة ، وأكثرت من الايهام ، وتناقلت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، و تألم منــه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عندنا من رأى ورواية فيه على تقدير صحة نصه :

كان همّ عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصوراً فى حفظ استقلالها بقوتها ، وبث دعوة التدين فيما جاورها من قبائل العرب ، والقناعة بعيشه العزلة ، والتجافى عن السياسة الدولية وأهلها ، ولم يكن له خصم فى تلك البلاد إلا آل الرشيد فى شمر ، فهم الذين ألبوا على آل السعود الدولة العثمانية ، حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) ، وقضوا على إمارتهم ، فلما انتزعها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى أنه يكون معه فى نزاع دائم ، وقتال مستمر ، وأن قطرا صغيرا كنجد لا يصح

أن يكون فيه إمارتان تتوارثان الأحقاد والأضغان ، وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الأخرى ، فدعا ابن الرشيد للاتفاق ، وتوحيد العلم (الراية) ، والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة معقولة — كما نقل إلينا — فامتنع ، فلم ير بدآ من إزالة إمارته ، ففعل ، وقد اختار حصر منطقته على اقتحامها بالمناجزة ، وكان ذلك فى أيام عسر ، وغلاء فاحش ، وكانت مؤنة الجيش كلها ، بل مؤنة عامة بلاد نجد تأتيها من الهند ، فكان هذا سببا ملجئا لابن السعود إلى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض أهل العلم ، والخبرة بالبلاد العربية .

وهنالك سبب آخر لا يقل عنه إلحاء إلى ما دعى إليه من الاتفاق بما رآه أهون الشرين ، وهو أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الإمام يحيى[1] أنها كانت مخطئة فى معاداة حكومة نجد ، كما كانت مخطئة فى معاداة أئمة اليمن ، وأن الاتفاق عكس ، وهو خير للدولة ، فعقدت مع إمام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود اتفاقا آخر اعترفت له فيه بالاستقلال الوراثى فى بلاد نجد كلها ، حتى ما كان بيد الدولة منها كالحسا ، وثغور البلاد بشروط ليس هذا محل بيانها . فلما وقعت الحرب العامة ، واصطلت الدولة العثمانية سعيرها ، خاف ابن السعود أن تحتل الدولة البريطانية ثغور بلاد نجد وإقليم الاحساء ، إذ كانت تعدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضى بأن يعقد معها اتفاقا تعترف له فيه أن هذه البلاد بلاده ، وأنه مستقل فيها ، وأن يرضى منه فى مقابلة ذلك بأمور سلبية كان يرى أنه لا يفقد بها شيئا .

وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب إيذان دول الحلفاء الدولة العثمانية

(١) هو يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين الحسنى العلوى الطالبى ملك اليمن ، (١٢٨٦هـ - ١٣٦٧هـ ١٨٦٩م - ١٩٤٨م (الأعلام ١٧٠/٨)

بالحرب، وكانت الدولة البريطانية قد دعت ابن السعود أمير نجد إلى قتال الدولة كما دعت أمير مكة حسين بن على، وإمام اليمن، والسيد الإدريسى أمير تهامة وعسير، وقد قلنا فى «المنار» مراراً: إنه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية إلا أمير مكة، وأن إمام اليمن والى الدولة عليها، وأعانها على قتالها، وأما الإدريسى، وابن السعود فقد اتفقا معها اتفاقا سلبيا. ولم تكن قد اطلعنا على هذا الاتفاق، ولكن أخبرنى طالب بك النقيب أنه كان رسول الدولة البريطانية إلى أمير نجد، وأن هذا الأمير أبى أن يحارب دولة إسلامية انتصارا لدولة غير مسلمة، وأنه لم يكن يمكنه أن يحارب الانكليز انتصاراً للدولة العثمانية لأنهم يمكنهم أن يقضوا على بلاده بالحصار البحرى، فان عامة أقوات أهل نجد من الهند، فكانت المصلحة التى لابد منها أن يكون على الحياد.

نعم، إننا نحن نظن الآن أنه كان فى الإمكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى له عنه من تموين بلاده، والاعتراف باستقلاله فيها بدون أن يقيد نفسه بما ذكر فى هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق، وإن كانت قيودا سلبية، وأنه لاسبب لقبوله هذه القيود إلا عدم تمرسه بالسياسة الدولية، وعدم وقوفه على ما كان لدى أعداء الانكليز من القوات الحربية التى ترتعد منها فرائص دول أوربة كلها، ولكننا لا نجزم بأننا لو كنا فى مكانه فى ذلك الوقت لكنا نعتقد هذا الاعتقاد نفسه، ونتجرأ على رفض تلك المواد التى تنكرها بعد ما علمنا من قوات الألمان وأحلافهم ما لم يكن نعلمه فى أول الحرب، ولابأن الانكليز كانوا يرضون منه دون هذه الشروط، ليكتفوا شر مساعدته للدولة العثمانية.

هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة، وأننا نتكلم فى المقالة الآتية على

كل مادة من موادها التى نشرها الحجازيون ، نتكلم عليها من الجهة العامة ، ثم نبين أن سلطان نجد قد نقضها منذ عزم على الخروج من عزلته السياسية ، والاجتماعية ، وتصدى لزعامة النهضة العربية ، وثبت عنده ما يجب عليه شرعا من إنقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والإلحاد ، ومنع النفوذ الأجنبي أن يتغلغل فيهما وفى سياجهما من جزيرة العرب ، فمعاهدة سنة ١٩١٥ أمست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتى .

المقالة الثانية[1]

تفصيل القول فى المعاهدة

بينا حقيقة الحال التى كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التى نشرها هذه الأيام الملك فيصل ليثبت بها أنه قد سبقه ، وسبق أباه وأخاه عبد الله فى جعل بلاده تحت حمايــة الإنكليز ، وقام أنصارهم يقولون فى دعايتهم لهم : إنهم إذا لم يكونوا خيرا منه فى هذا ، فهم مثله ، فما وجه تفضيله عليهم ؟ ولماذا ينتصر له العالم الإسلامى ، ويود جعل الحجاز تبعــا له من دونهم ؟ فعلم بذلك بعض الفرق الجلى بين عملهم فى إضاعة أكثر البلاد العربية ، وعمله فى وقاية ملكه من السقوط بغزو الإنكليز له من الخارج ، وغزو ابن الرشيد لــه من الداخل فى مقابلـــة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب بأثرها الزمان ، وسنبين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد إنجاز ما وعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة ومن الكلام عليها من الجهة العامة ، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل أن هذا البيت الحجازى لم يعتبر بشىء من التجارب ، والرزايا التى نزلت بالأمة التى تصدى

(١) نشرت فى عدد الأهرام الذى صدر فى ٢٤ رجب ، ١٨ فبراير (المؤلف) .

زعامتها ، والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا ، وأنه لا يزال يطمع في إضلال الأمة العربية ، وجميع الشعوب الإسلامية ، وإيهامهما بالدعاية الكاذبة أن الذين سلوا سيوفهم مع الأجانب ، وقاتلوا تحت لوائهم حتى ملكوهم بلاد العرب من حدود مصر إلى خليج فارس خير للإسلام ، وللعرب ممن أسس لهما ملكا جديداً ، ليس لأجنبي ما أدنى نفوذ فيه ، ثم أنقذ الحجاز من السيطرة الأجنبية والمظالم الطاغوتية ليجعل الأمر فيه لأهله ، وللمسلمين دون غيرهم ، وهاك مضمون مواد المعاهدة كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة:

١ ــ « مضمون المادة الأولى اعتراف الحكومة البريطانية بأن نجدا ، والحسا ، والقطيف ، والجبيل ، وملحقاتها وثغورها (موانيها ومرافئها) على سواحل خليج العجم كلها تابعة للأمير عبد العزيز بن السعود ، كما كانت لآبائه من قبل ، وأنه هو حاكمها المستقل ، والرئيس المطلق على جميع قبائلهـا ، واعترافها أيضا بأنها ستكون موروثة لأولاده ، وأعقـابه من بعده ، ولكنها قيدت هذا الاعتراف بأن يكون الأمير اللاحق مختارا من الأمير السابق (فيخرج من كان متغلبا عليـه) ، وأن لا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة فقط » .

نقول : إن هذه المادة نص في مصلحة ابن السعود فإن الدولة البريطـانية اعترفت له فيهـا بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها ، وكان قريب العهد باستيلائه عليها ، ولو قالت : إن ثغور نجد ، وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانيـة ولي الحق باحتلالها ماذا كان يفعل؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده من أولاده ، وأعقابه بقبولهم هذه المعاهدة فلا يضره . فإن معاهدته لما كانت لا تلزم من يخلفه اشترط الإنكليز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله

بنص هذه المعاهدة كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فإذا كان الخلف فى غنى عن الاعتراف بهذه المعاهدة لم يعترف بها ، لا كما يزعم إجراء الدعاية الحجازية من أن هذا تقييد لمن نعده بالإخلاص للإنكليز كما عبر بعضهم (!!)

٢ — « مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية تلتزم أن تساعد ابن السعود وذريته على أى دولة أجنبية تعتدى على بلادهم ، إذا كان هذا الاعتـــداء بدون علمها ولا إعطائها الوقت الكافى لمراجعة سلطان البلاد ، ومذاكرته فى إزالة الخلاف المسبب للاعتداء ، وقيدت هذه المساعدة برأى ابن السعود » .

وهذه المادة فى مصلحته ، ولا تخل باستقلاله أيضا .

٣ — « مضمون المادة الثالثة أن ابن السعود يلتزم أن لا يعقـــد اتفاقا ، ولا معاهدة مع أى حكومة ، أو دولة أجنبية ، ويعد بعدم معوضة أحد فى ذلك ويلتزم إعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز ، أو تعـــد على شىء من بلاده التى ذكرت فى هذه المعاهدة » .

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد للاستقلال ، وإنما سهل قبولها عليه — إن صح نصها — ما كان عليه من حيــاة العزلة ، وعدم بية الارتباط ، والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة إلى الاتفاق مع السيد محمد على الإدريسى نقض هذه المادة ، واتفق معه اتفاقا كتابيا ، ثم فاوض الإمام يحيي ، واتفق معه على أمور لم تنشر بعد ، فثبت بهذا أنه غير مقيد بمـــا يراه مخالفا لمصلحته منها .

٤ — « مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لايبيع ، ولايرهن ولا يؤجر ، ولايتخلى عن شىء من أراضى بلاده التى ذكرت فى هذه المعاهدة ، ولا يمنح امتيازا لدولة أجنبية ، أو لأحد من رعايا دولـــة أجنبية بدون رضى

الحكومة البريطانية ، وبأن يتبع فى ذلك نصائحها التى لا تضر بمصالحه »

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود من حيث هى مقيدة لاستقلاله فقط وإنما سهل عليه قبولها اعتقاده أنها من تحصيل الحاصل ، لأنه لاينوى أن يجعل لأية دولة أجنبية حقـا من حقوق الملك ، ولا الامتياز ، ولا غيره فى بلاده ، وهذا عين المصلحة له ، ولبلاده بشرط أن يشمل الدولـة البريطانية ، ورعاياها كسائر دول الافرنج ، لأنهم إذا دخلوا بلادا ، وصار لهم حقوق فيهـا أذلوا أهلهـا ، وافتاتوا عليهم ، وسلبوهم استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر الفيلسوف الانكليزى هربرت سبنسر لليـابانيين بأن لا يدخلوا الانكليز فى بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها ، وعمرانهـا ، وعلل لهم ذلك بأنهم إذا دخلوا ، لا يخرجون ، وأرشدهم إلى الطريقة المثلى ، وهى أن يرسلوا من أبنـائهم من يتعلمون ما يحتاجون إليه حيث يجـدونه من أوربة ليعودوا و يتولوا الاصلاح بأنفسهم ، وقد قبلوا نصيحته ، فأرسلوا إلى الغرب من تعلموا مـا يحتاجون إليـه من فنون الحرب ، والعمران ، والثروة ، والصناعات التى تتوقف عليهـا القوة ، والسيادة ، خلافا لما فعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الافرنج ، وأزيائهم وقوانينهم ، فكان ذلك سببا لإضاعة استقلالهم

إياك أعنى واسمعى يا جارة

وقد كان فيما وضعناه مع أصدقائنا مؤسسى قواعد (الجامعة العربية) قبل الحرب العـامة أنه لايجوز لأحد من أمراء جزيرة العرب أن يمنح دولة أجنبية شيئا من رقبة البلاد ، ولا منافعها ، ولا لأحد من رعاياها ، ولكن الدولـة البريطانية أرادت حصر هذه المنافع فى رعاياها ، أو حكومتها لأنه توطئة لاستعمار البلاد ، والسيادة فيهـا بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز لحكومة

شرقية أن تبيحه فى بلادها طمعا فى الربح منه إلا بعد أن تصير ذات قوة حربية تخولها أن تشترط على الأجانب الذين يدخلون بلادها أن يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظمها ، نافذة فيهم أحكامها ، وأن تشترط عليهم فى عقد الامتياز ، أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدى دولهم ما هى قادرة على تنفيذه .

٥ — هذا ما يتعلق بالاستقلال إطلاقا وتقييدا من مواد هذه المعاهدة ، « والمادة الخامسة منها خاصة بإبقاء الطرق الموصلة إلى البلاد المقدسة من نجد وملحقاتها مفتوحة ، والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها فى هذه المعاهدة من الرياء والفضول البريطانيين » .

٦ — « والمادة السادسة فى التزام ابن سعود عدم الاعتداء على حكومات جيرانــه من عرب البحرين ، والكويت ، وقطر ، وعمان ، والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية » .

وخلاصـــة القول فى هذه المعاهـدة أنها كانت على علاتها فى مصلحـــة ابن السعود ، وأنه لا يوجد عـاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله ، وحال بلاده عنـــد عقدها يقول : إن عدمها كان خيرا منها ، وكل ما أمكننا انتقـاده منها هو أن الانكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بما دون هذه القيود كلها مع إقناعهم بحسن نيتـه لو كان أشد فى مساومته ، والحق بحجتـه ﴿إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ .

وأما الحال التى أشرنا إليها هنا فهى ما ذكرناه بالإيجاز من قبل ، وهى أنه كان لآل سعود إمارة فى نجد ، عظم شأنها الدينى والدنيوى بالإصلاح الذى قام ، ودعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فنهضوا به نهضـة أشبهت نهضـــة العرب فى صدر الإسلام ، حتى توقع المؤرخون ، وأهل الرأى فى الشرق والغرب

بأن يعود بها عهد الخلفاء الأولين قوة ، ومجدا ، وإصلاحا ، وحضارة ، فكان أول من ناصبها العداء أمير مكة الشريف غالب ، وهو الذى أغرى بها الدولة العثمانية ، وافترى عليها المطاعن الدينية ، فما زالت تناوئها ، وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها ، حتى استولى على عاصمتها ، ولجأ أميرها الامام عبد الرحمن الفيصل بأولاده إلى الكويت ، فأقاموا ضيوفا على شيخها ابن الصباح إلى أن نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التى تعد من نوادر تاريخ الرجال ، فاستعاد الامار التى كانت لوالده ، ثم استرد ما كان بيد الدولة العثمانية منها ، وكان من أمر دخول الدولة فى الحرب الكبرى ما ذكرنا فى المقام الأولى ، فلو لم يعقد مع الانكليز هذه المساعدة ، لزعموا أن هذه البلاد للدولة العثمانية ، واحتلوا سواحلها ، وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مناجزتها من الداخل ، بل كان منهم من يغريه بابن السعود مع اتفاقه معهم كما ثبت هذا عنده ! !

على أن هذه القيود المتقدمة من المعاهدة لا تحمل للانكليز أدنى حق ، التدخل العملى فى شؤون البلاد — و لا نعترف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية ، والتدخل العملى — ومثل هذ المعاهدات تكون مؤقتة بطبعها ، وقلما تتجاوز العاشرة من عمرها . والعبرة بما يحصل بالفعل من ثمرة عقدها ، فى زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة إليها ، ثم يتبع كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته ، والمدار فى جميع الأمور السياسية على القوة وما يسمونه « الأمر الواقع »

فالذى استفاده الانكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقاتلهم مع الدولة العثمانية ، والذى استفاده هو منهم :

١ — اعترافهم له ، ولذريته بأنهم أصحاب هذه البلاد . وحكامها .

٢ — عدم الاستيلاء على شيء منها ، كما استولوا على فلسطين ، وسورية ، والعراق ، ولو لا اتقاؤهم هياج العالم الاسلامى لاستولوا على الحجاز .

٣ — تأمين معيشة بلاده فى عسرة سنى الحرب .

٤ — تمكنه من القضاء المبرم على إمارة ابن الرشيد التى كانت تتهدده فى كل حين .

٥ — قبض مئات الألوف من الجنيهات ، نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة فى بلاد العرب ، وقد نقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه .

ولو أنه جعل الانكليز أدنى تدخل فعلى فى بلاده باتفاق كتابى أو شفوى لكان أشد خطراً عليها من ألف معاهدة تكتب ، ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ، ومسألة مصر والسودان أظهر الآيات على ذلك وأشهرها .

فإن قيل : إن هذه المعاهدة قد تمكنهم من العبث باستقلاله ، والتدخل العملى فى شؤونه بحجة نقضه لبعض شروطها .

قلنا : إن هذه أمور تتبع المصلحة ، وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوى على شيء لا تعوزه الوسيلة ، وليس فى هذه المعاهدة نص على جواز العبث باحتلال البلاد النجدية ، أو التدخل فى شؤونها الداخلية إذا ترك سلطانها الوفاء بشيء مما التزمه فيها ، وإنما يمكن للانكليز أن يحولوا دون تنفيذ أى نقض للمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من إعطاء امتياز لدولة أجنبية ، أو لبعض رعاياها فى تلك البلاد ، بل يمنع أى دولة من الدول نفسها ، أو رعاياها من الاقدام على التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا أنه ليس من مصلحة ابن السعود

نقض هذه المادة .

ومن المعلوم من سياسة الانكليز أنهم لا يقدمون على حرب شعب حربي مسلح لأجل فتح بلاده ، أو التمتع بالنفوذ فيها ، ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها ، وعدم وجود مرافق الحياة ، وأسباب النقل فيها ، فهي بلاد لا يعتدى عليها بالقوة العسكرية ، لأن الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعا ، وإنما يخشى عليها من تمكن قوة الأجانب و نفوذهم فيما جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسيني فيه .

هذا ، وإن جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالنص فلا يدخل فيها ما استولى عليه ابن السعود بعدها كبلاد عسير باتفاقه مع الإدريسي ، فضلا عن بلاد الحجاز ، كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي ، وأجراء دعايته الكاذبة الخادعة . على أن ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر إسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز ، فلم يدع ما يدعيه حسين واولاده من أن الحجاز ملك لهم يجب أن يكون رهن تصرفهم فيه مطلقاً ، لا رأى فيه لأحد من مسلمي العرب ، ولا العجم[1] وسنبين في المقالة الثالثة وجوهاً أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت ، وبين ابن السعود دحضاً لدعاويهم ، وإبطالا لدعايتهم .

---

(١) قال ولده الأمير عبد الله ان لهم حقا أن يتعرفوا شؤون الحاج ، ويمنعوا من شاءوا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه (المؤلف) .

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا فى المقالة الأولى من هذه المقالات أننا استأنفنا الكتابة فى هذا الموضوع فى وقت لا نملك فيه مراجعة شىء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به، وهو وقت نقل مكتبنا، وما فيه إلى دار أخرى، فكان اعتمادنا على ما نتذكر مما سمعنا وقرأنا، ومنه الكثير مما كتبه أجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية فى المعاهدة البريطانية النجدية وغيرهم، وأننا على اعتقادنا أن أكثر ما يكتبونه مفتريات وأباطيل، وخداع وتضليل، قد علق فى ذهننا بعضه، فتوهمنا أن فى هذه المعاهدة نصوصا فى تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما بيناه فى المقالة الثانية التى كتبناها بعد أن أتيح لنا الاطلاع على نصها الذى نشر فى العراق، ثم فى سائر الأقطار العربية إذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الأصل، وكان من هذا الوهم أن من القيود السلبية التى قيد بها سلطان نجد أنه لا يستطيع أن يحارب بلاداً موالية للدولة البريطانية بدون إذنها إذا أكثر أنصار حسين، وعلى من اللغط بأنه تحت الحماية البريطانية، وأنه لم يهاجم الحجاز إلا بالاتفاق مع الدولة الحامية له، ولكنا رأينا رجاله يهاجمون العراق، وشرق الأردن أيضا، وتتصدى الطيارات البريطانية للهاجمين عليهما من الوهابيين، فتدفعهم عنهما — فلهذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد على الإدريسى من قبل، ومع الإمام يحيى من بعد، ولما عرفه

القاصي والداني من اتفاقه مع نوري باشا الشعلان أمير قبائل الرولة على أن يشغل هذا بقبائله (الجوف) بشرط أن يمنع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين، والعراق تمر منه — لهذا كله قلنا: إن تلك المعاهدة أمست قصاصة ورق لا قيمة لها.

وقد اتفق لنا عند الشروع فى كتابة المقالة الثانية أن رأينا نص المعاهدة فى بعض الجرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الأوراق، فلم نر فيها شيئا يمنع سلطان نجد أن يكون غازيا، ولا فاتحا، ولا أن يتصرف فى بلاده بما يشاء كما يشاء إذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية ـ وهذا قيد يمنعه مما يضره ولا ينفعه ـ وأما منعه إياه من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول، فإذا كان يشمل الحكومات العربية المجاورة له، فقد نقض المعاهدة بمخالفته ـ وإن كان لا يشملها، فلا يضره هذا الشرط الآن إذ ليس من مصلحة نجد أن تكون ذات علاقة بالدول الأجنبية، ولا هى مستعدة لذلك، ولاستقلال حكمه واستعداده.

وإننا قبل أن نبين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نجد، وبين الشريف حسين وأولاده نقول: إننا كما ذكرنا فى المقالة الأولى أننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل فى الشام (وكان اجتماعنا به هنالك سنة ١٩٢٠م) كما ذكرنا أننا سمعنا خبر اختيار ابن السعود عدم الدخول فى الحرب العامة فى جانب الدولة العثمانية. ولا فى جانب الدولة البريطانية، وذكرنا تعليله نقلا عن صديقنا السيد طالب بك النقيب، ونتذكر أننا سمعنا منه أنه كان قد كاشف مخاطبته فى هذه المسألة، وأنه نصح له بما يليق به، وهو ما فيه مصلحته من حيث هو أمير مسلم، وقد فهم المشار إليه أننا نعنى بما قلناه أنه كان هو

الذي توسط بين الانكليز والأمير ابن السعود فى عقد هذه المعاهدة ، مكتب فى الجرائد تصحيحا للخبر هو أنه كان أخبرنا بأنه هو الذى توسط بين الأمير ابن السعود ، وبين الدولة العثمانية فى عقد الاتفاق الذى أشرنا إليه فى المقالة الأولى ، وكان ذلك قبل الحرب ، وأما المعاهدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيه من العراق فى أوائل الحرب ، وحدد لنا الزمان والمكان اللذين أخبرنا فيهما بما ذكر ، وهو أنه كان على مائدة الإفطار بدارنا فى شهر رمضان من سنة (١٩١٦م) ، وذكر بعض الذين كانوا معنا ليلتئذ وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذاك ، فنحن لم نقل ، ولم نقصد بعبارتنا الوجيزة المبهمة أن صديقنا توسط فى معاهدة سنة (١٩١٥م) إذ صرحنا بأننا لم نسمع خبرها إلا من الملك فيصل سنة (١٩٢٠م) وإنما العالق بذهننا أن الإنكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية ، وشرعوا يغرون أمراء جزيرة العرب بأن يكونوا معهم عليها كان نصيبهم من ابن السعود ما ذكرنا من الاتفاق السلبي ، ولم نكن نعلم أنه كان بمقتضى معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مرارا فى « المنار » ، وغيره أى الاتفاق السلبي فإن كنا واهمين فى سماع هذا الخبر من صديقنا (طالب بك) ، وأنه كان كلف مخاطبة ابن سعود ، فنصحح له ـ فإننا نستغفر الله تعالى ، ولا نرى عليه غضاضة فيه، فنستغفره هو وإنما نعد ذلك من حسناته .

أما بعد ، فهذا أوجز ما يقال فى مسألة المعاهدة البريطانية الجديدة على فرض صحتها ، وكون هذا الذى نشره الحجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ، ولا تزوير مما اعتادوه حتى فى الرسميات ، كما حرفوا نص ما كتبته جمعية الخلافة فى الهند للملك جدة الشريف على تحريفا يغير المعنى ، وإن زعم نصيرهم « المقطم » أنه لا فرق بين الأصل الذى كتبه إليه رئيس وفد الخلافة ، وبين

تحريف الكتاب الأحمر الحجازي فى المعنى ، كأن المقطم يرى أن « إذا » الشرطية بمعنى « ما » المصدرية ، وسيأتى بيان هذا فى مقال آخر .

والأمر الواقع الذى لا يحتمل التحريف ، ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل فى بلاد نجد وملحقاتها ، ليس فى بلاده أجنبي مسيطر ، ولا غير مسيطر عليه ، أو له نفوذ ما فى بلاده ، وأنه يغزو ، ويضم بلاداً إلى بلاده ، ويعقد المعاهدات بينه ، وبين من يتفق معه من الحكومات المجاورة له ، بدون أدنى تدخل من الانكليز وغيرهم ، وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق ، وشرق الأردن التى هى بمقتضى سياسة أمراء ، أو ملوك البيت الحسينى تحت سلطان الإنكليز بالفعل ، وقاومهم هؤلاء بطياراتهم ، وأخيراً هاجم الحجاز وطرد منه رئيس هذا البيت الذى سمى ملك العرب ، وخليفة المسلمين ، واحتل عاصمته ، وحصر ولى عهده الذى ادعى الملك فى أحد ثغوره ، وقد ظهر للقاصى والدانى كراهة الانكليز لهذا الأمر ، وما قبله ، وعلموا أنهم أرسلوا إليه من يفاوضه فيه بصفة غير رسمية ، وأبى أن يقابله ، وأن يكلمه فى ذلك ، فعاد خائباً .

هذا هو الحق الواقع الذى لا تستطيع حكومات البيت الحسينى البريطانية ، ولا دعاتها ، ومقطمها أن يحرفوه . ولا أن ينقضوا منه شيئاً ، ولا أن ينكروا أن نجداً كانت إمارة صغيرة ، قد تقلص ظل أمرائها آل سعود عنها ، فأعاده السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ، ووسع الإمارة ، فصارت سلطنة شهد أهل المعرفة من الشرقيين والأوربيين أنها أعظم قوة فى بلاد العرب فماذا فعل البيت الحسينى الحجازى ؟

. سنحت للشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلفية تحت رياسته

كانت تكون هي الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يعقل ذلك ، ولا رضي به — ووفاصه الانكلير في موالاته لهم ، وإثارة العرب على الدولة العثمانية ، فلو اشترط في القبول اعترافهم . واعتراف أحلافهم باستقلال البلاد العربيـة بنص رسمي لأمكن قبولهم — ولكنه استبد بالأمر ، وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التي سماها « مقررات النهضـة » التي صرح فيها ، بأن « الأمة العربيـة بمنزلة القاصر في حجر الدولـة البريطانية » — وأن هذه الدولة هي التي تؤسس له مملكة عربيـة وصمها بكلمة مستقلة ، وبأن على الدولة البريطانية أن تكون حامية لها من الداخل والخارج ، حتى من الفتن الداخلية ، والثورات المحلية — وأن تختـار لها العمال والموظفين (١) وأن الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق ، لأجل تأمين حمايـة البلاد العربيـة إلى أن يصير للدولـة العربية في طلها من القوة ما يكفي لحماية نفسها بقوتها (١) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق . وبتأجيل البت في مسـألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسة من الحقوق فيها إلخ .

كانت هـذه المقررات سراً مكتوماً ، فأفشاه الأمير فيصل ، ونشره في جريدة « المفيـد » بدمشق الشام . ثم قرأنـا في جريـدة الملك حسين التي سماها « القبلة » أنه قـد كتب إلى الدولة الانكليزية مراراً بالاستقاله من ملك الحجار ، وأن يعينوا فيه ملكا غيره ! !

هـذا شأن الحجار تفتخر الدعاية الحجازية بأن حسينا جعله مستقلا بالفعل ، وما جعله مستقلا إلا مكانته الدينية التي منعت الانكليز من تنفيذ ما اقترحـه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم من له الداخل والخارج .

وأما فيصل فخدع أهل سورية خداعا فوق خداع والده الذي توهم تنويما ،

كانوا يحلمون فيه بالمملكة العربية المستقلة ــ خدعهم تلك الخطب التى كانت تهدر بها شقاشقه بكمالة الاستقلال التام الناجز لسورية ، وبأنه ابن محمد ﷺ ويتبرأ منه إن كان يرضى لسورية بما عدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها ــ وقد رضى فيرى ــ فلما جاءت لجنة الاستفتاء الأميركانية إلى الوصاية البريطانية ، سورية للوقوف على رأى أهلها أمره سادته الانكليز بأن يحمل الأهالى على طلب الوصاية البريطانية ، ففعل ، ولكنه لم يطع ، وصرح بأنه غير سياسته لأنه علم علماً قطعياً بأن الوصاية لابد منها ، وأن طلب الاستقلال التام المطلق يفضى إلى جعل الوصاية لفرنسة ، فهو إذا خيانة للوطن أو هو الخيانة العظمى (!)

ثم ذهب إلى انكلترا فأمرته حكومتها بأن يتفق مع مسيو كالمنطو الرئيس الفرنسى على قبول انتداب فرنسا لسورية ، وإقناع السوريين بذلك ، فأطاع ، وعاد إلى سورية لإقناع زعمائها بذلك ، فأعجزه الإقناع ، وأعلنت البلاد استقلالها ، وجعلته ملكا عليها ليرجع عن هذا الرأى ، ويكون لها على الأجنبي دون العكس ، فرجع فى الظاهر دون الباطن ، ولما أرسل إليه الجنرال غورو إنذاره المعروف فى يونيو سنة ١٩٢٠ م حاول أن يخدع المؤتمر السورى ليفوض الأمر إليه فحذر ، حل عقد المؤتمر ، وقبل الإنذار الفاضح ، وحل الجيش المدافع ، وخرج من دمشق ، وأقام فى ضواحيها إلى أن احتلها الجيش الفرنسى ، فلما تم الاحتلال عاد إليها ليكون فى ظل الانتداب الفرنسى ملكا عليها[1]

(١) ولعلما بعد نشر هذه المقالة فى الاهرام صحة ما كان أشيع من أن الشريف حسين و ولديه عبد الله وعليا أمضوا للانكليز ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن، وهم من أرض الحجاز لئلا يأخذها سلطان نجد ، فهل يوجد مسلم صحيح الإسلام أو عربى غير خائن لأمته يشك بعد علمه بهذا فى خيانتهم لدينهم وأمتهم ؟ ؟ (المؤلف) .

وبعد طرده منها عاد إلى أولياء أمره الإنكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم وساعدهم على فتح القدس الشريف، والشام، وأخذ ثأر القرون الطويلة من العرب، والإسلام، شاكيا لهم ما أصابه، معلنا لهم ثباتــه على إخلاصه لهم، فأرسلوه إلى العراق، وجعلوه ملكا عليه، فجاهد ولايزال يجاهد فى سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذى يريدونه.

وأما عبــد الله فقد جاء شرق الأردن بعد فرار أخيه من سورية فى إثر مكاتبات بين بعض أحرار السوريين الذين لجأوا اليها، وبين والده، وكانت هى المنطقة الحرة التى لم تدخل فى الانتداب، لا لفلسطين، ولا لسورية، وكان لأولئك الوطنيين الأحرار من الآمال فيها، وفى الملك حسين، وفى الأمير عبــد الله ما كنت فى حيرة منه، ولم أجد له تأويلا — بعــد أن علموا من كذب هذه الأسرة وخداعها ما لا يمكن تأويله — إلا تعلق الغريق بحبال الهواء (كما يقال فى تلك البلاد)، وما زال الأمير عبد الله يجاهد فى هؤلاء الأحرار، ويسرف فى أموال المنطقة، ويحكم فيهـا عبيده، ويتزلف إلى الانكليز، والصهيونيين، حتى وضع المنطقـة فى دائرة الانتــداب الفلسطينى، وأوصل نفوذ الإنكليز، واليهود إلى حدود الحجاز بإذن والده (المنقذ الأعظم) ورضاه وهو أحب أولاده إليه

وأما على ولى عهــد والده وهو الذى كان يظن أنه خيرهم إن كان فيهم خير — فهو «يمثل الآن شر دور من أدوار القضية العربية» كما يقال فى التعبير المصرى — فإن الداء الذى جعل أباه، وأخويه نكبــة على العرب والإسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد، وفيه جميع مساويهم إلا خنزوانة الجبروت،

فلم يحك لنا عنه منها شيء لأنه ضعيف الإرادة

أما الداء الذى نعيبه فهو الافتتان بلقب الملك . ومظاهر عظمته ولو فى ظل دولة أجنبية ، بل هو متواطىء معهم على أن يكونوا كلهم ملوكا فى حماية الدولة البريطانية ، وقد أخبرنى رئيس الوفد الهندى أنه ثبت عندهم فى جدة أنه عرض على المعتمد البريطانى فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكلفه أن يكتب إلى دولته بذلك ، فأجابه بأن دولته قررت الحياد رسميا فلا تعدل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادر فى ذلك ، وإن كذبها دعاة سياستهم فى مقطمهم وغيره ، ونبين هذا فى مقال آخر

وأما المساوىء المرادة هنا فهى الجهل ، والاستبداد ، والخداع ، والكذب والافتراء والغرور بالنسب باعتقاد أنهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهم بالملك والخلافة بنسبهم الذى يشاركهم فيه ألوف لا تحصى ، وكثير منهم يفضلونهم فى كل ما يتوقف عليه الملك من علم ، وخلق ، وعمل .

فعلى هذا متواطىء مع أبيه على ادعاء خلعه . وإخراجه من الحجاز ، وكون أهل الحجاز بايعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده ـــ وكونه يعترف لكل إمارة فى جزيرة العرب باستقلالها إذا اعترفوا باستقلاله فى الحجاز ـــ وهذا كله كذب ، وخداع ، وكذا وجود حزب وطنى حجازى ينطق بلسان أهل الحجاز ، ويعبر عن رغباتهم ـ وقد كنا نرتاب فى كل خبر من هذه الأخبار عند نشرهم إياه ثم تأتينا الأنباء الصادقة باليقين الموافق لرأينا ، ومن المؤسفات أننا كنا فى شواغل حالت دون بيان رأينا فى الجرائد ، على أننا كنا نذكره لكل

من تتكلم معهم فى هذه الشؤون ، وذكرنا بعضه فى الخطاب العام الذى ننشره فى هذه الأيام ، وفى « المنار »

وقد كانت أخبار الوفد الهندى الصادقة آخر ما جاءنا من الحقائق الموافقة لرأينا ، ومنها أن عليا لا يزال يخاطب والده بألقاب الملك ، والخلافة ، وإمارة المؤمنين وأن الحزب الوطنى مؤلف هنالك من محمد الطويل ، وطاهر الدباغ من أركان حكومة على ، ولم يبق ممن كانوا خدعوا به ، ودخلوا فيه من الحجازيين أحد ، والذى نعلمه نحن أن الأول تركى الأصل ، والثانى مغربى — ولهما مندوبان بمصر ، هما حسين الصبان الذى كان مدير جريدة « القبلة » وعبد الرؤف الصبان ، وهما اللذان ينشران بالدعاية باسمه — ومما قاله رئيس الوفد ، وأعضاؤه وهو معروف عندنا ، وعند المختبرين أنه ليس فى حكومة على فى جدة نفوذ لأحد من أهل الحجاز ، فإن الجند وضباطه سوريون ، وكذا جل رجال الحكومة على قلتهم .

ومن غريب أحداث الزمان أن أهل هذا البيت الحسينى يبغضون السوريين أشد البغض ، وأن السوريين كانوا أشد أنصارهم فى الحجاز ، وسورية ، وشرق الأردن ، وهم الذين سموا كبيرهم خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين المرة بعد المرة ، ولكن لما كان كل ذلك فى كل وقت مبنيا على أساس مناف للحق ولمصلحة العرب ولشريعة الإسلام ، لم تكن عاقبته إلا الخيبة والخذلان .

وجملة القول أن على بن حسين قد حصن ثغر جدة بمال أبيه ، ومساعدة أخيه ، وبما استأجر له من الجند من شرق الأردن ، وسائر فلسطين ، وسورية وبما ابتاع به من السلاح ، والذخائر ، وعدد القتال من أوربة ، وسمى نفسه

ملك الحجاز، وقد عرض بلاد الحجاز بهذا للحرب والجوع، وهو مستعد لمنع الحج إذا عجز الوهابيون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم، بل هو يستحل إهلاك الحجاز وأهله، والعرب والعجم لاستعادة ملك الحجاز له، والخلافة لوالده، فالخلاف بين على بن حسين، وحسين بن على من جهة، والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة، وهى أنه هو يريد إنقاذ الحجاز من أهل هذا البيت الظالم، وأهله، وجعل أمره لأهل العقل والبصيرة من أهله، ومن سائر العالم الإسلامى، وهما يريدان أن يكون ملكا لهما يتصرفان فيه، وفيمن يرد اليه من مسلمى العالم كله كما يشاء كبيرهم الذى ثبت بالتواتر العام ظلمه وإلحاده فى الحرم، وسوء إدارته ثم من يرثه منهم.

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت ــ وملوك الدعاية القوالين

خاتمة هذه المقالات:

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين[1]﴾

ابتلى العرب بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم، أو يكونوا تركا فكان من أمرهم ما كان . . . ثم ابتلوا بالشريف حسين بن على أمير مكة فظنوا أنهم ينالون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا، فإذا به وبأولاده يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للإفرنج، ليكونوا ملوكا فى ظل دولتى

(١) سورة الأعراف: ١٢٨

الاستعمار الكبريين ، ففقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الأموية ، والعباسية وقد ظل بعضهم مخدوعا باستقلال حسين ، فولده على فى الحجاز ، من حيث كان يسعى آخرون من أعقلهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليهما قبل أن يفعلا فيه ما فعل عبد الله فى شرق الأردن ، وفيصل فى العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقصيا على خير تراث للعرب والإسلام ، ونسأله تعالى أن يكفيهما الآخرين .

ثم ابتلى العرب الآن فى مهد أمتهم ، والمسلمون فى مأرز دينهم برعيم هو فى نفسه خير مما كان يعرف عنه ، ويقال فيه ، كما كان أولئك شرا من كل ما كان يعرف عنهم ، ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى : ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون[٢]﴾ وقال : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون[٣]﴾ وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع اليه تعالى بإقامة سنته فى السياسة ، والاجتماع ، وشرعه فى الحق ، والعدل ، والفصل ولما كان بعض السوريين وغيرهم مرتابا فى أمر ابن السعود ، إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حسين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك فى الطعن بسلفه ، وقومه المنبوزين بلقب الوهابية . رأيت أن أختم مقالاتى الكثيرة فى هذا الموضوع بخلاصة من سيرة الفريقين .

---

(١) سورة الأعراف ١٦٨

(٢) سورة الأنبياء : ٣٥

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشده ، رأى نفسه مع والده ، وأهل بيته ضيوفا عند ابن الصباح صاحب الكويت ، إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غلبهم بمساعدة الدولة العثمانية على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فماذا فعل هذا الشاب الناشىء ؟

عزم على استعادة ملكهم فاستنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه ، فركب كل منهم ذلولا ، وخرجوا من الكويت إلى نجد ، يستنفرون من مروا به من عشائرها ، وفى طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر الحوادث جانبا

فحارب ابن رشيد المجهز بمدافع الترك ورشاشاتها ، وقهره ، واستعاد إمارة آبائه ، وأجداده منه ، ثم إنه غزاه بعد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الإدارة ، ونظم القوة ، وهجم على عشائر شمر فى جبلهم المنيع ، فحصرهم فيه فى أيام الحرب الكبرى ، وشدة الغلاء ، وكان قادراً على أخذهم عنوة بالمناجزة ، ولكنه على شجاعته يكره سفك الدماء ، فيقف فيه عند حد الضرورة ، وما زال يضيق عليهم الخناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وخضعوا لأمره ، وأزال إمارتهم بضمها إلى إمارته ، وحجته أن قطرا واحداً يتفق أهله فى اللغة ، والدين ، والعادات لا يجوز شرعا ، ولا مصلحة أن يكون فيه حكومتان تتقاتلان ، وعلمان يتنافسان ، وقد وضع من بقى من أسرة آل الرشيد عنده فى الرياض . يعاملهم فيها معاملة أولاده ، وأهل بيته سواء .

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التى على خليج فارس المعروفة بالحسا من الترك (ويسميها الترك متصرفية نجد) ، ففاز بذلك ، ولكن

الترك رأوا أن يصالحوه كما صالحوا إمام اليمن ، ويجعلوه صديقا لهم بدلا من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم فى بلاد العرب هدرا ، من غير فائدة سياسية، ولا اقتصادية كما جربوا فى القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقا رسميا اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولذريته من بعده بالإرث ، واشترطوا فيه شروطاً هى نافعة له غير ضارة ، ككونه إذا احتاج إلى ضباط ينظمون جيشه ، أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ .

صارت نجد فى أيامه إمارة كبيرة أحسن إدارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين ، والحضارة فى قبائلها ، والقبائل المجاورة لها ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيما كافيا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيما فنياً كجيوش دول الحضارة المعروفة ، على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته فى البلاد المجاورة له ألف حساب وخطبت مودته الدولة البريطانية وحاولت أن تستعين به على قتال الترك فى العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ، ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية .

وفى ذلك الاتفاق تقييد لاستقلال نجد الخارجى لا تشعر به حكومتها إلا إذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن ألغى ، فقد صار إنفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج إلى موادة ملك الحجاز وسلطان نجد اليوم منها إلى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولاتزال حريصة عليها فى الظاهر ، وإن كانت تكيد له فى الباطن ، على أنه هو قد صرح فى مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ، ولا فى بلاده لأجنبى قط .

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود ، وما هذا بقليل على مثله فى هذا

الزمن القصير، وهو مع هذا فى منتهى التواضع فى معيشته، وحكمه، ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم، لم تجنح نفسه للترف والنعيم، ولا للزينة، والزخرف غير المعتاد، أو المحظور شرعا، ولا للعظمة، والكبرياء، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب، ولا للإنعام عليهم بالرتب، وشارات الشرف، كما فعل الملك حسين، وكذا ولده عبد الله فى إمارته الصغيرة الحقيرة التى هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم، ولا بث دعاية لنفسه، ولا لقومه فى البلاد العربية، ولا غيرها من البلاد الإسلامية، لا باسم الوحدة العربية، ولا بعنوان « الجامعة الاسلامية »، ولا اصطنع جريدة ولا بذل للادحين، ولا للوافدين درهما، ولا ديناراً، وهو لا يبالى بالأقوال (وإن كان يبالى بها، ويهتم بأمرها ساسة الدول الكبرى، ويبذلون فى سبيلها الملايين)، ومن المعلوم أن حاله غير حالهم، وماله غير مالهم وبيئته غير بيئتهم وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التى يبغيها، لا له، فأغناه عن استئجار الأقلام المنافقة.

وقد ناصبه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له، وتحرشوا به مراراً، كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الخرما، وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت فى الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة، وخروج الجيش التركى منها بانكسار دولته ودول أحلافه، فكسره الإخوان شر كسرة، ومزقوا شمل جيشه المنظم، وفر هو منهزما يحاكى الإخوان من الوهابية فى زيهم وكلامهم، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية. ولم يكتفوا بخزى هذه الكسرة الشائنة، فتحرشوا بالنجديين بعد ذلك مراراً، ومنعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج، وضيق

على تجارتهم حتى منعها من الحجاز وأسرف فى الكيد، والدسائس لسلطانهم، والسعى لإعادة إمــارة ابن الرشيــد فى نجد، وإمارة آل عايض فى عسير، وضمهما إلى الحجاز، بل وضع بناء سياسته فى جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطنة النجدية والبلاد اليمنية إلى عدة إمارات، تابعة لملك واحد (أى له) فى السياسة، والعسكرية، والشؤون العامة، وبالغ هو وأولاده فى احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود، حتى ان أضعفهم أجير الانكليز فى مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد، دع طعنهم فى دينه، ودين قومــه على حد تعبير مادر لحاتم الطائى بالبخل، . . .

وقد عاملهم هو بالحلم الواسع، فلم يزدهم حلمه إلا بغيا وغروراً، حتى إذا قامت عليه الحجــة بوجوب إنقاذ الحجاز من ظلم حسين وإلحاده فى الحرم على ما أفتينا بـه بناء على الأخبار التى تواترت برواية الكثير من الحجازيين والآفاقيين من الحجاج وغيرهم، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذى عقد فى الرياض عاصمــة نجد، أمر بالزحف على الطائف التى هى أمنع معاقل الحجاز، ومركز أكبر قوته العسكرية، فزحف الإخوان من مدينة الحجاز ونجد، فأخذوا الطائف عنوة، ثم ما وراءه من المعاقل الحصينــة، وأعظمها الهدى، وكرى، وفر الشريف على القائد العام وولى عهد الحسين، كما فر أخوه قبلـه من بأس الإخوان، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لؤى أحــد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف بمن معه على مكة المكرمة وغيرها، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها، وانتهى أمر الحجاز كله فى شهر أو شهرين .

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر

بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الإخوان فى الطائف شذوذ مخالف للشرع بقتل بعض الأهالى غير المقاتلين، و سلب بعض الأموال، فخاف أن يقع مثل ذلك فى أرض الحرم، ولأنــه لا يستحل القتال فى الحرم على ما فيــه الخلاف كما بيناه فى الفتوى المشار إليها آنفاً، فأمر بانتظاره حتى يحضر هو بنفسه، وكان يمكن الزحف على جــدة، أو قطع الطريق على الملك حسين بينها وبين مكة المكرمة، ولكنه لم يأذن بذلك أيضاً، وقد شرحنا ذلك من قبل.

ثم إنه ــ أى السلطان ــ جاء بنفسه، وأمهل الملك حسيناً حتى فر بأمواله و ذخائره إلى جدة فاستولى على مكة سلماً، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة، ثم أفرط فى التأنى والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف على لجــدة و وضع حامية فى حصون المدينة المنورة. وكان قد تألف فيها حزب وطنى نصبه ملكا دستوريا على الحجاز باذن والده، وقد اختار السلطان عبــد العزيز حصار جدة على مناجزتها خلافا لأكثر أنصاره، وأوليائه من النجديين وغيرهم، وصابرها أكثر من سنة حتى سقطت من تلقاء نفسها، وكان قد حاصر حاميــة المدينة المنورة أيضا، واستسلمت قبل استسلام جــدة بأيام كما علمه الخاص والعام، فكانت العاقبة حسنة على ما كان فى الوسائل من الأغلاط، وتم «لشيخ عشائر نجد» الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير، وصار ملكــه ممتدا من البحر الأحمر إلى خليج فارس، ولم يزده هذا كله إلا خشية لله تعالى، وتواضعا للناس، وتنزها عن الدعوى والتنفج والتبجح الذى عهدناه من غيره.

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن على شريف مكة، وأميرها، فملكها، فــدعى ملك العرب فنتحل الخلافة الاسلاميــة فقد فتن هو وأولاده بحب المجد الكاذب، والملك

الصورى فى ظل الأجانب ، فأجمعوا أمرهم على جعل البلاد العربيــة تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء ، وملوكا فى ظلها ، لعلمهم بأنهم من حيث هم هم . كالهباء أو كالعدم لا ظل لهم ، وأنه ليس لهم عصبية قومية يتملكون فى ظلها ، وأنــه لم يكن لهم ، ولا لسلفهم من أمراء مكة حسنــة فى الحرمين الشريفين فى علم ولا عمل ، يستميلون بها أهل الحجاز ، ولا غيرهم من العرب ، أو المسلمين بتنميتهم العود إلى مثله ، بل لا يحفظ التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم ، والالحاد فى الحرم . وإنما كان أمراء ينصبون من قبل الدولة المصرية ، ثم الدولة العثمانية ، ويطلدون الناس حجاج وحرميين فى ظلهما .

وقد انتفخوا فى هــذا الزمن كبرا ، وعتواً ، وغروراً بما كان من ميل الانكليز الخــادع لهم ، حتى لم يبق فى أدمغتهم ، ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحنا ، ونصح غيرنا لكبيرهم ، ولصغيرهم بأنه لا رجاء فى حفظ سلطانهم فى الحجاز إلا بقوة أمتهم ، واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الأمر لا يمكن حصوله فى جزيرة العرب إلا على قاعــدة الحلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمنا لهم إقناعهما بذلك إذا رضى به حسين ، ولكن حسينا لم يرض أن يتنزل درجة من عرش سماء عظموته وجبروته ، ولم يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية ، وفى مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، وإنما كان قصارى تواضعه أن يعد بالسماح له من إمامى اليمن ونجد باستقلال إدارى فى بعض البلاد الخاضعــة لهما الآن وهو كان خاضعا لهما قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدهاء لم يتخذ لملكه قوة عسكرية تكفى لحفظ الحجاز من التعدى عليه . ولم يقدر أن يذعن قبائله لطاعته ، بل

اكتفى من عظمة الملك بالألقاب ، والرتب الدولية ، وأسماء الوزارة الصورية ، والموسيق الملكية ، فكان كما قال الشاعر :

كالهر يحكى انتفاخاً صورة الأسد

غر حسينا وعود الانكليز الخادعة لأنه يجهل تاريخ الهند ، وما هو أقرب إليه وهو تاريخ مصر الحديث .

ثم غر حسينا مبايعة جمهور من الفلسطينيين ، والسوريين بالخلافة العظمى ، أنه صار إمام المسلمين الأعظم ، وكان قبلها يحتقر إمام اليمن ، وسلطان نجد ، وبعدها يحتقر مصر ، والهند ، ويقول فيهما ما قال مالك فى الخمر ، بل صرح به للمصريين وشبههم بالأنعام ، وصدّ حكومتهم عن إرسال ركب الحج وما يتبعه من الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز ، وألف لجنة لتضع له المطاعن فى بعض الكتب الإصلاحية ، ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليبلغ العالم الاسلامى الامتناع من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة ؟ وللدعاوى العريضة التى كان يمتع بها نفسه بما ينشره فى جريدته « القبلة » .

ومما زاد حسينا غروراً بنفسه تلك الكنوز التى كنزها من مال الرشى الذى فرضها عليه الانكليز ، وعلى أولاده فى عهد الحرب ، فقد بلغ كما روى عن (مستر لورانس) المستشرق الذى كان يدير دفة سفينة الشرفاء فى لجج الصحراء ثمانية وأربعين مليونا من الجنيهات الذهبية ، ومما كان يبتزه من مال السحت فى كل عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعا ، وقد بينا أنواعه فى الخطاب العام الذى نشرناه فى « المنار »

ومما زاده وزاد أولاده غروراً تزلف كثير من المنافقين لهم ، واصطناعهم بعض الجرائد العربية التى تطريهم ، وتدافع عنهم وتغش الناس بهم ، وتجعل سيئاتهم حسنات ،

وتهوّن أمر خصمهم ، وتنفر العرب والمسلمين منه ، ولا سيما سلطان نجد وقومه ، وفى مقدمة هذه الجرائد « المقطم » الذى ثبت على إمداد حسين بن على فى الغى والغرور ، ونصره دعايتهما بالإفك وقول الزور ، فصبرا وصابرا إلى أن قضى الله عليهما ، وأدال لخصمهما منهما ، ولم يستفيدا من هذه المصابرة إلا خسارة القناطير المقنطرة من الذهب التى جمعاها من السحت والظلم . وفضيحتهما التى اختلقا واختلق لهما أنصارهما من الطعن فى ابن السعود وقومه .

دعاية المقطم لحسين وأولاده :

أسرفت جريدة المقطم فى الدعاية الحجازية ، وسمحت لأحد محرريها بلقمه المنوط به التوسع فى المسائل الشرقية أن يرخى لنفسه العنان فى هذا الميدان ، فيقول من أنباء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة . ولم تعد تحسب لما يكشفه المستقبل حسابا . فكانت فى الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم ما أوتى أصحابها من علم وخبرة وتجارب ، ولا نبحث هنا عن علة ذلك وسببه من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم .

دع ما أذاعوه عن موت ابن السعود بالسّل ، ودع تأويل أكذوبتهم بعد ظهوره بأنه مسلول فى الدرجة الأخيرة التى لا تطول معها الحياة ، فإن هذا وذاك الذى عددناه نحن محتملا للصدق ، حتى كذبته لنا أنباء البرق ، وتذكر ان كنت ناسيا ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك على الحربية ، من جيوش نظامية وبدوية ، وأسلحة لا تقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ودبابات مروعة ، وطيارات مسلحة تحلق فى الهواء ، وأساطيل مواخر فى الدأماء وجحافل تترى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سعى الملك على الدستورى (؟) تارة للصلح على ما أوتى من قوة وبأس شديد ، كراهة لسفك

الدماء وإيثارا للودة على البغضاء ، واحتراما لأرض الحرم المقدسة ، وعزمه مرة أخرى على مطاردة الوهابيين وانتزاع الحرم منهم بالقوة ، ثم الزحف على بلادهم أو يدخل بلدة الرياض عاصمة سلطتهم .

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة و من جهة أخرى » — كما تعبر المقطم أن ما عليه الإخوان الوهابيون من الفقر والعوز وقلة السلاح والذخيرة ، والحرمان من النظام والدربة ، ومن وقوع الشقاق بينهم ، وخروج بعض القواد على سلطانهم واشتعال نيران الفتن فى عقر دارهم . والأخطار التى تساورهم من القبائل التى فى جوارهم كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة سعيهم .

ومن جهة ثالثة — وإن لم تكن من محيرى الكاتب — أن ولى عهد اليمن قد خطب قومه يغريهم بالوهابيين المخالفين فى الدين ، والمنابذين للزيدية وأن هبوات الزحف اليمانية ، وقسطل سنابك الخيل الزيدية ، ستغشى الحجاز من الجنوب ، فتلاقى مع جحافل الحجازيين الشمال وتلتف حول هؤلاء مخاذم من الإخوان ذات اليمين وذات اليسار ، فتحيط بهم من كل مكان ، لا يتفلت منها إنسان .

ومن مزاعم « المقطم » فى هذه الجهة أن سلطان نجد لم يدع الإمام يحيى إلى مؤتمر الحجاز ، والحق أنه دعاه ، و أنه أول من أجاب الدعوة . و من جهة رابعة أن العالم الإسلامى سيكون إلباً واحداً على هؤلاء الوهابية تأييدا للأسرة الهاشمية ، كما تقتضيه معارف محررى المقطم الاسلامية ، ولا سيما أن اتهمهم الصادق المصدوق الصديق الملك على الهاشمى الدستورى و كتاب نهضته بهدم القبة الخضراء ، المظللة لقبر سيد أفضل من أظلت السماء ، وأقلت الغبراء ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأولياء وبهدم قبر سيد الشهداء (حمزة رضى الله عنه) الخ .

ومن جهة خامسة أن مما انفرد به « المقطم » دون أجراء دعاة البيت الهاشمى من الاختلاق تلك المواد التى صورها للؤتمر الذى عقد بين السلطان والجنرال كلايتن ومن معه من مندوبى العراق لتسوية الحدود بين نجد وبين العراق، وشرق الأردن فقد ادعى « المقطم » أنه وقف على ما تقرر فيها ونشر مواد تنفر العالم الاسلامى من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية، ولكن حصل أن صدقها الكثيرون فى الشرق والغرب ونقلتها عنه صحف كثيرة لا يخطر على بال أصحابها أن « المقطم » تكذب كذبا صريحا فى أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية، ويشبه هذه المواد فى ظهور كذبها بعد نشرها تلك المواد التى لفقتها، والشروط التى زورتها، فى شأن تسليم الملك على للسلطان ابن السعود فى جدة، وكانت الجرائد ظنت أن « المقطم» تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها إلى الوكالة فنفاها الشيخ عبـــد الملك الخطيب و تبرأ منها. ثم جاءت جريدة « أم القرى » المكية ناشرة للشروط الرسمية فعلم كذب شروط « المقطم» الفاضح، وأنا لاأعتقد أنها لفقت فى إدارة « المقطم» وإنما الراجح أن رجال الملك على الذين فروا من جدة اختلقوا لهم هذه كما ان مندوب الملك فيصل فى مؤتمر بحره هو الذى اختلق لهم شروط مؤتمر بحرة. وذنب «المقطم» أنه أباح لهم صفحاته على ما يعلم من كذبهم وحمل تبعته بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده.

ومن جهة سادسة ــ والجهات الحسية ست ــ أنـه كان مثلهم يجمع بين النقـائض والأضداد فينشر لهم ما يغشون به أمتهم العربية وملتهم الاسلامية من إيهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الأمة، وذم الوهابيــة وسلطانهم، ثم ينشر بعض الأخبار، ولا سيما الرسمية المكذبة لهم، ويكتم مـا يمكن كتمانه من

اتصالهم بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى أن حسينا لم يترتب بخروجه من الحجاز مذؤما مدحوراً ، ثم من العقبة ملوماً محسوراً ، وانتباذه فى قبرص مغموماً مثبوراً ، و خذلان « العظمة البريطانية » له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، لم يترتب بهذه العاقبة السوءى فظل يأوى إلى ظل ما سماه « مقررات النهضة » من حماية الانكليز لمملكته الوهمية من الداخل والخارج ، ولا سيما بعض « الأمراء الحاسدين » فكتب إلى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه و يطالبه باخراج ابن السعود من الحجاز ، وقد رد عليه الوزير رداً شديداً ، ونشر « المقطم » كتاب الملك المخدوع ، ورد الوزير عليه . فأين هذا مما كان قد نشره من تصريحه بأن استيلاء ابن السعود على الحجاز آثر عنده من تدخل الانكليز فى شؤونه ؟

وكذلك كان فعل ولده على صرح بمثل هذا التصريح ونشر له « المقطم » وغيره أقوالا توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب ، وتفضيل ابن السعود عليهم ، كما أنه قد ثبت أنه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية الانكليز رسميا بشرط أن يخرجوا ابن السعود منه ، سمعنا هذا أولا من الوفد الهندى الذى كان فى جدة ، وقد عرفوه من قنصل الانكليز فيها . ثم سمعناه ممن قدم بعد ذلك من جدة كالدكتور خالد الخطيب الذى كان رئيس مصلحة الصحة عند على . وثبت أيضا أنه كان يسعى لرهن جمرك جدة لدولة أجنبية تقرضه مليون جنيه لمتابعة قتال ابن السعود . وثبت أيضا أن أخاه الملك فيصلا سعى له هذا السعى لدى الدولة البريطانية ، ثم الدولة الفرنسية عند زيارته لها فى الصيف الماضى . وقد خاب السعى لديهما ولدى الدولة الايطالية أيضا ،

ولو تم لكان سببا لعبث الدولة المستولية على الجمرك باستقلال الحجاز، واحتلالها لثغره الأعظم الذى هو مدخل أكثر الحجاج.

وقد كان كل انتصار لهما خذلانا ووبالا عليهما، ونكالا وفضيحـة لهما، وسببا لخسارتهما أكثر مما جمعا من مال السحت والخيانة.

ونذكر ههنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسة التى طردته من سورية أقبح الطرد فى الوقت الذى كانت مدافعها تدمر مدينة دمشق وغيرها لأجل إقناع حكومتها بنصب أخيه زيد ملكا عليها، وإقناعها بأن هذه هى الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطانها الاستعمارى فيها؟

هذه جملة موجزة من سيرة الملك العربى الفعال، وسيرة ملوك الدعايـة القوالين، وسماسرة الاستعمار الأوربى فى البلاد العربية، ولما نشره «المقطم» من الدعاية الباطلة لهم، لخصتها، وأوردت بعضها بعبارة شعرية، أو كالشعرية لئلا تمج الأسماع قراءتها، إذا هى ذكرت بعبارتها، بعد أن اطلعوا عليها فى أوقاتها ونحن نحفظ قصاصات «المقطم» الحاوية لها. وإنما كتبناها للعبرة بها، والتحذير من مثلها، فإننا نرى أن دعاية الإفساد الهاشمية لم تنتـه بانتهاء أمر الحجاز، وبلغنـا أن رئيس حكومتى حسين وعلى الساقطين نقل ذلك عن دار المندوب السامى بمصر، وأن الملك عليا أعطى بعد وصوله إلى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة فننصح لمن يعنيهم أمر الحجاز من العرب وسائر المسلمين أن يكونوا على حذر، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهد أمتهم ودينهم من الخطر، وأن يقارنوا بين تينك السيرتين بالأعمال. فإنها لا تقبل التضليل كالأقوال، ويفكروا فيما يجب فى الحال لحسن العاقبة والمآل.

﴿ خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحانى الكاتب الشهير ﴾

وهى خلاصة اختياره الشخصى سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

رعية الملك ابن سعود تطيعه وتحبه

رعية الإمام يحيي تطيعه دون حب ودون خوف

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهة

فمن من الملوك المذكورين فى شبه الجزيرة يستحق أن يسود العرب ؟

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول — صفر ١٤٠٩ ه

العدد الثامن — اكتوبر ١٩٨٨ م

★ عنوان المراسلة . رئيس تحرير صوت الأمة ، بی ١٨/١ جی ، ریوڑی تالاب بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ریوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية ، فى الخارج ٢٠ دولارا (بالبريدالجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات }

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

مقياس جائر للموالاة والمعاداة

++++++++++++++++++++++++++

د . مقتدى ياسين الأزهري

من المشكلات التي عرقلت كثيرا تقدم الهند ، وأدت الشعب إلى الشعور بالشقاوة والحرمان ، وقضت على معانى الحرية و الاخاء التى تتوفر فى الدول المستقلة . مشكلة الأحقاد الطائفية والنزعات المتطرفة التى تأصلت جذورها فى نفوس الشعب منذ استقلال البلاد . ان قسطا كبيرا من جهود السلطات وأموال الدولة يبذل لتطبيع العلاقات بين الطوائف المختلفة التى تتناحر فيما بينها حينا بعد آخر ، وكثير من الادعاءات والاعلانات تعكس مدى عناية الحكومة بالموضوع ، ولكن النتائج لا تزال غير مشجعة ، والجهود غير ناجحة . وهذا الوضع يدفع للايمان بأن هناك تقصيرا فى الأمر وفسادا فى النية ونفاقا فى القلب ، وإلا كيف تفشل كل هذه الجهود وتعجز حكومة عظيمة مثل حكومة الهند فى تحقيق مطلب صغير مثل ذلك ؟

ان العداوات بين العرق والطوائف العديدة بالهند لها أسباب و جذور مختلفة قد لا تندرج تحت كلية واحدة ، والظروف التى تحيط بالمسلمين قد تكون خاصة بهم فان وضعهم فى البلاد يختلف عن الوحدات والطوائف الاخرى ، وتعرضهم للمحن والأزمات يبدو أكثر من غيرهم ، و خاصة منذ استقلال الهند وانقسامها إلى دولتين . وفيما يلى نشير إلى بعض التهم التى توجه إلى المسلمين الذين آثروا البقاء فى البلاد على الهجرة إلى باكستان ، فلعلها تعكس التفكير الذى

يحمله عامة الشعب نحو المسلمين وتوضح العقلية التى تجر الناس إلى الصدام والاشتباك ، وتكشف عن الأسباب التى تؤدى إلى المعارك الدموية بين الطائفتين اللتين عاشتا قرونا طويلة تجاور بعضها البعض فى أمن وسلام .

ان المسلمين حكموا فى الهند نحو ثمانية قرون ، وفى هذه المدة الطويلة عمروا البلاد ، وخدموا الشعب . وأرسوا معانى الحرية والسعادة والتسامح والعدالة ولين الجانب وسمو المعاملة ، و قضوا على كثير من العادات والتقاليد القبيحة التى كانت تفتك بالمجتمع وتذيق الشعب أنواعا من البؤس والحرمان . ان تاريخ المسلمين فى البلاد تاريخ طويل ، و مآثرهم العظيمة وانجازاتهم الكبيرة لا يمكن تعدادها إلا فى مجلدات ضخمة . ولكن ظهر الآن — بعد استقلال البلاد — اتجاه غريب لدى فرقة متعصبة من السكان يحاول حمل الناس على الاعتقاد بأن أرض الهند لم تستفد شيئا من الحكم الإسلامى والمسلمون لعبوا دور الدخلاء والمستعمرين فى البلاد ولم يحسنوا المعاملة مع السكان

وكذلك يقول المتطرفون للمسلمين : ما دامت البلاد انقسمت وأنشئت دولة باكستان فالأحرى بالمسلمين أن يهاجروا إلى باكستان ويخلوا أرض الهند للهنادك . ويضيف البعض فيقول ان المسلمين لو أرادوا البقاء فى الهند لوجب عليهم التخلى عن الإسلام والانصهار فى بوتقة الهندوكية واذابة الشخصية المسلمة فى التيار العلمانى العام الذى يمثل فى الحقيقة تيارا هندوكيا جديدا .

والتهمة المعروفة التى توجه من المتطرفين إلى المسلمين حينا بعد آخر هى أن المسلمين الذين يعيشون فى الهند ليسوا موالين و مخلصين للبلاد ، بل ولاءهم مع باكستان ومع الدول العربية و الإسلامية .

وان المسلمين يريدون انشاء دولة اسلامية أخرى داخل الأراضى الهندية ،

وأنهم يعارضون جميع الأعمال التى تدعم الوطنية الهندية .

مضت أربعون سنة على استقلال الهند وتردد الألسنة المعادية هذه التهمة فى مناسبة وأخرى ، ولكن لم يتمكن أحد إلى الآن من إثبات هذه التهمة ضد المسلمين وإيراد مثال واحد لعدم إخلاصهم لأرض الهند وموالاتهم لدولة أجنبية ، بل الوقائع والأحداث تدل على أن العناصر المعادية للمسلمين هم الذين يقصرون فى أداء واجب الوطنية ، وهم الذين يضحون بمصالح الحكومة و البلاد والشعب فى سبيل الحصول على أتفه المطالب . ان مثل هذه الوقائع كثيرة ، وهى معلومة لدى الجميع ، و لكن المؤسف أن السلطات لا تكمم الأفواه التى تردد التهمة المذكورة ضد المسلمين ، ولا تتخذ موقفا صارما يبرهن على ثقة الحكومة بالمسلمين واعتمادها عليهم فى شئون الحكم وأسرار الدولة وموقف الحكومة هذا هو الذى يحرض الغوغائيين ضد المسلمين ، و يتيح لهم فرصة التندر بأكبر أقلية فى البلاد والتشكيك فى ولائهم لأرض الوطن ولأهل الحل والعقد فيها .

ولكن هذه التهمة فى غاية السماجة والحق ليس المسلمون فى حاجة إلى نفيها عن أنفسهم ، ولكن هناك أقلام تولت الدفاع عن المسلمين حبا للعدالة وأداء للأمانة ، فهم الذين يكتبون أحيانا فى مثل هذه الموضوعات ، ويردون على المنحرفين الذين يشكون فى إخلاص المسلمين وولائهم ، فقريبا نشرت الجرائد الهنديه مقالا لكاتب غير مسلم يصرح بأن اتهام المسلمين بعدم الولاء والوفاء لم يقم عليه دليل إلى الآن ، بل الواقع يشير إلى أن الذين يتهمون المسلمين هم أنفسهم يأتون بما يعارض مصالح البلاد والشعب . وفيما يلى مقتطفات من المقال المذكور تبرهن على نزاهة المسلمين من التهمة المذكورة وغيرها .

يقول (أروندكالا) وهو كاتب عمود فى صحيفـــة Statesman الانجليزية :

« حينما قرأت فى الجرائد أن ضابطا متقاعدا فى بحرية الهـنـد يسمى (الكابتن بى . كى . سنّباراو) قد ألقى عليه القبض فى بومباى بتهمة التجسس ، تذكرت حادثا كان قد وقع قبل عشرين سنة . وهو أن فرقـة من طلاب الكليـــة ، وأنا بينهم ، كانت فى زيارة لمنطقة لداخ ، وكلما شغلنا الراديو وجاءتنا برامج الاذاعـــة الباكستانية ، هتف بنا طالب منا : أوقفوا الراديو ، لا تسمعوا لاذاعة العدو .

إن هذا الطالب المسلم كان ابنا لضابط فى الجيش ، ومع ذلك كان يشعر بحاجة إلى إثبات موالاته وإخلاصه للوطن وكان شعوره هذا ناشئا بسبب أن كثيرا من الناس فى شمال الهند كلها كانوا يشكون فى موالاة المسلمين للوطن .

وانى أتساءل : اذا كان المسلمون غير مخلصين فى موالاتهم للهـــند ، فلماذا لا نجد أحدا من المسلمين بين من يلقى عليهم القبض من سكان الهند بتهمة التجسس ضد البلاد ؟ ان عمل التجسس انتشر الآن فى جميع البلدان المتقدمـــة والنامية ، والانسان يعمل كل ذلك للحصول على المـادة ، فلماذا يتهم المسلمون وحـــدهم بعـدم الاخلاص للوطن حينما تشير الشواهـــد إلى أمر آخر ؟ سبب ذلك أننا نود نبش المدفون واثارة الحزازات واحياء العصبيات

إن عددا كبيرا من المسلمين هاجر من الهند إلى باكستان من دهلى ويوبى وبهار عام ١٩٤٧م وبعدها أثر الاشتباكات الدمويـــة التى انفجرت بين المسلمين وغيرهم . والمسلمون الذين بقوا فى الولايات المذكورة ولم يهاجروا إلى باكستان ظن فيهم الهنادك أنهم موالون لباكستان . ولـكن الحروب الثلاث التى قـــامت بين الهند وباكستان فى فترات عديدة قد برهنت على فساد الظن المذكور .

إنى أتذكر أن هندوكيا لو أنار مصباح بيته بالليل أثناء حرب عام ١٩٦٥م

أو عام ١٩٧١م لم يكن أحد يشك فى حبه للوطن ، ولكن لو فعل ذلك مسلم لصاح به الجميع بأنه يدعو الطائرات الباكستانية للهجوم . ان مثل هذه التفرقة قبيحة جدا يبلغ عدد المسلمين فى الهند نحو ثمانين مليونا ، ونصف هذا العدد قد نشأ بعد تقسيم البلاد ، ولم يذهب منهم إلى باكستان إلا عديد ، ومع ذلك نتهمهم بعدم الوفاء للهند ! »

« إن الهنادك والمسلمين يتعايشون فى الأرياف بسلام وتآلف ، فلماذا يتحاربون فى المدن مثل ميرت ومرادآباد وبهيوندى ؟ ولماذا تنشب الاشتباكات فى مناطق البلاد الشمالية والغربية فقط ، ولا تنشب فى المنطقة الجنوبية ؟ إنى أرى أن أسباب الاشتباك ترجع فى الأغلب إلى الحالة الاقتصادية ، والأرياف لا يوجد فيها شيء للنهب والاتلاف ، فينجو سكانها من المعارك الدموية لهذا السبب » انتهى ملخصا .

وهناك سؤال وجه إلى شخصية مسلمة كبيرة فى حديث قدمه تلفيزيون الهند فى البرامج الانجليزية ، وقدمت ترجمته بالهندية أيضا .

الشخصية هى (بدرالدين طيب جى) من كبار الشخصيات الهندية التى عرفت بعلو الكعب فى الثقافة وطول الخدمة فى الحكومة . انه شغل مناصب كبيرة فى خارجية الهند ، ومثّل الهند فى بلاد عديدة كسفير وبجانب ذلك يمتاز بالتزامه بالمبادئ السليمة والصراحة فى القول والسمو فى السلوك ، ان أحدا قد لا يوافقه على بعض آرائه وأفكاره ، ولكن لا يمكن أن يشك أحد فى أمانته وإخلاصه للوطن . انه ينحدر من أسرة عرفت بمساهمتها الفعالة فى تحرير الهند . وكان جده هو ثالث رؤساء حزب المؤتمر .

مثل هذه الشخصية الكبيرة التى نجحت بكفاءتها واجتهادها فى الوصول إلى أعلى مكانة فى خدمة البلاد والشعب وضربت مثالا رائعا للسمو فى الأخلاق

والنزاهة فى الأعمال والاخلاص للوطن . . . وجه إليها السؤال التالى الغريب المبكى المضحك :

« لماذا لم تهاجر إلى باكستان عام ١٩٤٧م ؟ »

ولم يوجه هذا السؤال فى مجلس خاص أو لقاء شخصى فى زاوية مستورة معزلة ، بل فى لقاء تلفزيونى تقرر نشره كى يشاهده ويستمع لـه ذلك العدد الكبير من سكان الهند الذين يتابعون البرامج التلفزيونية بالهند !

ان السيد بدر الدين ارتبك كثيرا بعد السؤال المـذكور ، وكان ارتباكه باديا على وجهه ، ولكنه ضبط نفسه وأجاب على السؤال فقال « إنى بقيت فى الهند كما بقيت أنت ، ولماذا توجه مثل هذا السؤال إلى مواطن هندى ؟ »

وطبيعة السؤال المذكور تبرز لنا الاستغراب الذى تكنـه الطبائع المنحرفة نحو المسلمين ، فهم يتعجبون من بقاء المسلمين فى الهند بعد إنشاء دولة باكستان ، فكأنه أمر غير طبيعى يحملهم على التسـاؤل . ان المصابين بضيق النظر وضيق الصدر يفترضون من الأول أن المسلمين الذين لم يهاجروا إلى باكستان إما مضطرون لذلك أو يهدفون إلى تحقيق مصلحة لهم ، و لكن ليست لهم رغبة فى البلاد وعلاقة بها وحب لها .

و مثل هذا التفكير يجعل المسلمين فى نظرهم موضع شك و ريبة ، وتترتب عليه أمور لا تحمد عقباها فى حال من الأحوال و المؤسف أن هـذا التفكير لا يحملـه المتطرفون من غير المسلمين فقط ، بل انـه قد أصاب الذين يدعون العلمانية ، ويزعمون أن معانى الحرية والديمقراطية قائمـة بهم وحدهم . ان هذا التفكير الجائر يسيطر عليهم فى جميع تصرفاتهم ، و يغذى الاتجاهات الطائفيـة ، ويثير الأحقاد والعداوات بين صفوف الشعب حتى ينادى البعض باخراج المسلمين

من البلاد . ولو كانت السلطات مخلصة فى الحفاظ على حقوق الأقليات فى البلاد لما تركت مثل هذا التفكير يشيع بين الناس ، ولما سكتت عن الذين يقضون على روح الديمقراطية والعدالة .

ان السؤال المذكور إن دل على شيء فإنه يدل على انحراف فى التفكير وضيق فى القلب وتنكر للموقف المشرف الذى وقفه المسلمون فى البلاد . والذى وجه هذا السؤال إلى رجل مثل بدر الدين هل يوجهه إلى شخص غير مسلم ؟ كلا ، ان مثل هذه التساؤلات تدور كلها حول المسلمين فقط ، أما غيرهم فالمفروض أنهم هم الأحق فى سكنى هذه الأرض !

ما أغرب أمر المتطرفين ! انهم يتعجبون من بقاء المسلمين فى الهند ، ويرون أن هناك منافاة بين كون المرء مسلما وبين كونه مواطنا هنديا ، ولكن لا يتعجبون من المحرومين الانتهازيين الذين يمسون سمعة البلاد بقبائح الأعمال ويشوهون صورتها فى أنظار الناس للحصول على المادة والوصول إلى بعض المناصب !

ان موضوع التعصب والتسامح والإخلاص والنفاق موضوع حساس ذو جوانب كثيرة وحينما يثار الكلام حوله ينجر الحديث إلى مواقف مكروهة ، ولذا ينبغى أن يقدر المسئولون هذه الظروف ويتجنبوا الوقوع فى التساؤلات حول مثل هذه الموضوعات .

ومع أن السلطة لا تترك لأصحابها آذانا يسمعون بها للناس ، ولا أبصارا يصلون بها إلى أعماق الأمور ، ولا قلوبا ترق للآلام والهموم ، ولكن مع ذلك نوجه إليهم كلمة قصيرة لعلها تنفعهم أو تنفع غيرهم .

ان وجود المسلمين فى الهند من قضاء الله تعالى وحكمه ، وانهم سكنوا فى هذه الأرض بكفاءة وجدارة ، وأحسنوا المعاملة مع الناس ، وأعطوهم أكثر

عما أخذوا منهم، وتضحياتهم فى سبيل نهضة البلاد وازدهار الشعب ورخائه ليست أقل من غيرهم. ومن هنا يستمر بقاءهم فى أرض الهند إلى أن يشاء الله تعالى. هذه حقيقة فرضت نفسها على الناس شاءوا أم أبوا. و لذا يجب أن يتخلى المتطارفون عن تفكيرهم المنحرف، ويقدروا مواقف الناس وخدماتهم، وينتفعوا بالموهبات فى سبيل النهوض بالمجتمع الذى صار مضرب الأمثال بين الناس فى البؤس والفقر والعداوة والحقد. ان تاريخ المسلمين فى البلاد لا يمكن أن يكون موضع تساؤل، وانما موضع التساؤل هو موقف الشذاذ الذين يتاجرون باسم الوطن، وينهبون ثروات البلاد، ويحرمون الناس حياة الأمن والسلام، وكذا موقف الذين يتحملون المسئوليات الجسيمة ثم يقصرون فى أداء واجبهم نحو الشعب، ويفشلون فى اقرار الأمن والوئام بين الطوائف والأحزاب، أما المسلمون الذين لم يذهبوا إلى باكستان فهم قد أثبتوا بصراحة أن أرض الهند موطنهم، وأن الله تعالى قدر لهم البقاء فيها، وهو الذى سلط العلمانيين على أصحاب الديانات، وهو الذى يكتب النهاية لهم ولأمثالهم: (ولكل أجل كتاب).

زيارة القبور

للعلامة محمد اسماعيل السلفى
تعريب الدكتور مقتدى حسن الأزهرى

الرؤية الجاهلية والإسلامية عن القبر

يطلق « القبر » على الأرض العميقة ، ولذلك يطلق على الحفرة التى تحفر لدفن الميت . وقد ذكر القرآن الكريم القبر لعدة مقاصد ، يقول تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ عبس : ٢١

فالقصد هنا هو التحدث بالنعمة ، أى صيت جثة الانسان من المهانة والذل بالدفن .

وقد ذكر ضمنا فى واقعة أخرى : ﴿ولا تقم على قبره﴾ التوبة : ٨٤

و ﴿حتى زرتم المقابر﴾ التكاثر : ٢

و ﴿يبعث من فى القبور﴾ الحج : ٧

و ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ الانفطار : ٤

وذكر القبر فى هذه المواضع للدلالة على ما يحدث وللتذكرة ، ولم يرد به نوع من التكريم أو التحقير .

وفى بداية التاريخ كان هابيل أول قتيل ظلما ، وكان القاتل متحيراً كيف وأين يذهب بالجثة ؟ ثم أنه عرف بدلالة غراب أن الجثث تدفن فى الأرض . وهذا الحادث يدل على عجلة الانسان وجهله ، ثم ان هابيل كان رجلا صالحا . ولكن الانسان لم يؤمر بأن يجعل له قبة أو يكرمه تكريما مع انه قتل مظلوما .

أصحاب الكهف

ويشبه ذلك حادث أصحاب الكهف ، فهؤلاء الشباب خرجوا مهاجرين فى سبيل الله ولجأوا إلى غار خوفا من الحكومة الظالمة فأخذتهم السنة ، يقول تعالى : ﴿تحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ [الكهف] ١٨ . وناموا ، وبما أن الغار كان فيه خطر بى الناس هناك مسجداً ، واتخذ أهل الابتداع هذا الحادث دليلا على جواز بناء المساجد على القبور ، ولكن هذا الاستدلال ليس فى محله قطعا ، فإن الموت لم يطرأ على أصحاب الكهف كما نص عليه القرآن ، بل كانوا أحياء نائمين ، وليس قبر أو موت ، والتعبير عن مثواهم بالقبر المغرى خطأ فاحش ولغو .

الأنبياء السابقون

قد ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء بالتفصيل اللازم ، وأكثرهم توفوا على الأرض ودفنوا فيها ، يقول تعالى ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [الأنبياء . ٨] فانهم كانوا يأكلون الطعام ، ولم يكتب لهم الخلود ، وهذه هى سنة الله تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ طه : ٥٥

فالأنبياء عليهم السلام لم يستثنوا من هذه الكلية ، ولكن مع ذلك لم يعلم موضع قبر أحد منهم بالوجه الصحيح ، ولا أقيم عليه عيد ، ولا حكى عن نبى أنه ذهب لزيارة قبر نبى آخر ، أو أمر أمته أن يعاملوا هذه المعاملة مع قبره ، أو تقدم النذور لقبر نبى من الأنبياء . وتعليم الأنبياء فى هذا الباب واضح جدا ، أى أنهم لم يولوا أى أهمية لأى قبر من القبور ، وهذا يدل على أن الشرائع السابقة أيضا لم تذهب هذا المذهب فى القبور .

تقاليد ما قبل الإسلام

والدين الصحيح لم يعط القبور أهمية ما ، ولكن الأخطاء التى ارتكبها العامة

وأعداء للأنبياء فى هذا الأمر قد ذكرت تفاصيلها فى الأحاديث ، وبها نعلم الأبواب الخفية التى أوجدها الشيطان وأتباعه ، ومن عادة المشركين أنهم كانوا يخالفون الأنبياء عليهم السلام وأهل الحق فى حياتهم ، ولما ارتحلوا بدأوا يصنعون لهم تماثيل وصورا ، واتخذوا قبورهم وسيلة للحصول على أقواتهم .

والأحاديث الشريفة تدلنا على المفاسد التاليه من القبور ، ويمكن أن نعبر عنها بالزيارة الجاهلية .

١ — تجصيص القبور والانفاق عليها دون حاجة .

٢ — السجود عليها والاستعانة بها .

٣ — بناء المساجد والمعابد عند القبور ، وكسب الدنيا بمجاورتها والمرابطة عندها .

٤ — الاحتفال عند القبور مثل الأعياد والاجتماع عندها وإظهار الفرح لديها .

وكما أن الأحاديث تدل على هذه الأمراض ، فكذلك تدل على الكراهة والتنفر ، وأقوال النبي ﷺ تبين انه كان خبيراً بالأمراض القديمة ، وكان يود أن ينقذ أمته من الآثار السيئة التى ظهرت فى الأمم السابقة بهذه العادات والتقاليد ؛ ويبدو أن التعلق بالقبور على هذه الطريقة يؤدى إلى العقائد الشركية .

وأسلوب أقوال النبي ﷺ يبين مدى تأسفه وتألمه على أهل الكتاب ، والأسباب التى لعنهم بها كان منها الطريقة السائدة لزيارة القبور .

أحاديث النبي ﷺ

١ — عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وان يقعد عليه ، وروى أن يكتب عليها ، مسلم وأحمد

٢ — وعن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة وأنها بأرض الحبشة ، وذكرت له ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله ﷺ : أولئك

قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله. متفق عليه.

ويعلم من بعض الأحاديث أن ذلك وقع للنبي ﷺ فى مرضه الأخير. وهذه الأحاديث تبين عدم جواز تجصيص القبور، وأن لا يبنى قربها معبد، وأن لا يبنى بناء على القبور لاحترامها، فإن هذا العمل شر عند النبي ﷺ، ومن يقوم به هو شر خلق الله.

٣ ــ وعن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. رواه مالك مرسلا، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدرى مرفوعا.

التواتر

وقد رويت عن النبي ﷺ أحاديث هذا المعنى بتواتر، وقد لعن النبي ﷺ فى بعضها على من يفعل ذلك: فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهى عن ذلك والتشديد فيه. (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٦٢، ٧٦٥، مطبوعة العبيكان)

وقد روى هذا الحديث فى صحيح البخارى ومسلم وسنن أبي داود وأبي حاتم والترمذى والنسائى والمنتقى، عن أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وعائشة وعبد الله بن عباس وجندب بن عبد الله البجلى وغيرهم من الصحابة.

معنى الحديث واضح، أى يحرم السجود نحو القبر والتوجه إليه مثل القبلة، وقد ورد فى رواية جندب بن عبد الله: ألا و ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك. (صحيح مسلم)

وفى هذا الحديث ورد ذكر الصلحاء أيضا مع الأنبياء، ثم شدد فى النهى عن جعل القبور مساجد . والقبور التى تعبــد هكذا فهى فى حكم الوثن عند النبي ﷺ .

عن أبي مرثد الغنوى قال قال رسول الله ﷺ : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها . (رواه مسلم)

وان ذهب أثر القبر واستوت الأرض صحت الصلاة ، فقد روى عن مسجد الخيف والحرم المكى والمسجد النبوى أن كان فى بعض منها قبور بعض المشركين وبعض الأنبياء عليهم السلام ، ولكنها انعدمت الآن جميعا ، ولذا لم يبق خوف الشرك وجازت الصلاة فى مساجدها .

وكأن الشرع يقصد أن تكون المعابد بعيدة عن القبور تماما ، أى لا يكون قبر فى مسجد ، ولا مسجد على قبر ، فان حرمة القبر تختلف عن حرمة المسجد ، ولا ينبغى أن نجمع بينهما .

المسجد عند القبور

ربما يبنى الناس عند المزارات والمقامات المساجد ، ويوهم ذلك أن الصلاة فى هــذا المسجــد أفضل ، كأن الفضيلة حصلت للمسجــد بسبب القبر ، ان بيت الله يفضل بشىء آخر ، ومعنى ذلك أن النسبة إلى الخالق لم تمنح الفضل الذى منحته النسبة إلى المخلوق ! ولكن الحق أن المسجد غنى بمكانته كما أن الله تعالى غنى عن الخلق ، ولذا كره النبى ﷺ بناء المسجد عند القبور .

وقد صرح بذلك فى رواية عائشة وجابر : اذا مــات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا .

وفى رواية جابر : نهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليـه .

وهذا نهى عن بناء المسجد على القبر وعن البناء على القبر وتكره الصلاة في مثل هذه المساجد ، بل لا تصح فيه الصلاة إذا رأى أحد أن هـذا المسجد أولى بالقبول أو الصلاة فيه أفضل من غيره

حفلات وأعياد على القبور

ويبدو أن الشارع يهدف بالقبر إلى أن يذكر بالخراب ، وتعيد رؤيته مشهد الموت ، ويبرز زوال الدنيا وفناؤها ، ويزهد عن رونق الدنيا وبهجتها ويتحقق هذا الهدف اذا لم توجد فى المقابر المبانى الرائعة مثل المدن ، ولم يظهر الجمال والشوكة ، والرخام والمرمر . وبناء مثل « تاج محل » لا يحقق مثل هذا الهدف ، بل أنه يذكر الدنيا وثروتها وإسراف أهلها وإقبالهم على متعها .

وكذلك ينافى هذا الهدف الصخب والضجة والحفلات والأعياد التى تقام على القبور ، ولذلك نرى أن النبى ﷺ وجه أمته بما يأتى : عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم (النسائى وأبوداود) .

زيارة الوثنيين

كان أهل الكتـــاب مكلفين بالأحكام السماوية ، ولذا يستغرب فشو عادة القبور فيهم ، ثم ان أمر التوحيـد مشترك بين الشرائع ، وعبادة القبور وزيارتها الشركية تنافى تعاليم السماء وتوحيد الأنبياء ، ولكن الأحاديث السابقـة تدل على أن أهل الكتـاب كانوا قد انحرفوا عن توجيهات السماء ، وكانت عبادة القبور والمشاهد والحفلات والاجتماعات انتشرت فيهم بسبب اتباع الأوهام والظنون .

واتجاه عبادة القبور فى الوثنيين لا يبدو قويا ، ولعل سببه اقتناعهم بالأصنام وانشغالهم بها عن القبور ، فالذين تعودوا على عبادة الصلحاء القـــائمين كيف

يعبدون الصلحاء الراقدين ؟ ولما أمكن عبادة الأشخاص البارزين فلماذا يرتبط المرء بالمستورين فى القبور ؟

أصل الداء

و الداء الأصيل فى عبادة الأصنام والقبور أن المشرك لا يؤمن بالإله الغائب ، وأنه لا يستطيع أن يتيقن بأن الإله الغائب والمعبود المختفى يستطيع الاسعاف بحاجته ، وأنه يشعر بإخلاص وحرارة أن نظام هذا العالم الكبير لا يمكن أن يصرفه إله غائب وحيد : (أجعل الإلهة إلها واحدا ، ان هذا لشىء عجاب ، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق)

والحقيقة أن الناس اخترعوا التوسل بالأحياء والأموات ، ومدارج المقابر ووسائط الأصنام حتى يستقر شىء أمام الأنظار ولو لم يكن دائما ، ولا حرج أن زاد عدد الإلهة الوهمية ، فإن الحكومة الإلهية كيف تستغنى عن الأمانة ؟

وجميع هذه الآفات نشأت بعلم الغيب ، فان الأنبياء يدعون إلى الإله الغائب ، وأهل التوسل لا يطمئنون إلا بالشمهاء الظاهر والصلحاء الوهبيين ، ولذلك يروون هذه الغلة بالقبور حينا وبالأصنام حينا آخر .

وبما أن عباد الأصنام ارتاحوا بهده الأوثان القائمة المرئية فلذا لم يحتاجوا إلى القبور كثيرا ، ولكن عقلية الشرك تبدو مساوية . ولذا توجد بعض آثار عبادة القبور فيهم أيضا ، فقد قال ابن جرير فى تفسير سورة النجم : « ان ابن عباس ومجاهدا وأبا صالح شددوا التاء فى اللات وقالوا : فان رجلا يل السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره فعبدوه » (ابن جرير ٢٧ / ٣٥) .

وقد حكى ذلك ابن كثير عن ربيع بن أنس (٤/٢٥٣) وقد روى العلامة العينى فى شرح البخارى (٩/١٧٨) و صاحب التفسير المظهرى (٩/١١٦)

وصاحب روح المعانى (٢٧/ ٥٥) عن ابن المنذر عن ابن جريج : انـــه كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت فلما توفى جعلوا قبره وثنا .

وهذه الآثار تدل على أن الوثنيين فى العرب ربما كانوا يعبـــدون القبور أيضا . والإسلام قد قضى على هذه العبادات كلها بفضل الإيمان بالغيب ، وأقر ذات الله تعالى وصفاته فى الأذهان على طريقة لم يشعر بعدها المؤمنون إلى صنم أو قبر ، بل انهم وقفوا أمام الله تعالى متوسلين بقلة بضاعتهم أو أعمالهم وفازوا فى مقصدهم : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الـــداع إذا دعان ﴾ البقرة : ١٨٦ ، وقال تعالى : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ غافر ٦٠

فالمؤمنون بعد أن آمنوا بالإله الغائب قد استغنوا عن جميع الوســـائل المصطنعة التى ابتلى بها الوثنيون السطحيون والقبوريون

القبر المجصص

كان مرجع عبادة القبور فى العصر القديم إلى الاعتقاد والتجارة معا مثلمـا نرى اليوم ، لحل « المتاجرون بالعظام » محل الصلحاء والأتقياء ، وتحولت تكيـــة فى عدة أسابيع إلى متجر ، وبدأ التجار يمارثون تجارة بالغة فى الربح .

وقد منع الشارع الحكيم تجصيص القبر ، كما مر فى حديث جابر ، بل أمر بهدم مـــا بنى على القبر ، فقـــد روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ أمر عليـا : « أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته » .

وقد حافظ علىّ على هذا العهد فى ولايته ، وعين له أبا الهياج الأسدى

وهـذه الفوضى فى القبور قـد وصلت إلى أن الـــناس عبدوا قبور بعض النساء المومســـات ، وأناروا عليها السراج ، ويكسبون بها المال ، أعاذنـــا الله من ذلـك .

يقول الإمام الشافعى «وأحب أن لا يبى ولا يحصص فإن ذلك للزينة والخيلاء وليس الموت موصع واحد منهما، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار بجصصة.

(قــال الراوى) : عن طاوس أن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص.

قال الشـافعى «وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما تبى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون» (الأم للشافعى ١/ ٣٤٦)

وقال مالـك : أكره تجصيص القبور والبناء عليها، وهــذه الحجارة التى يبنى عليها. وقد ذكر كذلك مزيدا من الآثار فى نفس المعنى.

قال سحنون : فهــذه آثار فى تسويتها فكيف بمـــن يريد أن يبنى عليها. (١٧٠).

وقال العلامة الشامى. وأما البناء عليه فلم أر من اختـار جوازه (الشامى ٩٣٧/١)

ثم حكى عن الإمام أبى حنيفة. وعن أبى حنيفة يكره أن يبنى عليــه بناء من بيت أو قبة ونحو ذلك، لما روى جابر : نهى رسول الله ﷺ (٩٣٧/١)

وقال الكاسانى فى البدائع والصنائع : وكره أبو حنيفــة البناء على القبور وأن يعلم بعلامة، وكره أبو يوسف الكتابة (٣٢٠/١)

الزيارة المسنونة

سبق أن ذكرنا زيارة الجاهلية وأقوال النبى ﷺ فيهـا، فلنبحث الآن الزيارة المسنونة وأهدافها

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة. (ابن ماجه، ومسلم، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم، والترمذى)

ويقول العلامة الكاسانى بعد ذكر رواية جابر: لأن ذلك من باب الزينة ولا حاجة بالميت إليها، ولأنه تضييع المال بلا فائدة فكان مكروها (البدائع والصنائع ١/٣٢٠)

وبناء على هذا التصريح من الشافعى لا يجوز بناء شيء يظهر الزينة والجمال فى المقابر باتفاق من الأئمة، ولتكن المقبرة خربة والقبور التى أقيمت عليها المبانى فان هدف الزيارة لا يتحقق منها، فالواجب للزيارة المسنونة أن يظهر منها الزهد وتذكر الآخرة والقباب والمبانى التى أقيمت على قبور العلماء وأهل الله فان الشرع يكرهها قطعا، بل لا تصح باتفاق من العلماء.

الدعاء المسنون

وحينما يزور المرء القبر ليسلم عليه ويدعو للميت مثل الجنازة فيقول: السلام عليكم أهل الديار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

وهناك أدعية أخرى رويت عن النبي ﷺ، وهى معروفة عند أهل العلم

متى بدأت عبادة القبور

انتشرت قبل بعث النبي ﷺ عبادة القبور فى اليهود والنصارى أكثر، وكان هذا النوع من الشرك يوجد فى المشركين أيضا، ولكن كان قليلا، كما سبق ذكره

وقد بدأ اتجاه عبادة القبور فى القرن الثالث، وفقا لقول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل.

وقد ولد الامام الشافعى فى عام (١٥٠هـ) ، وقد سبق قوله بأنه رأى قبور الأنصار والمهاجرين ، إنها كانت خالية من البناء وكانت ساذجة . وأنه قد توفى (٢٠٤هـ) ، وكانت مقابر البقيع والمعلى ساذجة إلى ذلك الوقت ، وذلك أن أهل العلم كانوا بكثرة ، ولذا لم يمكن أن تنتشر جهاله البناء على القبور .

ولما وصلت الفتوح الاسلامية إلى البلدان النائية ، وفتحت مناطق فارس والروم ، وأثرت تعاليم الإسلام فى نفوس الناس ، فتأثر المسلمون أيضا بعادات وتقاليد الأمم المفتوحة .

وكان التصوف فى الاسلام عبارة عن الزهد فى الدنيا والتوكل على الله والالتزام بأحكامه وكان المسلمون يتوكلون على الله بعد بذل أقصى الجهد ، ولم يكن هناك نظام الخوانق والتكايا ولا غلو الاعتقاد والاحترام .

وحينما اختلط تعليم الإسلام بآثار اليهود والنصارى وأمم مصر والهند ظهرت صورة نظام التكايا ، وصار التصوف مركبا من تقليل الطعام وحبس النفس وعمل الأربعين وآداب المرشد والمريد وما إلى ذلك ، وهذه الصفات نتيجة التصوف الذى أخذ من الحوانق وفقراء اليهود ونساك الهند ، أجرى فيه بعض التغيير ثم بذل جهد لجعل هذه الأمور ملائمة للإسلام .

وكانت هذه التمارين تتضمن بعض الفوائد والآثار النفسية فتحولت الى فن والصورة المعاصرة لعبادة القبور ناشئة عن ذلك النظام الخانقاهى وعن تلك الخلفية .

والاعتقاد العالى فى المرشد والمريد قد أدى إلى جعل الشيخ نائبا عن الله ورسوله ، ومنع من نقده واعتراضه وهذا كما قيل[1] :

---

(١) النص بالفارسية :

بمے سجادہ رنگین کن گرت پیر مغاں گوید   کہ سالك بیخبر نبود زراه ورسم منزلها

« لون سجادتك بالخمر إن قال المرشـــد الخبير ، فان السالك لايجهل طرق وآداب المراحل » .

كان من محاسن نظام الخوانق أنه يورث عاطفة بالغة للطاعة ، وكانت حركة حسن بن الصباح الباطنية بأسرها مؤسسة على عاطفة الطاعة ، وكان من غلو هذه العاطفـة إن لم يكن هناك إذن التكلم للمرء ولو رأى من مرشده قولا أو فعلا يعارض الشريعة ، وحلّ ما عليه أن ينظر ويسمع ويطيع .

وهـذا العيب لايزال يلزم نظام الخوانق اليوم ، فمهما قـــدّمت لهم الأدلة والبراهين من الـكتاب والسنـــة ضـــد عبادة القبور وتأليه الانسان ، ولـكنهم يفضلون أقوال وأعمال مشايخهم وأصحابهم على الـكتاب والسنة ، ويأتون بنكات متنوعة .

ومع صعوبة تحديد الوقت يمكن أن نعرف تدرج هذا المرض ، وأنه اشتد وتفاقم فى القرنين السادس والسابع الهجرى ، فكانت عدة طوائف من مصطنعى الصوفية قد زينت محلاتها ونشرت تجارتها ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية دخل فى المقاومة مع فقير من الفرقة الرفاعية ، وقد سبق أن أثر فى الحـكومة وأعيانها . انه طلب مــن شيخ الإسلام أن يقتحم معه فى النار ، ومن لم تحرقـــه النار هو الصادق .

فقال شيخ الاسلام . وقبل أن ندخل فى النار يجب أن نغتسل جميعا بالملح والخل .

ولـكن الفقير لم يرض بذلك ، وكتب الفور لشيخ الإسلام . وقـــد سجل شيخ الإسلام هذا الحوار كاملا فى رسالته « الصوفية والفقراء »[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : (١١/٤٥٢ - ٤٧١)

إيقاد السراج

وكما أن البناء على القبور من دواعي الشرك ، فكذلك ورد النهي عن إيقاد السرج عليها وقال انه من دواعي ، قال الرسول ﷺ : لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

ويظهر بذلك أن العرب كانوا يوقدون السرج على القبور ، و لذا يحتاج النبي ﷺ إلى النهي عنه ، وأبدى كراهيته له . ومن الواضح أن الفعل الذي يلعن عليه النبي ﷺ يكون ضرره في الدين وخسارته في الآخرة فوق تصور المرء .

تقديم الزهور إلى القبور

ان تفكير مثقفي بلادنا عجيب فانهم يقبلون كل ما جاء من أوربا صما بكما ، وحينما يقدم لهم فتتحول كل شعرة منهم إلى التساؤل والمناقشة .

وقد عرف في أوربا أن الناس يقدمون إلى القبور الزهور والرياحين ، فالمسلمون عندنا مع قلة تعمقهم في الدين يقلدون الغربيين دون فهم وإدراك ، فالزهور تقدم للقبور في جميع المناطق ، مع وضوح أن الميت لا ينتفع بذلك قليلا وكثيراً ، كما أن الميت لا ينتفع ولا يستضيء بنور السراج ، ولا بروائح الفواكه ، ولكن هذه العادة آتية من أوربا فإن المتنورين ، (بابو لوگ) سيتمسكون بها . ولكن العقل يفرض ويقتضي أن نفكر في هذه التقاليد بعد الترفع والتخلي عن العاطفية وقد عمت الآن وشملت هذه العادة ، حتى صار تقديم الزهور إلى قبور الموتى جزءا من زيارات الملوك والوزراء . ومعنى ذلك أن صارت هذه العادة في الأوساط الرسمية دنيوية محضة ، ولكن أوساط التحوالق لا تزال تظنها دينا وشريعة .

وعامـة الناس يجهلون دخائر السنة والتاريخ ، ويرون القباب على القبور في بغداد وكربلا والنجف ، فيحسبون أنها لابد وأن بنيت على أساس الأحكام الشرعية ، ولكن الحقيقة بالعكس من ذلك .

وكان الإمام الحاكم صاحب المستدرك قد رأى هذه المزارات فقال : هذه الأسانيد صحيحة ، وليس العمل عليها ، فان أئمة المسلمين من الشرق والغرب مكتوب على قبورهم ، وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف (المستدرك ٣٧٠/١)

والحقيقة أن هـذا العمل لم يثبت من النبي ﷺ والصحابة ، بل فعل ذلك من جاء بعدهم وليس عملهم وقولهم هـدا حجة ، فضلا عن أن يكون ناسخا للحديث ، فان قول النبي ﷺ لا ينسخ إلا بقوله ﷺ ، يقول الامام الذهبي في تلخيص المستدرك : قلت ما قلت طائلا ، ولا نعلم صحابيا فعل ذلك ، وإنما شيء أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم ، ولم يبلغهم النهى . (٣٧٠/١)

الروضة النبوية (قبر النبي ﷺ)

دفن جسم النبي ﷺ بعـد الوفاة في حجرته ، ودفن فيها أبو بكر ، وبعـد أن دفن عمر في الحجرة اتخذت عائشة جداراً فصلت به القبر عن البيت . وقد أجرى عبد الله بن الزبير ترميما في الحجرة ، وكانت القبور حينذاك غير مجصصة وفي عصر الخليفة عمر بن عبـد العزيز سقط الجدار الغربي ، فأمر ابن المزاحم بتنظيف الحجرة وتجديد الجدار ، وكانت الحجرة حينذاك مربعة ، ثم أمر الخليفة عبد الملك بضم الحجرة إلى المسجد ، وكان علماء المدينـة المنورة يكرهون ذلك ويرون عدم إدخال القبور في المسجد ووجوب الفصل بينهما ، وقد زاد الخليفة عمر بن عبد العزيز زاوية فصار البناء مخمسا بعد أن كان مربعا ، وبما أن القبلة في ناحية الجنوب فرأوا أن الزاوية إذا كانت في ناحية الشمال فان السجو

لا يكون للقبر الشريف، يقول ابن القيم فى ذلك :

فأحاب رب العالمين دعاءه وأحاط بثلاثة الجـــدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عزة وحماية وصيـــان

وتوالى بعد ذلك الترميم للحجرة، وكان دافع الحفاظ على آثار النبى ﷺ يدفع إلى الاكتفاء بالترميم فى الأغلب، وقد ذكر العلامة على بن عبد الله السمهودى فى كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ذلك بتفصيل

وبعد أن ضمت الحجرة إلى المسجد نصب شباك من الطوب حول الحجرة، واتصل سقفها بسقف المسجد ثم وضع المنصور بن قلاوون الصالحى (٦٧٨ هـ) الخشب مكان الشباك وكان شباك الخشب مربعا من تحته ومثمنا من فوقه، وكان ذلك يسمى بـ «قبة الرزاق» وكان هذا العمل قد تم باشارة من الحاكم كمال الدين بن أحمد بن برهان عبد القوى ولكن كرهه علماء ذلك العصر، فلما عزل كمال الدين رأى الناس ذلك جزاء لعمله القبة.

ولما بليت هذه القبة رممها الملك ناصر حسن بن محمد قلاوون، ثم رممها الملك أشرف بن حسين شعبان فى (٧٦٥ هـ)، واستمر هذا الترميم إلى أن تم بناء القبة الخضراء الحالية، وقد ذكر العلامة السمهودى هذه الترميمات بتفصيل فى نحو مائة صفحة.

وقد جرى هذا التغير بناء على المصالح البنائية والحكومية لا على أمر أو وصية من النبى ﷺ، ولا وجد أثر من آثار الصحابة رضى الله عنهم يثبت به ذلك، ولم يصح عقلا أو نقلا الاستدلال ببناء القبـــة الخضراء على منارات وقباب القبور الأخرى، فإن تغير القبة هذا لا يصلح أن يكون دليلا شرعيا.

وقد حرم المحققون من علماء الحنفية هذا الأمر بصراحة . يقول القاضى ثناء الله البانى بتى « اعلاء قبور الأولياء وبناء القباب عليها والاحتفال عنـــدها وإيقاد السرج عليهـا كل ذلك بدعة ، وكره ذلك البعض تحريما وقد لعن النبي ﷺ موقدى السراج عند القبور والساجدين لها ، وقال ﷺ : « لا تجعلوا قبرى عيـدا ومسجدا ، ولا تصلوا فى مسجد مثل هذا ، ولا تحتفلوا فيه فى يوم معين ، وأنه أرسل عليا رضى الله عنه لتسوية القبور المرتفعة ولمحو التصوير » (إرشاد الطالبين ص ٢٠)

(للبحث صلة)
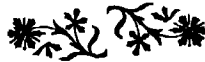
السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار العريوائى
الجامعة السلفية - بنارس

(٦)

وقد تجمع لدى عدد كبير من أصحاب شيخ الإسلام، وتلاميـذه الذين عثرت عليهم فى جزء الأربعين، وكتب أخرى لشيخ الإسلام، وفى كتب التاريخ، والتراجم، ومعاجم الشيوخ وأطباق السماعات الموجودة على الكتب الخطيـة، وفيما يلى أذكر تراجمهم بالاختصار.

١ — : إبراهيم بن أحمد بن هلال بن بدر، القاضى برهان الدين الزرعى الحنبلى (٦٨٨ هـ — ٧٤١ هـ)

حدث وتفقه، وبرع واشتغل على ابن تيمية، وابن الزملكانى والقزوينى، ومهر وتقدم فى الفتيا، ودرس بأماكن، منها . المدرسة الحنبلية، عوضاً عن ابن تيمية، حين سجن، فقتته الحنابلة لذلك، وكان أيضاً أشعرى المعتقد فى الغالب من أحواله[١].

٢ — وإبراهيم بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجى (٦٨٤ — ٧٣٠ هـ)

اشتغل بدمشق، ولازم الشيخ تقى الدين ابن تيميـة، فكان لا يفارقه،

(١) الدرر الكامنة (١/١٥).

وانتفع بصحبته ، وكان يداخل الرؤساء ، والكبراء مع الخير والدين[1].

٣ - والشيخ برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن داود بن عبـــد الله الآمدى ، ثم الدمشق ، الفقيه الحنبلى ، نزيل القاهرة (ت ٧٩٧ هـ) .

قال ابن حجر : أسلم على يد الشيخ تقى الدين ابن تيمية وهو دون البلوغ وصحبه إلى أن مات ، وأخذ عن أصحابه ، ثم قدم القاهرة . . . . . كان شافعى المذهب ، حنبلى الأصول ، دينا خيراً متألها .

وقال : قرأت عليه عدة أجزاء ، وأجازنى قبل ذلك ، قلت له يوما : رضى الله عنكم ، وعن والديكم ، فنظر إلى منكرا ، ثم قال : ما كانا على الاسلام[2].

٤ - : وإبراهيم بن على بن يحيى بن عثمان الحسينى

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم[3] .

٥ - : والشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس . سمع من شيخ الإسلام الأربعين[4] .

٦ - : وإبراهيم بن شمس الـدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الجوزية (ت ٧٦٧ هـ)[5]

---

(١) الدرر الكامنة ٢٤/١) .

(٢) إنباء الغمر (٢٥٤/٣ - ٢٥٥) وانظر أيضا : الدرر الكامنـــة (٢٥/١) والنجوم الزاهرة (١٤٣/١٢) والشذرات (٣٤٧/٦) .

(٣) انظر : فصل فى مروياته ومسموعاته ، وكل من جاء ذكره أنه سمع من شيخ الإسلام هـــذه المشيخة فليراجع له الموضع المشار إليه ، وهناك ذكرت السماع بكامله .

(٤) انظر : محضر السماع فى آخر الأربعين (ص ٣٧)

(٥) انظر : الدرر الكامنة (٥٨/١) والمعجم المختص (ق ٢٢/أ)

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٧ — : والشيخ بهاء الدين إبراهيم بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي عصرون .
سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم (ت ٧٤٤ هـ)[١]

٨ — والشيخ الصالح الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يونس بن منصور الدمشقي القواس (٦٧٧ — ٧٦١ هـ)

قال الحسيني : صحب ابن هود[٢] في وقت ، ثم هجره ، ولازم ابن تيمية ، وحدث عن ابن البخاري ، وغيرهم ، ونعم الرجل كان[٣].

٩ — : والشيخ إبراهيم بن منير الصالح البعلبكي :

كان مشهورا بالصلاح ، وكان ملازما لمجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية (ت ٧٢٥ هـ)[٤]

١٠ — : وابن شيخ الحزاميين . عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي ، الزاهد (٦٥٧ — ٧١١ هـ)

كان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية ، ونشأ عماد الدين بينهم وألهمه الله من صغره طلب الحق ومحبته ، والنفور عن البدع وأهلها فأخذ بعلماء واسط ، وبغداد ، ومكة ، والقاهرة ، واتخذ الطريقة الشاذلية ، ثم قدم دمشق ، فرأى شيخ الإسلام وصاحبه ، فدله على مطالعة السيرة النبوية ،

(١) انظر لترجمته الدرر الكامنة (١/٦٢-٦٣)
(٢) هو الزاهد بدر الدين حسن بن علي بن يوسف بن هود المرسي الصوفي الاتحادي الضال (ت ٦٩٩ هـ) (العبر ٣/٣٩٨) .
(٣) ذيل العبر (٤/١٨٧) والدرر الكامنة (١/٧٠-٧١)
(٤) البداية والنهاية (١٤/١١٩)

فلزمها ، وأدمن مطالعتها ، واختصر سيرة ابن اسحاق ، « تهذيب ابن هشام» وأقبل على مطالعة كتب الحديث ، والسنة ، والآثار ، وتخلى من جميع طرائقه ، وأحواله ، وأذواقه ، و سلوكه ، واقتفى آثار الرسول ﷺ ، وهديه ، وطرائقه المأثورة عنه فى كتب السنن ، و الآثار ، و اعتنى بأمر السنة أصولا ، و فروعا ، وشرع فى الرد على طوائف مبتدعة ، وله مؤلفات[1].

وله رسالة إلى أصحاب شيخ الإسلام ، حثهم فيها على الاستمرار فى نشر الدعوة السلفية التى قام بنشرها شيخ الإسلام ، وهى رسالة عظيمة ذات فوائد جمة[2].

١١ ـ والشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الوانى أخو محمد بن إبراهيم بن الوانى .

حضر فى سماع الاربعين مع أخيه محمد فى السنة الرابعة[3]

١٢ ـ والشيخ أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عبد الحميد المقدسى . روى الاربعين عن شيخ الإسلام ، كما هو مثبت فى أول الإسناد[4]

---

(١) العقود الدرية (٢٩٠) وعده ابن عبد الهادى من كبار أصحابه ، ومعجم شيوخ الذهبى (ق ٤/أ) والعبر (٢٩/٤) والتذكرة (١٤٩٥) والمشتبه (٢٢٣/١) وذيل طبقات الحنابلة (٣٥٩/٢) والرد الوافر (١٢٤ ـ ١٢٦) والوافى بالوفيات (٢٢١/٦) ومرآة الجنان (٢٥٠/٤)

(٢) انظر الرسالة فى العقود الدرية باسم : « كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين فى الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به » (٢٩١ ـ ٣٢١)

(٣) الرد الوافر (٧٧)

(٤) مجموع الفتاوى (٧٦/١٩)

وعنه رواه ابن حجر[١]

١٣ — والشيخ الإمام جمال الإسلام ، صدر الأئمة الأعلام شيخ الحنابلة المشهور بابن قاضى الجبل شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن ابن عبد الله بن أبي عمر بن محمد بن أحمد بن أبي قدامة الحنبلي (٦٩٣ — ٧٧١ هـ) .

درس ، وأفتى ، وألف ، وولى القضاء بدمشق ، وله عدة مؤلفات ، صحب شيخ الإسلام ، وقرأ عليه عدة مصنفات ، فى علوم شتى ، وأذن له فى الإفتاء فأفتى فى شبيبته ، وله اختيارات فى المذهب[٢]

١٤ — وشهاب الدين أحمد بن سجر المرزوقى

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

١٥ — و الشيخ أبو الفتح أحمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المحدث المقرىء ، ولد سنة (٧٠٩هـ) .

قال الذهبى : سمع منى .

وقال ابن ناصر الدين الدمشقى فى ترجمة ابن رافع السلامى : ووجدت بخطه طبقة السماع فى بيت بنى المحب صورتها :

وسمع صاحبه الولد السعيد أبو الفتح أحمد ، وأخوه محمد على الشيخ . . . ابن تيمية جزءاً فيه أربعون حديثا من مروياته ، فى يوم الجمعة بعد الصلاة ، الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٧٢٤هـ)[٣]

---

(١) المعجم المفهرس (١٨٨)

(٢) المعجم المختص (ق ٤) ، و الدرر الكامنة (١/١٧٠) والرد الوافر (١٣٢) والوفيات لابن رافع السلامى رقم (٨٩٢) وشذرات الذهب (٦/٢١٩)

(٣) المعجم المختص (ق ٥/ب) والرد الوافر (٨٦)

١٦ - وأحمد بن عبد الغالب بن محمد بن عبد القاهر الماكسيني :

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم (سنة ٧٩٥ هـ) وصرح ابن حجر بسماعه من ابن تيمية[١]

١٧ - وتقي الدين أحمد بن العلم بن محمود الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٨٤ - ٧٤٢هـ)[٢]

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

١٨ - وأحمد بن علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود بن البخاري .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ،

١٩ - والشيخ أحمد بن علي بن عبد الله بن المفسر ، .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ،

٢٠ - وأحمد بن علي بن يحيي بن تميم الحسيني الدمشقي ، وكيل بيت المال بها ، سمع الكثير من الحجار ، وابن تيميــة ، والمزي ، وغيرهم ، وهو من شيوخ ابن حجر (ت٨٠٣ هـ)[٣]

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ، وعنه ابن حجر في المعجم المفهرس[٤].

٢١ - والامام الفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحراني ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي (٧٠٢ - ٧٤٥ هـ)

---

(١) انظر الدرر الكامنة : (١٧٤/١)

(٢) انظر لترجمته : الدرر الكامنة (٢٠٣/١)

(٣) شذرات الذهب (٢٥/٧)

(٤) راجع فصل : مرويات شيخ الاسلام

تفقه في المذهب ، وأصول الفقه ، وهو الذي بيض مسودة الأصول لآل تيمية ، ورتبها ، وميز كلام شيخ الإسلام عن والده وجده بقوله : « قال شيخنا » وقال الذهبي : أخذ عني ومعي ، وقرأ على سير أعلام النبلاء[1]

٢٢ — وتاج الـدين الحميري : المسنـد المؤرخ أبو العبـاس أحمـد بن الشيخ نجم الدين أبي عبد الله محمد بن بهاء الدين عبد الله بن الحسن بن الحسين الحميري ، المصري الأصل ، البعلي ، ثم الـدمشقي ، الشافعي ، ولد (٧٠١هـ) قال ابن ناصر الدين الدمشقي : أسند الكثير وسمع منه جم غفير ، منهم العراقي ، والهيثمي ، وعلي بن البناء ، ومحمد سند ، لقي الشيخ تقي الدين ، وسمع منه ولدي غير مرة عنه[2].

٢٣ — وأحمد بن شمس الدين محمد بن عبد الله بن سلامة بن سالم :
سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٢٤ — وأحمد بن شمس الدين محمد ابن عم علاء الدين علي بن تقي الدين أحمد .
سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٢٥ — والشيخ شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي ، كان يعظ الناس على طريقة شيخ الاسلام ، كان حيا في سنة (٧٢٥ هـ) .

وقال الذهبي : في حوادث سنة (٧٢٥ هـ) وضرب بمصر شهاب الدين . نحوا من حسين سوطا ، ونفي إلى بيت المقدس بسبب مسألة الاستغاثة ، قال : « لا يجوز أن يستغاث بمخلوق ولا بنبي .

وقال في العبر : ضرب بمصر ، وسجن ، ثم نفي لنهيه عن الاستغاثة والتوسل

---

(١) المعجم المختص (ق ١٠/ب) وشذرات الذهب (١٤٢/٦)
(٢) الرد الوافر (١٢٢)

أحد غير الله ، ومقت لذلك ، ثم فر إلى أرض الجزيرة وأقام هناك سنين[١].

٢٦ - وابن بكار النابلسي : الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مظفر ابن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن الحسن بن مفرج بن بكار ابن النابلسي . (٦٧٥ - ٧٥٨هـ)

قال الذهبي : أكب على الطلب زماناً ، وترافقنا مدة ، وكتب وخرج ، وقال النابلسي في طباق كتاب « مجابي الدعوة » لابن أبي الدنيا : سمع هذا الكتاب على الشيخ عبد الله الفارقي الشافعي ، بقرأة سيدنا « وشيخنا » شيخ الاسلام[٢].

٢٧ - والشيخ الصالح المعمر الحنبلي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي ، أحد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، صحب شيخ الاسلام دهراً ، وتفقه به ، وكان فيه إقدام على الملوك ، وإبطال مظالم كثيرة ، وكان له وجاهة عند الخاص والعام (ت ٧٦٢ هـ)[٣].

٢٨ - وابن فضل الله العمري : الامام أحمد بن يحي بن فضل الله القاضي ، شهاب الدين أبو العباس ابن القاضي أبي المعالي القرشي العدوي ، (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ) مؤلف « مسالك الأبصار »[٤]

---

(١) البداية والنهاية (١١٧/١٤) ودول الاسلام (٢٣٣/٢) والعبر (٧٢/٤) والدرر الكامنة (٣٠٢/١ - ٣٠٣)

(٢) معجم شيوخ الذهبي (ق ٢١/ب) والمعجم المختص (ق ١٣/ب) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٣) والعبر (١٧٤/٤) والرد الوافر (ص ١٣٨) والنجوم الزاهرة (٣٢٧/١٠)

(٣) ذيل العبر للحسيني (٩٢/٤) والنجوم الزاهرة (١٢/١١)

(٤) فوات الوفيات (١٥٧/١ - ١٥٩) وذيل العبر للحسيني (١٥٢/٤) والرد الوافر (ص ١٣٩) والدرر الكامنة (٣٣١/١) والوفيات لابن رافع السلامي (رقم ٥٩٢) والوافي بالوفيات (٢٥٣/٨) والنجوم الزاهرة (٣٣٤/١٠) وشذرات الذهب (١٥٩/٦ - ١٦٠) .

قرأ على شيخ الاسلام « الأحكام الصغرى »[١]، وعمل له ترجمة أنيقة مرضية نظما ونثراً، أوسعها فوائد، وعلما، وذلك في كتابه « مسالك الأبصار[٢]».

٢٩ — وابن كثير: الامام الحافظ المحدث المؤرخ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البصرى القرشي، الدمشقي (٧٠١ — ٧٧٤ هـ) أحد كبار الأئمة في عصره، المبرزين في علوم القرآن، والحديث، والتاريخ، وصاحب المؤلفات العظيمة كالتفسير. والبداية، وجامع المسانيد، وكان من كبار أصحاب شيخ الاسلام الملازمين له، وأكثر الأخذ عنه، وأحبه وبسببه امتحن، وفي سبيله أودى

وسأله قاصي قضاة الحنفية صدر الدين: أتحب ابن تيمية؟ فقال: فقلت: نعم، فقال لي، وهو يضحك: لقد أحببت شيئاً مليحاً.

وقال ابن حجر: لازم المزى وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية، وامتحن بسببه،

وقال ابن قاضى شهبة: أقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وكانت لصحبته مع شيخ الاسلام وملازمته له تأثير واضح في تكوين شخصيته، واتجاهه العام في خدمة العقيدة والسنة، ويتجلى هذا واضحا في مؤلفاته التي تناول فيها مباحث العقيدة، وشرح السنة، وتفسير القرآن الكريم.

وبجانب اشتغاله بالتأليف والتصنيف في عدة فنون تولى مشيخة الحديث « بالمدرسة الصالحية » « وبدار القرآن والحديث التنكزية » و « دار الحديث الأشرفية[٣]».

---

(١) الدرر الكامنة (٢٣١/١)

(٢) انظر الرد الوافر (١٣٩).

(٣) انظر لترجمته: الدرر الكامنة (٣٧٣/١ - ٣٧٤) وطبقات الشافعية لابن قاضى =

٣٠ - والشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس أخو إبراهيم بن محمد بن النحاس.

سمع من شيخ الإسلام: «الأربعين» مع إخوته كما فى محضر السماع فى آخره[١].

ومشيخة ابن عبد الدائم، كما فى محضر سماعها، وقد أثبته فى ذكر مرويات شيخ الاسلام.

٣١ - والأمير سيف الدين براق: أمير أرجو بجامع «تنكز» كان مشكور السيرة، كثير الصلاة، والصدقة، محبا للخير وأهله، ومن أكبر أصحاب شيخ الإسلام (ت سنة ٧٥٧ هـ)[٢]

٣٢ - وناصر الدين بشر بن سيف الدين عربو بن عبد الله فتى مجد الدين عبد المحمود إمام تربة أم الصالح.

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم.

٣٣ - وسيف الدين بكتمر، عتيق الأمة حسام الدين، السمقدار الحاجب.

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم (ت ٧٢٤ هـ)[٣]

٣٤ - وبهادر فتى زين الدين عمر بن عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز

= شهبة (١١٣/٣ - ١١٥) وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطى (٣٦١) وذيل تذكرة الحفاظ للحسيى (٥٧) وشذرات الذهب (٢٣١/٦) وابن كثير حياته ومؤلفاته للدكتور مسعود الرحمن خان الندوى، الناشر مركز الدراسات الآسوية الغربية بجامعة على كره الاسلامية بالهند.

(١) الأربعين (ص٣٧)

(٢) البداية والنهاية (٢٥٤/١٤) والدرر الكامنة (٤٧٤/١)

(٣) انظر لترجمته: الدرر الكامنة (٤٨٧/١)

ابن عبد السلام بن تيمية .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٥ — وبهادر فتى موسى ، وإبراهيم ، وأحمد ، أولاد على بن يحيى بن عثمان الحسيى

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٦ — وبيدار فتى أحمد بن شمس الدين محمد ، وأختاه فاطمة . وخديجة .

سمع من شيخ الإسلام : مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٧ — والشيخ جرير بن سعيد بن حميد العسانى .

سمع من شيخ الإسلام : « الوصية الصغرى » سنة (٦٩٧ هـ) بدمشق[١].

٣٨ — وصفى الدين جوهر بن عبد الله الكاملى :

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٩ — وشمس الدين حسن بن شهاب الدين عبد الله بن الشيخ نجم الدين على

ابن محمد بن عمر بن هلال .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٤٠ — والشيخ حسن بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس أخو . . . .

إبراهيم بن محمد بن النحاس .

سمع من شيخ الإسلام كتاب « الأربعين[٢] » ومشيخة ابن عبد الدائم .

٤١ — وحسن بن محمد بن حسن الموازينى :

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٢ — وحسن بن . . . . . أحمد بن محمد بن غانم

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٤٠)

(٢) الأربعين (ص ٣٧)

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٣ ــ والشيخ الزاهــد خالد بن بدر المجاور لدار الطعم بدمشق ، كان من أصحاب شيخ الاسلام .

قال ابن ناصر الدين الدمشقى : كان أحد أصحاب الشيخ تقى الدين ابن تيمية الامام ، ويعظمه كغيره من الأعلام ، ويترجمه بـ« شيخ الاسلام[1] » .

٤٤ ــ والحافظ العلائى : الامام المحدث صلاح الدين أبو سعيد خليل بن الأمير سيف الدين كيكلدى العلائى الدمشقى الشافعى صاحب المؤلفات الكثيرة ، منها : جامع التحصيل (٦٩٤ ــ ٧٦١ هـ)

روى جزء ابن عرفة عن شيخ الاسلام ، وأخيه لأمه بدر الدين أبى القاسم محمد بن القاسم الحرانى ونسيبهما عز الدين أبى محمد عبد العزيز بن عبد اللطيف ابن عبد العزيز ابن تيمية ، والعلامة كمال الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر الشريشى ، وذكر أحاديث انتقاها صلاح الدين العلائى من جزء ابن عرفة[2] .

٤٥ ــ وسعيد فتى فاطمة بنت عمر بن أيوب بن سليمان .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٦ ــ وسليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبــد الحق الحنفى صدر الدين

---

(١) ذيل العبر للحسينى (١٢٢/٤) والرد الوافر (ص ١٦٢) .

(٢) الرد الوافر (ص ١٦٣) و انظر أيضا لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق/٤٨/أ) والمعجم المختص (ق/٢٩/ب) ، وتذكرة الحفاظ (١٥٠٧) والبــداية والنهــاية (ص ٢٦٧/١٤) ، وطبقات الشافعيـة للسبكى (١٠٤/٦) وذيل العبر للحسينى (١٨٦/٤) والوافى بالوفيـات (٤١٠/١٣ - ٤١١) والـدرر الكامنــة (٩٠/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٧/١٠) وشذرات الذهب (١٩٠/٦)

(٦٩٧ — ٧٦١ هـ) سمع الحديث على الحجار، وابن تيمية.

وصرح الحافظ ابن حجر بسماعه من ابن تيمية[١].

٤٧ — والشيخ العلامة علم الدين سليمان بن زكرياء القرشى الملتانى حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتانى، رحل إلى الحرمين، والقدس، وبغداد وغيرها من بلاد العراق، وأخذ العلم من علماء هذه البلاد، وكان ممن صحب شيخ الإسلام، ورجع إلى الهند، ودخل دهلى فى أيام غياث الدين تغلق شاه[٢]. وكان ممن يحث السلطان محمد تغلق كثيراً على دحض البدع والمنكرات، والقضاء عليها[٣]

٤٨ — والعلامة نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم بن سعيد الطوفى الصرصرى، ثم البغدادى، الحنبلى الشيعى الشاعر المعروف بـ «ابن أبى عباس الحنبلى» (٦٥٧ — ٧١٦ هـ).

لقى شيخ الإسلام، والمزى، وجالسهما، وله مؤلفات كثيرة.

قال الذهبى: وكان على بدعته كثير العلم عاقلا متدينا[٤].

٤٩ — والمفتى زين الدين عبادة بن عبد الغنى بن منصور بن منصور بن إبراهيم ابن سلامة السعدى، الحنبلى (٦٧١ — ٧٣٩ هـ)

---

(١) انظر لترجمته: الدرر الكامنة (١٤٩/٢)

(٢) انظر لترجمته: نزهة الخواطر (٤٧/٢)

(٣) «آئينه حقيقت نما»، (ص ٤٣٣) للأستاذ أكبر شاه نجيب آبادى و«حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لأبى زهرة» (ترجمة أردية) (ص ٥) من مقدمة المحقق عطاء الله الفوجيانى.

(٤) ذيل العبر (٤٤/٤) وذيل طبقات الحنابلة (٣٦٧/٢) والدرر الكامنة (١٥٤/٢) ومرآة الجنان (٢٥٥/٤) وشذرات الذهب (٣٩/٦).

قال الذهبى : كان ديناً متهجداً متواضعاً ، جواداً ، مناظراً ، صحبته بضعاً وأربعين سنة ، وكان يلي العقود والفسوخ .

وقال ابن حجر : لازم ابن تيمية .

سمع من شيخ الاسلام « الوصية الكبرى » (سنة ٦٩٣ هـ) بدمشق[١] .

٥٠ ـ والامام المحدث الواعظ المقرىء محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب ، عبد الله بن أحمد المقدسى الحنبلي أحد الأئمة المشهورين (ت ٧٣٧ هـ) وكان شيخ الاسلام يحبه ويحب قرأته .

سمع من شيخ الاسلام « منتقى من جزء أيوب السختيانى » انتقاء الضياء المقدسى فى (١٤/صفر سنة ٦٩٩ هـ) بدار الحديث العسكرية .

والصحيح فى ذى الحجة سنة (٧١٤ هـ) بالمدرسة الحنبلية بداخل دمشق .

وجزء ابن عرفة مع أبناء « محمد وأحمد » والأربعين ، وعوالى مسند الحارث بن أبي أسامة سنة (٧١٨ هـ) بقرية مزة[٢] ومشيخة ابن عبد الدائم كما فى محضر السماع المثبت فى ذكر مسموعات شيخ الاسلام .

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) ومعجم شيوخ الذهبي (ق ٦٦/ب) وذيل العبر (١١٤/٤) والوافى بالوفيات (٦٢١/١٦) والدرر الكامنة (٢٣٨/٢) .

(٢) الرد الوافر (١٦٩ - ١٧١) و (٩١) ومعجم شيوخ الذهبي (ق/٦٧/ب) وذيل العبر (١٠٧/٤) ودول الاسلام (٢٤٤/٢) والبداية والنهاية (١٧٨/١٤ - ١٧٩) والوافى (٧ /٦٠) والوفيات لابن رافع (رقم ١٣) والدرر الكامنة (٢٤٤/٢) والقلائد الجوهرية (٢٧٩/٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢ - ٤٢٧) وشذرات الذهب (١١٤/٦) .

(البحث صلة)

المصائب وتحملها

بقلم د . محمد بن سعد الشويعر

يمتاز الدين الإسلامي بأن شرائعه وتعاليمه ، تعتبر قواعد تسير أمور الحياة ، ودعائم تنتظم بها أحوال النـــاس ، ومعـــاشهم ، بعكس ما نلمســـه لدى بعض الامم ، لأن قوانينهـا أخـذت من وقائع حصلت فى بيئتهم ، وتنظياتهم لأمورهم المختلفة جاءت عن حوادث مرت بهم ، واكتووا بنار بعضها ، فان جد بعد ذلك جديد بحثوا له عن مخرج تسير حالتهم بموجبه ، ومن هنا يحس المستقصى بكثرة التعديلات والملحقات لتشريعاتهم ، من استقراء واقعهم : سماعا أو قراءة أو مشاهدة .

هذا فى الأمور التى تتشابك فيها المصالح ، وتكون عرضـة للأخذ والرد ، أما ما يتعلق بالنفس البشرية وتهـذيبها فى تحمل المشكلات والمصائب ، فقد غفلت عنه تلك التنظيمات ، لأنها أمور خاصة تتعلق بالانسان نفسه ، وله مطلق الحريـة أن يتصرف بهذه النفس نفعاً وضراً كيفما يشاء .

اما تعاليم الإسلام فهى أقوى وأمكن ، وما يرسمه أشمل فى الاستيعاب ، ولا مداخل عليه . لأنه جاء من علام الغيوب ، الذى لا تخفى عليه خافية ، وقـد شمل أمور الحياة كلها كما قال سبحانه : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شيء﴾ .

ولذا يجد أى باحث أن قواعد الإسلام المكينة لا تتغير مع الزمن ، ولا تمل مع كثرة الاستعمال ، ولا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ووجهت النفس إليها . وسوف ننطلق فى حديثنا اليوم عن موضوع المصائب التى تحل بالانسان فى نفسه أولا ، ومـدى تحمله لها ، وتوجيه الإسلام فى ذلك وهـذا جزء من موضوع

ـيع وطويل قد عالجـه الاسلام بما يروض النفس ، ويعطيها قـدرها الـذى
ـتحقه . وما ذلك إلا أن العامل الـذى يحرك المسلم ، ويوصل التحمل والصبر
ـ نفســه ما هو إلا الايمـان بالله . والفهم الحقيق لما تعينه تعاليم الاسلام ،
ـاحتساب ما يتحمله أجراً مدخراً عنـد ربه ، والاستعانة على ذلك بالشكر لله ،
ـالصبر على ما وقع ، والرضا بما قسم الله ، وتهوين المصيبة بما هو أكبر ، بتكرار
مثل هذا الدعاء : الحمد لله الذى ما جعلها أعظم . وما ذلك إلا أن مصدرى التشريع :
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيهما القوة الدافعة ، والمـدة المكينة ، مما يزيد
النفس فى تحملها وصبرها طاقة وحماســة : وذلك فى مثل هذا النص الكريم :
﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليـه راجعون ،
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (بقرة آية ١٥٥) ،
وقولـه سبحانه : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر آية ١٠)
وقول النبى ﷺ : « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن
حتى هم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته » رواه مسلم عن أبى هريرة .

أما غير المسلم فلأنه يفقد مثل هـذه القاعدة الراسخــة ، وينعدم لديه
المصدر الذى يقوى عزيمته ، ويشـد إزره ، فانه لا يتحمل ما يقع عليه ، وإن
صبر وتحمل فهو كصبر البهائم لأنها مغلوبة على أمرها .

والمتتبع لأحوال أولئك يجد كثرة الجزع وتفشى الانتحار فى مجتمعاتهم ،
بل إن بعض الطقوس تعتبر التشدد فى تعذيب النفس ، وتخليصها من الدنيا أمراً
مرغوبا فيه ، كما أن فى بعض أنحاء الهند من يعتبر إحراق المرأة نفسها بعد وفاة
زوجها فيما يعرف عنـدهم باسم « ستى » تقربا وعبادة ، رغم العقوبات الصارمـة
على من يحث على هذا ، أو يدعو إليه ، كما ذكرت ذلك صحيفـة الرائد الهندية

التى تصدر باللغة العربية فى عدد يوم ١٠ جمادى الأولى (سنة ١٤٠٨ هـ) .

وكما سنت أنظمــة فى بعض بلاد الغرب بإباحـة تخليص المريض المشوه ، أو الذى لا يرجأ برؤه مما يسمونه العذاب باعطائه حقنة سامة تخلصه من الحياة . فان مثله أيضا ما يسنه بعض القادة العسكريين على مشوهى الحروب عندهم بإبادتهم ، حتى لا يتسبب عن خروجهم للمجتمع نماهات نفرة فى العمل العسكرى ، أو حقداً على القائد .

وغير هذا مما هو كثير عندهم نحسه ونلمسه على مستوى التنظيمات الجماعية ، أمـا على مستوى الأفراد ، فان اخطرها ضررا محاولة الهروب من المجتمع بأقل صدمة نفسية ، أو تأثير عاطفى وعدم قدرة النفوس على مجابهة المواقف التى تحتاج إلى درجة من التحمل و الصبر ، وذلك باللجوء إلى المخدرات والمسكرات أو الانتحار ، و غير ذلك مـن الموبقات ، مما يدمر النفوس ، ويقضى على المعنويات ، ويجعل الأشخاص عالة على المجتمع ، وعبئا ثقيلا على الأمة ، بزيادة المشكلات ، وتفاقم أمرها ، فيصبح أمثال هؤلاء كما قال الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والساخط فى المجتمع الإسلامى من حدوث المصيبة ، فإنه يماثل غير المسلمين فى قصر النظر وتوجهه فى هـذا المنحى توجههم لقول بعضهم : ليعلم المصـاب أن الجزع لا يرد المصيبـة بل يضاعفها ، وهو فى الحقيقـة يزيد فى مصيبته ، بل يعلم المصاب أن الجزع يشمت عدوه ، ويسوء صديقه ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويحبط أجره ، ويضعف نفسه ، أما إذا صبر واحتسب فإنه يخزى شيطانه ، ويرضى ربه ، ويسر صديقـه ، ويسىء عدوه ، ويحمل عن إخوانه ، ويعزيهم قبل أن يعزوه ، فهذا هو الكمال الدينى ، والثبات فى الأمر .

لقد أعطى القرآن الكريم قاعدة صلبة فى الفرق بين هاتين الفئتين منذ خمسة عشر قرنا ، ولسوف يستمر الحكم بموجبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فى كل موقف ، وضمن أى مؤثر ، يمر بالإنسان ، لأن الواقع النفسى للمصيبة واحد ، لكن الفارق فى المقبل والتحمل ، ذلك أن تعاليم الإسلام توطن النفس ، وتقوى العزيمة ، مما يزداد به المؤمن ثباتا ، والصابر احتسابا ، ذلك فى مثل هذا النص القرآنى الكريم : ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ (النساء ١٠٤) .

وإذا كان أبو عبد الله محمد بن محمد الحنبلى المنبجى المتوفى (عام ٧٨٥ هـ) قد ألف كتابا سماه : « تسلية أهل المصائب » الذى استعرض فيه دور المصائب فى تهذيب النفوس ، وتقوية الايمان ، حيث أوضح فيه المصيبة وحقيقتها ، وهل المصائب مكفرات أو مثيبات ، وقد جعله فى ثلاثين بابا ، فان سير كثير من رجالات أمة الاسلام منذ إشراق أنواره فى مكة المكرمة ، حتى يومنا هذا ذات أثر عميق فى الفهم ، ودلالة قوية على حسن التطبيق . وفى استقرائها عظة وعبرة ، وفى اقتفاء أثرها خير قدوة فى الفهم والإدراك .

وهذا لا ينفى حسن التوكل على الله ، ولكن من باب الامتثال للأمر بالصبر الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم أكثر من ستين مرة ، وحسن التطبيق لما جاء فى كتاب الله ، من أمر بالتحمل واحتساب للأجر ، وما تدعو إليه سنة المصطفى ﷺ من توجيه كريم لذلك .

وفى كتب الزهد ، ولدى القصاص والمذكرين ، يجد القارىء كثيرا من العبر التى تلين القلوب ، والحكايات والوقائع ما يقوى على التحمل .

إلا أن الأمكن من ذلك عند ما تأتى القصص الواقعية ، فى السير الذاتية

لبعض الأعلام ، الذين تبؤوا مكانة مرموقة فى العلم والفضل ، ووصلوا إلى منزلة اجتماعية رفيعة من الوعي والإدراك ، ثم لما نزلت بهم مصائب مما يحل بالانسان فى هذه الحياة ، أثبتوا تحملا نادراً ، وقدره لا مثيل لها ، كما روى عن أبي موسى الخولانى الزاهد المشهور ، وقصته مع الأسود العنسى الذى ادعى النبوة فى اليمن ، و حبيب بن زيد بن عاصم الـــذى قطع مسيلمة الكذاب أعضاءه وأجزاء جسمه قبل أن يقتله ، وغيرهما ممن أثبت صلابة فى الحق ، و جلداً فى تحمل المصيبة ، فداء للدين حتى لا يمس بسوء ، والمعقيدة حتى لا تخدش .

و ما ذلك إلا أن الايمان جوهر ثمين إذا تحلت به النفوس لا يسبر غورها ، و إذا ظهر عليها بانت نفاسته ، وامتحانه يظهر بالصبر ، كما أن الصائغ يختبر الذهب ، ليعرف جودته وقيمته .

والمرء فى هـــذه الحياة يحتسب الأجر بمقـــدار ما يتحمل ويرجو ، مهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عند ما مرض ، قيل له : أناتى لك بطبيب ؟ قال : لا . طبيبي هو الذى أمرضنى . لأنه و مثله من الصفوة الأولى عرفوا فلزموا ، و يعلم المصاب منهم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة ، أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به او بقى عليه ، و يكفيه من ذلك بيت الحمد الـــذى أخبر ﷺ أنه يبنى للصابر فى الجنة ، على حمده لربه ، واسترجاعه على مصيبته .

وإنما تعرضت فى حديث اليوم للمصيبة ووجوب تحملها ، لأن سمـــة الحياة الدنيا المصائب والأكدار ، وأن ترويض النفوس يكون موضع منهج معين تسير فيه ، و قاعدة ثابتة تنطلق منها ، وأن المؤمن يجب أن يتحلى بالصبر فى كل موقف ليحظى بالأجر ، و تهون مصيبته على نفسه .

وقد عرف فى حياة كثير من رجال الإسلام تحملا نادرا للمصائب لاحبا فى شهرة ، أو رغبة فى سمعة ، ولكن امتثالا لأمر جاءت به تعاليم دينهم ، وطمعاً فى جزاء وعدوا به فى شريعتهم .

فمن أولئك إمام التابعين عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، حيث أصابته الآكلة فى رجله وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك . فوافق على ذلك ، ولما دعى الجزار ليقطعها قال له نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألما ؟ فقال : لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافيته . قالوا له : اذاً نسقيك المرقد ؟ قال : ما أحب أن أسلب عضوا من أعضائى وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه . قيل : ثم دخل عليه أقوام أنكرهم . فقال ما هؤلاء . قالوا يمسكونك فإن الألم ربما عزب معه الصبر قال : أرجو أن اكفيكم . فقطعت وهو يهلل ويكبر فى مجلس الوليد ، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قطعت ، حتى كويت فوجد رائحة الكي ، كما روى ذلك ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمته لعروة .

وبلغ من تحمله وصبره رحمه الله أن القاطع . قطع كعبه بالسكين ، حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المنشار ، فقطعت وهو مستمر فى تهليله وتكبيره ، ثم إنه أغلى له الزيت فى مغارف الحديد لحسم به ، فغشى عليه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القوم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال : أما والذى حملنى عليك ، إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام ، أو قال معصية .

ومع هذا فلم تكن هذه هى المصيبة الوحيدة التى جاءته فى سفره هذا ، فقد جاءته أخرى شديدة الوطء على رجل كبير السن مثله ، فصبر واحتمل ، ذلك أن

ابنه محمدا دخل اصطبل الوليد بن عبد الملك، فضربته دابة فخر ميتا، فحمد الله على ذلك، ولم يسمع فى ذلك منه شىء حتى قدم المدينة، فقال: اللهم انه كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً، وأبقيت ثلاثة، فلك الحمد، وأيم الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن أبتليت لطالما عافيت.

إنه موقف مؤثر، وحديث معبر فى قصة عروة، وأشباه عروة من العارفين المطبقين يلمس منها المرء عظة وذكرى، وفى ثنايا ذلك درس عملى لمن يريد أن يتأسى، وتقوى عزيمته. إذ من مثل هذه المواقف تؤخذ العبر، ومن استجلاء السير تقوى النفوس كما يقول الشاعر العربى:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

وبعد أن مرت حادثة عروة السالفة، تأثر بها الوليد بن عبد الملك، وظن أنه يندر فى الناس من يتحمل مثلما تحمل عروة، لعظم المصيبة، وقدرته على الثبات أمامها، ولم تمض إلا أيام حتى قدم عليه قوم من بنى عبس، وفيهم رجل ضرير فسأله الوليد: عن عينيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، بت ليلة فى بطن واد، ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لى من أهل وولد ومال غير بعير وصبى مولود.

وكان البعير صعباً فند، فوضعت الصبى، واتبعت البعير، فلم أجاوز إلا قليلا حتى سمعت صيحة ابنى، ورأسه فى فم الذئب وهو يأكله. فلحقت البعير لأحبسه، فنفحنى برجله على وجهى فحطمه، وذهب بعينىّ، فأصبحت لا مال لى ولا أهل ولا ولد ولا بصر. وأنا أحمد الله على ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة بن الزبير، ليعلم أن فى الناس من هو أعظم منه بلاء.

وما ذاك إلا أن النظر فى حال من ابتلى بمثل هـذا مما يهون المصيبة ، ويوطن النفس على التحمل إذ لعل مما يسلى المصاب عن الذى حل بـه ، أن يهون مصابها بما هو أكبر منها ، وأن يشعر نفسه بأنها جاءت من عنـد الله ، وأنها بقضائه وقدرته سبحانه ، كما يجب أن يدرك كل شخص أن المصائب يسوقها الله ابتلاء ليمتحن بها الصبر والرضاء ، وقوة الايمـان ، وهل يجزع ويشكو إلى غيره ، أم يسلم أمره لخـالقه ويدعوه ويبتهل إليـه ، فالله جل وعلا يبتلى البشر بالخير و الشر : فتنـة لهم و امتحانا لقدرتهم . فمن صبر و رضى ، فلـه الجزاء الاوفى ، ومن سخط وجزع فعليـه السخط والاثم ، و لا يدفع عنـه مما هو مكتوب شيئا .

انها دروس يجب أن تدرك ، و نماذج يجب أن تحتذى ، ومنهج قويم فيه سلامة النفس و فوزها لمن أدرك ووعى ، فكما أن الرياضى يتمرن زمنـا عله يفوز فى ميدانه ، فكذلك النفوس يجب أن ينمى فيهـا حب العمل وفق منهج تعليم الاسلام لتأخذ ذلك طبعا وسجية ، ولتسير عنه بعقيدة وعادة ، لأنها تسير فى أمورهـا كلها وفق ما تعودته . وتعمل جاهدة وفق مـا رسم لها من البداية لأن المصائب من أكدار الدنيا و لا يخفف وطأتها إلا الصبر الذى يوفى الله أجره بغير حساب ؟ .

الشريعة الإسلامية شريعة دائمة خالدة

****

الأستاذ السيد جلال الدين العمرى
تعريب : محمد رضى الإسلام الندوى

++++++++++++++++++++++++

يظن بعض الناس ، ويقدم هذا الظن من مختلف الأوساط بأساليب متنوعة شتى أن الشريعة الإسلامية نزلت فى وقت خاص ، وبيئة خاصة ، ولم يبق الآن ذلك العهد ، ولا تلك الأوضاع ، بل نعيش فى عهد جديد ، وأوضاع جديدة ، فلا يمكن لنا أن نتبع الشريعة ونعمل بها حسب ما نزلت ، ولا تستطيع الشريعة أن تساير مقتضيات العصر الحديث ، ولا تستطيع الأمة المسلمة أن تخرج من ورطة الانحطاط الجارى إن لم يجر فيها إصلاح أو تعديل ملائم بها ، ومن الناس من لا يجهر بهذا القول ، ولكن يبدو مضطرباً ومتململا كتململ السليم فى ما تهوى به نفسه ، وهو أن يجعل الشريعة الإسلامية متجانسة للعصر الحديث كيفما اتفق له ، لئلا يستحيى هو والذين ينادون باسم الشريعة ، على عدم اتزانها ، ولذلك لا يترددون شيئاً فى بيان أو شرح لا شريعة ، لا يلائم واللغة والأسلوب ، وشروح الشريعة الموثوق بها وتعامل الأمة ،

هذه الأفكار لا تختص بقضية للشريعة دون أخرى ، بل يتسع ويشمل مجالها شمول الشريعة الإلهية وتوسعها ، فمنهم من يرى النقيصة فى نظام العبادات للإسلام ، ومنهم من يريد تغيير نظامه الاجتماعى . ومنهم من يحس حاجة رتق الثلمة التى يراها فى حضارته وثقافته ، ومنهم من يشير على المسلمين بالترقيع فى تعاليمه الاقتصادية ، ومنهم من يود إزالة الهمجية والوحشية من حدوده وتعزيراته ،

فإذا جمعنا هذه الأفكار بنسق خاص تمثلت صورة مدهشة مروعة للإسلام يتنفر منها الرجل، ويفر منه، بدلا من أن يحبها ويشتاق إليها، بل و يشك فى أن هذه الشريعة نزلت من عند الله أم لا ؟

وإن ظهرت هذه الأفكار من قبل معاند أو معارض للإسلام، أمكن أن يحاول فى اقناعه مغزى الشريعة، ومثل هذه المساعى لاتزال تظهر فى درجة ما إذا مست الحاجة — ولكن الأسف أن مثل هذه الأفكار تظهر بين فئة أخرى من قبل الذين يعرضون أنفسهم كمعتنقين للإسلام ومحبيه مع ان الرجل الذى يؤمن بأن الشريعة ليست من وضع أحد من الناس، بل أنزلها الله سبحانه وشرحها رسوله من قبله، لا يمكنه أن يعبر عن مثل هذه الأفكار.

أعلن الله سبحانه فى كلمات صريحة واضحة بمناسبة حجة الوداع (أى قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر) :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ (المائدة — ٣).

إن كلمة الدين فى هذه الآية تشمل الشريعة، بل إن هذه الآية نزلت من سياق بعض الأحكام الشرعية، وبذلك تشير الآية إلى أن الشريعة أصبحت كاملة من كل ناحية، فلا تنزل بعدها شريعة جديدة، ولا يكون فيها حذف أو زيادة، ولا تعديل أو تنسيخ إلى يوم القيامة. وكذلك هذه الآية نصت على ختم النبوة، لأن الشريعة لا يقع فيها التغيير — صغيرا كان أو كبيرا إلا بواسطة الأنبياء فحينما نزلت شريعة دائمة فلا حاجة إلى رسول جديد، ولا يعنى أى حذف أو زيادة فى الشريعة إذا قام بها رجل الايمان بدعوى النبي عن ختم النبوة فحسب بل يكون ذلك مترادفا لايصال نفسه إلى درجة النبوة.

أقدم هنا موجز ما فسر به الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه الآية تفسيراً جيداً .

هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ولا كذب فيه ولا حذف .

وقال ابن عباس . هو الإسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان . فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً . وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا (تفسير ابن كثير المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الجزء الثاني ص ١٢) .

والحقيقة أن الذي يؤمن بتعاليم الله ورسوله لا يتصور حذفاً أو زيادة أو نقصانا في الدين فان تكميل الدين ، وختم النبوة أنهى هذا الاحتمال عنده إلى يوم القيامة .

من أهم أهداف الشريعة تحديد الحرام والحلال من الله سبحانه ، فقد أحل الله جل وعلا للانسان الطيبات من الأشياء التي تحبها الفطرة السليمة ، وتنفع الصحة البدنية والأخلاق ، والروح ، وكذلك حرم الخبائث من الأشياء التي تأباه فطرته ، وتلقى على صحته وخلقه أثرا سيئا ، ولذلك بين الله سبحانه وصفا من أوصاف رسوله ﷺ :

﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف — ١٥٧)

حرمت الرهبانية الطيبات ، فقرر الاسلام ذلك طريقا غير ديني وقال :

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ،

إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف . ٣٢ — ٣٣) وقال :

﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ (الأنعام — ١٢٠) .

وبالاضافة إلى ذلك أشار إلى أنه لا يستحق أحداً أن يحكم فى شىء بالحلة أو الحرمة إلى الله، حيث قال :

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ (النحل : ١١٦ — ١١٧)

قال الحافظ ابن كثير :

« ويدخل فى هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعى، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله لمجرد رأيه وتشهيه » (تفسير ابن كثير الجزء الثانى ص ٥٩٠)

فاذا لم يحق لأحد أن يحكم بالحلة، أو الحرمة فى شىء إلا الله، وأنه قد فصل للناس ما حرم عليهم فلا مجال لحذف أو زيادة فى الشريعة (لا يدخل فى هذا البحث الاجتهاد الذى يكون فى ضوء أحكام الشريعة من الحلال والحرام لأنه يكون تابعا لها) .

تدبروا فى هذه القضية من ناحية أخرى، فقد عبر القرآن الكريم أحكام الشريعة بحدود الله فى مواضع عديدة، قال بعد سرد أحكام الصيام :

﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ (البقرة — ١٨٧) .

وقال وهو يبين أحكام الطلاق : ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ (البقرة ٢٢٩ — ٢٣٠) .

وقال فى موضع آخر بصدد أحكام الطلاق :

﴿وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ (الطلاق . ١)

وبشر بالجنة على طاعة الله ورسوله . ورعاية حدوده وأوعد بالنار على عصيانه وتعدى حدوده ، فقال بعد ذكر أحكام الارث والوصية .

﴿تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله ، يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ (النساء : ١٣ — ١٤)

فهل يجترأ مسلم أن يتخطى الحدود التى أقامها الله سبحانه فى مختلف شئون الحياة . وأكد على الالتزام بها ، ونهى عن تعديها ، وعصيانها بشدة أو يستبيحها . أو يشير على أحد بأن يتعداها ، قال القرآن فى المشركين العرب : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ (يونس — ١٥) فالذين يريدون تغييرا فى دين الله وشريعته ، لا تختلف فكرتهم عن فكرتهم تلك ، رد القرآن الكريم على طالب المشركين هذا انه لا يستطيع أحد حتى النبي أن يغير شيئا من دين الله لأن ذلك مما أنزله الله سبحانه عليه .

﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ (يونس — ١٥)

فهل يمكن بعد ذلك أن يطالب مسلم يؤمن بالله ورسوله بالتغيير فى الشريعة الاسلامية ؟ ؟

++++++++++++++

نبذة تعريفية عن الجماعة السلفية التركية

◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇●◇

أمير الجماعة الشيخ
محمد أبو سعيد اليربوزى
++++++++++++++

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد :

أود أن أعرف إخوانى السلفيين فى العالم الاسلامى بجماعتنا ببلجيكا مع بيان نشأتها وتطورها ونشاطاتها كى يتم الترابط والمعرفة بيننا وبين اخواننا ، ولذلك بدأت فى هذا الأمر سائلا الله عز وجل لى الاخلاص فى قولى وعملى وأذكر ذلك كما يلى :

بدأت هذه الدعوة فى بلجيكا قبل عشر سنوات بالأتراك إلا أن هذه فى البداية كانت صعبة جدا أولا مع عدم امكانياتنا ، وثانيا لما فى الأتراك من تعصب وجهالة وتقليد أعمى لمذهبهم عقيدة وعملا وذاك الوقت لم يكن لنا مسجد ولا مكان للاجتماع وإنما كنا ندور فى مساجد الأتراك والمغاربة وبيوت الناس والمقاهى والحدائق والشوارع كى نلتقى مع أحد منهم لتبليغه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأحيانا نناقش المسائل بالأدلة مع أئمتهم وإن طلبوا

منا أن تكون بيننا وبينهم مناظرة أمام جماعتهم نستجب لذلك وأحيانـا نختار بعض المسائل المهمـة فى العقيدة أو العبادة نكتبها ثم نوزعها بين الأتراك فى الشوارع ، وبذلك يأخذ كل شخص وصلت اليه دعوتنا فكرة بجملة عن منهجنا فى الاعتقاد والعمل وبالطبع تكون الدعوة على حسب مستوى الناس ، ولله الحمد بدأ يزداد عددنا من الشباب والكبار ولا نخاف فى ذلك لومة لائم أو ضرب ضارب أو شتم شاتم أو شكوى شاك ، وللأسف حصل كل ما ذكرنا من أنواع الأذى والطعن والسب والاستهزاء ، وأحيانا الضرب وإلى غير ذلك من أساليب التهديد وإنما اشكو بثنا وحزننا إلى الله ونحتسب عند الله تعالى . ولكن ما نتيجة ذلك ؟

— أسسنا دار القرآن والحديث و هى معترف من جهة الحكومة البلجيكية مع مسجدنا فى مدينة نامور .

— زاد عددنا إلى أكثر من خمسين عائلة .

— فتحنا مسجداً فى أيزو قرب مدينة شارلروا للإخوان هناك .

— أرسلنا بعض الطلبة لدراسة العلوم الدينية إلى الخارج . وإن كان عددهم قليلا جدا . إثنان إلى اليمن و إثنان إلى باكستان وإثنان إلى المملكة العربيـة السعودية .

— طبعنا بعض الرسائل باللغة التركية عن طريق الآلة الكاتبـة و التصوير مثل صفة صلاة النبي ﷺ وحكم تارك الصلاه ، ورسالة العلو ، نوزعها ونرسلها إلى عناوين بتركيـا على حسب طلبهم . وبلغ عدد العناوين التى وصلتنا من المسلمين أكثر من مائة . ولنا رسائل أخرى جهزة للطبع .

— ولنا دروس : مرتان فى الأسبوع لتعليم الإخوان اللغة العربية وحرة

فى الحديث : قراءة شرح سنن أبي داود ، ومرة فى العقيدة من تيسير العزيز الحميد ومرة للنساء من مواضع المختلفة .

ـ ولنا بعض الإخوان فى تركية ينشرون هذه الدعوة وإن كان فى نطاق ضيق .

ـ ولنا علاقة وارتباط مع المغاربة من الإخوان السلفيين

ـ وقبل ذلك فتحنا مسجداً معهم فى العاصمة ثم انتقلنا إلى مدينة نامور مع تأسيسنا هذه الدار وفتح المسجد هناك

آمالنــا :

١ ـ تأسيس مركز الدعوة وهذا المركز يكون مقر الدعوة لأوروبــا كلها إن شاء الله .

٢ ـ إصدار مجلة شهرية باللغة التركية هادفــة داعية إلى منهج السلف عقيدة وعملا وتعطى فكرة عن الجماعة وعملها ودعوتها .

٣ ـ إرسال بعض الطلاب لطلب العلم إلى جامعات المملكة العربية السعودية ـ السودان ـ باكستان

٤ ـ فتح مكتبة لعامة الإخوان تسد الحاجة من الناحية العلمية والثقافية .

٥ ـ نشر هذه الدعوة فى تركيا بنطاق واسع .

أهدافنــا :

١ ـ إحياء حركة العودة إلى الكتاب والسنة فى ضوء ما كان عليه سلفنا الصالح .

٢ ـ إزالة الشرك والبدع والخرافات من عقول الناس مع اختلاف مظاهرها .

٣ ـ السعى لإقامة مجتمع اسلامى يطبق حكم الله وشريعته فى الأرض .

حاجاتنا :

١ — مساعدات مالية فى سبيل الدعوة سواء لطبع الرسائل أو فتح مسجد أو مصاريف المساجد الموجودة حاليا .

٢ — كتب كراجع للبحث عن المسائل وكتب فكرية موجهة للسلمين لمصالحهم .

٣ — مدرس داع إلى دار القرآن والحديث لتعليم الاخوان وتوجيههم إلى ما ينفعهم من العلم الصحيح .

هذا ما أردت أن أفيدكم راجيا مساعدتكم لنا بما ذكرنا والله من وراء القصد وجزاكم الله خير الجزاء ؟ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

◇●◇

الانسان فى الاسلام

إن « الانسان » فى التصور الاسلامى هو هذا « الانسان » الذى نعهده . هذا الانسان بقوته وضعفه . بنوازعه وأشواقه . بلحمه ودمه وأعصابه ، بجسمه وعقله وروحه . أنه ليس الانسان كما يريده خيال جامع ، أو كما يتمناه حلم سابح مع الرؤى والأشباح ؟ وليس الانسان الذى يصوغه ذهن تجريدى . ويؤلفه من عدة قضايا ذهنية من قضايا المنطق الشكلى ! كما أنه ليس الانسان للذى يضعه المنطاق الوضعى فى أسفل سافلين ويجعله مخلوقا من مخلوقات هذه « المادة » الصماء ! أو من مخلوقات « الاقتصاد » .

إلى أبناء الأمة الإسلامية

اعداد : أبو القاسم عبد العظيم
أستاذ العلوم العربية والدراسات الإسلامية
بالجامعة العالية العربية ، الهند

++++++++++++++++++++

هذه كلماتي إليكم أيها المسلمون ، وهذه رسالتي إليك أيتها الأمة الإسلامية وإنها إليك — والله — لمن عين دامعة وقلب حزين ، في ساعة ليلي فيها أرق ونهاري قلق ، قلبي يخفق وأحشائي تصطفق ، كبدي ترجف ودمعي يكف .

إليك يا أمة الإسلام أكتب وأنا صبور على اللأواء التي تحظى بها الأمة الإسلامية وماصبت عليها من المصائب والآلام . وخصيصا في هذه الآونة الأخيرة . من اليهود والنصارى والمشركين ، ومن أنصارهم وأعوانهم من أهل الرفض والتشيع والباطنيين .

أرفع إليك رسالتي أيتها الأمة لتنهضي بواجبك ، وتمسح النوم والكرى من أجفانك ، وتقومي بمسئولياتك تجاه الظلم والبغي والعدوان التي أضرمت البلاد ، وأشعلت النواحي ، أسعرت الصقع ، ورجاء أن يصل صوتي هذا إلى أذن واعية تنصت له وتعيه ، ويصيخ له ويصغي إليه — بتوفيق من الله العزيز الجبار المنتقم .

أمة الإسلام! إن ما امتدت به الأيدى الآثمة إلى حرم الله فى مكة المكرمة فى موسم حج العام المنصرم سنة ١٤٠٧ هـ من انتهاك حرمات البيت العتيق، وإثارة الفتنة فيه وإخافة السبيل، وهتك الحريم، وانتهاك المحارم، وارتكاب العظائم. واقتراف المآثم، وقتل الحجاج الأبرياء، والزائرين الأصفياء، والمعتمرين الأتقياء، وسكان البلد الأمين، ومواطنى أرض حصين، سبلها آمنة، ودهماءها ساكنة، وناحيتها هاوئة، وأمورها على المحبة جارية، وأحوالها منتظمة، ومغانيها محروسة، ومنازلها مأنوسة، من قبل الغوغائيين العشوائيين الإيرانيين.

وكذا ما تمتد به الأيدى الآثمة إلى حرم الله فى القدس الشريف. القبلة الأولى للمسلمين. فى حين وآخر من إحراق وتدمير للمسجد الأقصى المبارك، ومنع أداء الصلاة فيه، ومن إبادة إخواننا الفلسطين وتشتيتهم وتشريدهم، وتعذيبهم وقتلهم، وحبسهم وأسرهم، ونهب أموالهم وأعراضهم، وتخريب مصانعهم ومحلاتهم، وهدم بيوتهم ومخيماتهم، وإبدال أمنهم بالخوف والزعر من قبل الأمة المغضوبة والضالة، من النصارى واليهود والصهاينة الذين هم ليسوا إلا كسباع عادية، وذئاب ضارية، وكلاب عاوية إنها لجريمة نكراء، وقرمطة سوداء، وضلالة دهماء فى التاريخ.

والله إنها لجريمة حرام محرمة فى الشرائع والأديان، محرمة فى التوراة الانجيل والفرقان. ولا يحل فعلها، ولا يسع إيتانها، ولا يرخص فيها، ولا يباح شئ فيها، ولا يسوغ الخوض فيها ولا يرتضى الشروع فى فعلها، وقد حرمها الله، وحظرها رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

جريمة نهى عنها كتب السماء، حمتها سنن الأنبياء، وكرهتها قلوب الأبرار،

واستنكرتها عقول الأطهار ، ومنعت منها النحل ، وحجرت دونها الملل ، وحجزتها الشرائع وكرهتها الطبائع

. جريمـــة نزل بتحريمها القرآن ، و نطق بإبطالها الفرقان ، وصدع بتحريمها آيات الكتاب ومحكم التنزيل ، و إنها — والله — لجريمـــة لا رخصة فيهـــا ولا تأويل

فكل من قام بهذه الأعمال المستنكرة ، أو حماها ، أو يحميها ، من الأشرار . ومن له أياد سوءآى تشعة فى إرتكابها والقيام بها من الدعار . كسر الله أنيابهم ، وحصد شوكتهم ، وقام منهم أظفارهم ، وصب عليهم سوط عذابه ، وسكب لهم باس عقابـه ، وشن عليهم مشاغب أصلامه ، وأذاقهم حرارة بطشـــه ، ومرارة بأسه ، إنه أشد بأسا وأشد تنكيلا .

أمة الاسلام ! !

قم بواجبك نحو الجهـاد ، ووطن عليه نفسك ، وأكثر شوكة الأعـداء . وقرر عليه أمرك . وابطش أيدى الظالمين ، واستحكم فيـه طمعك ، وكن رابط الجأش شديد البأس ، واصبر على الرزية ، واشكر العطيـــة . ولا تعرض أجرك للإحبـاط ولا تتعرض من ربك للإسخاط . فما جاءت رزيـة إلا أفادت ذخرا ، ولا بلاء الا أفاد صبرا .

والسلام

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد الأول — ربيع الأول ، ربيع الآخر ١٤٠٩هـ

العدد التاسع و العاشر — نوفمبر و ديسمبر ١٩٨٨م

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى { فى الهند ٤٢ روبية ، فى الخارج ٢٠ دولارا (بالبريدالجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات }

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكرى، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

دع الأخبار تتكلم

د . مقتدى ياسين الأزهري

« الصحف اليومية مرآة لأحوال الشعوب والبلدان ، انها تعرض ما دق وجل من الأخبار والأحوال. وتعبر عن الاتجاهات والميول التى تحملها طبقات المجتمع المختلفة . والمتتبع لأخبار هذه الصحف يمكنه استنباط كثير من الأمور التى تكمن بين طيات الأخبار ، و يتيسر له الاطلاع على الوجهة التى يتجه إليها المجتمع فى مجالات الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد والأخلاق والسلوك و هذه الصحف بمثابة المادة الخامة التى يتكون منها التاريخ الذى يصير مرجعا لمعرفة أحوال الأمم بعد مضى القرون والأحقاب

ومنزلة هذه الصحف فى نقل الأخبار تختلف حسب اختلاف اتجاهات القائمين عليها ، فبعضها تلتزم بالصدق و تحاول التأكد من صحة الأخبار قبل نشرها ، والبعض الآخر تعرض الأخبار دون تمييز بين الصحيح والسقيم. ونظرا إلى مستواها العام فانها لا تبلغ درجة الاستناد والاعتبار، ولكن مع ذلك لا سبيل إلى تكذيب جميع ما يرد فيها ، وخاصة اذا لم يتعلق به غرض مشبوه .

وانى فى هذه الافتتاحية أحببت أن أعرض على القراء الكرام بعض قصاصات الصحف اليومية التى احتفظت بها للدلالة على أن حاجة البشرية إلى دين صحيح خالد لن تنتهى أبدا . وأن أمور الانسان لن تستقيم إلا إذا تمسك بالقيم الخلقية والهداية الربانية وبعد عرض كل خبر قمت بتعليق وجيز عليه حتى يتبين الغرض الذى عرضت الخبر لأجله . »

خبر : ٦٢ ٪ من الشعب الأمريكى يعتقد بأن الدين يستطيع أن يقدم حلولا لجميع مشكلات العالم أو أغلبها .
والدراسة التى اجريت بهذا الصدد قد كشفت بأن نحو عشرين فى المائة من الشعب يخالف الرأى المذكور ويرى أن الدين قد صار باليا فى هذا العصر ولم يبق فيه غناء . و١٨٪ من الشعب لم يبد رأيا فى الموضوع . (جريدة قومى آوار بلكنو ، عدد ٢٢/يناير ١٩٧٥ م)

تعليق يقال عن العصر الحديث الذى نعيش فيه أنه عصر البحث والتحقيق ، وعصر الدراسة والاحصائية ، وعصر الموضوعية والاكاديمية ، وشئون الإنسان كلها تخضع فيه لهذه الاحصائية والموضوعية ، ولا يصل فيه أمر إلى درجة الاعتبار والاستناد إلا إذا جاء وفق النتائج التى وصلت إليها الدراسة المعاصرة . والانسان باغتراره بهذا المنهج الدراسى والموضوعى قد حاول إخضاع الدين له أيضاً ، وظن أن الضرورة إلى التوجيه الربانى لا تثبت إلا إذا صدقتها دراسة ووافقت عليها احصائية . ولعل الدافع إلى الاحصائية التى أوردها الخبر يكون شبيها بما ذكرنا !

هذا هو موقف الاكاديميين والاحصائيين من الدين ، يريدون استطلاع آراء الناس واستبيان مرئياتهم نحو الهداية الربانية ، ثم يثبتون النتائج سلبية أو إيجابية ونحن نستحسن إجراء احصائية أخرى بجانب الاحصائية المذكورة ، وذلك لحصر المواقف والآراء الانسانية التى أصر عليها الانسان معرضا عن الهداية الربانية ، وعن النتائج السيئة التى ترتبت على هذا الاعراض ، حتى يتبين للناس أن الانسان مهما تقدم فى العلوم والتكنالوجيا فانه لن يستغنى عن الهداية الالهية . ولن يستقيم أمره إلا بالايمان بالله والعودة إلى التوجيهات التى أنزلها رب العالمين .

وهناك أمر آخر يجب أن يتنبه له أصحاب الدراسات والاحصائيات ، وهو أن الذين يؤمنون بالدين ويختارون المنهج الربانى للحياة يفعلون ذلك باقتناع منهم وبتوفيق من الله تعالى ، لا باتباع الدراسات والاحصائيات . انهم يؤمنون بأن الدين هو الطريق الوحيد لتحقيق سعادة الدارين وللخلاص من الخزى والهلاك انهم لا يرون الحاجة ماسة إلى تصديق الدين بمواقف الناس منه ، بل الدين هو الذى يصدق المواقف ويهيمن عليها ، وهذا هو ما يحكى تاريخ موقف البشرية من الدين ، فان المجتمع البشرى فى بعض العصور وقف موقف الاعراض والتنكر من الدين ، والأغلبية لم تؤمن بهداية الله تعالى ولم تخضع للمنهج الربانى ، بل كفرت بالله وبالرسل وبما جاؤا به من التوجيهات والشرائع . ولكن لم ينقص هذا الموقف من أهمية الدين وضرورته ، ولم يقل أحد من أصحاب العقول السليمة بأن يأتى يوم يستغنى فيه مجتمع من المجتمعات عن الهداية الربانية .

وبعد هذا وذاك لابد أن يفكر الانسان بروية واعتبار فى الآثار التى ترتبت على إعراضه عن الهداية الربانية وتوجيهات الدين ، حتى يسهل عليه اختيار الطريق الأسلم ، والتوفيق من الله

++++++++++

خبر : رئيس المجلس الاقليمى لولاية أوترا براديش أوقف اجراءات المجلس لمدة غير محددة .

وذلك نظراً إلى حالة العنف التى تعرض لها المجلس ، فقد اشتد غضب الأعضاء وكثرت الهتافات من البعض ضد البعض ، وفى جو من التوتر والتهييج اشتبك الأعضاء فيما بينهم وجعل الواحد يدفع الآخر .

وقد نتج هذا الوضع حينما طالب أحد أعضاء حزب جن سنغ من الحكومة إلغاء القانون الخاص بالدفاع عن الهند والقضاء على الأشرار، لأن الحكومة — كما قال العضو المذكور — قد أساءت فى استخدام هذا القانون موجهته ضد الطلاب ومن يقودون الحركات السياسية. (جريدة قومى آواز بلكنو، عدد ١٨/ديسمبر ١٩٧٤م).

تعليق. إن أعضاء البرلمان المركزى والمجلس الاقليمى ينتخبون من قبل الشعب على فرض أنهم على المستوى المطلوب من الثقافة والسلوك والذوق والأدب، وأنهم يبذلون جهودهم لتحقيق مصالح الشعب، ويسنون القوانين لرفع مستوى الرعية فى مجال العلم والعمل.

ولكن الوضع الذى يحكيه الخبر المذكور عن أعضاء المجلس الاقليمى يحمل على التأسف، فالذين تعقد بهم الآمال فى رفع مستوى الشعب فى مجال العلم والعمل هم الذين يقدمون للناس نموذجا للجدال والخناق وعدم الصبر والتضجر. غريب جدا أن يصل الأمر فى مجلس النواب هذا الحد، ويضطر المحافظون على النظام إلى إخراج بعض الأعضاء بإكراه.

إن نظام الانتخاب يمنح كل فرد حرية واسعة للترشيح فى الانتخاب، وأنه لا يقيد المرشحين بقيود، ولا يضع عليهم شروطا، ولا يحدد لهم مستوى معينا، ومن هنا نرى أن الأشخاص غير الأكفاء يرشحون أنفسهم فى الانتخاب، طمعا فى المكانة الاجتماعية وإحرازا للفوائد المادية. والشعب لم يبلغ بعد المستوى المطلوب فى التفكير حتى يفكر فيمن يستحق مثل هذه المناصب، وما هى الشروط التى يجب توفرها فى أعضاء البرلمان والمجلس الاقليمى. وهكذا يتم انتخاب الأشخاص الذين لا يدركون أهمية المناصب النيابية، ولا يراعون للمجلس حرمته

وآدابه ، بل ينزلون فى السلوك والتعامل مع الآخرين إلى حد أسفل ، ويتهورون ويندفعون دون مبالاة ، حتى يبدو أنهم فى حاجة إلى قانون التأديب قبل أن يشرعوا القوانين الآخرين .

وبعد الاطلاع على الحالة المذكورة فى الخبر يدرك الانسان مغزى توجيه الإسلام وموقفه من توزيع المناصب السياسية بين الناس . إنه يرى أن تحمل المسئولية السياسية لا يتم بالأمنية والرغبة ، بل بالكفاءة وادراك المسئولية ، وأن المناصب السياسية لا تسند إلى الذين يطلبونها ويرغبون فيها ، بل يختار لها رجال يتمتعون بالمواهب العالية ويستطيعون توجيه الشعب بالقول وبالعمل ، ويترفعون عن الأعمال الدنيئة والمواقف المخزية .

++++++++++

خبر : أعم الأمراض بعد الزكام

جنيف : أعلنت منظمة الصحة العالمية أن حبوب منع الحمل أتاحت للشباب حرية جنسية أوسع من قبل ، وهذا أحد أسباب ازدياد الأمراض الجنسية الخبيثة فى العالم .

وقال الدكتور رولف هندرسن مدير ادارة مكافحة الأمراض الجنسية فى المنظمة : ان نحو مليونين ونصف مليون من سكان أمريكا مصابون بمرض التهاب المجرى التناسلي وليس هناك مرض أوسع انتشارا منه بعد الزكام .

انه كان يتحدث إلى مؤتمر صحفى بعد انتهاء مؤتمر الأمراض المنتشرة بالوسائل الجنسية الذى حضره الخبراء من نحو ٢٥ دولة .

ان مرض التهاب المجرى التناسلي بدأ يزداد بسرعة فى دول أمريكا وأوربا الغربية والدول المتقدمة الأخرى منذ (عام ١٩٦٨ م) ، ولايزال يزداد بنسبة

١٠٪ كل عام ، ومن أسباب ذلك حياة الاغتراب والسياحة وتوسع المدن الحرية الجنسية (جريدة قومى آواز بلكنؤ ، عدد ١٩/نوفمبر ١٩٧٤ م) .

تعليق : هذه الاحصائية توضح مدى خطورة الأمراض الجنسية وتوسع انتشارها فى المجتمع الغربى ، وكيف أنها تهدد المجتمع وتقضى على القيم الخلقية حياة العفة والطهارة .

ويفيد الخبر أن هناك جهودا تبذل فى سبيل مكافحة هذه الأمراض وانقاذ المجتمع من غوائلها من قبل بعض المنظمات المحلية والعالمية . ولكن هناك ناحية مهمة يهملها الخبراء باستمرار ، ولذا لا تنجح الجهود التى تبذل فى مكافحة مثل هذه الأمراض ، وهى ناحية الأهمية بالقيم الخلقية وضرورة العناية بها لحماية المجتمع وتوجيهه إلى الوجهة السليمة . ثم الايمان بسمو الحياة الروحية ووجوب تغليبها على الناحية المادية .

وذلك أن الغربيين قد غرتهم الحياة الدنيا ، وتمكن منهم الشيطان ، وسيطرت عليهم الأهواء ، وجمحت بهم الشهوات ، حتى لم يتقيدوا بمبادىء النصرانية المحرفة التى يتعصبون لها ويحاولون نشرها فى العالم ، ان هذه النصرانية ليست علاجا لأمراضهم ولا حلا لمشكلاتهم ، ولكنها خير نسبيا من حياة الانحلال الخلقى والفوضى الجنسية .

ان أهل الغرب نشطوا وتوسعوا كثيرا فى توجيه المطاعن إلى الاسلام الذى امتاز بعنايته بالناحية الخلقية وتزكية النفوس من الأرجاس والأدناس ، ونجح فى تأسيس المجتمع على أساس الفضائل والمثل .

ان العصبية الدينية أدتهم إلى كره هذا الدين الحق ، والشيطان أغواهم فى محاربة الفضائل وإيثار الحياة المادية ، فوقفوا موقف العداء والعناد من

الهداية الربانية والمبادىء السامية التى جاء بها الإسلام مع أنهم كانوا فى أمس الحاجة إليها .

نظام الأسرة منهار فى المجتمع الغربى ، والجيل الناشىء هائم محتار لايعرف أين يتوجه وكيف يتخلص من القلق والاضطراب النفسى . انه يبحث عن السكون النفسى بتعاطى المخدرات ومواصلة الأسفار و إهمال المبادىء الخلقيـة واختيار حياة التحرر والانحلال

ولكن الأدواء لا تعالج الأدواء ، والظلمات لا تأتى بالأنوار ، والسراب لا يقضى على العطش . ان الغرب — وكـذا كل مجتمع فاسد منحل — يكمن علاجه فى تعاليم الإسلام ، وتصلح حالته بالعودة إلى الهداية الربانية ، وتستقيم أوضاعه بالتخلى عن العصبية وبالنظر إلى الواقع الأليم بعين الاعتبار والاتعاظ .

ان الحضارة الغربية عُرفت منذ بدايتها بإهمالها القيم الخلقية وباقبالها على اللذائذ والماديات وبإيثارها اتباع الهوى والانحراف على حياة الالتزام والرزانة . ونظرا إلى اتجاهها هذا كان العلماء والمصلحون قد تنبأوا بانهيارها انهيار البنيان القائم على غير أساس ، وباضرارها بالمجتمع البشرى أكثر من نفعها ، وبدفعها الانسان المعاصر إلى حياة القلق والاضطراب والبؤس والندم .

ومـا يحمل على الاستغراب والتأسف أن الغربيين يشاهدون آثار تلك الحضارة الكافرة ويذوقون ثمارها المرة ، ويتململون بمخلفاتها الكريهة ، ومع ذلك لا يفيقون من سباتهم ، ولا يرجعون إلى رشدهم . ان التقارير تصور لهم واقعهم الأليم ، وتحـذيرات الاجتماعيين تهددهم بالمصير المخزى ، ولكن النفوس تتعلل بالأمانى ، وتتنكر للفضائل ، وتؤثر الحياة العاجلة على الحيـاة الآخرة وهكذا حال الانسان ، يتمادى فى العصيان . وينسى مكانته بين العالم ، ومسئوليته أمام الخالق ، وحاجته إلى الرشد والسداد . وهنا تتحكم فيه الأهواء وتقذف به وسط

بحر المتلاطم من المعاصى والآثام . ان داء الايدز يكفى رادعا للنحلين والشذاذ ،
ه لا يزال يفتك بالمجتمع مع أن الجهود الجبارة فى سبيل القضاء عليه مستمرة
متواصلة . انسان القرن العشرين فى حاجة إلى الاعتبار والاتعاظ ، ولكن الغربيين
فى حاجة أقوى وأمس إلى انقاذ أجيالهم الحديدة من الضياع والانقراض .

++++++++++

خبر ◎ هدية انحطاط القيم الخلقية وتوفر الثروة
◎ بلغت الأمراض الجنسية حد الوباء فى أمريكا

نيو يورك : أغنى دولة فى العالم وأقواها (أمريكا) تتعرض لمشكلات متنوعة
تسمى مشكلات توفر الثروة وانحطاط القيم الخلقية .

إلى الآن كان وباء تعاطى المخدرات والمسكرات عاما فى الشباب ، ولكن
الأمراض الجنسية صارت تهدد البلاد حسب تقدير هيئة الصحة الأمريكية .
ويقدر أن نحو ١٠ ٪ من السكان قد أصيبوا بمرض الالتهاب فى المجرى
التناسلى هذا العام

وهكذا يصاب نحو مائة ألف شخص كل عام بمرض الزهرى فى أمريكا
وتخشى ولاية كاليفورنيا أن الأمر لو بقى هكذا لأصيب كل واحد من
شابين بمثل هذه الأمراض إلى مجىء عام ١٩٨٠ م ، قبل تجاوزه سن المدرسة ،
أى فى سن العشرين تقريبا .

ويقول الخبراء ان حياة الحرية الجنسية التى اختارها الشباب قد أدت إلى
تفاقم الأمراض الجنسية وإلى انتشارها مثل حريق الغابة .

(جريدة قومى آواز بلكنو ، عدد ١٩٧٢/٤/٢٣ م) .

تعليق : سبق أن ذكرنا رأينا فى المجتمع الغربى وما وصل اليه من الانهيار

الخلق والاباحية وهذا الخبر يحكى عن تفاقم الأمراض الجنسية وتهديدها للمجتمع مثلما يهدده انتشار المخدرات والمسكرات.

ومما يجب التنبه له أن الرذيلة لا تؤدى إلا إلى الرذيلة، والفاحشة لا تأتى إلا بالفاحشة، والخبيث لا يميل إلا إلى الخبيث ولا يسكن إلا اليه.

ومن هنا أوجب الاسلام محاربة المسكرات كلها وأكد على تطهير المجتمع منها، فإن وباء الفواحش والمنكرات يعدى كما لا تعدى الأمراض، ويجتاح كما لا تجتاح العواصف.

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ـ المائدة: ٩٠، ٩١﴾

+++++++++

خبر: ترى جماعة من الباحثين أن حدة الثورة الجنسية فى أمريكا قد خفت الآن كثيرا، وأيقن ثوار هذا المضمار أن التجارب الجنسية المتنوعة التى تخلو من الحب والوفاء تؤدى إلى توتر الأعصاب والانهيار والحسد وما إلى ذلك.

وصرح خبير اجتماعى فى جامعة كولمبيا بأن اتجاه ممارسة الجنس على طريقة حيوانية سائر إلى نهايته والانسان الأمريكى يتوق الآن إلى طريق الاعتدال، ويفرق بين التوهم الجنسى والحرية الجنسية، يهدف بممارسة الجنس إلى شىء آخر فوق التلذذ واشباع الرغبة، ويقوى اتجاه اكتفاء المرء بزوجة تفى له ويفى لها.

(جريدة قومى آواز بلكنئو، عدد ٢ / فبراير عام ١٩٧٤ م).

تعليق : هكذا تكون نتيجة الانحراف عن متطلبات الفطرة السليمة ، فالانسان ينساق وراء المغريات ، ويترامى فى أحضان الشهوات ، ويتعامى عن توجيهات الدين ومتطلباته ، ثم يصحو من سكرته ، ويفيق من غفوته ، ويدرك مغزى توجيهات الدين وأهمية المبادىء الخلقية وآثارها الطيبة . ومهما يكن فإن الانسان الصاحى قبل فوات الأوان محمود على عودته ، لأن هناك أشخاصا يتدرج بهم الشيطان إلى الدرك الأسفل ولا يتخلى عنهم إلا حينما يدمر معنوياتهم ويقضى على أجسامهم وأموالهم .

أما الرغبة فى تبادل الحب والوفاء فقد أرشد اليه الاسلام فى جميع توجيهاته الرشيدة التى تتعلق بعلاقة الزوج مع الزوجة ، وحذر من الاتيان بما يكدر على الزوجين صفو الحياة ، ويؤدى إلى توتر العلاقات ولكن المؤسف أن التفكير الغربى المادى شك فى هذه التوجيهات السامية ، ورأى فيها تقييدا للحرية وانتقاصا من المرأة . وقد دفعته العصبية العمياء ضد الاسلام إلى توجيه المطاعن إلى التشريعات الاسلامية الحكيمة ، والآن علمت التجارب وصحت الأحداث أن الخطة السليمة هى خطة الاسلام التى رسمها لأتباعه ، وتعاليم الدين الحنيف هى التى تضمن السعادة والفوز فى الدنيا والآخرة . ان الأحداث شهدت بذلك ولكن من يضمن للانسان أنه يعود إلى الصراط السوى ، صراط الله العزيز الحميد ؟ .

+++++++++

خبر : فى مديرية غونده بولاية أوتار براديش قرية اسمها (هتهيا كره) وهى تتضمن عدة أحياء ، منها حى اسمه (ثوله بهربروا) يسكن فيها العمال والفلاح . وفى يوم من الأيام جاء إلى الحى المذكور حارس من حراس وطلب من كل أسرة خمسة كلو من الحبوب ، ولما امتنع بعض السكان من اعطائه

مطلوبه تخاصم معهم ثم ذهب إلى الشرطـــة وشكى ضد سكان الحى ، لجاء اثنان من رجال البوليس وضربا رجلا وزوجته وابنه وأحرقا عريشهم . وبعـــد هذا الاعتـــداء الصارخ اعترض رجال الحى على البوليس وقبضوا على أحدهما ثم أرسلوا إلى نقطة الشرطة لتسجيل شكواهم .

وهنا جاء ضابط من البوليس مع مجموعـــة من رجال الشرطة إلى الحى ، وأكثروا من ضرب سكانه وتخويفهم وتذليلهم ، حتى قيل ان أحدا منهم قد لقى حتفه بعد هذا الاعتـــداء ، ولم يكفهم ذلك ، بل أحرقوا العرائش كلها ، ثم قبضوا على عشرين شخصا ، منهم زوجة الرجل المذكور ، وساقوهم إلى النقطة ، وهناك استمر ضربهم واهانتهم إلى الصبح . وقد روت هذه الزوجة قصتها المبكية فقالت : إن رجال الشرطة قـــد جردوها من ثيابهـــا وكذلك جردوا ابنه ثم أكرهوه على أن يجامع أمه ، ثم اضطروا المرأة لأن تمشى عارية ورافعة يديها إلى محطة السيارة ، ولكن عطف عليهـا أحد كبار القرية فأصر على ستر عورة المرأة ، وقد تم رفع هذه القرية إلى البرلمان و وعد المسئولون بالنظر فيها .

(جريدة قوى آوار ملكنو عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٦٨ م)

تعليق : مضت مدة نحو عشرين سنة على هذا الخبر ، وقـــد يظن أحد أن الأحوال تكون قد تحسنت فى هذه الفترة ، وبدأ الناس يعيشون حياة آمنة سعيدة . نتمنى هذا ، ولكن الأمانى لا تتحقق ، عشرات من الوقائع والأحداث كشفت عن تمادى الظالمين فى الظلم ، وصورت الواقع الأليم المخزى الذى يعيشه الضعفاء والمضطهدون

ان الناس يتكلمون عن تقدم البلاد فى مجال العلوم والتكنا لوجيا والتجارة والصناعة ، وعن تحسن مستوى المعيشة وتوفر وسائل الراحة . وهذه الناحيـــة ملموسة ظاهرة لا ينكرها أحد ، ولكنها ناحية ماديـــة لا تنفع فى سد الفراغ

الروحي الذي تواجهه البلاد ، وحل الأزمة الأخلاقيــة التي وقع فيها الانسان المعاصر . ان التقــدم المادي وتوفر وسائل الترف والدعة حين فساد الأخلاق وانتشار الأثرة والأنانية وسيطرة النفعية والانتهازية وفشو الظلم والطغيــان ، لا يساوي شيئا ولا يؤدي إلى عمران البلاد وسعــادة السكان ، بل انه نذير شر وجالب خراب ودمار . ان نشوة السيطرة و السلطــة تدفع الانسان إلى الظلم والعدوان ، ولكنه ينسى أن الأيام لا تدوم على حالة واحدة ، وأن هناك من يقدر عليه قدرة أتم وأوسع : إذا دعتك قدرتك إلى ظلم النـاس فتذكر قدرة الله عليك . ان الانسان دائما في حاجة إلى هذا التذكر والاعتبار .

والوحشية التي حكاها الخبر تكشف عن نفسية الظالمين ، وتصور مدى بطش البوليس بالبائسين . ان الشرطة وظيفتها حماية الناس ومنع الظلم والفساد والقضاء على جرائم الاعتداء على الأعراض وضبط النفس وإلتزام الصبر إذا أساء اليهم أحد في أمر ، ولـكن الموقف المخزي الذي وقفه رجال الشرطـة في الحادث المذكور يعد دليلا صارخا على أن مثل هؤلاء الأشخاص لا يستحقون أن تسند إليهم مهمة و تسلم لهم مسئولية انهم لم يصلوا بعــد إلى مستوى الانسانية ، فكيف يكلفون بحماية الانسان وصون الأعراض وحفظ الأموال ، والمسئوليـة الكبرى بهــذا الصدد تقع على الحكومة التي تعين مثل هؤلاء الوحشيين وتتيح لهم فرصة التلعب بأموال الناس وأعراضهم ، ان الحكم أيا كان لا يدوم ، ولهذا ينبغي أن يفكر الظالمون في عواقب الظلم وآثار العــدوان : ﴿وأملي لهم ، إن كيدي متين﴾ ❊ .

━━━━━━━━━

قضايا كتابة التاريخ الإسلامى وحلولها

للدكتور محمد ياسين مظهر الصديقى
الأستاذ المشارك فى قسم الدراسات الاسلامية
بجامعة على كره الاسلامية بالهند

ترجمه من الأردية

الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى
وكيل الجامعة السلفية ببنارس

إن كتابة التاريخ الإسلامى أصعب وأعقد من كتابة التاريخ العام، وبالإضافة إلى ذلك انه عمل مرهق للكاتب إذا كان مسلما راسخ العقيدة والتدين. فصلة الدين والعقيدة مرتبطة بتاريخ صدر الإسلام، ولذا يتحتم على الكاتب أن يسير بحذر بالغ فى هذا المسار الشائك، فلو انحرفت خطوته قليلا أو وجدت الزلة سبيلا إلى لسانه أو قلمه لاحترق شعره و ريشه بل صار من الخاسرين فى الدنيا والآخرة.

إن السنوات الأخيرة من ذلك العصر الميمون موضع حبنا واعتقادنا وعواطفنا، ومع ذلك تتطلب منا مبادئ كتابة التاريخ الجديد وأصولها أن نبرز التاريخ الصحيح للناس بصرف النظر عن الحب والعاطفة.

وقد تناول العلامة شبلى النعمانى أصول كتابة التاريخ الإسلامى وقواعدها لبحث والنقد بطريقة جيدة باللغة الأردية، واليكم ملخصا لما كتبه بهذا الصدد:

١ ـ يجب البحث عن الواقعة أولا فى القرآن الكريم، ثم فى الأحاديث الصحيحة، ثم فى الأحاديث العامة، فان لم توجد فيها ينبغى الاتجاه إلى روايات السيرة.

٢ ـ تحتاج كتب السيرة إلى التنقيح، ومروياتها وأسانيدها يلزم نقدها

٣ ـ مرويات السيرة أقل منزلة فى الصحة من مرويات الحديث، ولذا يجب ترجيح مرويات الحديث عند الاختلاف دائما.

٤ ـ واذا اختلفت مرويات الحديث فيما بينها ينبغى ترجيح أحاديث الرواة الفقهاء على غيرهم.

٥ ـ يجب البحث عن ترابط العلة والمعلول فى وقائع السيرة.

٦ ـ ينبغى أن يكون مستوى الشهادة بالنظر إلى طبيعة الواقعة ونوعيتها.

٧ ـ ينبغى أن تتبين فى الرواية أصل الواقعة وما تضمنته من رأى الراوى وفهمه.

٨ ـ ما هو تأثير الأسباب الخارجية فى الرواية ؟

٩ ـ لا تقوم الحجة بالرواية التى تعارض وجوه العقل العامة والمشاهدة العامة والأصول المسلم بها وقرائن الأحوال.

١٠ ـ ينبغى التأكد من عدم خطأ الراوى فى تأدية المعنى، وذلك بالجمع بين الروايات المختلفة والتوفيق بينها.

١١ ـ ينبغى قبول أخبار الآحاد بالنظر إلى أهمية الموضوع و مطابقة قرائن الأحوال[١].

و الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادى رحمه الله أيضا قد حرر عدة أصول لكتابة التاريخ الاسلامى ، و هى تبدو صدى لأصول العلامة شبلى رحمه الله وقواعده . والشيخ الأكبرآبادى قد أطال البحث عن التاريخ الاسلامى وتطور كتابة التاريخ ، ثم حدد أربعة أصول مهمة

«أولها : أن الواقعة إذا ذكرت فى حديث صحيح لزم ترجيحه على الرواية التى أوردها كتاب فى التاريخ»

« وثانيها أن رواية تاريخية اذا عارضت الصورة التى تتحدد لشخصية الرسول ﷺ و شخصيات الصحابة و خاصة العشرة المبشرة والخلفاء الراشدين منهم فى ضوء القرآن الكريم و الأحاديث الصحيحة ، فإنها لن تقبل .

وإذا كانت هناك روايتان لواقعة خاصة لشخص ، وكان راوى إحدى الروايتين من الطبقة المعارضة لصاحب الواقعة ، وراوى الرواية الأخرى لايكون من الطبقة المعارضة أو يكون محايدا أو من مؤيديه ، لزم ترجيح رواية الراوى الأخير على رواية الأول .

وهناك دور كبير فى صحة الرواية وسقمها ومبدأها ومنتهاها وهيئتها التركيبية للبيئة التى نشأت فيها ، فمهما كان الراوى ثقة يعتمد عليه لم تسلم روايته من تأثير البيئة » .

ومن هنا تجب مراعاة هذه الأمور كلها عند كتابة التاريخ ، حسب رأى الشيخ الأكبرآبادى رحمه الله[٢].

وهذه الأصول والقواعد قد استنبطها العالمان المذكوران من دراستهما للتاريخ وفهمهما له .

وهذه الأصول مع كونها فى غاية الأهمية لاتفى بمتطلبات كتابة التاريخ الجديد . ومعظمها تتعلق فى الحقيقة بنقد روايات المصادر الاسلامية وتحليلها وتنقيحها .

فمبدأ الترجيح الذى تضمنه الأصل الأول من أصول العلامة شبلى ن يحظى بالقبول لدى المؤرخين المعاصرين ، فمن الأصول المسلم بها فى كتابة التاريخ الجديد أن تكون الاحاطة شاملة بالمادة التاريخية التى يجرى البحث عنها ، لا أن يخضع استخدام هذه المادة للتقسيم والترجيح فمع وجود الواقعة فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لا ينبغى صرف النظر عن رواية كتب السيرة والتاريخ سواء كانت موافقة لتلك الواقعة أو معارضة فإن البحث عن جميع الروايات وجمعها هو الأصل الأول من أصول كتابة التاريخ الجديد(٣).

ولكن كتاب التاريخ الاسلامى المعاصرين يتجاهلون عامة هذا الأصل ، وكثير منهم يعتمدون على جزء من المادة التاريخية فيكتبون التاريخ كله أو السيرة كلها ، معتمدين على ذلك الجزء فقط ، ومثل هذا التاريخ لايعد ناقصا ومحارا فحسب ، بل يكون فى الأغلب مضللا ومشوها أيضا .

وبعد الاحاطة بالمادة التاريخية والبحث الشامل تأتى مرحلة انتقاء المادة ، وهى أهم من البحث عن المادة . ولا بد من مراعاة أمرين مهمين فى هذه المرحلة

أن جميع مصادرنا و مراجعنا تكون لها ميول خاصة ومرجحات تاريخية ، وهى تكون آثارا لبيئة المؤرخين الاجتماعية والعلمية . وقد أبدى الشيخ الأكبرآبادى فى أصله الأخير رأيا صحيحا جدا اذ صرح بأن المؤرخين والمؤلفين يفسرون الوقائع والأحداث فى عامة الأحوال تفسيرا انحيازيا بسبب أفكارهم المذهبية

وتحفظهم الفكرى وعصبيتهم الطائفيــة وآثارهم الحضاريــة[٤] زد على ذلك أن المؤرخين الجدد تكون لهم ميولهم الفكريــة وعصبياتهم الطائفيــة التى تؤدى إلى تجاهل الحقائق أو تمويهها بحيث لا يستطيع القارئ الوصول إلى ماهيتها وحقيقتها. ومن ثم يصبح المبدأ الموضوعى لكتابة التاريخ الجديد صحية لها فى الأغلب.

وهناك خطأ شائع فى فهم المبدأ الموضوعى هذا، وذلك أن الرأى السائد هو أن يتخلى المؤرخ أو كاتب السيرة تماما عن عواطفه وميوله وآثار بيئتــه وعوائده العلميــة والفكريــة مع أن معناه الصحيح -كما فهمته أنا- أن لا يبيت المؤرخ أو مؤلف السيرة رأيا، من ذى قبل، ولا يعد خطة مدروسة ولا يتحد بطريقة أو قاعدة، بل يؤلف التاريخ أو السيرة بعد سبر المادة المتوفرة كلها، ويعرض الصورة التى تتحدد على أساس المادة التاريخية دون زيادة ونقص بعد اعمال أصول الانتخاب وقواعد الترجيح، على أن لا يسمح لرضاه وكرهه بالتدخل فى هذا العرض بطريقة غير معقولة وغير تاريخية.

ان أصول الموضوعيــة هى التى تتطلب أن يقوم مؤلف السيرة والتاريخ بتحليل الوقائع والعوامل التاريخيــة ونقدها بعد جمع الروايات وانتخاب المادة وتنقيحها. وعدم الاطلاع على العوامل التاريخية والجهل بطريقة نقدها الصحيح يحولان دون رؤية الوقائع والأحوال فى تناظرها السليم ودون عرضها للآخرين، فالظاهر أن الفحص والتحليل الناقصين يمنعان من استنباط النتائج الصحيحة من الروايات.

والاعتماد التام على المادة الناقصة، و الآراء المبيتة من ذى قبل، واختيار الروايات المرضية وتجنب الروايات غير المرضية، والفحص والتحليل الناقصان... كل ذلك يجعل كتابة التاريخ ناقصا غير محايد، وكذلك يشكل اتجــاه التعميم والاستهام بناء على هذه الروايات خطورة جسمية، بل يشبه السم الناقع لكتابة

التاريخ الصحيحة .

ومن قضايا التاريخ الاسلامى المهمة الاعتماد الأعمى على التعليقات العامة والأحكام الحاسمة التى تصدر من ثقات الرواة و المؤرخين وعلماء الجرح والتعديل[٥] فكما أن مسئولية المؤرخ والمترجم ليست مجرد سرد الوقائع والأحداث بل محاولة التصوير الدقيق الحى للعصر الذى يؤرخه أو الشخصية التى يترجم لها ، وكذلك ليس من وظيفته إصدار الأحكام فى الوقائع والشخصيات . ان مسئولية المؤرخ كتابة الوقائع وتحليلها ، لا إصدار الفتاوى . ولكن المؤرخين الاسلاميين سرعان ما يحملون ميزان العدل و يصورون أحكام الخطأ والصواب فى عامة الأحوال ، مع أن الافتاء وإصدار الأحكام من وظائف أهل العلم والافتاء ، وليست له علاقة بالتاريخ[٦]

هذه هى القضايا المهمة لكتابة التاريخ الاسلامى ، وفيما يلى أحاول توضيحها بالايجاز ، فان التفصيل ليس مكانه الآن هنا

وأهم قضايا كتابة التاريخ الاسلامى هى قضية المواد والمصادر ، والأولية فيها البحث والتنقيب ولعل أحدا لا يجهل الحقيقة البديهية التى توجب على المؤرخ أن يبحث أولا عن جميع المواد التى تتعلق بموضوعه . ولكن المشاهد أن أكثر المؤرخين ومترجمى السير يكتفون بالمصادر التاريخية فحسب ، بل ببعض منها فقط[٧] مع أن اللازم أن يجمع جميع المواد المتوفرة فى المصادر التاريخية ، ثم يستفيد على وجه التمام بالمصادر الأخرى أيضا التى ليست تاريخية ولكنها تضمنت كثيرا من المواد التاريخية . وبهذا الصدد يطالع القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث والمصادر الفقهية ومؤلفات السير والتراجم والأنساب والشعر والأدب والفن وما شابه ذلك ، ثم يستقى منها ويستفيد . فبعد المصادر

الأولية الأصليـــة يجب الانتفاع بالمصـادر الثانوية ، حتى يتمكن من الاستفادة بابتكارات القدماء ودراساتهم ونظرياتهم فى دراسته التى هو بصددها(٨).

وبعـد الحصول على المواد المتوفرة ومطالعتها والاستفادة منها تأتى مرحلة اختيـار المواد وتنقيحها . ومن الظاهر أن جميع المواد الحاصلة لا يمكن تكديسها فى دراسة تحقيقيـة أو قطعة فنيـــة ، فان ذلك يعنى التكرار أو الاطنـــاب مع ترتيب غير ملائم ، ولذا يجب أن يجمع المؤرخ جميع الروايات والأخبـــار الخاصة بالموضوع سواء كانت مرضية أو غير مرضية ، ثم يقوم بالترجيح بينها على أساس الصحة والسقم والقوى والضعيف والثقة وغير الثقة والمعتبر والموضوع، فما كان منهـــا مطابقا لميزان الروايـة و الدراية قبله ، وما لم يكن كذلك رده . ولـكن لا يصح أن يختار المؤرخ موقفا ذا اتجاه واحد فى هـــذا الرد و القبول والأخذ والاكتساب والبحث والتنقيب ، بل يلزمه أن يبين النوعين من الروايات ، أى يبنى دراسته على الروايات الموثوق بها ، وينبه على رده للروايات السقيمـــة الضعيفة غير الموثوق بها ، أو يشير إليها على الأقل ، وإلا كانت أمانته موضع شك ، ومنهجه الموضوعى غير معتمد عليه ، وحياده مورد شبهة(٩)

وبعد البحث عن المواد وتنقيحها واختيارها تأتى مرحلة نقدها و تحليلها ، فان المؤلف أو المترجم اذا لم يقم بتحليل الوقائع والحقائق فى تناظرها التاريخى الصحيح فانه مقصر فى أداء مسئوليته . ويلزمه فى هذا الباب أن يبحث عن تأثير العوامل التاريخية ، وأن يحلل الوقائع بعد الاجتناب من إصدار الفتوى والابتعاد عن التعميم والاستنتاج ، ثم يعرض الصورة الحاصلـة دون نقص و زيادة . وفيما يلى بعض النماذج البـارزة لمواقف مؤرخينا الاسلاميين من الأصول المذكورة ، حتى يتحول المبحث الجاف للأصول والقواعد إلى الطراوة والخصوبة .

قد تم إلى الآن تأليف ألوف من الكتب بلغات العالم المختلفة حول سيرة النبوية وتاريخ صدر الإسلام ، وكما قال مارجليوث ان هذه السلسلة لذهبية لكتابة السيرة لن تنقطع أبدا(١٠). و المؤرخون الذين تكلموا حول احية من نواحي صدر الإسلام أو السيرة النبوية لا تشتكى منهم كثيرا ، لأن كلا من وجهة نظرهم وهدف قلمهم ومجال فكرهم محدد ومقصور ، ولكن الكتاب لذين جعلوا السيرة النبوية وتاريخ صدر الاسلام مجالا لجهودهم الكتابية ، فان كثيرا منهم قد أصابهم الافراط أو التفريط ، وقد رأينا أن أغلب مؤلفى السيرة يؤلفون السيرة بأسرها على أساس مصدر أو مصدرين أو عدة مصادر من المصادر الابتدائية ، ومثال ذلك أن كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل باللغة العربية مبنى على دراسة ناقصة غير ناضجة للمواد ، ان هيكل استفاد كثيرا من سيرة ابن هشام ، وسد الفراغ قام بالترقيع من ابن سعد والطبرى فى بعض المواضع ، وقد أخذ بعض المباحث بعينها من مصادر ثانوية وخاصة من مؤلفات درمنجم و وليم ميور و غيرهما ، دون الرجوع إلى المصادر الأصلية(١١)

وفى اللغة الأردية يمثل نفس منهج الافراط والتفريط كتاب سيرة المصطفى للشيخ إدريس الكاندهلوى(١٢) ، وأصح السير للشيخ عبد الرؤف الدانافورى وغيرهما من الكتب(١٣). و يدخل فى نفس الحكم كتاب السيرة النبوية للشيخ أبو الحسن على الندوى ، وترجمته باللغة الأردية باسم (نبي الرحمة) .

ومعظم كتب السيرة باللغة الانجليزية ، مثل كتاب واشنطون ايرونج ، ودرمنجم ، وأطهر حسين ومحمد على وغيرهم ، تبنى كذلك على دراسة ناقصة لمواد السيرة واستفادة مبتورة(١٤). وهذه القائمة طويلة جدا ، ولكن هناك

كتب أخرى فى السيرة تم تأليفها على أساس الاستفادة من جميع المواد المتوفرة التى تيسرت فى زمن مؤلفيها ومن الكتب التى تمثل هـذا القسم كتاب سيرة النبي للعلامة شبلى النعمانى، وحياة محمد الأستاذ مارجليوث، وللأستاذ وليم ميور، ومحمد للأستاذ ميكسم رودنسان، ومحمد فى مكة، ومحمد فى المدينة للأستاذ مونتجمرى وات[١٠].

فهذه المؤلفات لا نستطيع على الأقل أن نحكم عليها بأن مؤلفيها قد تجاهلوا مصدرا من المصادر أو مرجعا من المراجع نعم ان المستشرقين المذكورين لم يراعوا أصول اختيار المواد وتحليلها، وبذلك صار تعبيرهم خطأ، وتصويرهم ناقصا، واستنباطهم مجازا.

ان الكتب التى يتم تأليفها إلى الآن حول التأريخ الاسلامى العالم يستقى فى أغلبها من كثير من المصادر ضمن تأريخ الدور الأول من الخلافة الراشدة وهو عصر الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ولكن لا نعرف لماذا يتغير موقف المؤلفين والمؤرخين وخاصة المسلمين منهم فى العصر الذى يليه، فإنهم حينما يؤرخون عصر عثمان وعلى رضى الله عنهما يشتغلون بالحروب الأهلية، والخلافات القائمة فيما بينهم ووقائع الثورات والفوضى السياسية عن الحقائق الأخرى والنواحى التاريخية ان كتابة التاريخ بهذا الاتجاه المنحاز ناشئة عن توخى السهولة و إيثارها وأحد أسبابه فى الأغلب أن عامة المصادر التاريخية تتضمن كثيرا من المواد حول النواحى المظلمة، حينما يصعب البحث عن النواحى المشرقة صعوبة ما، وهؤلاء المؤرخون لا يجدون له استعدادا فى نفوسهم.

والسبب الآخر هو انعدام الشعور التاريخى والتربية الفنية، فانه يجهلون المصادر التاريخية الأخرى سوى المصادر العامة.

ونرى صورة أسوأ مما سبق لدى تاريخ الخلافة الأموية ولست هنا بصدد البحث عن الكتابة حول سير خلفاء بنى أمية والشخصيات البارزة فى ذالك العصر ، وعن أسلوب هذه الكتابة ومنهجها ، فان ذلك قضية أخرى .

ولكن فيما يخص المواد فانى أقول دون خوف الرد والملام : إن الجهود لا تدل للحصول على المواد الكاملة ، وإلا هنـاك ما يسد الخال ويشفى الغلة . ونسوق هنا بعض الأمثلة للاعتبار والاتعاظ .

إن كتـاب سيرة الصديق للشيخ سعيد أحمـد الأكبر آبادى ، وكتاب الفاروق للعلامة شبلى النعمانى باللغـة الأردية مبنيان على المواد التـامة المتوفرة فى عصر مؤلفيهما[١٦]. ولم يظهر إلى الآن بالعربية والانجليزيـة ما يساويهما فى المنزلة . أما تأريخ الخليفتين الثالث والرابع فلم يتم إلى الآن تأليف سيرة صحيحة لهما أو تاريخ كامل لعصريهما . ان كتاب عثمان ذو النورين للشيخ الأكبر آبادى مجهود طيب ناجح حول سيرة الخليفة الثالث وتاريخ عصره ، وهو يحتوى على أغلب المواد المتوفرة ، ولكن هناك كثير من المواد بقيت بعيدة عن متناول يد الشيخ[١٧].

أما الكتب التى تم تأليفها إلى الآن حول سيرة على فانها تحتوى عـلى مدحه أو الدفاع عنـه وهى — فى النوعين — لا تشهد لمؤلفيهـا بالاحاطة بالمواد الكاملة[١٨]

وقد اعتمد على المواد الناقصة وليام ميور ، وفيلب حتى ، وجرجى زيدان وغيرهم من المستشرقين ، وطه حسين ، وأبو نصر عمر ، واطهر حسين ، وأمير على ، والشاه معين الدين أحمـد الندوى وغيرهم من المسلمين[١٩]. ويظهر النقص لدى معظمهم فى اختيار المواد وتحليلها ، فانهم فى عامة الأحوال يكتبون بدافع من

أفكارهم المذهبية وعصبياتهم الطائفية وتحفظهم الفكري، ومن هنا لا يبقى منهج كتابتهم موضوعيا.

وكتاب الشيخ المودودي (الخلافة والملوكية) يتناول بالبحث نظاما سياسيا مهما في الاسلام هو الخلافة من ناحية تطورها وتغيرها وانحطاطها، ولكنه هو الآخر يشتكي من اعتماد المؤلف على المواد الناقصة المنحازة[٢٠] فيرى الشيخ المودودي أن الخلافة الاسلامية تحولت إلى ملوكية دنيوية بداية من النصف الثاني لعهد عثمان رضي الله عنه[٢١].

ولكن وجهة نظر الشيخ المودودي هذه تشبه تلوين التصميم الذي سبق اعداده من قبل بالألوان المختارة والاستدلال للرأي المبيت عنده من الأول. ثم انه قد جمع جميع الروايات والأخبار التي تعبر عن وجهة نظره وتؤيد نظريته، وصرف النظر عن الروايات والأخبار والوقائع والحقائق التي تعارض فكرته، ومثال ذلك أن الروايات التي أوردها في مروان بن حكم الأموي والوليد بن عقبة الأموي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من عمال عثمان لا تعرض ناحية واحدة فحسب، بل مبنية على معلومات ناقصة[٢٢]. وأدى ذلك إلى أن الصورة التي تجلت للمؤلف والقارئ كانت ناقصة ومشوهة، وهكذا فكتاب (الخلافة والملوكية) لا يفي بالأصول الثلاثة الخاصة بالمواد، وهي: البحث عن المواد الكاملة وجمعها، ثم تنقيحها وتهذيبها، ثم تحليلها وتجزئتها، بل يبدو مثالا بارزا لكتابة التأريخ تحت نظرية مبيتة من ذي قبل.

وهكذا حال أغلب المؤرخين في أمر تاريخ العصرين: الأموي والعباسي وجميع خلفائهما، فانهم لا يبحثون عن جميع المواد المتوفرة ولا يحسنون اختيار هذه المواد المجموعة، ولا يقومون بنقدها الصحيح وتحليلها الموضوعي، وبالأمثلة

يطول الكلام كثيرا ، ولـــذا أصرف النظر عن الذكر المؤلم للمؤرخين والمؤلفين الناقصين ، وأكتفي بالاحالة إلى بعض المؤرخين الكاملين حتى يتضح ما نحن فيه .

ان كتاب (المملكة العربية وسقوطها) للأستاذ ولهاوزن ، وكتـــاب (مروان بن محمـــد والجزية والاسلام) للأستاذ دينيل سي دينيت ، وكتاب (الخلافة الأموية) للأستاذ ا ٠ ا ديكسون ، وكتابي (الخلافة العباسية ، والثورة العباسية) للأستاذ فاروق عمر من الكتب الجيدة الناجحة[٢٣] قد يمكن الاختلاف حول بعض التعبير و الشرح لهؤلاء المؤلفين ، ولكن لا يتسنى أن نوجه اليهم تهمة الاغفال عن أصول كتابة التاريخ وإهمالها .

ان كتاب (الغزالى ، والمأمون) للشيخ شبلي ، وكتاب (الخيـــام) للسيد سليمان الندوى[٢٤] ، وكتب بعض المؤلفين الآخرين من الكتب الناجحة في باب الاطلاع على المواد وتنقيحها وتحليلها ، نعم يمكن أن تكون عليها بعض المآخذ ، ولكنها على الأقل محاوله تاريخية جيدة لعصرها من ناحية المراعاة الأصول الخاصة بالمواد .

وفي كتابة التاريخ الاسلامي وقع صرف النظر عن تأثير العناصر والعوامل التأريخيـــة في الأكثر أو إلى حد كبير ، وخاصة المؤرخون الشرقيون عنـــدنا لا يولون هذه العوامل أية أهمية بتعمد أو غيره . ان كل طالب جاد من طلاب التاريخ والأدب يعلم جيدا أن الآثار الوراثية وخلفية الأسرة والبيئة المجاورة وتطورات الأحوال والأزمان والأسباب المحسوسة وغير المحسوسة للوقـائع والأحداث و الآثار الايجابية والسلبية للشخصيات والأبطال والسنن الكونية بل كثير من الأشياء غير المرئية التي تسير في الفضاء والنظريات والأخيلة لها جميعا دور وتأثير في بناء المجتمع وانهـــدامه . ومن هنا لا يتأتى انكار هذه العناصر

التأريخية وتجاهل تأثيرها فى حال من الأحوال ، ولكن ما سأة كتابة التاريخ الاسلامى الكبيرة وخاصة فى الشرق أن صرف النظر عن تأثير هذه العناصر والعوامل التاريخية لا يزال باقيا إلى الآن.

ومن الصعب القول بأن هذا النقص ناشىء عن انعدام الشعور الفنى والتاريخى ، أو بسبب التفكير المتمسك بالتقليد والعادات . ولكن الحقيقة الرهيبة أن هذا النقص الفنى قد أدى إلى تشويه التاريخ وكثير من الشخصيات الاسلامية التى كانت قد بلغت منزلة عالية بسبب كفاءتها ، وتسبب للطعن فيها ، والماسأة الكبرى الاعتزاز باطلاق اسم التاريخ الاسلامى على تلك المواد التاريخية المشوهة إلى الآن ، ويتخذ موقف الاستغناء والمرار على الأقل ، أو موقف التنفر والتبرى فى الأغلب ، من تاريخ الاسلام الابتدائى و شخصياتـــه الجليلة التى حازت البطولة القومية والاسلامية من جميع النواحى . ان موضوع السيرة النبويـــة أو تاريخ العصر النبوى قد حظى بالكتابة أكثر من أى فن فى العـــالم ، ولكن الكتب التى روعى فيها تأثير العناصر والعوامل التاريخية تعد بالأصابع .

ان مجرد ذكر الحالة السيئة للعرب قبل الأسلام ، وشرح الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية المتغيرة المنحطة ، وسرد الاصلاح الاجتماعى الذى تحقق على يد الرسول ﷺ وأعماله البنائية التى قام بهـــا أو توجيه المدح والثناء اليه ، لاينفع فى تأدية مسئولية كتابة السيرة ، ولا يلبى متطلبات كتابة التاريخ الاسلامى وفى كثير من السير يقع الموضوعان منفصلين بحيث ينعدم الارتباط بينهما .

ونحن كمسلمين نؤمن ونعتقد بأن كل شىء فى هذا الكون يقع بارادة الله تعـــالى ، ولكن مشية الله تعـــالى لا تظهر دون ستر وحجاب فى عالم الاسباب والعلل ، بل تتجلى فى صورة العناصر التاريخيـــة والأسباب الكونية و العوامل

بشرية ، ومن هنا يجب تحليل العوامل والعناصر التاريخية التى عملت وأثرت فى الحركة الاسلامية والدعوة الدينية وبناء المجتمع والأمة وقيام الدولة والرئاسة فى العهد النبوى ، حتى نتمكن من تحليل ذلك العصر فى التناظر التاريخى السليم . ويلزم أن يختار المؤرخ الاسلامى نفس هذا المنهج بخصوص الأدوار الثلاثة لخلافة الاسلامية .

ويلزم أن يتم هكذا التحليل الحر فى نطاق الشئون السياسية مثل أسباب لردة والخروج ونطاقها وأسبابهـا ، وفتوح العرب والعجم ، وتوسيع الخلافة الاسلامية ، وتنظيم الحكومة والرئاسة ، ونشر الثقافة وتعميمها وما إلى ذلك من الأحوال والشئون ثم ينبغى كذلك عرض اختلاط العرب والعجم فى المجتمع لاسلامى وآثاره ، وبناء المجتمع الاسلامى فى مختلف البلدان والمناطق ، وحتى يتم فهم ذلك العهد على وجه التمام يلزم كذلك فى المجال الاقتصادى البحث عن وجود الثروة وتوفرها وتداولها بين الناس وارتكازها ، والصراع بين الطبقات لاقتصادية وعلاقتها فيما بينها ، ويحسن أن نعرض هنا بعض الأمثلة التى توضح مبحث الأصول السابق الجاف توضيحا ممتعا .

يرد ذكر الغزوات والسرايا عامة بصدد قيام الدولة الاسلامية فى العهد لنبوى والخلافة الراشدة ، ولكن يحصل التقصير عامة فى تحليل العناصر التاريخية لتى عملت وراءها . ان المؤرخين المسلمين الشرقيين يركزون أكثر من اللازم ، وأحيانا فى غير موضع ، على الأسباب والعلل الروحية ، صارفين أنظارهم عن تأثير الأسباب المادية ، حينما يغفل المستشرقون عن الأسباب والعوامل الروحية والخلقية ، ويجعلون الأسباب المادية فقط مؤثرة ويرونها تحل وحدها جميع المشكلات ، وهذان الاتجاهان كلاهما نموذجان للافراط والتفريط[٢٥] ، والأصل أن الأسباب الروحية والعوامل المادية جميعا أثرت جنبا إلى جنب ، وبتأثيرها

ممـــا قامت الدولـة الاسلامية أولا فى شبـه الجزيرة العربيـــة ثم فى العـــالم الخارجى عنهـــا . وقـــد أدرك هذه الحقيقة الأستاذ مونتجمرى وات والأستاذ فرانسسكو جبريلى (Francisco Gabrieli) من المستشرقين ، والعلامة شبلى والأستاذ شعبان وأمثالها من المسلمين ، وحاولوا تحليل النوعين من العوامل[٢٦].

ان بحوث المستشرقين كلها حول الردة والخروج تشكو عامة من تفريطهم وجهلهم للأسباب الروحية . وهكذا نرى لدى المؤرخين المسلمين فى تناولهم للفتوح الاسلامية رفض الأسباب المادية ، وعلى كل فالأصل أن التحليل الصحيح لتلك الحقائق التاريخية لا يتأتى دون التحليل الصحيح للنوعين من الأسباب والعلل، ومسئولية الكتابة السليمة للتاريخ لا تتم إلا حينما نقوم بالدراسة الموضوعية للعناصر والعوامل معا .

توجه إلى الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه بصفة عامة تهمة ايثار الأقرباء بأنه أعطى — حسب الروايات المشتهرة — ذوى قرباه المناصب الادارية العليا وحرم السابقين الأولين ، وهنا يلزم المؤرخ أن يبحث عن حقيقة هذه التهمـــة كى يعرف عدد جميع عماله وعدد أقربائه منهم ، ثم يميز بين من عينه عثمان بنفسه وبين من عينه من سبقه من الخليفتين ، وما إذا كان تعيينهم حسب الكفاءة والأهلية أو بناء على القرابة ؟ ثم كيف كان عمل هؤلاء العمال وما مدى نفعهم أو ضررهم بالنسبة للدولة والحكومة ؟ فبدون الاطلاع على إجابات هذه الأسئلة وبالاستناد إلى المضمون العام للروايات يكون توجيه التهمة المذكورة وقبولهـــا منافيا لأمانة المؤرخ ونزاهته .

إن عرضا تحليليا يدلنا على أن خمسة عمال فقط من بين العمال الاربعين الذين كانوا من أقرباء عثمان ، واثنان منهم فقط كان قد عينهما عثمان ، والبقية

كانوا معينين على مناصبهم من الخليفتين السابقين ، وكان أحدهم ، وهو الوليد بن عقبة الأموى ، مستمرا فى منصبه منـــذ عهد أبى بكر ، إلا ان عثمان نقله من إمارة الجزيرة إلى إمارة الكوفة ، وقد أحدث مورخونا الجدد على هذا ضجة كبيرة على سبيل العموم ، على أن تعليق المؤرخ الطبرى على ذلك له معنـــاه يقول : كان العامة من مؤيديه ، والخاصة والأشراف من معارضيه . ثم الطبرى نفسه كشف عن المؤامرة ضده التى اتهم فيهـــا الوليد بشرب الخمر وتم عزله بهذا السبب(٢٧).

ويقال بعد الاستنباط من الروايات عن أحد عمال عثمان ، وهو عبد الله ابن سعد بن أبى السرح ، أن تعيينه بعد عزل عمرو بن العاص السهمى عن إمارة مصر كان نتيجـــة إيثار ذوى القربى ، وأن الزيادة فى خراج مصر إلى عشرة أضعاف كانت ناشئـــة بسبب ظلم عبـــد الله وجوره واستغلاله(٢٨) . على أن الدراسات الحديثة المبنية على الوثائق البردية المعاصرة قد أثبتت أن سبب الزيادة المذكورة يرجع إلى حسن ادارته وتنظيمه لا إلى ظلمه وجوره . والأصل أن عبد الله كان قد أنشأ رابطة مباشرة بينه وبين الفلاحين ودافعى الخراج بعـــد القضاء على وساطة الاقطاعيين المستغلين ، وبعد هذه الخطوة صار مال الحكومة الذى يأخذه الاقطاعيون الكفار ظلما ، يتحول إلى خزينة الدولة(٢٩) .

إن المؤرخين لم يقوموا بتحليل سليم لتعيين عمال عثمان ، وإلا أدركوا أن سياستـــه لم تختلف شيئا عن سياســـة عمر الفاروق . ان تعيين جميع العمال أو ابقـــاؤهم على مناصبهم كان على أساس الكفاءة والأهلية ، حتى ان المؤرخين الجدد أيضا لا يستطيعون انكار ذلك(٣٠) . ومن ورع الخليفة الثالث وحزمه أنه رفض اعطاء المنصب ابنه من زوجته لأنه لم ير فيه كفاءة(٣١) . ومنع أحـــد

أقربائه من الخلو به لكونه متهما(٣٢).

كثر القيل والقال فى عثمان، ويتم تكرار المطاعن ضده عامة، ولكن يغفل عامة ذكر الروايات الايجابية التى تتناول سلوكه وعمله وسياسته. ونسوق بهذا الصدد شهادة أخرى وهى شهادة الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما. انه قال للناس مرة:

والله لم يفعل عثمان إلا ما فعله عمر، ولكنكم سكتم عن عمر خوفا من درته، وكان عثمان لينا فقتلتموه.

و يمكن إيراد مئات الأمثلة من هذا النوع من مختلف عصور الخلافة الإسلامية، وهى تدل بالقطع على تعسف المؤرخين فى اختيار المواد، وانحيازهم فى الكتابة، وتعصبهم فى تدوين الروايات.

وبعد فحص المصادر والمراجع وجمع الروايات واختيار المواد يلزم المؤرخ أيضا أن يبحث عن التحفظ الفكرى والميول القبلية والاتجاهات الفكرية للرواة والأخباريين، ثم يقبل رواياتهم بعد حذف عنصر هذا التحفظ والتعصب، وبعد التثبت والتفهم، وإلا لم تكن كتابته للتاريخ أمينة، ووجهة نظره موضوعية. وكما نعلم جميعا أن جميع مصادر التاريخ الإسلامى المتوفرة من انتاج العهد العباسى، وأغلب كميتها تكونت فى ثلاثة أمصار عراقية كبيرة ومراكز العلم الإسلامية، وهى الكوفة والبصرة وبغداد، وبما أن هذه المراكز كانت ملجأ للحركات والاتجاهات المعادية للأمويين، ثم تم فيما بعد قيام الخلافة العباسية ونهضتها على أساس معارضة الخلافة الأموية ومعاداتها والتنفر منها، اتجه المؤرخون والرواة والأخباريون فى العهد العباسى إلى إثبات الاتجاهات والأفكار المعادية للأمويين فى رواياتهم وأخبارهم، بل درسوا الخلافة الأموية بأسرها بهذا الاتجاه المعادي(٣٤).

إن الخلفاء العباسيين وشركائهم فى السياسة من الشيعة والخوارج بل جميع العناصر المعادية للأمويين جعلوا الخلافة الأموية غير إسلامية ومعارضة للسنة النبوية ، وذلك بناء على مصالحهم السياسية ، وتبريراً لخروجهم وثورتهم على تلك الخلافة، ومن تعسف التاريخ اثباته أن الخلافة العباسية كانت أبعد عن الإسلام والسنة النبوية بالنسبة للخلافة الأموية وعلى كل حال نشطت العناصر المعادية للأمويين فى نشر أفكارهم وآرائهم بطريقة قوية حملت الأجيال القادمة على زعم أن الخلافة الأموية كانت فى الحقيقة غير إسلامية ، وأن الأبطال الأمويين كانوا رجال الدنيا تماما وبعيدين عن الإسلام .

كان أبو مخنف وسيف بن عمرو السدى من الرواة الأولين فرائس العصبيات القبلية ، والذين عاصروهم من الرواة وأشباههم من أمثال هيثم بن عدى والمدائنى والكلبى وابن الكلبى والسرى وعمرو بن شبه وغيرهم لم يكونوا بمعزل عن العصبيات القبلية والتحفظ الفكرى والاتجاهات المعادية للأمويين[٣٥]. كان جو معارضة الأمويين شديداً جداً ، فيما قال عوانة بن الحكم والبلاذرى وأمثالهما من المؤرخين كلمة خير عن الأمويين وجهت إليهم تهمة اختلاق الروايات الموالية للأمويين ، مع أن أكثر رواياتهم تحمل الاتجاهات التاريخية لعصرها وتمثل عن تطوراته الفكرية[٣٦] . ثم من الجور الطريف أن الأخباريين والمصادر التى استقى منها هؤلاء الرواة كان أغلبهم من أصحاب الاتجاه الشيعى وحاملى نظرية الخوارج . فمن الظاهر أنهم ذكروا كثيرا من الروايات المعارضة للأمويين او ركزوا حول الروايات التى تتعلق بالجوانب المظلمة .

ومن الحقائق التى صارت مسلما بها أن الشيعة والخوارج لم يكونوا أعداء خلفاء الإسلام فحسب ، بل أعداء المجتمع الاسلامى كله ، وكان عداء الإسلام والتعصب ضده قد سرى إلى كلامهم ورواياتهم على وجه التمام ، زد على ذلك

ما تسرب إلى الروايات التاريخية الأصلية والأخبار من القصص والحكايات المبتذلة والسوقية لأهل القصة والحكاية، مع أنها لم تتعلق مع الحقيقة بنوع ما[٣٧]. وفى مثل هذه الطبقات كان الانتشار والقبول للقصص والأخبار المختلقة المكذوبة فقط، واننا لم نأسف على أن هؤلاء القصاص والمختلقين نشروا الروايات المكذوبة وأدخلوها فى التاريخ، بل أسفنا على أن المؤرخين المسلمين قبلوا تهم هؤلاء المختلقين والمفترين قبولا أعمى، وحملوها عملة مقبولة وبضاعة صالحة كأنها روايات موثوق بها! وعلى كل حال يلزم المؤرخين الاسلاميين أن يكونوا على تنبه تام من هذه الروايات ومن التحفظ الفكرى لرواتها وميولهم المذهبية والقبلية واتجاهاتهم الاقليمية، فبدون أن يبعدوا التبنة عن الحبة والقشرة عن اللب لا يتيسر لهم الوصول إلى أصل الروايات التاريخية الصحيحة، ولا كتابة التاريخ الإسلامى الصحيح.

ويرتبط بهذا أمر عسير آخر، وهو «اقليمية المصادر الاسلامية» أى الانحياز والتحيز لمنطقة دون أخرى أو لاقليم دون آخر. وكما سبق أن ذكرنا أن جميع مصادرنا المتوفرة اليوم قد تمت كتابتها فى ثلاث مدن عراقية تقريبا، أو تخمرت ونضجت موادها فيها، ومن هنا صارت العراق وأمصارها وديارها وحدها محورا ومركزا لهذه المصادر، وانها لم تلتفت بعد ذلك إلى مراكز الاسلام الأخرى مثل مكة والمدينة ومركز الخلافة الأموية دمشق والشام والمناطق الاقليمية الأخرى مثل مصر وافريقية أو المغرب. والمؤرخون يشتكون فى الأغلب من أن مصادرنا تهتم بعمال العراق أكثر من نشاطات الخلفاء، وتعتنى بشئون العراق وحدها بدل النظر إلى تاريخ العالم الاسلامى بأسره.

والحقيقة أننا نجد التفاصيل عن نشاطات عامل العراق الحجاج بن يوسف

الثقفي أكثر من خليفة عبد الملك أو مروان بن عبد الملك . إن الرواة والأخباريين عندنا يوردون التفاصيل عن الديار والأمصار الأخرى وخاصة عن المناطق الغربية حينما يحدث فيها أمر غير عادى ، وإلا يركزون أنظارهم وأقلامهم حول أمصار العراق ، ولا يسمحون لها بالخروج عنها . ومن هنا يجب أن يكون المؤرخ مدركا لحقيقة أن التفاصيل والجزئيات التاريخية التى وصلته إنما هى تتعلق بأرض العراق ، وعلمه عن الديار والأمصار الأخرى ناقص ، ولذا ينبغى أن يستفيد بالمصادر الأخرى ، ويتعمق كذلك فيما بين المصادر والمراجع التاريخية الموجودة حتى يسد الفراغ التاريخى المشار إليه . ولقد أحسن دينيل سى دينيت حينما وضح أن محور تفكير العلماء والفقهاء أيضاً كان هو الديار العراقية ، فضلا عن المؤرخين ، ان محور القاضى أبي يوسف ويحيى بن آدم وقدامة بن جعفر ، بل محور من هو فوقهم من الأئمة الثلاثة سوى الامام مالك هو العراق ، ولذا ينبغى إدراك أن مؤلفاتهم وآرائهم تتعلق بأحوال مخصوصة ، ولا ينبغى تطبيقها على مناطق أخرى ، وإلا يبدو تعارض وتضارب بين الحقائق التاريخية وبين الآراء الفقهية . ان آراء هؤلاء الفقهاء صائبة صحيحة تماما فيما يخص العراق(٣٨) فعلى المؤرخين أن يراعوا اقليمية المصادر الاسلامية وتحيزها أيضا.

ولنصرف الآن النظر عن الخلفاء الأمويين فانهم متهمون باقبالهم على الدنيا بحذافيرها ، ولكن هناك موقف جد تجديحى وغير علمى أيضا لكثير من العلماء والمؤرخين نحو الصحابة الكرام الذين عاشوا فى العصر الأموى والمجتمع الاسلامى المعاصر .

اننا ننظر إلى شخصيات هؤلاء العظام ومآثرهم ونقيس مكانتهم ومستواهم فى ضوء البصيرة التى تلقيناها من الخوارج والشيعة . وزاد الطين بلة ما كتبه المستشرقون من الكتابات البدائية المسمومة وغير العلمية . واتجاهنا هذا المعارض

للتاريخ والعلم قد تقرر و استمر لمجرد أننا ماعلمنا الروايات الجانبة للثقة والحياد التى وجدت فى المصادر الأوليـة أو جهلناها ، ثم قبلناها دون بحث وتمحيص ، وهكذا قما بتشويه سير الخلفاء الأمويين ومن عاصرهم من الصحابة و تاريخ عصرهم الميمون بسبب الجهل وعدم الأمانــة و النضج الفنى ، حتى لم يبق فرق كبير بين تاريخنا وسيرنـا وبين ما أثبتــه أعداء الدين والمعرفة من الافتراء والاختلاق .

ان مؤرخينا ومترجمينا قد أنزلوا معاوية بن أبى سفيان و يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وعديدا من خلفائهم العظام أصحاب الفهم والكرم منزلة أقل من منزلة المسلمين العاديين فى الخلق والسلوك ، بل أدخلوهم فى زمرة الفساق و الفجـار ، و لم يكن ذلك إلا بناء على الروايات العديدة التى لم تكن كلها جديرة بالثقة والاعتماد .

وهكذا قاموا بتشويه سير الصحابة الأمويين وسير معاوية و وليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن سعد بن أبى السرح وغيرهم من عمــال ذلك العصر ، حتى كأنهم طووا أن نفى ايمانهم وعقيدتهم وانكار علمهم وسلوكهم من مسئوليات التاريخ والترجمة إن الشيخ المودودى والشيخ أبا الحسن على الندوى والشيخ محمد طيب ومن العلماء الكبار السيد امير على وأبا الكلام آزاد وأطهر حسين ، معظمهم يحملون اتجاه الخوارج والشيعة والمستشرقين أعداء الاسلام(٣٩).

ان مأثرة عظيمة من مآثر الخلافة الاسلاميـة فى العصر الأموى ، بل لعل أعظم مآثرها على الاطلاق ، هى الفتوح العسكرية وما تبعها من الفتوح الدينية . ان الناس إلى الآن أشاعوا عن الخلفاء والصحابة الأمويين أنهم غيروا تماماً نظام الخلافة وصورة المجتمع ودفعوهما إلى الخطوط التى ساقتهما إلى حياة تجهل

الله وإلى نظام غير اسلامى للحياة . ولكن لم يوفق أحد لأن يفكر ثم يعرض على الناس أن هؤلاء المتهمين والمطعونين من أفراد الأمة وكبار الملة حققوا الوحدة الدينية والحضارية وسببوا لبركة الاتحاد الملى من جدران الصين فى الشرق إلى آفاق الأندلس فى الغرب مع إرساء دعائم الوحدة السياسية ، وقد تجلت هذه الوحدة فى صورة الاسلام واللغة العربية والثقافة الاسلامية .

ومن الحقائق المسلم بها أن إسلام العالم العربى ، الذى يسود الآن من شبه الجزيرة العربية إلى أقصى حدود المغرب ، يخلو إلى حد كبير من الآثار العجمية ويمتاز بروحه الاسلامية ، بينما نرى اسلام ايران وبواسطتها اسلام آسيا الوسطى ، والهند وباكستان وجنوب آسيا مثقلا بالخرافات العجمية ، وعاريا من الوحدة الملية والانسجام الحضارى والاتحاد الدينى ومما يحمل على التعجب وكذلك يخجل المثقفين المسلمين أن مثل هذه الحقيقة العظيمة قد كشف النقاب عنها أحد المستشرقين وهو دينيل پائيپس (Daniel Pipes)[٤٠].

وإلى الآن لم يوفق العلماء والمثقفون المسلمون لكشف النقاب عن حقيقة عهد دولة معاوية بن أبى سفيان وخلافته إلا قليلا ، ولكن الكاتب فيليب حتى مع سمومه وخطورته قد نجح فى الوفاء بحق متطلبات كتابة التاريخ وفى تأدية الدين الذى كان يثقل كواهل المؤرخين منذ مدة طويلة ، وذلك بكتابة بحث رائع عن معاوية وعصره[٤١].

ان تاريخ الخلافة الأموية فى حاجة إلى دراسة جديدة ، ودون أن يتم عرض هذا العهد الاسلامى بالمنظار التاريخى الصحيح نبقى فريسة للتعصب بشأن دور مهم من أدوار التاريخ الاسلامى.

ومن تحيز المصادر واقليميتها أننا لو قرأنا تاريخ الدولة العباسية فى الكتب التراءى

لنا أنه سرد وتكديس لوقائع قمع الثورات وشبكات المؤامرات(٤٢). ونفس الوضع نراه عن الأندلس الاسلامية(٤٣).

ويدعى عامة أن الخلافة العباسية كانت إحياء للاسلام ونشأة جديدة له، بل فوق ذلك يجعلها الناس فترة النهضة لحضارة الإسلام ومدنيته والعصر الذهبي له، حينما توصف الأندلس الاسلامية فى أوربا بمنبع العلوم والفنون الإسلامية. ولكن قراءة المصادر والمؤلفات الموجودة تعطينا فكرة أخرى، وهى أن ذلك العصر كان عصر الثورات السياسية والفوضى الحضارية. ومن حسن الحظ أننا لانرى فى تاريخ الخلفاء العباسيين والحكام الأندلسيين وسيرهم ذلك الاتجاه المعادى للحكومة والميل المعارض للأسرة، الذى اختص بدولة بنى أمية، ومع ذلك يبرز انحياز المصادر واقليميتها كعامل مؤثر فى تلك الفترة أيضا. ومن المصادفة أو السياسة أن عاصمة الخلافة العباسية(٤٤) ومراكز العلوم والمعارف الإسلامية كانت أمصار العراق وديارها، ولذا حظيت فيها أعمال الخلفاء بضوء أكثر، ولكن هذا الضوء يعشى الأبصار ويشوش القلوب والأفكار، ولا يبعث ميول الفخر والطمأنينة. أما الأقاليم والديار الأخرى للخلافة العباسية فانها بقيت مطوية فى الظلمات أكثر مما رأيناها فى العصر الأموى، انها فى العصر الأموى كانت تقع تحت أضواء الفتوح حينا بعد آخر، أما العصر العباسى فكأنه قد حرم بريق الفتوح فى الأغلب وإن لم نقل تماما.

ان اتجاه المؤرخ يتأثر بتفكيره الشخصى وترجيحه الدينى وميله المذهبى، وانه بذلك يندفع إلى التحيز والكتابة غير الموضوعية، فيبالغ أحيانا فى مدح موضوعه وممدوحه دون استحقاق، ويصوب سهام التشنيع والتنقيص إلى معانديه أحيانا أخرى. والمنهجان كلاهما غير موضوعيان ومعارضان لكتابة التاريخ بل

انهما يمثلان معا ناقصا للتاريخ الاسلامى، فبذلك تصبح كتابـة التاريخ جانبيا وناقصا. ان طبيعتنا الشرقية مجبولة على حب المبالغة، فحينما نتوجـه إلى المدح والثناء نضفى على ممدوحينا جميع الصفات الملكية، وننفى عنهم جميع القبائح، حتى نصل بهم إلى منزلـة أعلى من الملائكة، وحينما نميل إلى النقد والتنقيص نجعلهم من أعـداء الاسلام الفسقـة والفجرة، ان لم ننزل بهم إلى حضيض الشياطين والكفار. والصورتان كلتاهما تحدثان بسبب انعـدام التوازن فى طبائعنا وتوفر الانحياز والجهل فى نظرتنا وكتابتنا.

والمسئولية الحقيقيـة لهذه الكتابة المعارضة للعلم والأخلاق والدين على رأينـا المبيت من ذى قبل، وعلى الأفكار والعواطف والميول التى ترسخت فى أذهاننا وقلوبنا من السابق و تحت ضغط هـذه الأفكار والميول نرسم اطارا خاصا، ثم نبحث عن الروايات التى تلائمه، وحسب تعبير العلامـة شبلى نظفر بكثير من السواد فى مروياتنا ومصادرنا لتسويد وجوهنا. وهكذا نلون هـذا الاطار المعين بالألوان المختارة، ونؤدى مسئولية كتابة التاريخ! مع أن الواجب أن لا يكون هناك مرسوم معين للشخصية أو العصر الذى يراد تأريخه، ولا يسمح كذلك بالاتجاهات و العواطف المؤيدة أو المعارضـة، بل تجمع جميع الروايات الموالية والمعارضة، ثم تعرض على محك النقد والأمانة والموضوعية، وبعد ذلك تقدم للقراء الشخصية التى تبرز والاطار الذى يتكون دون نقص وزيادة.

و من التظاهر العلمى لهذا الاتجاه المعاند المتحيز أن الشخصيـة التى يترجم لها أو العصر الذى يؤرخ له إن كان مكروها لدى المؤرخ فانـه يصرف نظره عن جميع الروايات التى تؤيده و توافقه، أو يبدى لها قليلا من العناية ثم يردها البتة، حينما يبرز بقوة جميع الروايات المعارضة له، بل يبنى عليها تصويره للشخصية والعصر.

ان مؤرخا محايدا يستطيع أن يتساءل : ألم تكن وقعت واقعة أخرى فى السنوات الأربع لخلافة الأمير يزيد بن معاوية سوى وقعة كربلاء وحادثة الحرة والهجوم على مكة المكرمة ؟ ثم اذا كانت هذه الأعمال ، أو الأعمال السوداء ، للقواد المعاصرين فاذا كان اشتغال الخليفة(٤٥) ؟ وما هى الأعمال البنائية والمشرقة التى تمت فى عصر خلافة معاوية التى امتدت نحو عشرين سنة(٤٦) ؟ ولماذا تصفه المصادر بجامع الاسلام الثانى ؟ ونفس هذا التفكير الناقص ، وعصبية المؤرخ الذهنية والمذهبية ، و النظريات المترسمة من ذى قبل تقف وراء تصوير المنافسة(٤٧) بين بنى هاشم و بنى أمية ، أو وراء الحكومة الاموية التى تسمى بحكومة غير اسلامية .

ثم هناك سؤال آخر : هل يصبح المجتمع كله أو نظام الحكم بأسره أو الشخصية بكاملها غير اسلامية لمجرد الاتيان بعدة أعمال غير اسلامية أو اظهور بعض العادات و الآداب المعارضة للأخلاق ؟ هذه وجهة نظر الخوارج الذين يرون مرتكب الكبيرة كافرا ، أو المرجئة الذين يعتقدون الاباحة ، أى يبقى المرأ مسلما مهما أتى بالأفعال(٤٨). ونظريتا الافراط والتفريط كلتاهما كانتا سما فتاكا بالتاريخ الاسلامى .

وموقف الاستعمام والتعميم على أساس روايات عديدة يشكل خطرا كبيرا ، ولقد رأينا أن قاعدة كلية يتم وضعها بناء على عدة روايات وأحداث ، ثم يتم على هذا الأساس الطعن فى شخصية أو عهد ، أو الثناء عليهما هكذا . مع أنه ينبغى تجنب التعميم والكسح فى كتابة التاريخ إلى حد الامكان .

وإن لم يكن بد من التعميم فينبغى أن لا يكون قطعيا و حتما حتى لا ينسد باب الاحتمالات والامكانات الاخرى . ان مثل هذه التعميمات لابد أن تخضع لقوانين التاريخ والنقد والعقل والرواية فى خلفية الأحداث والروايات المتعلقة ،

حتى نعرف مدى تطابقها مع التصوير الاجمالى للشخصية التى يجرى البحث عنها ، أو هى مثل الشواذ والمستثنيات ، التى تحتل درجة ثانوية لا أصلية وأساسية ، ومن هنا يجب الحذر التام فى عرضها وقبولها . ويلزم وضع جميع الأحداث خاصة والتعميمات فى تناظرها التاريخى السليم ونقدها كذلك ، وإلا أدى إلى استنباط نتائج خطيرة وخاطئة منها .

ونتيجة لهذا التعميم يجعل دخول طلقاء مكة وخاصـة أكابر الأمويين فى الإسلام متفرعا من المصالح السياسيـة والاقتصـاديـة ، ويطعن فى دينهم وعقيدتهم[٤٩] . وقد ذهبت بعض أوليات عثمان أيضا ضحية لاتجاه التعميم الخاطئ المذكور[٥٠] . وبنفس السبب توضع الخلافـة الأموية كلها وكذلك الصحابة الأمويون فى منزلة أقل بكثير من المستوى الأعلى للقيم الإسلامية السامية . ومن أمثلة ذلك : شرب الوليد بن عقبة للخمر[٥١] ، وقتل حجر بن عدى فى عصر معاوية[٥٢] . وبناء على ذلك يرى الصحابيان على الترتيب بدناءة الخلق والسلوك ، وبالظلم والجور ، مع أن الطبرى وبعض المصادر الأخرى تشهد للأول بسمو الخلق ، وللثانى بالحلم المعروف[٥٣] .

ومن حلقات هذا التعميم تعليق ورأى ناقل أو راو أو مؤرخ على شخصية أو حادث أو عهد . ولا يقبل مؤرخونا جميع هذه الآراء والتعليقات مغمضين عيونهم فحسب ، بل يقومون باصدار الفتاوى على أساسها فقط . واننا لا ننكر أهميـة آراء الرواة والمحدثين والمؤرخين وتعاليقهم ، وأحيانا صـدقها ، فان معظم علم أسماء الرجال مبنى عليها ، وكثير من تلك الآراء والتعليقات تنعكس منها الحقيقة أيضا ، ولكن لا يلزم من ذلك كون كل رأى وتعليق جـديرا بالقبول ، ولذا يجب عرض مثل هذه الآراء والتعليقات كلها على ميزان النقد

والنقل والرواية والدراية والعقل والفكر . فيمكن أن يكون الراوى أو تعليقه أحيانا مبنيا على التعصب والتحيز ، وأحيانا على الجهل . وأحيانا ظلا الأفكار والاتجاهات العامة ، والملق ، مع اتصافه بجميع الصفات العالية والتدين الكامل ، قد يزل فى نقطة وقد يستخدم هذه الزلة لتضليل الآخرين شاعرا أو غير شاعر . ويمكن أن تكون هذه الزلة ناشئة من الجهل أو من عدم اتجاهه إلى التحقيق وحبه للسهولة ، وقد يمكن أن يكون تعليق لمحدث أو راو خاصا بمحل وموضع ، ويؤدى نقله من موضعه ثم تعميمه إلى الفساد والخلل

ومثال طريف لذلك اعتقاد عامة العلماء والمثقفين وانطباعهم عن المؤرخ الواقدى أنه راو غير ثقة ، لأن بعض المحدثين ضعفوه ووهنوه ، إن المؤرخين المسلمين وخاصة المؤلفين الشرقيين يحترزون قبول روايات الواقدى ، ولكنهم يضطرون لذلك أحيانا . وقد جعل بعض علمائنا ومؤرخينا الواقدى غير ثقة بعد أن ساقوا الآراء والتعليقات المؤيدة والمعارضة له لمجرد أن أكابر المحدثين ومشاهيرهم قد ضعفوه(٥٤) . ولكن لم يتجشم أحد إلى الآن مشقة التحليل بأن كتابات الواقدى الشخصية ترفع به إلى منزلة الوثاقة أو تنزله إلى عدمها وقد أثبتت دراسة جديدة أن جميع روايات الواقدى الموثوق بها توجد فى مسند الإمام أحمد بصورة أو أخرى(٥٥) . ثم لم يتم إلى الآن التمييز بين كتابات الواقدى الأصلية وبين المنتحلة له . ويرى المستشرقون أن كتاب المغازى تراث أصلى له ، وبقية المؤلفات فى الفتوح والأنساب نسبت إليه خطأ(٥٦) .

وكذلك ينبغى أن تعلم نكتة مهمة أخرى ، وهى أن المحدثين الكرام يوهنون كل مؤرخ ينحرف عن طريقة كتابتهم وجمعهم قليلا . والأصل أن هنالك فرقا كبيرا بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين فى الجمع والكتابة ،

فان المحدثين لا يذكرون إسنادا لكل رواية فحسب ، بل لا يوجد بين مروياتهم ترابط واتحاد ، انهم تعودوا على النظر إلى كلام النبي ﷺ وعمله وعرضهما فى صورة الوحدات والجزئيات ، حينما يركز المؤرخون على ما بين الروايات من الترابط والاتصال وعلى الكلام المترابط المتصل ، أما الاسناد فلا يحمل عندهم أهمية أساسية ، انهم يحاولون تصوير العهد والشخصية ، ويتصورون المرويات حلقات مختلفة من سلسلة واحدة انتظمت بسلك غير محسوس .

ومثال طريف للتعميم أن الحكم الموجود فى الآية السادسة من سورة الحجرات نزل فى الوليد بن عقبة الأموى ، واتفق على ذلك العلماء جميعا ولم يختلف منهم أحد ، كما يرى ويدعى الحافظ ابن عبد البر(٥٧) . مع أن تحليلا تحقيقيا(٥٨) يدلنا على أن اختلافا كبيرا وقع واستمر بين العلماء والمفسرين والمؤرخين حول سبب نزول هذه الآية الكريمة ، ولكن الحافظ ابن عبد البر لم يطلع عليه . ومن تعسف العلماء والمؤرخين المتأخرين أنهم قبلوا تعليق الحافظ ابن عبد البر العام دون نقد وتحقيق ، ووصفوا على ذلك صحابيا عظيما من أصحاب الرسول ﷺ بالفسق والفجور ، مع أن الأمانة العلمية والأخلاق الإسلامية والموضوعية فى كتابة التاريخ كانت تتطلب عرض ذلك التعليق العام على محك النقد ، ثم قبوله إذا ثبت صدقه ومطابقته للواقع ، ولكن أسلوب الفكر والكتابة المعارض للتاريخ والعلم قد أضل أولئك المؤرخين وكذلك من صدقهم فى كتاباتهم .

وهناك قضايا أخرى لكتابة التاريخ الإسلامى ، ولكن أكتفى فى هذا البحث بما ذكرت . وبعد هذا البحث يتحتم علينا وخاصة على أهل العلم والبصيرة البحث عن حل القضايا التى أثيرت فى هذه الدراسة ، فان لم نقدم تاريخنا المجيد فى مناظره الصحيح ، واتخذنا موقفا مبينا غير علمي تحت ستار المقتضي الديني

أو الحضارى أو النظرى لانقطعت صلتنا عن ماضينـــا المجيـد ولبقينا متأرجحين في الفراغ الحضارى الرهيب ، ان جيلنا المسلم المعاصر متنكر لأسلافـــه ، جاهل لتاريخه ، خجلان من حضارته ، نفور من دينه إلى حد ما ، ونحن العلماء والمؤرخون نزيده تنفرا بكتاباتنا غير العلمية . أنى أعتقد ، ودراستى المتواضعة تؤيد هـــذا الاعتقاد ، أن تاريخنا لو كتب على الخطوط السليمة لكان فيـه مفخرة وطمأنينة لقلب كل مسلم وذهنه ، وظهرت مشاجرات الصحابة وخلافات خلفاء الإسلام فى صورة النتائج اللازمـــة للمجتمع البشرى ، بحيث لا تشين ايمان السلف وقدسيتهم ولا تؤدى الجيل المعـــاصر إلى الخجل والندم ، بل تتحقق المقارنة بين صـــدق المبادىء الاسلامية وبين جهود المسلمين . فالمسئولية الآن على المؤرخين والمترجمين الاسلاميين لأن يعرضوا التـــاريخ الاسلامى فى تناظره الصحيح ، حتى تتلق الأجيال الجديدة دروسا من ماضيها المجيد ، وتجعل حالها مزدهرا ومستقبلها سعيـدا .

هوامش البحث

(١) سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني ، مطبعة معـــارف بأعظم كره ١٩٨٢م ، (ج ١ ص ٥ — ٨٤) والعلامة قـــد أثار جميع هذه المبـــاحث فى الجزء الأول من مقدمته التى استغرقت الصفحات الخمس والثمانين الاولى ، والأصول المـــذكورة سابقـــا خلاصة ذلك المبحث الطويل الذى أنشأه العلامة السيد سليمان الندوى ، والظاهر أن جميع هذه الأصول تتعلق بقبول روايات المصادر والمراجع وردها ولكن بعضهـــا لا يمكن قبوله كما هو ، فى الأصل الأول يجب وضع أصل الجمع والتدوين مكان أصل الترجيح ، والأصل الثالث يقضى بترجيح رواية الحديث على السيرة فى جميع الأحوال ، ولكنه ليس مقبولا عند المؤرخ ، فإنه يجعل نصب عينيه الانسجام مع التناظر التاريخى والعوامل التاريخية .

(٢) عثمان ذوالنورين للشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادى ، طبعة ندوة المصنفين بدهلى ١٩٨٣م (ص ٥ —٥٣) وهذه الأصول الأربعـــة خلاصة بحث الشيخ الطويل الذى يستغرق نحو ٥٧ صفحة ، وهذه الأصول الأربعة للشيخ الأكـــبر آبادى تتعلق بتنقيح الروايات والأخبار وتهذيبهما ، وكونهـــا أصولا لدراسة التاريخ أوضح من كونها أصولا لكتابة التاريخ .

(٣) وبناء على هذا الأصل ينشأ عامة خطـــأ فى الفهم ، وهو أنه لا يمكن جمع المواد من جميع المصادر والمراجع ، فإن جميع المصادر ليست فى متناول الأيـــدى ، وإن كانت فإن إلـــتزام الوقت والأحوال لا يتيح فرصة الاستفادة التـــامة من جميعها ، ولكن الظاهر أن هذا الأصل لايرمى إلى جعل المستحيل ممكنـــا ، بل المقصود مراجعـــة إلى جميع المصـــادر المتوفرة ، ولا شك أن مراعاة الوقت والأحوال تحـــدد كل عمل انسانى ، وليس فى المستطاع أن يطلع الانسان على جميع المصادر ، فمع جميع هذه الالتزامات والموانع الطبيعية والانسانية يلزم

بذل المحاولة للاستفادة من أكثر المصادر ، ولكن المشاهد أن الكتاب يكتفون بالاستفادة من مصادر عديدة فقط ، وهي مصادر متأخرة زمنيا ، وذلك لاحتوائها على روايات القدماء ، مع أن الاستفادة من المصادر الأصلية القديمة لا بد منها ، سواء تمت الاستفادة من المصادر الحديثة أم لا ، نعم إذا كانت المصادر المتأخرة تحتوى على رواية أهم أو على التعبيرات التى خلت منها المصادر القديمة بسبب أو آخر، فإن الاستفادة من المصادر المتأخرة تصير أمرا حتما . فالقصد من الأصل المذكور أن لا تبقى ناحية من الموضوع الذى يجرى البحث عنه فى حاجة إلى التوضيح .

(٤) يتضح من الدراسة التحليلية لمصادرنا القديمة عن السيرة والتاريخ أن أصحابها لم يكونوا معصومين عن الأخطاء البشرية ، فمثلا يبدو عن ابن إسحاق صحيحا أنه قام باخفاء بعض الأمور أو بتأويلها عن الأسرة العباسية ارضاء للخليفة العباسى المعاصر والجماعة الحاكمة فقد ألقيت ستور من المداهنة على جميع الروايات التى تذكر مشاركة عباس بن عبد المطلب فى غزوة بدر من قبل المشركين وأسره وفداءه وذلك كى يثبت أنه من السابقين فى الإسلام، وأن ضغط كفار مكة اضطره للمشاركة فى الحرب ضد المسلمين ، ولكن مثل هذه الروايات جميعا لا تثبت على محك الرواية والدراية ألبتة ، وقد رجع بنوعدى وبنوزهرة وطالب بن أبى طالب من بنى هاشم وعديد غيرهم بعد وصولهم قرب بدر ، لأن دافع غزوهم كان قد انتهى بأن عير أهل مكة تحت إمرة أبى سفيان كان قد نجا من متناول المسلمين أما غيره من المؤرخين الأولين وكتاب السيرة فكان شرحبيل بن سعد يميل إلى العباسيين لسبب اقتصادى . ووهب بن منبه متهم بالميل إلى الاسرائيليات وفى الواقدى ميول شيعية معتدلة ، وكان أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى يميل ، مع ميوله الشيعية ، إلى مدح قبيلة الأزد ، حينما كان يتعصب سيف بن عمر لقبيلة تميم، والسرى مجهول الحال ، واليعقوبى شيعى تماما، وهذه بعض الأمثلة، والمزيد من البحث يدلنا على أن الرواة والاخباريين كانوا ضحايا عصبياتهم ، ولذا ينبغى

التنبيــه إلى عنصر التعصب حين الأخذ برواياتهم ، ويراجع للتفصيل : كتــاب جوزوف هورو وتس (مؤلفــات السيرة الأوليــة ومؤلفوها) ترجمه إلى الأردية الدكتور نثار أحمد فاروق ، مجلة نقوش بلاهور ، العدد الخاص بالرسول ﷺ ، عام ١٩٨٢م ، ج ١ ص ٧٠ — ٧٢٢ ، والفريد غيوم : سيرة رسول الله لابن إسحاق ، لندن ١٩٥٥ م ، الترجمة الانجليزية (المقــدمة) وكذلك مقال الأستاذ تحسين فراقى فى نقوش (ج ١ ص ٤٠ — ٤٢٤ ، ونثار أحمــد فاروق (Early Muslim Historiography) دهلى ١٩٧٩ م ، ص ٣٠٣ — ٢٧١ ، ولفرانز روز نتهال (History of Muslim Historiography) ليــدن ١٩٥٢ م . ص ٧٠ — ٥٩ وبعدها .

(٥) نجد فى فن أسماء الرجال الحكم على جميع الرواة بالتوثيق أو عدمه ، وينبغى هنا التنبه على أن هذا الحكم خاص بالحديث لا بالتاريخ ، وقد حكم كثير من المحدثين على الواقدى بأن أحاديثه ضعيفة غير مقبولة . ولكن مكانته فى التــاريخ والفقه مكانة إمام الفن ، وقد اعتمد من الفقهاء العظام القــاضى أبو يوسف على روايات الواقدى التاريخية . وتعترض بهذا الصدد مسألة مهمة ، وهى أننــا نجد فى شخص أو راو رأيين مختلفين ، فطبقة تراه ثقة ، وطبقة أخرى تصفه بأنه لا يوثق بــه ، ومن هنا يصعب القطع برأى ، وفى مثل هذه الصور ينفع تحليل الرواية ونقدها أكثر من الراوى . أما أقوال الرواةوالاخباريين العــامة ، أو فتاويهم عن الشخصيات والعهود فلابد من تمحيصها فى تناظرها التاريخى الصحيح ، وبعــد ذلك يأتى دور قبولها أو رفضها . راجع مقالات سليمان للسيد سليمان الندوى ، المقال الثانى عن الواقدى ص ٦٥—١١٢ ، كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف ، القاهرة ١٩٣٣م ، ص ٢٦—٢١ وبعدها وأيضا مقال جوزوف هورو وتس ، وكتاب روز نتهال المذكور .

(٦) يأخذ مؤرخونا الشرقيون وخاصة العلمــاء باصدار أحكام الحق والباطل بناء على بعض الوقائع التاريخيــة ، وعلى سبيل المثال نجد عامة فى كتبهم ضمن الخلافات

بين على وعائشة ، و بين على ومعاوية ، الفتوى على كون الأول دائما على الحق ، والثانى على الباطل . وكذلك نراهم يصفون بعض سياسات عثمان بالبطلان . ان مثل هذه الأحكام والفتاوى لا ينبغى أن توجد فى التاريخ ، بل يستحن بعد تحليل الوقائع أن يفسح المحال أمام القارىء للحكم ، فإن مجال التاريخ ليس مجال الدين والعقيدة حيث يتحتم الحكم بالحق أو الباطل ، و يراجع للمثال كتاب الخلافة والملوكية للشيخ أبى الأعلى المودودى ، دهلى الجديدة ١٩٦٩ م ، ص ١٣١ ، ١٣٧ وبعدها

(٧) ومثال ذلك كتاب نبى الرحمة للشيخ أبى الحسن على الندوى ، لكنئو ١٩٧٨ م ، وكتاب الخلافة والملوكية للشيخ المودودى ، فإنهما يحتويان على المواد المذكورة الناقصة ، فقد استفاد مؤلفوهما من مصادر عديدة فقط ، أى بنى كتاب الشيخ الندوى فى الأغلب على ابن هشام وزاد المعاد دون غيرهما من الكتب .

(٨) فمعظم كتب السيرة والتاريخ الاسلامى التى ألفت بالأردية يتوفر فيها النقص المذكور

(٩) ومثال ذلك أن الشيخ المودودى قد أحال فى رواية شرب الوليد بن عقبة الأموى إلى البداية والنهاية (ج ٧ ص ١٥٥) والاستيعاب (ج ٢ ص ٦٠٤) وإلى أبواب البخارى ومسلم وأبى داود عن الخمر ، ثم أكثر الاحالة فى جميع مبحثه إلى فتح البارى للحافظ ابن حجر ، وإلى شرح العينى للبخارى ، وشرح النووى لمسلم ، والمغنى لابن قدامة ، والشرح الكبير له ، ولكنه صرف نظره بهذا الصدد عن روايات الطبرى ، غيره من المؤرخين التى تثبت براءة الوليد ، راجع تاريخ الطبرى ، القاهرة ١٩٦٢م ، (ج ٤ ص ٧ـ ٢٧٥ ، وتاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦م ، (ج ١ ص ٣٨١ ، وج ٢ ص ٧ ـ ١٠١٦) والكامل فى التاريخ لابن الأثير ، بيروت ١٩٦٥م ، (ج ٣ ص ١٠٦) وللتفصيل يراجع كتابى : الوليد بن عقبة : سيرته وشخصيته تحت الطبع ٨ ـ ٢٥٠ وبعدها ، وكذلك يراجع عثمان ذو النورين للشيخ الأكبر آبادى (ص ٤ـ ١٣٣)

(١٠) محمد ﷺ ونهضة الاسلام لمارجليوث ، لندن ١٩٠٥م ، ص ١ ، المقدمة .
(١١) حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، و تحضر الآنسة طيبة نسرين دراستها على هذا الموضوع فى قسم دراسات غرب آسيا ، وهو خاصة موضوع مقالتها لدرجة الأستاذية فى الفلسفة (M. Phil) وراجع أيضا A Modern Arabic Biography of Muhmmad by Antonie wessels, ، لندن ، ١٩٧٢م ، ص ١٩٤ــ٢٢٤ وبعدها .
(١٢) سيرة المصطفى لمحمد ادريس الكاندهلوى ، دهلى ، ١٩٨٠م .
(١٣) أصح السير لعبد الرؤف الدانافورى ، كراتشى ، ١٩٥٧م .
(١٤) درمحام Life of Mahamet الترجمة الانجليزية ، لندن ، ١٩٣٠م ، واشنطون ايرونج : Life of Mabamet ، لندن ، ١٩٧٦م ، أطهر حسين : Praphet Muhammad and His Mission بومبائى ، ١٩٦٧م ، محمد على : Muhammad the prophet ، لاهور ، ١٩٢٤م .
(١٥) وليم ميور . لائف أوف محمد ، ايدنبرا ، ١٩٢٣م ، ميكسم رودنسان : محمد ، الترجمة الانجليزية ، لندن ، ١٩٧٦م ، مونتجمرى وات : محمد ايث مكة ، اكسفورد ، ١٩٥٣م ، محمد ايث مدينة ، اكسفورد ، ١٩٥٥م .
(١٦) هذان الكتابان نشرا على الترتيب من ندوة المصنفين بدهلى ١٩٥٧م ؛ و دار المصنفين بأعظم كره ١٩٥٦م .
(١٧) المصدر السابق ، وكذا يراجع (عثمان فى ضوء التاريخ وحده) للدكتور طه حسين ، الترجمة الأردية للأستاذ عبد الحميد نعمانى ، بومباى دون تاريخ .
(١٨) يراجع لما ألف عن على : خلفاء محمد لعمر أبى النصر ، بيروت ، ١٩٣٥م ، نقوش (عدد خاص عن الرسول ﷺ) ج ١٣ ، الفتنة الكبرى لطه حسين ، دارالمعارف ، القاهرة ، دون تاريخ ، ونشرت ترجمته إلى الأردية باسم (عثمان وعلى) ، على وخلافته للأستاذ پيام شاه جهانپورى ، لاهور ، ١٩٥٧م ، على و عائشة لعمر أبى النصر (ترجمه إلى الأردية الشيخ محمد أحمد بانى بتى) ، لاهور ، ١٩٦٢م ، على فى ضوء السياسة والتاريخ لطه حسين (الترجمة الأردية

لعبد الحميد النعمانى) قوى لائبريرى ، ماليگاؤں ، على والحسين للقاضى أطهر المباركفورى ، مكتبة دائره مليه ، أعظم كره ، دون تاريخ ، غرر الحكم ودرر الكلم لعبد الواحد محمد بن عبد الأحد التيمى (الترجمة الأردية باسم رهبركامل) كتب خانه اسلامى ، لاهور ١٩٦٢م .

(١٩) يراجع The Caliphate لوليم ميور ، بيروت ، ١٩٦٣م ، A short History of the Arabs لفيلب حتى ، نيويورك ، ١٩٥٨م ، تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ، القاهرة ، ٦–١٩٠٢م ، المصدر المذكور لطه حسين ، دى غلوريس كيليفيت لأطهر حسين ، لكنؤ ، ١٩٧٨م ، المصدر المذكور لسيد أمير على ، وللشاه معين الدين أحمد الندوى

(٢٠) راجع الهامش رقم ٩

(٢١) المصدر المذكور ص ٥٣–١٠٥

(٢٢) أيضا ص ١٦–١٠٦

(٢٣) و لهاوزن : ، Arab Kingdom and its Fall لندن ، ١٩٧٣م ، دينيل سى دينيت : مروان بن محمد (رسالة الدكتوراه بجامعة هارفارد) ، ١٩٤٥م ، Conversion and Poll-Tax in Early Islam ، كيمبردج ، ١٩٥٠م ، The Umayyad Caliphate, A. A .Dixon لندن ، ١٩٧١م ، فاروق عمر : Abbasid Caliphate لندن ، ١٩٦٧م ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، ١٩٨٠م .

(٢٤) العلامة شبلى النعمانى : الغزالى ، أعظم كره ، ١٩٥٦م ، المأمون ، أعظم كره ، ١٩٥٧م ، السيد سليمان الندوى : خيام ، أعظم كره ، ١٩٧٩م .

(٢٥) يراجع لأمثال الخلافة لوليم ميور وغيره .

(٢٦) يراجع لفرانسكو جبرئيلى : Muhammad and the Conquest of Islam لندن ، ١٩٦٨م مونتجمرى وات : محمد ايت مدينة ، ص ٢٢٠ ، شبلى النعمانى سيرة النبي ، (ج ١ ص ٨ - ٦١٧)

(٢٧) يراجع لهذا البحث كتابي المذكور ، وكذا عثمان ذو النورين ، (ص ٤/١٣٢ ١١ــ٢١٠ــ١٩٠ وبعدها .

(٢٨) الشيخ المودودى : الخلافة والملوكيــــة ، ص ١٠٩ وبعد ، عثمان ذو النورين ، ص ٤ــ١٩٢

(٢٩) دينيت : الجزية والاسلام (بالانجليزية) ص ٧٤ــ٨٠

(٣٠) الخلافة والملوكية ص ١٠٩ وبعد .

(٣١) عثمان ذو النورين ، ص ١٨٤ ، الهـــامش نقلا عن الطبرى (ج ٤ ص ٤٠٠) وابن الأثير : الكامل (ج ٣ ص ١٨١) .

(٣٢) المصدر المذكور .

(٣٣) ابن عبد البر : الاستيعاب (ج ١ ص ٤٧٦) عثمان ذو النورين ، ص ٢٤٠

(٣٤) يراجع لهذا البحث مقدمات كتب كل من نثار أحمد الفاروقى ، فرانز روز نتهال وسعيد أحمد الأكبرآبادى ، وأيضا مقال عبـــد العزيز الدورى فى كتاب Historians of the Middle East من تأليف برنارد ليوس وبى ايم هولت ، لندن ، ١٩٦٢م ، وبعض المقالات الأخرى فيه

(٣٥) الكتب المذكورة وخاصة نثار أحمد الفاروقى وفرانزروزنتهـــال ، ويراجع أيضا مقال جورف هورو وتس المذكور ، مارجليوث : Lectures on Arabic Historians ، كلكته ، ١٩٣٠م .

(٣٦) المصدر المذكور ، البحث عن عوانة والبلاذرى .

(٣٧) يراجع لكتابات القصاص المقال المذكور لعبد العزيز الدورى ، بركات أحمد محمد ايند دى جيوز ، دهلى الجديدة ، ١٩٧٩م (المقدمـــة) عثمان ذو النورين ، ص ٨ــ٢٧

(٣٨) الجزية والاسلام (المقدمة) .

(٣٩) يراجع لنظريات هؤلاء "علماء المسلمين : الخلافة والملوكية الشيخ المودودى ، تاريخ دعوة وعزيمة للشيخ أبي الحسن علي الندوي ، لكنئو (ج ١ ص ٣١)

نی الرحمة له ، شهید کربلا ویزید للشیخ محمد طیب ، دیو بند ، ١٩٦٠م ، المصدر المذکور لأمیر علی ، شهادة الحسین لأبی الکلام آزاد ، لاهور ، ١٩٥٧م .

(٤٠) دیفیل پائیپس : Slave Soldiers and Islam مطبعة جامعة بیل ، ١٩٨١م ، ص ٥—٧٠ وبعد ویراجع أیضا لآرنولد : The Preaching of Islam ، لندن، ١٩٣٥م ص٨—٢٥٧ ، الهامش ٤ ، وهنا یقدم نظریة السیر الفریدسی لایل (Sir Alfered C Lyall) التی أبداها فی کتابه (Asiatic Studies) لندن ، ١٨٨٢م ، ص ٢٨٩ .

(٤١) فیلیب کے حتی : Makers of Arab History لندن ، ١٩٦٨م ، ص ٥٨—٤٣

(٤٢) یراجع علی سبیل المثال کتاب الخلافة لولیم میور . وکتاب تاریخ الاسلام للشاه معین الدین الندوی ح ٣

(٤٣) مثل تاریخ الأندلس لرئاسة علی الندوی، أعظم کره ، ١٩٥٠م ، تاریخ الاسلام للشاه معین الدین الندوی ح ٣ وللسید امام الدین : A Political History of Muslim Spain داکا ، ١٩٦١م .

(٤٤) یراجع لهذا البحث Jacob Lasner : The Shaping of Abbasid Rul' نیوجرسی ، ١٩٨٠م ، (الباب السادس والسابع) ، ٧٥—١٦٩ .

(٤٥) جمیع کتب التاریخ الحدیثة فی هذا الموضوع تذکر هذه الأعمال السیئة الثلاثة فقط ، وتصرف النظر عن الوقائع السیاسیة والاجتماعیة والعسکریة والاقتصادیة الأخری ، نعم یشیر المستشرقون إلی بعض النواحی الأخری إلی حد ما ، ولکن صنیعهم هذا یشبه ما یقال من أن الاعتذار عن السیئة أقبح من السیئة ، یراجع الخلافة لولیم میور ، السید أمیر علی : A Short History of the Saracens دهلی الجدیدة ، ١٩٧٧م ص ٩—٨٣ ، تاریخ الاسلام للشاه معین الدین أحمد الندوی (ج ٢ ص ٦٩—٤٥) أعظم کره ، ١٩٤٨م ، وهذا الأخیر کتب عن فتوح ذلك العهد أیضا .

(٤٦) مباحث الکتب المذکورة عن خلافة الأمیر معاویة . وفی هذا الباب ذکر الشاه

معين الدين أحمد الندوى أعمال الامير معاوية بأمانة، وهذا موقف فريد ومحمود فى التأريخ الأردى عامة، وفى اللغات الأخرى خاصة.

(٤٧) يراجع لهذا البحث مقالى (الخلفية التاريخية للنافسة بين بنى هاشم وبنى أمية) مجلة برهان. دهلى، يناير ١٩٧٨م.

(٤٨) يراجع لمعتقدات الخوارج والمرجئة. الخلافة والملوكية، ص ٧–٢١٣

(٤٩) الخلافة والملوكية، ص ١٠٩، سيرة النبي (ج ١ ص ٦– ٥٣٥) مع الهوامش.

(٥٠) عثمان ذو النورين، ص ٩٠–١٨٦ وبعد.

(٥١) الخلافة والملوكية، ص ٣–٢١٢ مع الهوامش

(٥٢) أيضا ص ٥–١٦٤

(٥٣) الطبرى (ج ٤ ص ٢٧٧) وبعد.

(٥٤) يراجع مثلا المقال المذكور السيد سليمان الندوى.

(٥٥) لم يصدق إلى الآن الاعلام الاخبارى المفيد بأن رسالة الدكتوراه قدمت فى إحدى جامعات بريطانيا حول هذا الموضوع.

(٥٦) يراجع حول كتابة الواقدى للتأريخ المقال المذكور لجوزف هورو وتس، ومقدمة محقق كتاب المغازى (مارسدن جونس)، ويراجع فى عثمان ذوالنورين تصريح الشيخ الأكبرآبادى أيضا

(٥٧) الخلافة والملوكية، ص ٢–١١١، الهامش ٨

(٥٨) يراجع لهذا البحث مقالى (دراسة نقدية حول أهمية فى أسباب النزول فى الإسلام) تحقيقات اسلامى، على كره، يناير – ابريل ١٩٨٠ م (ج ١ عدد ٢–١).

زيارة القبور

++++++++++

للعلامة محمد اسماعيل السلفى
تعريب. الدكتور مقتدى حسن الازهرى

(الحلقة الثانية والأخيرة)

آداب الزيارة

تسن زيارة عامة القبور ، فليقرأ الزائر الدعاء المسنون لدى زيارة القبر ، وقد رويت ألفاظ الدعاء عن النبي ﷺ ، و مع وجود الخلاف فيها نجد أمرا مشتركا بينها ، وهو أن جميع صيغ هـــذه الدعاء تتضمن الدعاء لصاحب القبر ، ولم يطلب شيء من صاحب القبر ، ومراعاة هذا الأدب ضرورية جدا ، لأن دعاء المرء الله تعالى لنفســـه أو لغيره عبادة ، فتى صرف هـذا الدعاء إلى الغير يكون عبادة له . وقد قال النبي ﷺ : الدعاء مخ العبادة .

وورد فى حديث آخر : الدعاء هو العبادة .

وعبادة غير الله شرك فى الحقيقة .

والعبادة حق خاص بالله تعالى ، لا يشاركه فيـــه ولى أو نبي . ومن دعا نبيا أو وليا فانه جعله شريكا لله تعالى .

ونعلم من هنـــا أن الزائر إن دعا الله تعالى لصاحب القبر وقت الزيارة فان ذلك عبادة يثاب عليـــه . وإن دعا هو صاحب القبر وسأله شيئا فان ذلك

شرك تحبط به أعماله .

بل المـــذهب الصحيح أن لا يرى القبر موضع التقرب ، ومن الخطأ أن يدعو عنده أحد ، ويحسب أن الدعاء يقبل عنده أو يقبل سريعا .

وقد اشتهر أثر يقول إن الامام الشـافعى كان يرى قبر الامام أبى حنيفـة موضع القبول ولكنه خطأ لا يتصل بالإمام الشافعى بسند .

والطريقة الصحيحـــة الوحيـدة للزيارة أن يقرأ الـدعاء المسنون ، ويسأل المغفرة للقبور ، كما يفعل فى الجنازة ، فان أصحاب القبور لا يستطيعون أن يأخذوا أو يعطوا شيئا ، ولذا من العبث أن نسألهم شيئا ، بل إن ذلك إثم .

الكذب والافتراء

سمعنا عبـــاد القبور يقولون : « إذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا بأهل القبور » .

يقال إن ذلك حـــديث ، ولكن الواقع انه ليس بحـــديث ، فقد صرح المحدثون بأنه كذب ، يقول ابن تيمية : هو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٨٥)

ويقول الشاه ولى الله بعد هذه الرواية : هذا قول المجاورين ، افتروه على النبي ﷺ للحصول على النـــذور . (البلاغ المبين ص ٥٣) والاستـــدلال بالأحاديث الموضوعة فى باب العقائد جهل .

وهكذا اخترع أهل البدعة رواية أخرى : فأعينونى يا عباد الله .

ولكن لم ترد هذه الكذبات فى حديث صحيح ، بل ورد عند أبي يعلى وغيره كما يأتى : اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا على ، فان لله فى الأرض حاضرا يحبسه

وليس فى هذا ذكر الاستعانة بتصور الأولياء.

ويروى عن الشافعى. أصابنى ضيق فدعوت عند قبر أبى حنيفة فأجبت.
(اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣، ط مطابع المجد ١٣٩٠هـ مكة).

وهذا افتراء على الشافعى لما يأتى، فأولا إنه لما جاء بغداد لم يكن قبر الامام فيها معروفا.

وثانيا: ان الشافعى كان قد جاء من الحجاز، وكان فيها قبور الذين هم أفضل من الامام أبى حنيفة بكثير، وكانت هناك قبور الصحابة، فلماذا لم يعالج الشافعى فقره بالذهاب اليها؟.

وثالثا: لماذا لم تحصل هذه الوصيفة للامام أبى يوسف والامام محمد والامام زفر من تلاميذ الامام؟ ولماذا لم يدعوا عند قبر أستاذهم، ان الامام الشافعى وجد هذه الوصيفة فى الحجار، وحرم التلامذة الملازمون له ليلا ونهارا!

احتفال أهل البدر

يقول عامة القبوريين فى خطبهم: ان النبى ﷺ كان يذهب إلى قبور شهداء بدر كل سنة ولكن لم أجد هذا الحديث فى الصحاح، ولا ورد ذكره فى كتب التاريخ والسيرة، والمظنون أن أيدى القبوريين قد لعبت فيه.

وكان فى غزوة بدر قتل من صناديد قريش نحو من سبعين نفرا، وكلهم قد ألقوا فى قليب سوى أمية. واستشهد نحو أربعة عشر صحابيا، ولكن لم يعلم موضع دفنهم وكيفيته على وجه الصحة والتحديد.

فلو كان النبى ﷺ يذهب إلى قبورهم كل سنة بالتزام لذكر ذلك فى الأحاديث والآثار، ثم الجدير بالتأمل وجود هذه الطريقة فى الصحابة، فانهم كانو يعملون بكل سنة من سنن النبى ﷺ ويتفانون فى ذلك.

ثم إن موقع بدر بعيد جدا من المدينـــة ، والنبي ﷺ لم يتعود على مثل هذا السفر، ولم تكن أشغاله تسمح بذلك .

شهداء أحد

قد ثبت فى شهداء أحد أن النبي ﷺ ذهب إلى أحد ، ويبدو هذا صوابا فان أحدا جزء من المدينة المنورة ، ولعل طريقها مثل البقيع . و هـذا لا يسمى سفرا ، وانه ﷺ لم يقم به كل سنة ، بل ذهب فى عام (٨ هـ) فقط ، ودعا للشهداء ، فقد جاء فى البخارى :

عن عقبـــة بن عامر قال صلى رسول الله ﷺ : على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع الأحياء والأموات (٥٧٨/٢)

و تكرر هذا الحديث فى ثلاثـــة مواضع مـن البخارى ، مرة فى كتاب الجنائز ، ومرتين فى كتاب المغازى ، ويوجد خلاف يسير فى الألفاظ ، و بهـذا الحديث تظهر الأمور التالية :

١ ــ لم تكن هذه الزيارة كل عام ، بل الواقع المذكور خاص بعام (٨ هـ)

٢ ــ كان هذا الحـادث حادث وداع ، فان النبي ﷺ لم يذهب بعـــده لزيارة شهداء أحد .

٣ ــ ألقى النبي ﷺ هناك خطبة ، وكان ﷺ يلقى مثل هذه الخطب لدى الأمور المعتادة .

ولو فهمنـا فى هذا الحديث من الصلاة معنى الـدعاء فحسب لكان أنسب .
والحنفية تكره صلاة الجنازة على القبر بعد خمس سنوات ، فان تفسخ الجثة يقيني فى هذه المدة والشافعيـــة تكره صلاة الجنازة على شهيـــد المعركة ، والأحاديث الصحيحة تقتضي ذلك ، فالقياس أن النبي ﷺ دعا دعوة مودع فى سنـة (٨ هـ) ،

ويمكن أن القبوريين ظنوا ذلك احتفالا ، ولكن الظاهر أن هـذه الروايات لا تتحمل الاحتفال ، ثم حملوا هذا الواقع على بدر أيضا ، فان استدلالهم يكون بهذه المثابة .

المنامات والقصص

ان الأوساط القبورية تعتمد كثيرا على المنامات والقصص الواهية ، وتثق بهذه « المنسوجات العنكبوتيـة » . ولكن الحق أن المنامات والقصص ليست حجة شرعية .

ومن دأب أئمة السنة أنهم لا يقبلون شيئا بدون سند ، ثم انهم فى العقائد يستدلون بما تواتر وثبت من ذخيرة الحديث ، وفى الأعمال لا يلتفتون إلى الضعاف والشواذ والمنكرات .

أما هؤلاء فيتعللون بالمنامات والأخبار الباطلة فى باب العقائد . ان أئمـة الأصول قد صرحوا بأن منامات الأمة ليست حجة شرعية ولا يثبت به حكم .

ثم ان مثل هذه القصص و المنامات توجد بكثرة لدى اليهود والنصـارى والهنود وغيرهم من الأمم الوثنيـة ، فلو فتحنا هذا الباب للاستدلال لما تعسر إثبات الوثنية والمجوسية أيضا ، ونبوة القاديانى أيضا تعتمد على هذه المنامات .

نعش دانيال

ذكر البيهقى فى السنن الكبرى وابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم عن أبى العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريرا عليـه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له . قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون . قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنـا بالنهار ثلاثـة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على النـاس لا ينبشونه .

(مختصرا من اقتضاء الصراط ص ٣٣٩)

أما رحمـــة الله تعالى على أهل الحق فانها تنزل على الأحياء والأموات ، ويمكن أن تنزل على دانيال ، وقـــد نزلت على النبي ﷺ والأنبياء والصالحاء ، بل نحن العصاة أيضا نرجو رحمته تعالى ، واستدلال القبوريين بما مر فان أحدا لم يستغث بدانيال حينـــذاك ، ولا هو يجوز الآن ، و لذا أخفى عمر ذلك القبر بحيث لا يستطيع أحد أن يعرفـــه وهذه التعمية دليل على أن الصحابـــة كانوا يرون الاستعانة والاستغاثة بالقبور غير جائز .

وقد كان ذلك بأمر من عمر ، ولم يعارضه أحد من الصحابة ، وهذا يدل على أن الصحابة كانوا على إجماع ضد هذه الأعمال الشركيـة ، وإلا أنهم كانوا يصرحون لعمر أيضا بما كانوا يكرهون .

و هناك محاولة لتشويـــه آية خاصة بالموضوع أيضا ، يقول تعـــالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قـــد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ الممتحنة : ١٣

معنى الآية واضح ، من بيانية ، والكفار بيان لأصحاب القبور ، أى يرجى الايمان فى الحياة ، وكذلك يتعلق الأمل بأسباب أخرى رحمة الله ، ولكن ليس هناك معقد أمل للكفار بعد الموت ، فالمسلمون الذين يتصلون بالكفار بعد الاسلام عليهم أن ييأسوا من رحمة الله . وعلى هذا ليس فى الآية مجال وسعـــة لعبادة القبور ، وقد اتفق جميع المفسرين فى تفسير الآية على الأسلوب المذكور .

ومن الواضح أن القرآن قـد نزل لمعالجة مثل هـــذه الأمراض ، فكيف يسمح بالشرك ؟

وقد ذكر الشاه عبد العزيز فى تفسير قوله تعالى : ﴿فلا تجعلوا لله أندادا

وأنتم تعلمون﴾ أقساما مختلفة للأنداد ، وفى القسم الرابع منها ذكر عبادة القبور فقال :

الرابع : يقول عباد المشايخ حينما يرتحل من هذه الدنيا رجل صالح صار بكماله فى الرياضة والمجاهدة مستجاب الدعوات ومقبول الشفاعة عند الله ، وتحصل لروحه قوة عظيمة وسعة كافية ، وكل من يحمل صورته برزخا أو يسجد ويتذلل فى موضع قيامه وقعوده ، فتطلع عليه روحه اسعتها وإطلاقها ، وتشفع له فى الدنيا والآخرة (التفسير العزيزى ١٥١/١) .

فالشاه عبد العزيز يرى مثل هذا الاستمداد والاعانة ندا وشركا ، وايجاب مثل هذه الوسائل والوسائط بين الله تعالى وخلقه اساءة ظن بالله ، يقول ابن القيم :

« ومن ظن أن له ولدا أو شريكا أو ان احدا يشفع عنده بدون إذنه أو ان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ويتوسلون بهم اليه و يجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويخافونهم و يرجونهم فقد ظن به أقبح الظن و أسوأه . (الهدى ١١٤/٢)

القاضى ثناء الله البانى بتى

كان القاضى ثناء الله يتبع المذهب الحنفى ، وكان صوفى المشرب ، صاحب نظر فى الحديث ، تحترمه طبقات الديوبندية والبريلوية وأهل الحديث ، وله اعتقاد قوى فى مجدد الألف الثانى . وله مكانة عالية بين اقرانه فى العلم والفضل والزهد والتقوى والانابة إلى الله ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ورفع درجته ، انه يقول فى إرشاد الطالبين ما ملخصه :

«لو قال أحد ان الله ورسوله شاهدان على هذا العمل لكفر ، والأولياء لا يوجدون المعدوم ، ولا يعدمون الموجود ، ونسبة الايجاد أو الاعـدام أو الرزق ومنح الأولاد ومنع الأذى والأمراض كفر ، يقول تعالى : ﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله﴾ ولا تجوز عبادة أحد سوى الله تعالى ، ولا طلب النصر من أحد ، وقوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يرشدنا إلى أن نستعين بالله وحده ونخصـه وحده بالعبادة ، وتقديم قوله (إياك) يفيد الحصر ، ولا يجوز أى نذر لأولياء الله ، فان النظر عبادة ، فلو نذر أحد مثل هذا النذر لما وجب عليه الوفاء به ، فان الحذر من المعصية ضرورى . ولا يجوز طواف القبور ، فان الطواف فى حكم الصلاة وهو حق بيت الله . ولا يجوز دعاء الأولياء والأنبياء أحياء كانوا أو أمواتا ، فقد قال رسول الله ﷺ : ان الدعاء هو العبادة ، ثم هناك قول الله تعالى فى البقرة ﴿ ادعونى استجب لكم﴾ وقال الله تعالى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ والذين ينادون بـ « يا شيخ عبد القادر الجيلانى شيئا لله » ، أو بـ « خواجه شمس الدين شيئا لله فان ذلك شرك وكفر » .

ثم يقول : قوله تعالى : ﴿ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ لا تخص عباد الأوثان فقط ، فان قوله « من دون الله » عام والعبرة فى الأحكام بعموم الألفاظ .

ثم يقول : ان ضم أحد إلى كلمة التوحيد قوله : « على ولى الله ، وأبوبكر ولى الله عزر ، وكذلك لا يجوز قول « يا محمد ، يا محمد » فى الذكر والورد (ارشاد الطالبين ص ١٩) .

والاستدلال بالقرآن المجيد على الشرك دعاء غير الله عجيب ، ولكن حيما

تفسد عقلية الأمم تظهر منها أغرب مما ذكر ، و هكذا حال اخواننا القبوريين انهم يطلبون من القرآن أدلة على الشرك والكفر ! ! !

ان الكتاب والسنة يهدفان إلى القضاء على الكفر والشرك والبدع لا الحفاظ عليها، وكانت حياة رسول الله ﷺ كلها حربا على الشرك ، ومقتضى حب الرسول واتباعه أن نعامل القبور المعاملة التى تجوز ونجتنب الأمور التى نهى عنها .

والذين نسميهم أولياء الله وصلوا إلى الولاية باطاعة الله ورسوله ، فكل عمل يعارضه الكتاب والسنة ينافى الاتيان به حب الأولياء ولا اعتبار للعمل الدينى الذى يخلو من صبغة الكتاب والسنة ومثل هذه الأعمال يؤدى إلى الخزى و الخسران فى الآخرة . مهما كان الادعاء للحب والشغف ، وفقنا الله جميعا للعمل بالكتاب والسنة ، آمين

✣✣✣

أول من جاب الأصنام إلى بيت الله

سافر عمرو بن لحى إلى الشام فرآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام ؟ فقالوا : نعبدها ، ونستمطر بها ، ونطلب منها النصر ، فتنصرنا ، فطلب منهم صنما ، فأعطوه هبل ، فقدم به مكة ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . وعليه قول الشاعر :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدا ... وقد جعلت له فى الناس أربابا

(الملتقطات ص ١٩٨)

✲✲✲

السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى
الجامعة السلفية - بنارس

(٧)

٥٢ — والشيخ عبد الله بن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخ الإسلام، كان أبصر بخط الشيخ منه، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه عبد الله هذا، وكان سريع الكتابة، لا بأس به، دينا عابدا، كثير التلاوة، توفى يوم عرفة يوم السبت سنة (٧٤٩ هـ)[١].

٥٣ — والإمام العلامة شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم أخو شيخ الإسلام (٦٦٦ — ٧٢٧ هـ) سمع من شيخ الإسلام: «الوصية الصغرى»[٢].

٥٤ — وعبد الله بن الشيخ علاء الدين على بن غانم.
سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٥٥ — والشيخ الامام المحدث صلاح الدين عبد الله بن محمد المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم، غنائم بن وافد الشهير بـ «ابن المهندس» الصالحى الحنفى (٦٩١ — ٧٦٩ هـ).

---

(١) البداية والنهاية (١٤/٢٣٩).
(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٤٠) وانظر: ذيل العبر للذهبي (٤/٨١) وشذرات الذهب (٦/٧٦).

سمع من شيخ الإسلام: جزء ابن عرفة مع أبيه سنة (٧٠٢ هـ) بجامع دمشق بالكلاسة، وأجازه شيخ الإسلام[١].

٥٦ — والشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك أبو محمد عبد الله بن موسى بن أحمد الجزرى نزيل دمشق، وكان من الصالحين الكبار، مباركا خيراً، عليه سكينة ووقار، وكانت له مطالعة كثيرة، وله فهم جيد، وعقل جيد، وكان من الملازمين لمجالس شيخ الإسلام، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة، ويفهمها، يعجز عنها كبار الفقهاء، توفى سنة (٧٢٥ هـ) بدمشق.

وقال ابن حجر: كان فاضلا خيراً ذا فهم، ومعرفة، وهيبة، لازم الشيخ تقى الدين ابن تيمية[٢].

٥٧ — والشيخ الإمام زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية أخو شيخ الإسلام، حبس نفسه مع أخيه بالإسكندرية ودمشق محبة له، وإيثارا لخدمته، ومازال ملازماً له حتى مات الشيخ، توفى سنة (٧٤٧ هـ)[٣].

٥٨ — والفقيه العالم زين الدين عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكى[٤].

٥٩ — والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن تيمية أبو محمد الحرانى (٦٦٤ — ٧٣٦ هـ)[٥].

---

(١) الدرر الكامنة (٢/٢٨٢) والرد الوافر (٧٩) والنجوم الزاهرة (١١/١٠١ - ١٠٢) والمنهل الصافى (٢/٢٧٠).

(٢) البداية والنهاية (١٤/١١٩) والرد الوافر (١٧٢) والدرر الكامنة (٢/٣٠٧).

(٣) انظر لترجمته: البداية والنهاية (١٤/٢٢٠) وذيل العبر للحسينى (٤/١٤٣).

(٤) العقود الدرية (٢٩٣) انظر لترجمته: الدرر الكامنة (٢/٣٤٧).

(٥) معجم شيوخ الذهبى (ق ٨٤/ب) والدرر الكامنة (٢/٣٧٦).

سمع من شيخ الإسلام « الوصية الكبرى[١] » . ومشيخة ابن عبد الدائم[٢].

٦٠ - والشيخ الفقيه المحدث عبد العزيز الأردبيلى أحد العلماء المبرزين فى الفقه والحديث قرأ بدمشق على شيخ الإسلام ، وبرهان الدين بن البركج ، والمزى ، وغيرهم ، ورحل إلى الهند وتقرب إلى السلطان محمد شاه تغلق ، فأحسن إليه ، وأكرمه ، ولقيه محمد بن بطوطة المغربى الرحالة بمدينة دهلى ذكره فى كتابه[٣].

وعلاقته بالسلطان كان لها تأثير فى مساعى السلطان للقضاء على الصوفية ، وآرائهم فى الولاية عصره .

٦١ - والشيخ عبد الحميد بن محمود بن أحمد الجيلى ، سمع من شيخ الإسلام ، « الوصية الصغرى » عام (٦٩٧ هـ)[٤].

٦٢ - والحكيم البارع الفاضل بهاؤ الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحي الطبيب الكحال ، المتشرف بالإسلام على يد شيخ الإسلام ، لما بين لهم بطلان دينهم ، وما هم عليه ، وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الكلم عن مواضعه ، وكان قبل ذلك ديان اليهود ، وقد أسلم على يديه خلق كثير (ت ٧١٥ هـ)[٥].

وذكره شيخ الإسلام ، وقال : حدثنى بهاؤ الدين عبد السيد الذى قاضى

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) .

(٢) انظر فهرس مرويات شيخ الإسلام .

(٣) نزهة الخواطر (٦٦/٢) .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) .

(٥) البداية والنهاية (٧٥/١٤) وانظر أيضا ترجمته فى الدرر الكامنة (٣٦٦/٢) .

اليهود ، وأسلم ، وحسن إسلامه[١] .

وقد سمع فى حال يهوديته مع أبيه من الشمس محمد بن عبد المؤمن الصورى أشياء من الحديث ، وكتب بعض الطلبة اسمه فى الطبقة فى جملة أسماء السامعين ، فأنكر عليه ، وسئل ابن تيمية عن ذلك ، فأجازه ، ولم يخالفه أحد من أهل عصره ، بل ممن أثبت اسمه فى الطبقة : المزى ، ويسر الله أنه أسلم بعد ، وسمى محمدا ، وأدى ، فسمعوا منه ، وممن سمع منه الحافظ الشمس الحسينى وغيره من أصحاب العراقى ، ولم يتيسر له السماع منه مع أنه رآه بدمشق ، ومات فى رجب سنة سبع وخمسين وسبعمائة[٢] .

٦٣ — والشيخ عثمان بن يحيى بن محمد الرقى

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٦٤ — وسيف الدين عربو بن عبد الله ، فتى مجد الدين عبد المحمود ، إمام تربة أم الصالح .

سمع من شيخ الإسلام : مشيخة ابن عبد الدائم .

٦٥ — وعلاء الدين على بن تقى الدين أحمد بن الزين أبى بكر محمد بن طرخان .

سمع منه مشيخة ابن عبد الدائم .

٦٦ — والشيخ على المحارفى : على بن أحمد بن هوس الهلالى كان رجلا صالحا مشهورا ، وكان يكثر التهليل والذكر جهرة . وكان عليه هيبة . ووقار ،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١/١١٧) .

(٢) فتح المغيث للسخاوى (٢/٤ - ٥) وعنه القاسمى فى قواعد التحديث مبحث توسع الحفاظ رحمه الله تعالى فى طبقات السماع (٢١٨ - ٢١٩) .

ويتكلم كلاما فيه تخويف وتحذير من النار . وعواقب الردى ، وكان ملازما لمجالس شيخ الإسلام ، توفى سنة (٧٢٧ هـ)[١] .

٦٧ ــ وعلى بن عبد الله بن نجم الدين على بن هلال ؛ حضر فى الثانيــة فى سماع مشيخة ابن عبد الدائم على شيخ الإسلام ، وغيره

٦٨ ــ وعلى بن عبد الغالب بن محمد بن عبد القاهر الماكسى .
سمع من شيخ الإسلام ؛ مشيخة ابن عبد الدائم .

٦٩ ــ والأمير الأجل الأفضل علاء الدين أبو الحسن على بن قيران السكرى توفى سنة (٧٤٤ هـ) وله ست وثمانون سنة[٢]

سمع جزء الأربعين من شيخ الإسلام فى الثامن عشر من ربيع الآخر سنة (٧١٧ هـ) بمشهد عثمان من جامع دمشق ، وأجاز له[٣] .

٧٠ ــ وعلى بن بدر الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد .
سمع من شيخ الإسلام : مشيخة ابن عبد الدائم .

٧١ ــ والإمام قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن محمد ابن عباس البعلى ، الحنبلى نزيل دمشق .

قال ابن ناصر الدين . كان للشيخ تقى الدين من المعظمين ولشيخ الإسلام له من المترجمين ، وجمع فى مصنف اختياراته له من مسائل الفروع ، ورتبها على أبواب الفقه مع زيادة من فوائده على المجموع[٤] .

---

(١) البداية والنهاية (١٤/١٣٠) .

(٢) انظر لترجمتــه : المعجم المختص للذهبي (ق ٥٤/ب) والوفيات لابن رافع (رقم ٣٩١) والدرر الكامنة (٣/٩٦) والرد الوافر (٧٥ - ٧٦) .

(٣) الرد الوافر (٧٥ - ٧٦) وذيل العبر (٤/٤٣) .

(٤) الرد الوافر (١٨٥) .

٧٢ — وعلاء الدين على بن محمد بن يوسف بن سيدهم بن على بن أبى فراس الشافعى.

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم.

٧٣ — والإمام الأديب المحدث المقرىء النحوى، أبو الحسن علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم المعروف بابن عرفة، الكندى الإسكندرانى، ثم الدمشقى صاحب التذكرة الكندية فى خمسين مجلدا، وشيخ دار الحديث النفيسية (ولد فى حدود ٦٤٠ و ت ٧١٦ هـ).

قال ابن كثير: كان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال ابن ناصر الدين الدمشقى: كان كثير الملازمة للشيخ تقى الدين، ومن خواص أصحابه المشهورين كثير التعظيم له والاحترام، وترجمه بشيخ الإسلام[١].

٧٤ — والشيخ على المغربى (ت ٧٤٩ هـ)

أحد أصحاب شيخ الإسلام، كانت له عبادة وزهادة، وتقشف و ورع، ولم يتول فى هذه الدنيا وظيفة بالكلية[٢].

٧٥ — والسيد الشريف عميد الدين الخشاب (٧٤٤ هـ).

كان رجلا شهما كثير الوجادة والمحبة للسنة وأهلها، ممن واظب شيخ الإسلام، وانتفع به، وكان من جملة أنصاره، وأعوانه على الأمر

---

(١) البداية والنهاية (١٤ / ٧٨)، ودول الإسلام (٢ / ٢٢٢)، والدرر الكامنة (٣ / ١٣٠)، والرد الوافر (ص ١٧٨)، والنجوم الزاهرة (٩ / ٢٣٥)، وشذرات الذهب (٦ / ٣٩)

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ٢٢٧)

بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو الذى بعثـه إلى صيدنايا مع بعض القسيسين ، فلوث يده بالعذرة وضرب اللحمة التى يعظمونها هناك ، وأهانه غاية الإهانة لقوة إيمانه وشجاعته[١].

٧٦ ـ والشيخ زين الدين عمر بن أبي بكر بن معالى بن إبراهيم ، التميمى البسطى التاجر (٦٦٤–٧٤٢ هـ) .

لازم مجالس شيخ الإسلام وانتفع به[٢].

٧٧ ـ والشيخ المحدث الرحال زين الدين أبو القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقى ، الشافعى نزيل حلب ومحتسبها وشيخ الحديث بها (٦٦٣–٧٢٦ هـ) .

سمع من خلق يزيدون على خمسمائة إنسان منهم شيخ الإسلام سمع منه جزء ابن عرفة سنة (٧١٠ هـ)

وخرج له الذهبي معجما عن شيوخه[٣].

٧٨ ـ والإمام المحدث أبو حفص زين الدين عمر بن سعد الله ابن عبد الأحد الحرانى ثم الدمشقى الفقيه الفرضى القـاضى الحنبلى أخو شرف الدين محمد الشهير بـ « ابن نجيح » نائب القاضى الحنبلى بالجامع المظفرى لازم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتفقه به حتى مهر وكان أحد خواص شيخ الإسلام ومحبيـه[٤].

---

(١) البداية والنهاية (١٤ / ٢٠٩)

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ١٩٨–١٩٩) ، والدرر الكامنة (٣ / ١٧٥)

(٣) تذكرة الحفـاظ (ص ١٥٦٠) . ومعجم الشيوخ للذهبي (ق ١٠٩ / ب) والدرر الكامنة (٣ / ١٥٨) ، والرد الوافر (ص ١٨٨)

(٤) البداية والنهـاية (١٤/٢٢٧) . والمعجم المختص للذهبي (ق ٥٩ / ب) =

٧٩ — والسيد الأجل العـــالم الفاضل فخر المحدثين ومصباح المتعبدين تقي الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن شقير[1].

٨٠ — والإمام العـــابد سراج الدين أبو حفص عمر بن الإمام نجم الدين أبي عمر عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عمر بن عبد المحسن اللخمي القباني، ثم الحموي الحنبلي نزيل القدس.

لازم شيخ الإسلام، واشتغل عليه وانتفع بما حصله مما لديه، فبرز على أقرانه وفضل، وكان جامعا بين العلم والعمل، وسمع من شيخ الإسلام وغيره جزء ابن عرفة، وحدث به في المسجد الأقصى سنة (٧٥٣ هـ).

وقال ابن رجب. كان جامعا بين العلم والعمل، واشتغل وانتفع بابن تيمية ولم أر على طريقه في الصلاح مثله رحمه الله[2]

٨١ — وزين الدين عمر بن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ابن تيمية. سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم.

٨٢ — والفقيه المحدث سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي، الأزجي الحنبلي، البزار (٦٨٨ - ٧٤٩ هـ)[3].

سمع من شيوخ عصره وجالس شيخ الإسلام، وصحبه وأخذ عنه وعني

= والقلائد الجوهرية (١ / ١٣٧)، وذيل العبر للحسيني (٤ / ١٥١)، والوفيات (رقم ٥٤٦)، والرد الوافر (ص ١٩١)، والدرر الكامنة (٣ / ١٦٦)، والنجوم الزاهرة (١٠ / ٤٠)، وشذرات الذهب (٦ / ١٦٢)

(١) العقود الدرية (ص ٢٩٣)، وانظر لترجمته: الدرر الكامنة (٣ / ١٧٢)

(٢) الرد الوافر (ص ١٩٣)، والدرر الكامنة (٣ / ١٦٨)، وشذرات الذهب (٦ / ١٠٨)

(٣) الدرر الكامنة (٣ / ١٨٠)، وشذرات الذهب (١ / ١٦٣)

بالحديث وصنف كثيرا ، وقرأ على الحجار صحيح البخارى ، وحضره خلق ، منهم شيخ الإسلام وكان معظما لشيخ الإسلام وألف فى سيرته كتابا باسم « الأعلام العلية » .

٨٣ - وعمر بن موسى بن محمد بن أبى بكر بن سالم المرداوى .
سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٨٤ - والمحدث الكبير المؤرخ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن البرزالى (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ)[1] .
سمع من شيخ الإسلام ثمانية أحاديث من جزء ابن عرفة ، وحضر ولده أبو الفضل محمد وهو فى الشهر السابع من عمره تبركا بحديث رسول الله ﷺ ، وقصدا للبداية بشيخ جليل القدر تعود عليه بركته وينتفع بدعائه . كتبه البرزالى بخطه فى رجب (٦٩٥ هـ) بسفح جبل قاسيون[2] .
وقرأ عليه أيضا « الوصية الصغرى[3] » .

٨٥ - والشيخ أبو القاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبى السبتى صاحب البرنامج (ت ٧٣٠ هـ) جاء فى رحلته إلى الحج عام (٦٩٧ هـ) إلى دمشق فى شهرى المحرم وصفر ، ولقى بها شيخ الإسلام ، وروى عنه جزء ابن عرفة وجزء لطيف منتق من حديث أيوب السختيانى كما سمع من مؤلفاته

(١) معجم شيوخ الذهبى (ق ١١٩ / ب) ، و المعجم المختص (ق ٢٥ / ب) ، والبداية والنهاية (١٤ / ١٨٥) ، وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٢ / ٣٦٧) ، وذيل العبر للحسينى (٤ / ١٤٤)

(٢) الرد الوافر (ص ٢٠٢) ، وقد سمع البرزالى هذا المنتقى من مائتى شيخ ، كما هو موجود فى نسخته الخطية المحفوظة بالظاهرية ، وقد حققته .

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى (١ / ٢٤٠)

كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل» و «الصارم المسلول على شاتم الرسول» و «رفع الملام عن أئمة الأعلام» وكتب له شيخ الإسلام «الوصية[1]» .

وذكر التجيبي هذه الوصية في برنامجه، وقال: كتبه لي بخط يده المباركة ودفعه لي عند إزماعي المسير من دمشق .

وذكره في ذكر أسانيده لصحيح البخاري ، فقال : وكان من جملة الوصية التي أوصاني بها التقي الفاضل أبو العباس ابن تيمية أن قال : ما في الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل ، وصدق ابن تيمية[2].

٨٦ — وسيف الدين قحق بن عبد الله التركي . سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٨٧ — والأمير حاجب الحجاب زين الدين كتبغا العادلي المنصوري ، حاجب دمشق كان من خيار الأمراء، وأكثرهم ميرا للفقراء، وكان ملازما لشيخ الإسلام كثيرا ، توفي سنة (٧٢١ هـ) [3].

٨٨ — والإمام المحدث الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن غنائم ابن وافد ابن سعيد الصالحي الحنفي المعروف بابن المهندس (٦٦٥-٧٢٣هـ)

---

(١) هي معروفة بالوصية الصغرى مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٤٠) ، وقد طبعت حديثا مفردة بتحقيق الأستاذ سليم الهلالي من المكتبة الاسلامية بالأردن.

(٢) انظر: برنامج التجيبي (٨٣ ، ١٢٦ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢٥٣ ، ٢٧٣) وصفحة «ط» من المقدمة .

(٣) البداية والنهاية (١٤ / ١٠١) ، والدرر الكامنة (٣ / ٢٦٤) ، وذيل العبر (٤ / ٦٢)

سمع من شيخ الاسلام جزء ابن عرفة سنة (٧٠٢ هـ) بجامع دمشق بالكلاسة وأجاز له الشيخ ما له روايته ، كما سمع منه مشيخة ابن عبد الدائم.

وكان من رفقاء الذهبي ، قال الذهبي : سمعت معه ، وسمعنا منه[1].

٨٩ — وابن الوانى المؤذن · الامام المحدث العالم المفيد أمين الدين جمال المحدثين أبو عبد الله محمد بن الشيخ المسند أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن الوانى المؤذن (٦٨٤ — ٧٣٥ هـ) .

خرج لشيخ الاسلام جزءا عن كبار مشايخه الذين سمع منهم ، وحدث به شيخ الاسلام ، فسمعه جماعة . وهو جزء الأربعين له .

وانتقى الذهبي لابن الوانى جزءا حدث به غير مرة[2] .

٩٠ — والخزرجي البيانى : المسند الكبير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن الياس الأنصارى الخزرجى ابن إمام الصخرة البيانى الدمشقى (٦٨٦ — ٧٦٠ هـ) . صحب شيخ الاسلام وقال ابن ناصر الدين الدمشقى : قال الخزرجى · أخبرنا شيخ الاسلام رحمة الله عليه بجميع كتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » مناولة فذكره[3]

---

(١) الرد الوافر (٧٨-٧٩) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٢) وذيل العبر (٤/٩٧) والدرر الكامنة (٣/٢٩١ - ٢٩٢) والوافى بالوفيات (٢/٢١) وشذرات (٦/١٠٥) .

(٢) معجم شيوخ الذهبي (ق ١٢٤/أ) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٧) والمعجم المختص (ق ٧٠/أ) وذيل العبر (٤/١٠٠) ودول الاسلام (٢/٢٤١) والرد الوافر (٧٤ - ٧٧) والدرر الكامنة (٣/٣٨٠) ، والوافى بالوفيات (٢/٢١ - ٢٢) وأربعون حديثا لشيخ الاسلام أول الاسناد (ص ٣٧) .

(٣) الرد الوافر (٨٠) ، والدرر الكامنة (٣/٢٩٥) ، و الشذرات (٦/١٧٥) .

(للبحث صلة)

الرئيس محمد ضياء الحق
عاش مجاهدا ومات شهيدا

د . مقتدى حسن الأزهرى

انتقل الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق يوم ١٧ / أغسطس ١٩٨٨ م إلى رحمة الله تعالى اثر الحادث الذى تعرضت له طائرته فى عودته من بهاولهور إلى اسلام آباد فى نحو الساعة الرابعة مساء بتوقيت باكستان ، وقد هز هذا الحادث الأليم المحزن شعب باكستان خاصة ، والمسلمين فى العالم عامة ، وكذا تألم بموته المفاجئ كثير من الرؤساء والزعماء وكبار الشخصيات من غير المسلمين .

ان الرئيس الباكستانى دفن فى فناء مسجد الملك فيصل باسلام آباد والتفاصيل التى نشرتها وسائل الاعلام المرئية والمسموعة لمشهد الصلاة على الرئيس ودفنه تدل دون شك على عظم المصيبة وشعبية الرئيس ومدى حب المسلمين له واحترامه وتقديره ، فقد أفادت الأنباء أن أكثر من نصف مليون شخصا حضروا جنازة الرئيس وودعوه فى رحلته من الدنيا بدموع حارة وقلوب حزينة وأبصار خاشعة ، والدول التى أرسلت وفودها لحضور ذلك الاجتماع بلغ عددها (٧٣) دولة ان الأوساط الصحفية قد استغربت من الجموع المحتشدة التى اجتمعت فى هذه المناسبة فإنها لم تكن تتوقع أن الرئيس الباكستانى كان قد وصل إلى هذه الدرجة من حب الناس وتقديرهم ، وانه سيطر على مشاعرهم وميولهم هذه السيطرة وتقول الأنباء انه لم يسبق فى تاريخ باكستان أن يحصل مثل هذا الاجتماع الكبير فى جنازة أحد . والمعلقون السياسيون يختلفون فى ترجيحهم للاجتماع ، ولكن المتعمقين منهم يصرحون بأن جهود الفقيد فى تطبيق

الشريعة الاسلامية وتحقيق الوحدة بين المسلمين هي التي حببته إلى قلوب الناس ، ودفعتهم إلى التعبير عن موجة الحزن والأسى التي غمرتهم بموت الرئيس

راح الرئيس الباكستاني ضحية مؤامرة خبيثة دبرت ضده للقضاء على نشاطه الاسلامي وجهوده في مجال تطبيق الشريعـة ودعم الجهاد الأفغاني . كانت هذه المؤامرة جزءا من سياسة العنف والارهاب التي استهدفت القضاء على كل نشاط اسلامي يخشى منه أعداء الاسلام . وهذا الحـديث ذكرني حدث اغتيال الملك فيصل الذي عقد به العالم الاسلامي آمالا كبيرة في السياسة والاقتصاد، وحدث العلامة احسان إلهي ظهير قريبا في باكستان الذي شهد لـه الجميع بنشاط جرىء وعمل مثمر في مجال الدعوة و الارشاد والبحث والتحقيق وكذلك الأحداث الأخرى التي تم فيها اغتيال الشخصيات الاسلامية العلمية . ان هذه الشخصيات الاسلامية بينها فوارق ومميزات دون شك ، ولكنهـا جميعا كانت تهفو إلى عزة الاسلام وكرامة المسلمين ، وهذا الذي لاحظه أعداء الاسلام فدبروا لهـا مؤامرات أدت إلى مصير واحد هو الموت . ماتت هذه الشخصيات دون شك ولكن الرسالة التي حملوها لن تموت ، وان تخمد الجذوة التي أشعلوها في قلوب المؤمنين بتضحية نفوسهم في سبيل الإسلام . انهـا كانت تعمل في سبيل العقيدة والايمان متمسكة بمنهج سليم وساعية لهدف نبيل هو الاسلام . ومادامت العقيدة باقية والمنهج واضحا فلا خوف على الاسلام من ذهاب شخصية أو أخرى . ان هذه الشخصيات روت بدمائها شجرة الاسلام التي أصولها ثابتة وظلالهـا وارفة وفروعها شامخة تطاول السماء وتؤتي أكلها مع تعاقب الأجيال .

موت الكبار يبعث الحزن والأسى في النفوس . وكذا كان موت الرئيس ضياء الحق . ولكن الذي سر كثيرا من الناس في هذه المناسبة المحزنة هو أن معظم الجماعات والأفراد وما يتبعهم من الجرائد والمجلات قـد أثنى على موقف

ضياء الحق واعترف بانجازاته فى مجال السياسة والاقتصاد وباخلاصه فى أسلمة النظام والقانون ونزاهته وتعففه فى الحياة الشخصية. وموقف الجماعات والافراد هذا يدل على احترام الناس له باسم الاسلام، وعلى أن دعوته إلى توحيد الأمة على أساس الكتاب والسنة وتطبيق الشريعة فى باكستان كانت مطلوبة لدى الجميع ولكنهم لم يتمكنوا من نبذ الخلافات لتحقيق هذا المبدأ العظيم.

كان ظهور الرئيس محمد ضياء الحق على مسرح السياسة مفاجأة للعالم كله، فإنه قاد انقلابا عسكريا ضد سابقه ذو الفقار على بوتو، وأعلن نفسه رئيس دولة باكستان. ان الرأى العالمى العام كان ينظر اليه مثل نظرته إلى القواد العسكريين الآخرين الذين يصلون إلى السلطة بالمغامرات العسكرية والسياسية ويمارسون نشاطهم فى الحكم لتحقيق أطماعهم فى مجال السياسة والاقتصاد.

وهكذا فاجأ موته كثيرا من الناس، وتألم به وتأسف عليه معظم الدول وشعوبها، وبدأت الحكومات والمنظمات والجرائد والمجلات باستثناء البعض تعدد محاسنه وانجازاته، وتصرح بأن الرئيس الراحل كان دون شك سياسيا محنكا وانسانا مخلصا لبلده وشعبه، وكان يتمتع ببصيرة نافذة وعزيمة قوية وارادة صادقة وشجاعة ايمانية وروح الاعتزاز بدينه وحضارته وتاريخه وقد تجلت محاسنه هذه فى مدة حكمه الذى دام نحو احدى عشرة سنة

ولعل ذلك جاءه من أسرته التى كانت تتمسك بالاسلام واهتمت بتربية الأبناء على احترام الدين والخلق. ومن هنا اختلفت نظرة الرئيس إلى علماء المسلمين عن غيره من الحكام العسكريين، فإنه قد أكرم العلماء وأفسح لهم المجال للساهمة فى شئون الحكومة، وشاورهم فى كثير من الأمور الدينية والسياسية وأعلى منزلتهم فى البلاد.

ومن محاسنه العلمية أنه شجع كثيرا الكتاب الاسلاميين الذين كانوا يدافعون

عن الاسلام ويشرحون مبادئه وأصوله فى الأسلوب العلمى الذى امتاز به العصر وكان مشغوفا بحب السيرة النبوية ، ومقـــدرا لكتاب السيرة على صاحبها الصلاة والسلام ، وحتى تستمر جهود الباحثين والكتاب فى موضوع السيرة النبوية ويتهيأ للعلماء جو البحث والتحقيق وتتجلى محاسن السيرة وجوانبها الواسعة ويتمكن العالم المعاصر من الاستنارة بنور الهـــدى و الايمان . . . فإنه قد خصص جوائز تقديرية كبيرة تم توزيعها على كتاب السيرة البارزين ، وقد بلغ مبلغ بعض هذه الجوائز نحو مائة ألف روبية . ومثل هذه المواقف تدل بلا أدنى شك على توفر الروح الدينية والعلمية فى الرجل ، أحسن الله تعالى جزاءه عن الاسلام والمسلمين .

وكفى الرجل الراحل من الدنيا أن يذكره خلفه بالخير ، ويطلقوا ألسنتهم بالجميل ، ويشعروا بغيابه فراغا فى الساحة ، ويخشوا نقصا أو تراجعا فى العمل الخير .

ان المعارضة كانت قوية فى باكستان ، وكانت تتألف من أحزاب وطوائف سياسية ودينية ، وهى جميعا كانت تتربص بالرئيس الراحل ، وتشكل حجر عثرة فى طريقه ، وكانت توجه اليه دائمـا طعنا صريحا ونقدا ساخنا لسياسته الـداخلية والخارجيـة ، وكانت تشك فى دعاوى اخلاصه للبلاد والشعب ، وترميه بالتحايل للاستمرار فى السلطة باسم تطبيق الشريعة الاسلامية ومواصلة دعم الجهاد الأفغانى.

ولكن لم تتمكن هذه المعـارضة يوما من الأيام أن تأخذ عليه فى أمر من أموره الشخصية أو تتهمه بالمحاباة والمداهنة . كانت صفحة حيـــاته صافيـــة نقية لا تشوبه شائبة الرياء والغرض والاثرة . وكذلك كان يؤثر حياة بسيطة لا تصنع فيها ولا تظاهر ، ويقـــال انه بقى بعد وصوله إلى منصب الرئاسة فى بيته الذى كان يسكن فيه قبل ذلك ولم ينتقل إلى قصر الرئاسة الذى تم بناؤه بنحو عشرة ملايين روبية .

. بذل عنايته بالقضاء على الفوضى و الفساد الذى تأصلت جذوره فى البلاد

وسعى لنشر العدالة والمساواة، وأرسى دعائم دولة ترمى إلى خير الشعب ورفاهيته. اتفق المطلعون على أحوال باكستان على أنه دعم هذه الدولة عسكريا وسياسيا واقتصاديا، وبذلك تملك قلوب الناس وكسب عواطف أصحاب العقول السليمة. كان الأمن قد استتب فى عهده فلم تظهر فتنة أو مشاغبة كبيرة، اللهم إلا ما لا تخلو منه دولة من الدول حاول حل المشكلات ببصيرة واخلاص وأحب البلاد وشعبها. نعم انه لم يعلن الديمقراطية والجمهورية ولكن ساس الرعية سياسة عادله، فكان نظامه خيرا من كثير من الدول التى يتشدق فيها الحكام بالديمقراطية والحرية والمساواة.

كانت جهوده الاصلاحية متنوعة فقد تناولت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية معا. ففى الناحيه الاقتصادية نفذ نظام الزكاة والعشر، وشجع النظام المصرفى اللاربوى، ودعا إلى تمويل الأفراد والشركات التجارية على أساس الشريعة الاسلامية وتوجيهاتها فى التعامل الاقتصادى من المضاربة والمشاركة. ولا يمكن القول بأن هذه الجهود اثمرت تماما لأن تعقد المعاملات الاقتصادية معروف لدى الجميع، ولكن حسب الرجل أنه أيقظ الناس فى هذا المجال وذكرهم بما يوجد فى تشريعات الاسلام من التوجيهات الاقتصادية السليمة التى تنقذ البشرية من مهالك الربا أو تخفف على الأقل مضارها

وفى مجال السياسة والاجتماع قام بتنفيذ بعض الحدود والتعزير، وحاول ضبط سلوك الناس بالزامهم بالآداب الاسلامية والتوجيهات الخلقية. وقد لقى فى هذا الباب معارضة شديدة من الرجال المتنورين الاباحيين ومن النساء المنخدعات ببريق الحضارة الغربية المادية، ولكنه لم يبال بالهراء الذى كان يردده الناس مقابل حكم شرعى وأدب اسلامى.

كان شديد العناية بتوحيد صفوف المسلمين وجعلهم أمة واحدة تحمل

للبشرية رسالة العدالة والسلام وشريعة الطهارة والتزكية وقانون العفة والأخلاق.
وكانت دعوة المملكة العربيـــة السعودية للتضامن الاسلامى نصب عينيه فى باب الوحدة ، فكان مقتنعا بأن توحد صفوف المسلمين على أساس الكتاب والسنة ، وبأن يتخلى أصحاب المبادىء التقليدية عن الأمور التى تعرقل فى سبيل الوحدة . وبأن تحكم كل جماعة فى كل شأن الكتاب والسنة كما أمر الله تعالى . وقد تبلورت فكرة الوحدة والتضامن عنده بعد تبادل الكلام مع علماء جمعية أهل الحديث المركزية فى باكستان وبعد الاطلاع على مبادىء وأهداف ومناهج هذه الجمعية وبعد الالمام بالدور الذى لعبته فى ترشيد الاتجاهات السياسية زمن الحكم الانجليزى وقبله.

واجب مسلمى باكستان بعد رحيل الرئيس

لم يكن الرئيس محمد ضياء الحق محبوبا محترما لدى جميع الباكستانيين ، بل كان منهم من يكرهه ويختلف معه فى موقفه من القضايا العديدة أو لبعض نظرياته وأهدافه وهذا طبيعى جدا ، فإنه من المتعذر أن يحتل رجل تلك المكانة العالية ثم يتمكن من ارضاء الجميع واقناعهم ، وخاصة فى دولة عرفت باختلاف الآراء وتشتت الاتجاهات والانقسامات الداخلية .

وبعد ارتحال الرئيس من الدنيـــا أبدى المعجبون بشخصيته وأعماله تأسفا بالغا على موته ، وبكوه بكاء حارا ، وبالغوا فى التظـــاهر بعواطفهم ومشاعرهم نحو رئيسهم المحبب . وهذه الطريقة لتقدير الميت والاعجاب به شكلية غير مجدية ولكن الأغلبية انخدعت بها فإنها تراها صورة وحيدة لتخليد ذكرى هذا البطل ولابداء اعجابها به وتقديرها له .

ان الصورة المثالية لتخليد ذكرى الرئيس الراحل وابراز مكانته لدى الناس واحترامهم له هى أن يجد المعجبون به فى بذل الجهود وتحقيق التعاون والتكاتف للحصول على أهداف الاسلام التى نادى بهـــا وعاش لها ومات فى سبيلها. ان

ذلك واجب الأمة الاسلامية كلهـا ، وخاصة الذين يدون اعجابهم بالرئيس ضياء الحق . انه كان يسعى لتطبيق الشريعة الاسلامية ولجعل هذه الشريعة دستورا للدولة . وكانت هناك أحزاب وشخصيات تعارضه فى هذه النقطه ، وبما انه لم يتمكن من اتمام هذه المسيرة فإن المعارضة قد تقوى ، وقد تنشط القوى المعادية للاسلام فى معارضتها لتطبيق الشريعة ، كما ظهر من اتجاه حزب الشعب وبعض الأحزاب الأخرى ، فإنها صرحت بأنها لا ترضى إلا بالحكم الديمقراطى المؤسس على العلمانية . وهنا يأتى دور المعجبين بالرئيس الراحل وكذلك دور الجماعات الدينية التى تؤمن بالاسلام وتود أن تطبق شريعته فى البلاد ، فعليهم أن يدرسوا الموقف بدقـة وبصيرة ، ويحيطوا الشعب الباكستانى علما بأهداف الأحزاب السياسية التى تتخوف من الاسلام ونظامه ، وتريد علمانيـة الدستور والنظام لارضاء الدول الغربية الكبرى وللحصول على تأييدها ومعونتها . وموقف هذه الدول لا يخفى من الاسلام ، انها لا تريد فى الحقيقه أن تقوم للاسلام قائمـة لا فى الشرق ولا فى الغرب ، ولذا تبـذل كل جهد سرا أو علنا للقضاء على من ينـادى بالاسلام و يعمل لـه ، وكذلك ترسم سياسة خبيثة للتشهير بالدعوات والحركات الاسلامية وتشويه سمعتهـا لدى النـاس وتصورها فى صورة وحشية تشمئز منها النفوس .

ان المملكة العربيـة السعودية اعتزت باعلان الإسلام شريعة وقانونا لها ، وانها طبقت الحدود الاسلامية على الشعب ، وظهرت لهذا التطبيق آثار طيبة ، وتوفر الأمن وعم السلام . واطلع على ذلك كل من زار المملكة للحج والعمرة أو لفرص آخر . وموقف المملكة هذا قد دفع بعض الرؤساء المخلصين للاسلام لاعادة التجربة فى تطبيق الشريعة الاسلامية وجعل الاسلام دينا للدولة وتأسيس المجتمع على أساس التوجيهات الاسلامية السامية التى تقدم القيم على المادة ولا تسمح

بأن يتجرد الانسان من المبادىء والآداب التى تقرها جميع الأديان والأعراف

وهذا الاتجاه هو الذى يخافه الغرب ، ويسعى بكل ما يستطيع منع تحققه وانتشاره . انه لا يريد أن تتكرر التجربة التى نجحت فى المملكة العربية السعودية بصدد تطبيق الشريعة الاسلامية وتنفيذ الحدود والتعازير . وانه لايود أن يثبت فى القرن المعاصر عمليا أن الاسلام دين صالح لهذا العصر ، وأن تشريعاته لو طبقت تطبيقا سليما لضمنت السعادة والرخاء للبشرية كلها ولأثبتت بالأدلة الصارخة افلاس النظم الأخرى وكذب أعداء الإسلام الذين يرددون دائمـــا أنه لا يصلح أن يساير مع العالم المعاصر .

وهذا التخوف ليس شيئا يحتاج إلى دليل . بل الصحافة العالمية قد صرحت به فى مختلف المنـــاسبات ، وخاصة عقب وفاة الرئيس ضياء الحق ، كرد فعل على هذا الحدث وما يعقبه من التغير والتحول . تقول مجلة «الاصلاح» الصادرة من دبي :

« لقـد عبر كثير من المراقبين الغربيين ارتياحهم لغياب الجنرال ضياء الحق فهو فى نظرهم الشخص الذى عبر عن توجهات اسلامية أصوليـة ، وبغض النظر عن صحة ذلك التحفظ الذى تبديه الحركات الاسلامية فى باكستان حول حقيقة ودوافع هذه التوجهات فإن مجرد الاعتزاز بالاسلام حتى ولو بشكل لفظى هو جريمة لا تغتفر فى العرف الغربي ويتساءل الاعلام الغربي الآن وبخبث مقصود عن مصير القوانين الاسلامية التى شرعت فى باكستان بعد ضياء الحق » .

ونفس المجلة أوردت رأى البروفيسور (فريد هوليــداى) المتخصص فى قضايا الشرق الأوسط والعـــالم الاسلامى ، الذى أبداه عقيب مصرع الجنرال ضياء الحق فى ندوة بالتلفزيون البريطانى الرسمى . يرى البروفيسور المذكور أن الولايات المتحدة لديها أكثر من سبب يدعوها للارتياح لاختفاء ضياء الحق من

المسرح السياسي الباكستاني . وهذه الأسباب حسب رأيه كالتالي :

١ — « ان أمريكا غير مرتاحة لاصرار الجنرال ضياء الحق على الاستمرار في الدعم العسكري والسياسي للجاهدين الأفغان .

٢ — ان الرئيس الباكستاني الراحل يعبر عن توجهات أصولية في بعض الأحيان .

٣ — ان أمريكا غير مرتاحة للمشروع النووي الباكستاني ، وأرادت اثناء الرئيس ضياء الحق عنه عدة مرات .

٤ — ان الولايات المتحدة تعتقد أن حكومة الجنرال الراحل لم تمارس رقابة كافية على زراعة وتجارة الحشيش والمخدرات التي غزت السوق الأمريكية والغربية والتي خاضت ادارة ريجان حملة ضدها في الساحة الأمريكية الداخلية مؤخرا »

وإذا كانت الحكومة الأمريكية مع إلتزاماتها العسكرية والسياسية تجاه قضية المجاهدين الأفغان وتجاه دوله باكستان التي تساند المجاهدين وتؤويهم ترى هذه الرؤية وتفكر هذا التفكير فما الذي يبقى في القضية للانتظار ؟

هذا كله عن موقف الدول الغربية ، أما موقف الجماعات والأحزاب داخل باكستان فإنه هو الآخر لا يبشر بالخير ، فان الأوساط التي أشادت أمس بموقف الرئيس الراحل بصدد تطبيق الشريعة الاسلامية ، بدأت اليوم محاولة تصغير دوره في هذا المجال ، وتتساءل بعد موته : ماذا فعل الجنرال الراحل في عهده الممتد إلى أكثر من عقد ؟ ان مثل هذه التساؤلات تنم عن سوء قصد الموقنين لتطبيق الشريعة الاسلامية ، انهم يريدون بالطعن في عهد الرئيس الراحل صرف الأمة الاسلامية عن أملها نحو العودة إلى الاسلام ، واغرائها باسم الجمهورية والديمقراطية والحرية والمساواة .

وما دام القائمون على الحكم بعد الرئيس الراحل يعلنون عن اعتزامهم على

مواصلة نفس المسيرة التى بدأها الرئيس ضياء الحق بشان الاسلام . فانما الواجب الأول على الجماعات الاسلامية فى باكستان تقـــدير الموقف بدقـة النظر وسعة القلب ، وتوحيد صفوفها لمواجهة القوى العلمانية التى تريد التعويق فى تنفيذ الشريعة الاسلامية والالتزام بالحكمة والاخلاص فى رسم خطوط الشريعة وعرضها على الناس حتى يقتنع الشعب بالاسلام ، ولايجد الأعداء سبيلا إلى الطعن فى الاسلام والاستخفاف بحاملى لوائه .

خطاب الرئيس فى الجمعية العامة

من الأعمال البارزة التى قام بها الرئيس فى حياته لصالح الاسلام والمسلمين : الخطاب الذى ألقاه فى الجمعية العامة للأمم المتحـدة بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجرى . ان هذا العمل العظيم الفريد يعد مفخرة للسلمين وخطوة جريئة فى سبيل تبليغ الدعوة الاسلامية نحمة من السياسيين والمثقفين والرؤساء والوزراء الذين لم يسبق لهم أن سمعوا عن الاسلام مثل هذا البلاغ الصريح الحـاسم . ان العـالم الاسلامى يذكر الرئيس الراحل على هذه المأثرة ، ويثنى عليـــه بكل خير بأداء هذه المسئولية بطاريقة حسنة .

وكانت هذه الخطوة قد جاءت اثر قرار جلسة وزراء الخارجيـــة لدول منظمة المؤتمر الاسلامى ، التى انعقدت فى شهر مايو ١٩٨٠م باسلام‌آباد . كانت بداية القرن الخامس عشر الهجرى فى شهر نوفمبر من هـذا العام ، وتقرر انعقاد قة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى شهر اكتوبر فرأى وزراء خارجيـــة دول المؤتمر الاسلامى انتهاز هذه الفرصة العظيمة لعرض رسالة الاسلام ودعوته على رؤساء دول العالم وشعوبها من منبر هذه الهيئة الدولية وبمناسبة استهلال القرن الخامس عشر الهجرى . واتفق الوزراء على أن الرئيس محمد ضياء الحق هو الذي

يتولى إلقاء الخطاب أمام الجمعية العامة قبل الرئيس هذه المسئولية وألقى خطابه التاريخي الشهير فى أول اكتوبر ١٩٨٠م ، وصدع فيه بدعوة الحق وأعلن بلهجة حاسمة وأسلوب بليغ أن حلول مشكلات العالم — متقدما كان أو متخلفا — تكمن فى هداية الاسلام الربانية وتوجيهاته الرشيدة ، و قد استمع لهذا الخطاب رؤساء معظم دول العالم و وزرائها ، وقد صرح لهم الرئيس الراحل بأن الاسلام هو دين الانسانية والحب والسلام ، وعلى هذه النخبة البشرية وكذا على شعوب العالم كله ، أن تنظر إلى هذا الدين وتتدبر شرائعه وتوجيهاته متخلية عن جميع العصبيات والتحفظات . ويعد هذا الخطاب دون شك مرآة لشجاعته الايمانية وجرأته الدينية . وفيما يلى مقتطفات من هذا الخطاب .

« ان الاسلام دين السلام ، وانه يعنى الانقياد والخضوع لرضا الله تعالى وطاعته ، ويطالب أتباعه بإنشاء مجتمع مؤسس على العدل والمساواة » .

« وانه يعتبر جميع الناس أفراد أسرة واحدة . وبهذا الصدد لا يقيم وزنا لفوارق اللون والنسل والعقيدة » .

« ان الاسلام يأمر بالتسامح والاحسان ، وبذلك صار جامعا للمحاسن ومهيمنا على الحضارات المختلفة ، واستظلت أمم العالم بظلاله الوارفة . انه رسم للناس طريقة التعايش السلمى ، وقضى على العصبية وضيق النظر ، وعارض القومية والاقلية والتفرقة العنصرية . انه قدم نموذجا رائعا لاستقرار السلام والتفاهم بين الفرق والشعوب المختلفة طوال القرون التى تمت له فيها السيادة والعزة . حينما نرى فى هذا العصر ادعاء التفوق العنصرى والعصبية والظلم من قبل بعض الدول والشعوب » .

« ان المسلمين ينتشرون اليوم فى منطقة جغرافية واسعة تقع بين اندونيسيا

فى الشرق وبين السنغال فى الغرب ، ويعيشون فى طقوس مختلفة ، ويوجد بينهم اختلاف العادات والتقاليد والنظم والدساتير والألسنة والألوان ، ومع ذلك نلمس عندهم شعورا قويا للوحدة الاسلامية ».

« ان الاسلام لعب دورا بارزا فى النهضة العلمية فى القرون الوسطى ، وانه بذلك مهد السبيل للنهضة الاوربية ، ومن جانب آخر أسدى إلى الأمم الأوربية بصده هجمات التتار التى أشبهت عذابا سماويا ، ولو لم يتعرض لها المسلمون لقهرت أوربا فى القرن السابع الهجرى . ولكن الأسف أن الأوربيين لم يردوا على هذا الجميل بالجميل ، بل سيطروا على بلاد المسلمين واستعمروها ونهبوا ثرواتها ».

« ان البلدان الاسلامية تحررت سياسيا ، ولكنها لم تتحرر إلى الآن فى المجال الاقتصادى ، بل بقيت فقيرة إلى الدول المتقدمة ، وصارت حالتها من سوء إلى أسوأ ».

« ان الأقليات الاسلامية التى تعيش فى مختلف دول العالم يبلغ عددها نحو ثلاثمائة مليون ، وإنها تتعرض لأنواع من الظلم والاضطهاد ، وبعض الدول تخطط لابادتها ابادة جماعية ، وهذا الوضع يعتبر تحديا سافرا للضمير العالمى . واننا حينما نبدى قلقنا نحو هذه الأقليات لانرمى إلى التدخل فى الشئون الداخلية لدولة من الدول ، بل نطالب الأسرة الدولية باعلان سخطها نحو هذه المعاملة الجائرة . فان الانسان لو تجرد عن الشعور بآلام الانسانية لتعرض مستقبل البشرية للخطر الماحق ».

« إن الاسلام لا يحب الادعاء والتفاخر على أساس المبادىء والقيم ، بل انه يقيم الوزن للعمل ، ومراعاة لهذا التوجيه أعلن صراحة ودون فخر أن

التحديات والمشكلات التى تواجـه عالمنا المعاصر يساعد الاسلام فى حلها دون شك ، وانه كذلك يساعد فى إقامة مجتمع عالمى على أساس الأخوة العالميـة والتعايش السلمى . ان الاسلام ليس دينا كالأديان الأخرى ، بل انـه بناء شامخ ذو جوانب شاملة ، وانه نظام قانونى فريد ، وثقـافة متميزة ، وحضارة رائعة ، وأصول روحية عليا تكفل للبشرية النجاة والسعادة ، والخدمات التى أسداها هذا الدين إلى البشرية معروفة لدى الجميع » .

« والمسلمون يمكنهم أن يلعبوا دورا مهما لارســاء دعائم الأمن والسلام بين دول العالم ، وقد أرشدهم إلى ذلك رسول الاسلام ﷺ فى خطبة حجـة الوداع . وقد تضمنت هذه الخطبة توضيحا شاملا للحقوق والواجبات الانسانية ، وانها تنفع وتصلح للبشرية اليوم كما كانت قبل أربعة عشر قرنا » .

« وهى تعد أكمل وأحسن وثيقة تضمنت سعادة البشرية ورخائها ، وأعلنت الغاء الفوارق العنصرية والطبقيـة ، ودعت إلى نشر المودة والأخوة بين أفراد البشرية فى العالم» .

ان الرئيس الراحل قد صرح فى خطابه بأنه يؤمن بأن حل مشكلات بلاده ، وكذلك جميع البلدان والشعوب يكمن فى توجيهــات الاسلام وسيرة رسوله الأكرم ﷺ .

وقال الرئيس الباكستانى فى نهاية خطابه :

« الرئيس المحترم ! يؤمن العالم الاسلامى بأن عصر المادية قد ولى وانتهى إلى الأبد ، وكان نظام الملوكية والمستعمرات وأنواع البغى و الاضطهاد متولـدا من تلك المادية . والمسلمون يستقبلون اليوم القرن الخامس عشر الهجرى . وقد عرفوا قيمــة دينهم وثقافتهم ، ونشأ فيهم الاعتــداد بنظـام الاسلام الاجتماعى

والاقتصادى ، ومن هنا يؤمنون بأن بداية ذلك القرن يكون بداية لعهد جديد ، إن شاء الله ، يسود فيه الأمن والسلام والعدل والمساواة ، ويتمكن فيـه المسلم من القيام بأعمال ايجابية اصلاح البشرية وسعادتها »

الرئيس محمد ضياء الحق فى ضوء خطابه

حينما يستعرض المرء أحوال باكستان فى العقود الأربعة الماضية من ناحية الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع يتبين له بوضوح أن الهدف الأساسى من انشاء هذه الدولـة الاسلامية غاب عن كثير من زعمائها ومسئوليها ، أو انهم تناسوه وصرفوا عنه الانظار . وهذا الوضع قد أساء كثيرا إلى سمعة باكستان وزعمائها .

● ان الرئيس الراحل كان يلمس هذا الضعف ، ويدرك مدى الخطأ والتقصير فى هذا الباب ، ولذا أشار إليه فى عدة خطبه ، وذكر الشعب بالمسئولية العظيمة التى ألقيت على كاهله بعد انشاء دولة باكستان والتزام المسلمين بأنها تكون دولة اسلامية ، يقول :

« لا أظن أحدا يجهل أن هذه الدولة (دولة باكستـان) أنشئت باسم الاسلام ، وانى أؤمن بأنها تنهض وتزدهر باسمـه . وأصرح بأنى ان أستطيع وحدى تحويل هذه الدولة إلى جمهورية اسلامية ، بل أبذر لها البذور ، وأبدأ الخطوة الاولى ، ثم يكمل من يأتى بعدى » .

« كنا قلنا وقت انشاء دولة باكستان انا نطالب بدولة مستقلة لاننا أمـة مستقلة ، ونريد أن نعيش وفق أحكام ديننا وشريعتنا . ولكننا نسينا هذا التعهد بعد الحصول على الحكومـة ، وفقدنا نور الاسلام فضعنا وتهنا فى ظلام الجهل والانحراف ، وفى هذه الفترة نشطت القوى المحبة للظلام ، وساءت أحوال عامة

السكان ، ولكن لو طبق النظام الاسلامى فى وقته لتوفرت الحاجيات لكل مواطن فى الجمهورية الاسلامية ، فان النظام الاسلامى لايعنى تنفيذ الحدود فحسب ، بل إنه يهدف إلى انشاء مجتمع تتحقق فيه جميع مرافق الحياة فى ضوء أصول الاسلام وتعمل فيه الادارة والمحكمة ومصالح التجارة والزراعة والصناعة وفق أحكام الشريعة الغراء » .

● وقال عن ضرورة اعتزاز المسلمين بالاسلام :

« لا ينبغى أن نقف موقف الاعتذار عن الالتزام بالاسلام ، بل يجب علينا الحسم بشأن هذا الدين ويجب التصريح بانتمائنا إليه وايماننا به عن قناعة وبصيرة ، وانى وقفت من الاسلام هذا الموقف فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبفضل الله تعالى ثم بدعواتكم وصل نداء الاسلام إلى الهيئة الدولية » .

● وقال عن الوحدة الاسلامية والدفاع المشترك بين الدول الاسلامية :

« معظم الدول المسلمة تمتعت بتوفيق الله تعالى بالحرية والاستقلال ، وتربط بينهم رابطة دينية قوية ، وأحكام الدين الاسلامى كلها مستقاة ومستنبطة من الكتاب والسنة . وهذان الأصلان يجب أن يكونا أساسا لوحدتنا ، وبهما نحكم بين الرجلين إذا تخاصما ونفصل فى القضايا التى تختلف فيها الأنظار، كنت قدمت فى المؤتمر السابق مقترحا خاصا بالدفاع . ولم أقصد بذلك أن تكون جميع قوات الدول الاسلامية تحت قيادة عليا . وكذلك لم أقصد أن نوحد جيوشنا لنهجم على دولة أخرى . بل قصدت به أن ننظر على مستوى الفرد و الأمة إلى جميع الأخطار التى تحدق بكياننا ، ونوحد موقفنا ونستغل ثرواتنا . ان الله تعالى منح المسلمين نعما لو انتفعوا بها متحدين وحاولوا تحقيق أهدافهم السامية لصاروا قوة يرهبها الجميع » .

● وقال عن ضرورة هذه الوحدة فى العصر الراهن:

« العالم الاسلامى يمر اليوم بمرحلة دقيقة وصعبة تحتم عليه أن يتخلى جميع المسلمين عن خلافاتهم، ويعتصموا بحبل الله بقوة، ان حاجة الملة الاسلامية للوحدة اليوم أشد منها أمس. ومن صور هذه الوحدة أن تطبق جميع الدول الاسلامية الاسلام فى بلادها، وتجعل الاسلام أساسا فى علاقاتها الدولية، وتعمل دائما لصالح المسلمين ».

● وقال عن وظيفة الأديب والشاعر فى المجتمع الاسلامى:

« ان الحكومة تعتبر الأدباء والشعراء علماء الأدب وشيوخهم، انهم لايكتفون بفهم الأدب بل يستطيعون التوجيه والترشيد فى هـذا المجال. والكتاب أمناء القيم الانسانية ونقباء المستقبل المزدهر. والكتاب الذين يخجلون من انتمائهم إلى باكستان حرام عليهم أن يتمتعوا بأرض هذه الدولة ورزقها ومائها وسمائها انى أعرف أن المبدعين والمنتجين يحلمون عن مجتمع لا يفتقر فيه أحد لأحد، ولا يوجد فيه سيد و عبد، ولا يستغل فيه أحد أحدا. ولو فكرتم لعرفتم أن الاسلام كان قد جاء لتحقيق هذا الحلم، ونزلت أحكام الشريعة لايجاد مثل هذا المجتمع، فلو لم نتمكن من ايجاده إلى الآن فان التقصير منا وليس من الاسلام إن على الأدباء والشعراء أن يخرجوا عن ورطة حديث الحب والغرام إلى نواحى الحياة الواقعية التى لم تنحصر قط فى شئون العشق و الحب، ان للحياة حقائق وأشكالا جديدة تنتظر العناية والاهتمام من قبل الشعراء والكتاب. ان الشاعر لو توجه عن حديث الحب و الغرام لرأى حوله عالما مليئا بالحيوية والحركة، ولأدرك عاطفة دينية قوية فى العالم الاسلامى، وتبين له أن البشرية التى كانت تلهث وراء الماديات والمغريات تبحث الآن عن روح جديدة تضمن

له السعادة الأبدية . وفى مثل هــذه الأحوال ينبغى أن ينتهز الأدباء والشعراء الفرصة ، ويستخدموا أقلامهم للنهوض بالمجتمع إلى السمو والكمــال فى التفكير والسلوك » .

● وقال عن أهمية المساجد وعظم دورها فى الاسلام .

« المسجد هو المكان العظيم الذى ينسى فيــه الانسان مميزاته الدنيوية ، ويتمكن من أداء حقوق الله وحقوق العباد معا . ان اجتماع المسلمين فى المساجد يلمح إلى غاية حياتهم ومنهجهم المشترك فيها . والحفاظ على قدسية هذه المساجد وعظمتها واجب على كل مسلم » .

● علماء الدين وأئمة المساجد لا يتمتعون فى المجتمع بالاحترام والتقدير فى أغلب الأحوال ، وأحيانا ينظر اليهم الناس نظرة احتقار واستخفاف ، وقد تأثر فى ذلك المسلمون بغيرهم من أهل الديانات . لاحظ ذلك الرئيس ضيــاء الحق فنبه المسلمين على خطأهم وأشار كذلك إلى عظم مسئولية العلماء والأئمة فقال :

« من المؤسف أننا أنزلنا أئمـــة المساجد وخطباءها منزلة نساك المعابد الوثنية وأساقف الكنائس النصرانية . اننا نكلف عالم الدين (المولوى) بالجلوس فى المسجد ، وبأن يجمع قوته كل خميس من الناس ، ويتلقى التبرعات يوم الجمعة . فهل هى منزلة علماء الدين واحترامهم عندنا بعد أن قضوا نحو خمس عشرة سنة فى تحصيل علم الدين ؟ ان قصدتم ذلك فانى أطالبكم باعادة النظر فيه . أما الامامة فى نظرى فانها شرف كبير وكرامة عظيمة ، ولكن يجب أن يشغل هذا المنصب من يتمتع بسعة العلم والقلب معا » .

● ان الجهاد الأفغانى تلقى دعما ماديا ومعنويا كبيرا من الرئيس الباكستانى وشعبه ، انهم جميعا قدموا تضحيات جسيمة فى مواجهة القوات الشيوعية التى احتلت افغانستان ، وفى ايواء اللاجئين الذين تدفقوا إلى الحدود الباكستانية اثر

احتلال الروس لأفغانستان . ان الرئيس ضياء الحق أبدى فى عديد من خطبه وجهة نظره وبلاده نحو الشعب الأفغانى وجهاده ، يقول :

« ان المجاهدين الأفغان أبدوا العزيمة و الاستقامة أكثر منا ، فهم بدؤا جهاد الحرية حينما كانوا عزلا لايملكون الأسلحة المضادة للدبابات ولاالصواريخ وما إلى ذلك ، ولكنهم كانوا يحملون العزيمة فى قلوبهم لإعلاء كلمة الاسلام ولتحرير البلاد ، وكانوا يتمتعون بروح الجهاد و التضحية ، حتى قتل منهم مئات الألوف و تشرد الملايين وانى على يقين أن دمائهم تحقق معجزة القرن العشرين »

« انى أرجو من المجاهدين الأفغان أن لا يتأثروا بدعاية الأعداء ، ويعتبروا باكستان بلدهم إلى أن يتم تحرير افغانستان » .

« أما باكستان فانها لا تترك المجاهدين الأفغان وحدهم فى هذا الوقت الصعب ، اننا ساعدناهم منذ ثمانى سنوات ، وسنستمر فى المساعدة إلى عودتهم إلى وطنهم بخير وسلام ، انهم اخواننا وجيراننا ، ومن يستطيع أن يصرف نظره عن الضيوف والجيران ؟ »

● وقال مشيرا إلى الخسارة التى لحقت الأمة الاسلامية باستمرار الحرب بين ايران والعراق :

« ان آمالنا ذهبت سدى بنشوب حرب بين الدولتين الشقيقتين ايران والعراق ، حينما كان ينبغى أن تتركز جهودنا لمواجهة التحديات فى فلسطين وايران . ان تأثير هذا الصدام فى سلام المنطقة مقلق جدا ، ان المنطقة بأسرها تضعف بضياع وسائل هاتين الدولتين المسلمتين ، فيسهل للقوى الخارجية ممارسة ضغوطها ، ولذا يجب على العالم الاسلامى بذل الجهود للقضاء على ذلك الصدام » .

موقفه من الإسلام

عاش الرئيس الراحل فى فترة ساد فيها النظام الغربى فى مجال السياسة والاقتصاد ، وتعود فيها الشرقيون باستيراد هذا النظام إلى بلادهم وبتحبيبها إلى شعوبهم بمختلف الحجج والبراهين ، بل شاع بين الشرقيين أن المستوى الثقافى للمرء الشرقى لن يكمل إلا بعد أن ينهل من منهل الغرب ويصطبغ بألوان الثقافة التى تسود هناك ، ولا فرق فى ذلك بين الأمور الدراسية وغيرها ، ومعنى ذلك أن الشرق عالة على الغرب بمعنى الكلمة وقد عزز هذا الشعور وأدى إلى انتشاره بين الشرقيين تقدم الغرب فى مجال العلوم والتكنلوجيا ، وتفوقهم فى مجال الصناعة والاختراع . ومن الغريب المؤسف أن هذا التفكير لم ينتشر فى الشرق غير الإسلامى فحسب ، بل انتشر فى أوساط المسلمين أيضا وانهم اقتنعوا به تمام الاقتناع ، إلا من عصمه الله تعالى ورحمه . حتى بدأ المسئولون منهم عن أمور السياسة والثقافة يطبقون فى بلادهم النظام الغربى المستورد ، النظام الذى كان يصرح أحيانا ويرمز أخرى إلى أن الشرق — وفيه الإسلام والمسلمون — لا يملك فى مجال السياسة والثقافة ما يضمن له البقاء والتقدم ، ومن هنا يتحتم عليه أن يعود إلى الغرب كى يستفيد منه فى هذه المجالات .

ان هذا التضليل — بل الهراء — أثر فى الشرقيين تأثيرا ، وانخدع به بعض المسلمين حتى وجد بينهم من يصرح بأن الإسلام ليس له تشريع سياسى مستقل ، وأنه لم يأت ليوجه المسلمين فى مجال السياسة والحكم ، وللمسلمين حرية فى اختيار ما يحبون من الأنظمة السياسية وفى تطبيقها على المسلمين ، وغالى البعض فقال يجب على المسلمين اتباع الغرب فى هذا الباب حتى تتمتع البلاد وشعوبها بنعمة الحرية والمساواة !

واود أن أصرح هنا بأن الحالة التى وصفت بها الشرق وأهله من المسلمين وغيرهم، قد لزمت الأغلبية، وخاصة منذ أن تم اتصال الشرق بالغرب وسيطر الأخير على الأول فى مجال الثقافة والسياسة والاقتصاد، ولكن بجانب ذلك كانت هناك جماعة من علماء المسلمين آمنت بعدم الفصل بين الدين والدولة، وفصلت الكلام فى شرح توجيهات الإسلام السياسية والاقتصادية، بل أكثر من ذلك بذلت جهودا مشكورة فى سبيل تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى. ولذا لم يصح ما يذهب إليه بعض الكتاب من أن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت سائدة لدى المسلمين زمن الاستعمار الانجليزى وقبله، وقد قام بتفنيدها بعض الجماعات الاسلامية فى الأعوام الأخيرة فقط. نعم لم يهتم القائمون بالحكم والسياسة بتطبيق الشريعة الاسلامية فى شئون الحياة كلها، فالنقص كان فى المجال العملى لا فى المجال النظرى.

ومهما يكن فان الرئيس محمد ضياء الحق جاء إلى الحكم فى فترة تعود للناس فيها على الاستغراب من اسم الإسلام فى مجال السياسة والاقتصاد، وخاصة فى باكستان، التى ظلت منذ تأسيسها مسرحا للأفكار والنظم المعادية للإسلام، وتأصلت فيها نظريات الشيوعية والالحاد وكثر فيها نشاط الفرق الضالة والحركات الهدامة، وتبجح فيها الأعداء بأن الاشتراكية أو الرأسمالية هى التى تصلح أن تكون نظاما للحكم فى هذه البلاد، وبذلك ترسخ فيها دعائم الديمقراطية والجمهورية. أما الإسلام فان العودة إليه فى مجال السياسة والاقتصاد ليست إلا نوعا من الرجعية والتخلف، وان الشعب فى هذا العصر لن يتحمل مثل هذا النظام والقانون.

فى مثل هذه الأحوال أعلن الرئيس محمد ضياء الحق ثورة على الرئيس بوتو، واحتل منصب الرئاسة، وبذل الجهد للعودة بالشعب الباكستانى الى الحكم

الاسلامي، انه أعلن استعداده واقتناعه بتطبيق الشريعة الاسلامية، وبكون الاسلام نظاما ودستورا للبلاد. وقد تشجع في ذلك بحكومة المملكة العربية السعودية التي كانت تسير في نفس الدرب، وتطبق على الشعب أحكام الكتاب والسنة، وتعتز بانتمائها إلى الاسلام وتجعل شريعته دستورا للسياسة والحكم.

ان المناداة باسم الاسلام في مجال الحكم والسياسة والدعوة إلى تطبيق الشريعة في بلد مثل باكستان لم يكن أمرا سهلا. ولم يكن أحد يتوقع أن رجلا عسكريا وصل إلى منصب الرئاسة بعد الثورة يخطو هذه الخطوة. ولكن الرئيس الراحل وفقه الله تعالى للعمل في هذا المجال فنذر البذور الأولية في سبيل تطبيق الشريعة الاسلامية ودفع الناس إلى الاعتزاز بالاسلام وتجسيد أحكامه في المجتمع الذي يعاني الفساد والخيانة والاباحية والأثرة، وانه بمشيئة الله تعالى ارتحل إلى دار الآخرة وأفضى إلى ما قدم، ووقعت المسئولية الآن على خلفائه في مجال الحكم والسياسة، وهم مطالبون بمواصلة السير في سبيل تطبيق الاسلام. ان هذه المرحلة صعبة في حياة الأمة الباكستانية، وقادتها في موقف الامتحان والاختبار، سدد الله خطاهم ووفقهم للعمل لصالح الأمة الاسلامية كلها.

وبصدد الكتابة عن الرئيس ضياء الحق أرى الاشارة إلى نقطة لها صلة وثيقة بوحدة الأمة وبمبدأ التعاون والتكاتف في سبيل تحقيق الأهداف الاسلامية.

وهذه النقطة هي أن المتتبع لحياة هذا الرئيس وأعماله ومواقف شعبه منها يلاحظ أن ضياء الحق نادى بتطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان بعد نحو ثلاثين سنة من وجودها، وتدرج بهذا الصدد إلى تنفيذ بعض الأحكام والتوجيهات، وأبدى اعتزامه على الاستمرار في ذلك، ولكنه لقي معارضة شديدة من الاباحيين والاشتراكيين الذين كانوا يصرون على علمنة الدولة والنظام، وكانوا يخططون لباكستان تبعية الدولة الكبرى، يمينية كانت أو يسارية. وفي

مثل هذه الحالة كان الشعب المخلص للاسلام فى باكستان وخارجها يتمنى اتحاد الجماعات الاسلامية فى البلاد لقمع الاتجاهات المعادية لتطبيق الشريعة ولاثبات صلاحية الإسلام للشعب الباكستانى فى هذا القرن . ولكن الأسف أن هذه الجماعات الاسلامية لم يقف من الرئيس ضياء الحق موقف التعاون الذى تطلبته الظروف بل أبدت كثيرا من التحفظ والتوقف فى تطبيق الاسلام ، وأحيانا أبدت شبهات فى نوايا المسئولين عن الحكم وصرحت بآراء أيدت المعارضين لتطبيق الشريعة أكثر من مقاومتهم .

وذلك كما ورد فى الحوار مع أمير الجماعة الاسلامية فى باكستان ، الذى نشرته مجلة الاصلاح بدبي فى عدد ذى الحجة (١٤٠٨ هـ) . يقول فيه أمير الجماعة عن تطبيق الشريعة من قبل ضياء الحق :

« أما أمر تطبيق الشريعة فما هو الا خداع لهذا الشعب . والاعلان عن تطبيق الشريعة هو صورة من صور الزيف الذى تقدمه الحكومة ، لأن هذا القانون الذى أعلن عنه ضياء الحق عرض منذ ثلاث سنوات على مجلس النواب ورفضناه وقدمنا مشروعا آخر مكتملا ، لأن هذا القانون هو فرار من الشريعة وليس تطبيقا للشريعة . ولكننا فوجئنا منذ أيام بأن ضياء الحق يعلن القانون الذى أعده منذ ثلاث سنوات ، والذى يعد صورة مزيفة لما يسمى بتطبيق الشريعة » . (مجلة الاصلاح بدبي عدد ١٢٧ ص ١٤) .

قصد أمير الجماعة الاسلامية واضح من العبارة كل الوضوح ، انه يصف محاولة الرئيس بشأن تطبيق الشريعة بالخداع والزيف ويشك فى إخلاصه بصدد عودة الشعب الباكستانى إلى التمسك بالاسلام .

وهنا ينبغى أن نستمع الآن إلى مسئول آخر عن الجماعة الاسلامية فى باكستان

نفسها حتى نعرف مدى تضارب آراء بعض الجماعات الاسلامية فى ضياء الحق وكيف أنها آثرت التخاذل بدل التعاون وقضت على التفاهم وجو المصافاة ، الأمر الذى أفسح المجال للأحزاب العلمانية والاشتراكية حتى تقول بأن اتفاق علماء المسلمين على نظام يسمى اسلاميا ويتم تطبيقه فى البلاد أمر عسير جدا ان لم يكن متعذرا .

يقول الشيخ خليل الحامدى فى رسالته لنفس مجلة الاصلاح بدبى (عدد صفر ١٤٠٩ هـ ص ١٦) ردا على السؤال الذى وجه إليه بصدد تقويم فترة حكم الرئيس محمد ضياء الحق :

« انه (محمد ضياء الحق) كان دائما يدعو الشعب الباكستانى إلى أن يتمسك بالإسلام ، وكان يحاول ويسعى كى يطبق حكم الإسلام ، وإن كان لم ينفذ من هذا إلا النزر اليسير ، فقد حول هذه القوانين إلى اللجنة التنفيذية التى أساءت التنفيذ ، ولكن مع ذلك نحن نعتبر هذا الرجل خير من جاء فى الحكم فى باكستان » .

الجهاد الأفغانى بعد الرئيس الراحل

يشيع أعداء الإسلام أن الجهاد الأفغانى يضعف بعد موت الجنرال محمد ضياء الحق ، وأن المجاهدين الأفغان يتراجعون عن النضال بعد هذه المأساة ، وهكذا تتمكن حكومة نجيب من معاودة القوة واعداد العدة لارغام المجاهدين على الاستسلام .

يردد المعادون مثل هذا الكلام للنيل من الجهاد الأفغانى ولتقليل شأنه فى عيون الناس . كان الرئيس محمد ضياء الحق دون شك خير مساند للمجاهدين ، وانه قد بذل لصالحهم جهودا طيبة ، وبموته خسر المجاهدون بطلا من أبطالهم

ومساعدا من مساعديهم ، ولكن مع ذلك لا يمكن القول بأن الجهاد يتوقف بموت هذا البطل ، لأن المجاهدين بدوا نضالهم منذ عصر الملك ظاهر ، وتوسع هذا النضال وتقوى فى عصر الملك داود خان ، إلى أن ظهر الجنرال محمد ضياء الحق على المسرح ، وتولى مساندة المجاهدين ووفق فى تعزيز مواقفهم البطولية . ان جهوده مشكورة جدا ، ولكن المجاهدين يبتغون مرضاة الله تعالى ، ويتوكلون على نصره وتأييده ، ونضالهم لتحرير أفغانستان من القوى الشيوعية الكافرة لم يرتبط بشخصية أو أخرى ، حتى يخاف عليه من ذهابها . أن القوات الشيوعية استخدمت الأسلحة الفتاكة والوسائل الجهنمية لردع المجاهدين ولإيقاف جهادهم . ولكنهم لم يتوقفوا يوما واحدا عن مواصلة الجهود ولم يثن عزيمتهم العدد الهائل من الطائرات والدبابات ، فكيف بموت الرئيس الراحل ؟ ان المجاهدين واثقون بالله تعالى ، وانهم يبذلون أرواحهم رخيصة فى سبيل الحفاظ على عقيدتهم وإيمانهم ، فما دامت القوات الشيوعية تشكل التهديد لعقيدتهم وإيمانهم استمر نضالهم وتواصلت جهودهم ، والله تعالى ينصرهم ويعوض لهم ما يخسرون من الأعوان والأنصار ، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

ويرى المعلقون أن الاتحاد السوفيتى يمارس بعد شهادة الجنرال محمد ضياء الحق ضغطا على المجاهدين وعلى من يساندهم ويقف بجانبهم . انه منى بهزيمة فى حربه مع المجاهدين ، وتمت اتفاقية جنيف ، ولكن الروس لم يلتزموا بهذه الاتفاقية ، واستمروا فى أعمالهم الوحشية ضد المجاهدين وضد الشعب الباكستانى ، وواصلت طائراتهم قصف مراكز المجاهدين داخل أفغانستان وفى الأراضى الباكستانية ، ان القوات الروسية تمارس هذا الضغط على المجاهدين انتهازا للفرصة التى سنحت لها بشهادة الرئيس محمد ضياء الحق ، ان الروس يحاولون

الآن ازالة العار الذى لزمهم اقرار الانسحاب ، انهم كانوا قد احتلوا أرض أفغانستان على أن يستتب لهم فيها الحكم والسيطرة ، ولكن الشعب الافغانى الباسل رفضهم وأرغمهم على التراجع والاندحار ، وبعد موت الرئيس الباكستانى عاودهم الأمل فى السيطرة على الموقف فبدؤا الأعمال الوحشية والانتهاكات الجوية والأرضية ظنا منهم أن المقاومة ضعيفة والجو مهيأ لهم . انهم لم يعرفوا أن روح الجهاد إذا نشأت فانها لن تخمد ، والمسلم إذا بدأ القتال فانه لا يخاف إلا الله ، وانه يتوكل على نصر الله وتوفيقه لا على المساعدات التى يتلقاها من هنا وهناك .

هذا ، ومن ناحية أخرى هناك تصريحات لخلفاء الرئيس الراحل تنفى أى تحول فى سياسة الحكومة الباكستانية نحو قضية الجهاد .

فقد أكد الرئيس الباكستانى غلام محمد إسحاق خان فى أول مؤتمر صحفى له بعد وفاة الرئيس محمد ضياء الحق على أن باكستان تبقى ملتزمة بالسياسة الداخلية والخارجية التى رسمها الرئيس الراحل ، والمسيرة التى بدأت بجهوده لأسلمة الحكومة والمجتمع لن تتوقف ، إن شاء الله ، وأنها تواصل دعمها للمجاهدين الأفغان الذين يناضلون لتحرير بلادهم من الاحتلال السوفيتى والعملاء الشيوعين الذين يحاولون اخضاع الشعب الأفغانى لقبول الشيوعية والالحاد منهجا للحياة ودستورا للحكم .

وهذا التصريح من قبل خلف الرئيس الراحل يبشر بالخير عن مستقبل باكستان ؛ ويدل على أن الرئيس محمد ضياء الحق حينما أعلن عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان فانه كان يعبر عن أمل الشعب وأمنيتهم ، ولم يكن يستغل الاسلام لتدعيم موقفه ولاستمراره فى الحكم ؛ كما زعمت بعض الأوساط السياسية .

+++++++++++

فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والدعوة والإفتاء بالرياض

السؤال : كثر اللغط و الجدال حول الجهر والإسرار بالتسبيح بعد الصلوات المفروضة و حول هذا الموضوع نرجو إفادتنا عما يلي :

١ — أيهما الأفضل : الجهر أم الإسرار بالتسبيح ؟

٢ — إذا كان الجهر يشوش على من فاته بعض الركعات فما هو الحل ؟

٣ — ما هو نصيحتكم للتجادلين حول تلك المواضيع وغيرها خاصة في المساجد ؟

الجواب : ثبت في الصحيحين عن ابن عباس — رضى الله عنهما — ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ ، قال ابن عباس : « كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته » فهذا الحديث الصحيح ، و ما جاء في معناه من حديث ابن الزبير والمغيرة بن شعبة وغيرهما كلها تدل على شرعية رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة على وجه يسمعه الناس الذين عند أبواب المسجد وحول المسجد ، حتى يعرفوا انقضاء الصلاة بذلك .

و من كان حوله من كان يقضى الصلاة فالأفضل له أن يخفض قليلا حتى لايشوش عليهم عملا بأدلة أخرى جاءت في ذلك .

و في رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة فوائد

كثيرة : فيها إظهار الثناء على الله سبحانه على ما من به عليهم من أداء هذه الفريضة العظيمة ، وفي ذلك تعليم للجاهل ، وتذكير للناسي ، ولو لا ذلك لخفيت السنة على كثير من الله ، والله ولى التوفيق .

السؤال : نشاهد بعض الزملاء يؤدون صلاة المغرب و العشاء جمعا وقصرا أثناء سفرهم للنزهة من الطائف إلى جدة و ذلك لمدة ثلاثة أيام » علما بأن جمعهم وقصرهم يكون أثناء الطريق فقط ، فما الحكم في ذلك ؟

الجواب : لا حرج في ذلك لأن النبي ﷺ كان يقصر ويجمع في أسفاره ، والقصر سنة مؤكدة ، أما الجمع فيفعل عند الحاجة ، فإذا كان المسافر نازلا مستريحا فالأفضل له عدم الجمع بل يصلى كل صلاة في وقتها كما فعل النبي ﷺ في منى في حجة الوداع ، وبالله التوفيق .

السؤال : إذا طهرت الحائض قبيل غروب الشمس فهل تجب عليها صلاة العصر والظهر .

الجواب : إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل غروب الشمس وجب عليها أن تصلى الظهر والعصر في أصح أقوال العلماء ، وهكذا إذا طهرت قبل طلوع الفجر وجب عليها أن تصلى المغرب والعشاء ، وقد روى ذلك عن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عباس — رضى الله عنهم — وهو قول جمهور أهل العلم ، و هكذا إذا طهرت الحائض والنفساء قبل طلوع الشمس وجب عليها أن تصلى صلاة الفجر وبالله التوفيق.

(مع الشكر لمجلة الدعوة السعودية ٢٨ صفر ١٤٠٨هـ)

اختيار/ أحمد مجتبى السلفى

✣✣✣

اصدار جديد

المستشفى الاسلامى بالأردن

يصدر عددا جديدا من مجلة « الشفاء »

عن قسم العلاقات العامة فى المستشفى الاسلامى صدر العدد السادس من مجلة الشفاء وهى نشرة متخصصة غير دورية تعالج مواضيع طبية وصحية إلى جانب ابراز نشاطات المستشفى الاسلامى المختلفة.

واعرب الدكتور على الحوامدة مدير عام المستشفى الاسلامى فى افتتاحية « الشفاء » عن تقديره للتفاعل المتصاعد الذى يحققه المستشفى الاسلامى مع مختلف قطاعات المجتمع فى مسيرته الطبية الانسانية.

وحملت « الشفاء » بشرى تزويد قسم أمراض القلب فى المستشفى الاسلامى باحدث الأجهزة المتطورة لمختبرات قسطرة القلب والتى من المنتظر أن يتم وضعها فى خدمة الجمهور الكريم فى وقت قريب.

واحتوى العدد الجديد من الشفاء على عدة مقالات وبحوث علمية وطبية منها مقال بعنوان: إرشادات موجزة حول معالجة حالات التسمم، كتبه الصيدلانى خليل قطاونه المدير الادارى للمستشفى الاسلامى، ومقال عن الغدة الدرقية للدكتور فاروق قعدان مدير مختبرات المستشفى الاسلامى، وبحث للدكتور الفاضل العبيد عمر عن مسيرة المستشفيات الاسلامية عبر القرون، وآخر عن العسل الصيدلية الدوائية المتكاملة، ومقال عن الأهمية الغذائية للتمور، كما اشتمل العدد الجديد من الشفاء على عدة نصائح وارشادات للأمهات لرعاية أطفالهن، بالاضافة إلى نشاطات وانجازات المستشفى الاسلامى.

والجدير بالذكر ان قسم العلاقات العامة فى المستشفى الاسلامى يوزع الشفاء مجانا لكل من يرغب فى اقتنائها، ويمكن طلبها بواسطة ص، ب (٩٢٥٦٩٣). عمان، الأردن.

ترجمة عربية لكتاب رحمة للعالمين

كتاب رحمة للعالمين من أهم مراجع السيرة النبوية وأنفعها وأدقها. ألفه بالأردية العلامة القاضى محمد سليمان المنصور فورى رحمه الله.

يمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه رحمه الله ذكر السيرة النبوية العطرة فى ضوء الروايات الصحيحة، وألقى الضوء على حياة محمد ﷺ، وشرح تعاليم الاسلام ومبادئه وأصوله، وقارن بينها وبين تعاليم الأديان الأخرى مقارنة عادلة دقيقة وهكذا انتهى إلى ابراز سمو الاسلام وكماله وخلوده، كل ذلك بأسلوب علمى بليغ وبأحسن طرق البحث والكتابة وسطور هذا الكتاب تفوح منها روائح الحب النبوى الذى تملّك قلب المؤلف وسيطر على مشاعره وأحاسيسه، وتشع منها أنوار الايمان واليقين التى تنور سبيل الطاعة والاتباع لكل مؤمن مخلص.

كل من قرأ الكتاب أبدى اعجابه به وانسجامه معه على اختلاف ميوله وعواطفه، والذى اتفق عليه الجميع هو تأثيره البالغ فى نفوس القراء وتملكه لمشاعرهم وعواطفهم، حتى صرح غير واحد منهم بأن القلب يخشع والعين تدمع بقراءة هذا السفر اللطيف بتدبر وروية.

والله تعالى يسر ترجمة هذا الكتاب إلى العربية، ووفق بعض الجمعيات الاسلامية لتولى أمر الطبع والتوزيع، والأمل أن الطبعة العربية لكتاب رحمة للعالمين تكون فى متناول القراء قريبا، إن شاء الله تعالى، نفع الله تعالى بهذه الترجمة أصحاب القلوب السليمة كما نفع بأصلها، وأحسن الجزاء لمؤلفه عن الاسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب؟

وفيات

الشيخ محمود أحمد الميرفوري رح

+++++++++++++++++++++++++

فوجئنا بنبأ محزن نشرته بعض الجرائد الهندية والباكستانية ، يفيـــد الخبر بأن الشيخ محمود أحمد الميرفوري لقي حتفه مع ابنه (٩ سنوات) وأم زوجته اثر حادثة تعرضت لهـــا سيارته في طريقـــه من ما نشستر إلى برمنجم ، إنا لله وإنا إليه راجعون وفي نفس الحادث أصيبت زوجة الفقيد بجروح شديدة ، عافها الله تعالى . كان الشيخ الميرفوري ، رحمه الله أمين عام جمعية أهل الحديث في بريطانيا ، انه شغل هـذا المنصب بعد تخرجه في الجامعة الاسلامية بالمدينـــة المنورة ، وأثبت كفاءته واخلاصه للعمل الاسلامي ، ولذا أحبه كل من اطلع على نشاطه ، واعجب بانجازاته في بلاد الغرب وخاصة في أوربا .

ان المنهج الذي اختاره الفقيد مع زملائه لنشر الدعوة الاسلامية وتوجيه للشباب إلى الوجهة السليمـة في البلاد الغربية كان مؤسسا على الكتاب والسنة ، ومن هنا حظى بإعجاب الناس وتقديرهم وأثمر ثمارا طيبة بتوفيق الله تعالى .

كان شديد التمسك بالسلفية يشرح مبادئها وأهدافها ، ويدافع عنها بوعي وبصيرة . وأصدر مع زملائه مجلة (الصراط المستقيم) بالأردية والانجليزية ، وقد لعبت هذه المجلة دورا ايجابيا مهما في شرح العقيدة الاسلامية الصحيحة ومقاومة الشرك والبدع والفواحش والرد على الفرق الضالة المضلة .

كانت جمعية أهل الحديث ببريطانيا حديثة النشأة قليلة الوسائل ، ولكنها أنجزت أعمالا عظيمـــة نافعـــة بتوفيق الله تعالى ، ثم بجهود الشيخ المهرفوري

وإخوانه الذين اتسموا بالاخلاص والمثابرة، وشقوا طريقهم للعمل فى المجتمع الغربى الذى كثرت فيه الموانع والمعوقات، جزاهم الله تعالى خيرا.

سنحت لى فرصة المقابلة مع الشيخ المباركفورى فى المملكة العربية السعودية أكثر من مرة، وفى كل مرة كان الحديث ينجر من الشئون العامة إلى شئون السلفيين فى مختلف أرجاء العالم، وخاصة فى المناطق التى عرف فيها أهل الحديث بنشاط ملموس فى مجال التدريس والدعوة. وأثناء تبادل الكلام مع الفقيد كنت ألمس فيه تطلعا قويا إلى مستقبل مزدهر للدعوة الاسلامية، وحرصا شديدا على توحيد صفوف المسلمين على أساس الكتاب والسنة، وعاطفة صادقة لانقاذ المسلمين من مهالك الشرك والبدع. ولتحقيق هذه الآمال كان الفقيد على اتصال دائم مع المسئولين عن المنظمات والجمعيات السلفية، يفيدهم ويستفيد منهم.

وفى شعبان عام (١٤٠٨ هـ) كان وفد الجامعة السلفية برئاسة أمينها العام الشيخ عبد الوحيد عبد الحق السلفى وعضوية هذا الفقير والدكتور عبد الرحمن الفريوائى، يقوم بزيارة المملكة العربية السعودية، وفى تلك الأيام بلغنا وصول الشيخ المباركفورى إلى الرياض، كنا نود مقابلته فى الفندق الذى نزل فيه ولكنه سبقنا فى المجئ إلى الفندق الذى نزلنا فيه لمقابلة الشيخ عبد الوحيد حفظه الله تعالى. جلسنا مع الشيخ فى هذا اللقاء نحو ساعتين جرى فيهما الحديث حول كثير من الشئون العامة وحول ضرورة التعاون والتنسيق بين المنظمات والجماعات السلفية فى العالم.

كانت نظراته إلى أحوال السلفيين ومشكلاتهم على غاية السداد والصواب، لأنه كان يتكلم عن خبرة أو مشاهدة، وكانت بصيرته النافذة واحتكاكه مع أفراد الجمعيات والمنظمات قد أكسبه تجربة عميقة عن العوائق والأزمات،

وبذلك تمكن من وضع النقاط على مواضعها وعرف الأمور بظواهرها وخفاياها . انه أشار فى هذا اللقاء إلى ظاهرة سيئة أصيب بها السلفيون فى عديد من مناطق تواجدهم ، وهى أن الأفراد يمارسون نشاطهم الاسلامى على المستوى الفردى وينعزلون عن الجماعة ويتخلون عنها بحجة أو أخرى . كان الفقيد يرى ايقاف مثل هذه الظاهرة وتحقيق التعاون والتكاتف بين السلفيين لرفع مستوى العمل الاسلامى على صعيد الجماعة لا الفرد .

انتهت هذه الجلسة بعد ساعتين ولم يدر أحد منا أن هذا هو اللقاء الأخير مع الفقيد فى الدنيا ، ما أعجز الانسان وما أقل علمه !

كان الفقيد أخبرنا فى هذا اللقاء أنه قرر عقد مؤتمر فى لندن عن قدسية الحج والحرمين ، وبعد رجوعه إلى لندن وجه الدعوة إلى كاتب هذه السطور لحضور المؤتمر ، ولكنى لم أتمكن من تلبية دعوته لأسباب طارئة ، وقد شارك فيه عديد من علماء الهند ، وذكروا نجاح المؤتمر فى أهدافه ، وأشادوا بجهود الفقيد وجمعية أهل الحديث بصدد المؤتمر وسائر النشاطات الاسلامية .

أصابتنا هزة شديدة بموت الشيخ الميرفورى ولكن القضاء لا يرد ، فصبر جميل ، والله هو المستعان ، وعليه التكلان . نقدم أحر التعازى إلى أسرة الفقيد وإلى جمعية أهل الحديث ببريطانيا ونشاطر الجميع الحزن والأسى ، ونسأل الله تعالى أن يغفر للفقيد ويعلى درجته فى جنته الفردوس ويلهم المصابين الصبر والسلوان ، انه هو السميع المجيب . اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه . وصلى الله على نبينا وبارك وسلم . ؟

(أبو فوزان)

هذا هو العدد الأخير من مجلة صوت الأمة للمجلد الأول / ٢٠ ، والعدد القادم يصدر فى يناير ١٩٨٩ م ، وهو يكون العدد الأول من المجلد الثانى / ٢١ ، إن شاء الله تعالى .

NOVEMBER & DECEMBER 1988

SAUTUL UMMAH

The Islamic Cultural & Literary Monthly Magazine

Dar-ut-Taleef Wat-Tarjama, Varanasi, India

من مطبوعات الجامعة السلفية :

تأليف

الشيخ عبد الصبور بن الشيخ عبد التواب الملتانى
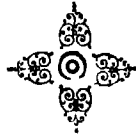
Printed and Published by : Abdul Auwal Ansari.
At Salafia Press, Reori Talab, Varanasi.